

سلسلة منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
العدد: 11 السداسي الثاني 2021

تاريخ الجزائر، المجتمع والثقافة والنخب عبر العصور،
أعمال مهداة للدكتور يحيى بوعزيز

الجزء الثاني

تنسيق وإشراف

أ.د/ عبد الله مقلاتي د/ الطاهر خالد
د/ فتح الدين بن زاو د/ حسين محمد الشريف

المدير الشرفي للسلسلة

أ. د / كمال بداري مدير الجامعة

مدير السلسلة

أ. د / عبد الله مقلاتي

المراجعة اللغوية

أ. د / عبد الحميد عمران

التصميم والإعداد التقني

د/ الطاهر خالد

اللجنة العلمية الاستشارية للسلسلة

الجامعة	الأستاذ	الجامعة	الأستاذ
جامعة تونس	أ.د/ حسن حبيب اللولب	جامعة المسيلة	أ.د/ عمر بوضرية
جامعة المسيلة	أ.د/ أبو بكر الصديق حميدي	جامعة المسيلة	أ.د صالح لميش
جامعة المسيلة	د/ منى صالحى	جامعة المسيلة	أ.د/ عبد الكامل جويبة
جامعة المسيلة	د/ حسين محمد الشريف	جامعة المسيلة	أ.د/ محمد يعيش
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	د/ حسين عبد الستار	جامعة المسيلة	أ.د/ أحمد مسعود سيد علي
جامعة المسيلة	د/ فتح الدين بن أزواو	جامعة الجزائر 02	أ.د/ بوعزة بوضرساية
جامعة سطيف 02	أ.د/ سفيان لوصيف	جامعة المسيلة	أ.د/ كمال ببرم
جامعة تيبازة	د/ دحمان تواتي	جامعة الجلفة	أ.د/ محمد قن

منشورات مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

- جامعة محمد بوضياف بالمسيلة-

حي إشبيلية، ص ب 190 ولاية المسيلة-الجزائر

 revuehagint@gmail.com

 virtuelcampus.univ-msila.dz/lerra2

 <https://www.facebook.com/profile.php>

رقم الإيداع القانوني: السداسي الثاني 2021

ISBN: 978-9931-899-00-6

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعمال ودراسات مهداة
إلى الدكتور يحيى بوعزيز رحمته الله

كلمة مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية

يشرفني باسمي الخاص وباسم أسرة المخبر وفي الذكرى الرابعة عشر لوفاة الدكتور يحيى بوعزيز أن أصدر هذا الكتاب (تاريخ الجزائر، المجتمع والثقافة والنخب عبر العصور، أعمال مهداة للدكتور يحيى بوعزيز)، وذلك عرفانا بفضل المرحوم على البحث التاريخي وكتابة التاريخ الوطني الجزائري.

فقد سخر يحيى بوعزيز جهوده طوال نصف قرن لخدمة الثقافة العربية الإسلامية وكتابة تاريخ الجزائر الوطني، ونشر أكثر من خمسين كتابا في التاريخ وتحقيق المخطوطات والفكر والثقافة، ولد المرحوم عام 1929 بالقبائل الصغرى ببلدة الجعافرة، ودرس في الكتانية بقسنطينة وفي عناية، وأكمل دراسته في الزيتونة والقاهرة، واشتغل أستاذا بجامعة وهران لسنوات طويلة.

وكانت مسيرة المرحوم حافلة بالنشاط العلمي والثقافي وبالنضال الوطني في صفوف الطلبة الجزائريين وحزب جبهة التحرير الوطني، فضلا عن جهوده في حقل الصحافة والنشر والتأليف، وكذا التدريس وحضور الملتقيات والندوات وتقديم المحاضرات، وقد سجلت مذكراته من ثلاث أجزاء بعضا من نشاطه العلمي والفكري الدؤوب.

وتعد مؤلفاته المتنوعة اليوم منهلا للطلاب والباحثين، وقد شرحت تاريخ الجزائر وركزت على قضايا المجتمع والنخب السياسية والثقافية، ومنها ما تعلق بتاريخ الجزائر الوسيط والحديث والمعاصر، وبرجال المقاومة مثل الأمير عبد القادر ومحمد المقراني... الخ، وكذا مسار الحركة الوطنية والثورة التحريرية ونخبة الفكر والثقافة في الجزائر والمغرب العربي، كما اهتم بجمع الوثائق من مختلف دور الأرشيف العربية والأجنبية، وبالبحث عن المخطوطات وتحقيقها.

واستكمالا لمشروعه البحثي هذا وجهنا الدعوة لنشر كتاب خاص به، يركز أبحاثه ودراساته على المجالات المتقاطعة لتاريخ الجزائر، السياسة والمجتمع

والثقافة والنخب الفاعلة، وهي مجالات حيوية ما زالت فجواتها تحتاج لمزيد من البحث والتقصي.

وقد زاول بوعزيز مشروعه البحثي بجهود التدريس الأكاديمي، حيث ظل مدرسا للتاريخ بجامعة وهران منذ السبعينيات وإلى غاية وفاته يوم 7 نوفمبر 2007، كما كان يزور الجامعات الوطنية والعربية والدولية لتقديم المحاضرات فضلا عن تنشيطه للملتقيات الوطنية والدولية، وترك بذلك أثرا في الحياة الثقافية الجزائرية وفي المدرسة التاريخية الجزائرية، باعتباره أحد روادها الأفاضل وأكثر الأساتذة تأثيرا على نخبتها فكريا ومنهاجا.

ونهدف من وراء نشر هذا الكتاب إلى تخليد ذكرى رجل خدم الجزائر والجامعة الجزائرية، حيث ارتأينا أن نساهم في مناقشة أبحاثه وأفكاره وكتابات التاريخ والفكرية، وذلك من خلال نشر كتاب يتضمن بحوث ودراسات تتناول مجال الدراسات والأفكار التي اشتغل حولها الأستاذ وجلها حول تاريخ الجزائر، ودراسات حول بحوثه ومؤلفاته وحياته، كما نهدف إلى تكريس مبدأ تكريم العلماء والاقتراد بمنهجهم العلمي، من خلال إرساء تقليد الاقتداء بالعلماء النابغين، وإلى تشجيع الباحثين ونشر البحوث التاريخية والمعارف، ونهدف أساسا إلى استكمال المشروع البحثي للدكتور بوعزيز حول تاريخ الجزائر السياسي والاجتماعي والثقافي.

وقد تجاوب الباحثون مع دعوة الكتابة ووصلتنا إسهاماتهم الثرية، ورأينا أن ننشرها وفق محاور الكتاب الآتية:

القسم الأول: بحوث تتعلق بحياة وكتابات وإسهامات الدكتور يحيى بوعزيز.

القسم الثاني: بحوث في تاريخ الجزائر القديم.

القسم الثالث: بحوث في تاريخ الجزائر الوسيط.

القسم الرابع: بحوث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

وختاماً نتمنى أن نكون قد وفقنا في عملنا، وأنا أسهمنا في جمع دراسات مفيدة لكتابة تاريخ الجزائر، وأنا استذكرنا جهد الرجل المضحى من أجل وطنه وكتابة تاريخه، المرحوم يحيى بوعزيز، ونتقدم بالشكر الجزيل للزملاء المنسقين على جهودهم المضيئة، وكذا الزملاء المحكمين الذين سهروا على تقييم المساهمات العلمية، ومن دون أن ننسى الباحثين الذين نشرت أعمالهم في هذا الكتاب، وكذا مصفف الكتاب الدكتور الطاهر خالد على جهده المبذول والتضحيات الجسام في اخراج الكتاب في أبهى حلة.

الأستاذ الدكتور عبد الله مقلاتي 7 نوفمبر 2021

مقاومة الاحتلال في سوسولوجيا العرش بالحضنة مساهمة تاريخية
في مقاومة قبيلة أولاد ماضي 1830-1864

Resisting the occupation in the sociology of el-arche in the
Hodna a historical contribution to the resistance of the tribe
of Ouled Madhi 1830-1864

ك. أ. د. كمال بيرم

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة

شكلت القبيلة في الجزائر صفا قويا في مواجهة الاحتلال الفرنسي وتوسعاته بالحضنة، انطلاقا من موقفها التاريخي في تحالفها ضد كل عدو خارجي، وباعتبارها قبائل بدو متحركة، بقيت عقبة في وجه توسع الاحتلال جنوب الجزائر مما جعلها محل اهتمام الإدارة العسكرية والسياسية الفرنسية من أجل تفكيك وحدتها واخضاعها. والعرش بمنطقة المسيلة حقيقة اجتماعية وثقافية واقتصادية وأحيانا عسكرية تبدو فيها روح الجماعة هي الرابطة السائدة ترتكز على الإحساس الجماعي بالانتماء الواحد إلى الجد المشترك أو الاسم الأول للعرش، لذلك فصفات التضامن والتوازن الاجتماعي والتكامل بين عائلات وفرق العرش هي السائدة، وأولوية الجماعة على الفرد هي الهدف الأول. ومن بين الاعراش التي شكلت نموذج لقبائل الاجواد المحاربة والمقاومة للاحتلال بالحضنة نجد عرش أولاد ماضي الذي نقدم حوله هذه المساهمة التاريخية.

أولا/ المكون القبلي لعرش أولاد ماضي: بين التنوع والانسجام

عروش منطقة المسيلة ورغم أن عناصرها لا تتحدر من أصول واحدة، فقد التحمت بتطور عناصر العائلة من جهة واندماج العناصر الأجنبية عن

المنطقة، التي وجدت في اسم العرش القوة التي يحميها وتعينها¹. في صراعها مع غيرها. يعتبر عرشي أولاد دراج وأولاد ماضي أهم عروش المنطقة انتشارا جغرافيا وكثافة سكانية، ويمثلون خصوصية بشرية مميزة يطلق عليها الحضنية، والعرشين عاشوا وفق نمط إنتاج ملائم للوسط الطبيعي الذي جعلهم في ترحال وتنقل أو عشابة لكن في انسجام وتوازن.

أراضي عرش أولاد ماضي الكبيرة التي تشغل القسم الأكبر الممتد بين المسيلة وبوسعادة وهي قبيلة مُحاربة لعبت دورا محوريا في تاريخ المنطقة²، وينحدر أولاد ماضي الأصليين من الأثيج، وتتفق الرواية الشفهية والتاريخ حول ذلك مع اختلاف في التفاصيل³، فالرواية الشفهية تقول أن أولاد ماضي ينحدرون من ماضي بن مغرب الهلالي قائد قرّة - وهي بطن من بطون الأثيج حسب ابن خلدون - الذي استقر ببرقة في خلال الهجرة الهلالية الثانية وأقامت هذه القبيلة أولا في إقليم الزاب ثم استقرت بعدها بمنطقة منطقة المسيلة التي وجدت بها قبائل العريب والزناخرة وأولاد علي بن داود والداودة⁴. وتقول رواية أخرى أن أولاد ماضي يُنسبون إلى ماضي من بني قرّة⁵ التي هي فرع من العمور وهم مجموعة ارتبطت بالأثيج ونجد اسمهم قد أطلق على المكان المعروف بعين ماضي بالأغواط.

1-Bourdieu, (Pierre): **Sociologie de l'Algérie**, presse universitaire de France, paris , p77.

2- Feraud;**Histoire de M'sila,in** recueil de Constantine 1872 , p336.

3- Despois,J: **le hodna presse universitaire de France 1953**,paris, p 119.

- Feraud ;Opcit, p 337.4

5- يذكر ابن خلدون أن ماضي كان متزوجا من الجازية أخت حسن بن سرحان قائد الأثيج، أنظر: ابن خلدون: العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 6، دار الكتب العلمية 1992 لبنان، ص 27.

وتقول رواية ثالثة أن ماضي هو مؤسس القبيلة، وقد جاء من تونس مع عائلته إلى سد الغابة جنوب المسيلة في القرن 6 هـ/ 12 م وهي رواية كان يرويها بعض الأهالي سنة 1856¹. وقد اندمجت مجموعات كثيرة في أولاد ماضي كما هو شأن مجموعة من العريب وفرق أولاد معتوق وأولاد سليني والعاكلة ومجموعات من أولاد بوقاهية والخباطنة، كما وجدنا المعاريف - وهم فرع من العريب كما سنرى - قد اندمجا في فرقة أولاد عبد الحق، واستطاع أولاد ماضي فرض سيطرتهم على منطقة المسيلة، ويشكل أولاد منصور أو ماضي غرب المسيلة قسما من قبيلة أولاد ماضي². ويشتمل عرش أولاد ماضي على عدة فرق هي:

- أولاد علي بن خالد. - أولاد يحيى بدوار شلال. - أولاد سي سليمان بدوار برييري. - أولاد سديرة بدوار برييري.

- أولاد معتوق بدوار سعيدة. - أولاد عبد الحق بدوار سعيدة.

- أولاد سيدي حملة بدوار مسيف. - أولاد منصور بن مهدي بدوار لقمان وتارمونت. ولكن المصادر تقول أن أولاد ماضي الحقيقيين اليوم هم:

- أولاد عوار وهم فرقة صغيرة من أولاد علي بن خالد. - أولاد بويحيى. - الخباصة. - أولاد قانة من فرقة أولاد معتوق.

قسم من أولاد عبد الحق وأولاد بديرة بما في ذلك عائلة بوضياف³.

ويذكر ابن خلدون أن أولاد ماضي في عهده كانوا مقيمين مع أولاد فارس وأولاد عزيز بسفح جبل أوراس المطل على بسكرة وتمتد أراضيهم غربا حتى

1-CAOM : (centre d'archive d'outre-mer) M60(95)117-105, rapport d'application de senatus consulte de tribu de ouled madhi.1869.

2- Féraud, Charles; op-cit, p338.

3- CAOM : 8h7, **historique de tribu de ouledmadhi**,.,Despois,J: Opcit, p 119.ACC;PV 223,tribu ouledmadhi.

تشمل غمرة "وهم في جوار رياح وتحت أيديهم" وخصوصا من الداودة¹ ونتيجة تسلط الداودة عليهم فقد قرروا الرحيل للإقامة في منطقة المسيلة خلال القرن 15 م وبداية القرن 16 م، وفي سنة 1552 عندما قام صالح رايس حاكم الجزائر بغزو الجنوب فقد اصطحب معه الكثير من فرسان أولاد ماضي². وتخلص أولاد ماضي تدريجيا من سلطة الداودة، وحسب الرواية الشفهية فإنهم وجدوا كلا من أولاد سيدي حملة والعريب وفرق من الداودة تقيم بالحضنة³. وبالنسبة لفرق الداودة فقد أزاحوا قسما منها نحو الزيبان واندمج قسم آخر معهم، وتضم حاليا قبيلة أولاد ماضي فرقا وبطونا صغيرة ذات أصول مختلفة وجمعت معها بعض المنحدرين من الأتيج وخصوصا في دوار لقمان، كما جمعت بعض ذوي الأصول المغربية عند أولاد عبد الحق وعند أولاد سي سليمان ومن المحتمل أيضا عند أولاد معتوق.

وهكذا فإن قبيلة أولاد ماضي إذن قد تشكلت شيئا فشيئا حول نواة من الأسر الأتيجية التي فرضت عليها سيادتها في منطقة المسيلة وأزاحت الفرق التي وجدت هناك واستوعبت عدة فرق أجنبية عن المنطقة⁴. وحسب تقارير المجلس المشيخي لعرش أولاد ماضي فإنه يقع جغرافيا بين واد القصب "واد المسيلة" ومنطقة الرمل شمال شط الحضنة إلى واد الشلال قبل أن يتم تحديد مساحة أراضيه بعد الاحتلال الفرنسي بـ 180.000 هكتار⁵.

1- ابن خلدون: العبر، مج6، ص 31-32

2-CAOM: M60 (95)105-112, extrait de senatus consulte de tribut d'ouled madhi,1869; Despois, J: Opcit, p 119.

3- Féraud ; Opcit, p 338.

4- Despois,J: Op-cit, p 122.

5-A.C.M.M (archive de la commune mixte de m'sila) B boite,227 (rapport administrateur 1940).; CAOM;M60(95)119,rapport de sénatus consulte de ouled madhi,1869.

وانتشرت عائلة ماضي بن عبد الله بن علي من بني قرة المنطقة السهبية للمسيلة وعاش العرش منذ القرن 14 تحت سلطة النواودة الرياحين، إلى جانب أولاد فارس وأولاد عزيز في إقليم الزاب الغربي حيث بدأ يستكمل تكوينه واستقراره بالمنطقة التي تحمل اسمه، وحيث واجه صعوبة الانتصاب مع قبائل الزناخة الآتين من منطقة الجريد التونسية في حدود القرن 16 والذين اندحروا نحو منطقة بوغزول جنوب قصر البخاري¹. وينقسم عرش أولاد ماضي إلى فرعين: فرع أولاد ماضي الجواد أو النبلاء وفرع المرابطين (أولاد سيدي حملة)².

ولابد للإشارة أن عرش أولاد ماضي امتاز بظاهرة التعمير التي تأتي بعد عملية الترحال والتنقل عبر الأجزاء الواسعة لإقليم منطقة المسيلة، وتكونت من خلال ذلك مجموعة أجزاء وفرق للعرش في مواطن أرض العرش التي امتدت في فترات متقطعة إلى تارمونت والشط وتيارت³. والصحراء وسور الغزلان والمدية وبوغاز والاعواط وحتى منطقة القبائل وأهم الفرق المكونة حسب توزيعها الجغرافي لها:

- فرقة أولاد عبد الحق وأولاد معتوق بمنطقة السعيدة. -فرقة أولاد علي بن خالد وأولاد يحيى بمنطقة الشلال. -فرقة أولاد سي سليمان وأولاد سديرة بمنطقة البريري. -فرقة أولاد منصور بن ماضي بمنطقة لقمان وتارمونت⁴.

1.-Castillan: **Sédentaires et Nomades à chella la**, Paris,1939, pp 78-110.

-A.C.C (archive cadastre de constantine): PV, 170 M'sila, pp 50-60.

2-Guin: **Notes historiques sur les Adaoura** , in R.A.F (revue africaine), N°: 17,1871 ,p:117.5

3-Féraud, (LC): op-cit., p 340.6

4- تشير بعض الروايات إلى إن فرقة أولاد منصور أو ماضي وأحيانا بن ماضي تنحدر من أصول عربية نسبة إلى شخصية ماضي بن مغرب الهلالي جاء من الحجاز واستوطن في المنطقة خلال القرن 11 واستكمل تكوينه في القرن 14 حيث كون صف شيخ العرب وبقي تحت ولاء

فرقة أولاد سيدي حملة¹ التي تمثل عرش مميز ضمن نفوذ أولاد ماضي. وتحتوي كل فرقة من فرق العرش على فرق فرعية عديدة حصل بينها التزاوج والتتقل في أرجاء الأراضي الممتدة من بوسعادة والمسيلة ومن جبال المعازيد إلى جبال ونوغة، فمثلا منطقة ونوغة كانت موضع إحدى الفرق القوية للعرش وهي أولاد عبد الحق، التي تنتمي إليها عائلات بوضياف بن بوراس وهي المنطقة التي أوكلت إلى أولاد عبد الحق من قبل السلطان المريني وامتدت سلطة الفرقة إلى منطقة السعيدة، حيث توجد عائلات بوعبان وأولاد نخلة وأولاد سعدي والمراشدة². وقد ضمت فرقة أولاد عبد الحق إضافة إلى هذه الجماعات أولاد سديرة والمعارف وأولاد عزوز. وتضم فرقة أولاد سيدي حملة أولاد يحيى - أولاد عطية أولاد الحاج أما وأولاد منصور أو ماضي تضم: أولاد موسى أولاد بعلي أولاد لجالس أولاد سيدي إبراهيم أولاد حريز وأولاد بلقاسم بمنطقة لقمان.

عائلة المقراني، إلا أنه لا يشكل عرش منفرد بقدر ما يكون مجموعة فرق من أصول مختلفة ربطتها مسألة الجوار والحماية خلال فترات من التاريخ قبل الاحتلال الفرنسي فمنهم من ينتمي إلى بعض فرق أولاد دراج مثل أولاد دهيم ومنهم من ينتمي إلى فرق المقرانيين بمجانة ومنهم من يدعي الانتماء إلى العائلات القادمة من الساقية الحمراء ووادي الذهب. وينقسم إلى فرق منها أولاد موسى-أولاد بلقاسم-أولاد حريزي أولاد بعلي (B. OGA) bulletin officiel du gouvernement d'Algérie 1910, p 1206.

1-ينتسب عرش أولاد سيدي حملة إلى سيدي محمد حملة لقمان ابن إدريس مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب والذي استقر بالحصنة في القرن السابع الهجري وينقسم العرش إلى فرق هي: أولاد نايل، أولاد نقاز، أولاد سيدي عامر، أولاد يعقوب، أولاد سيدي سليمان، أولاد علي، أولاد بوعافية، لبواشير، القراة الرقايق، أولاد مهاني. Féraud, Histoire des villes, p339. 2-Féraud, (LC):op-cit, p339.

ولا تبدو هذه الفرق تنتمي إلى عرش واحد بل تجمعت تحت غطاء اسم وقوة وهيبة أولاد ماضي عبر فترات التاريخ، بدليل وجود جماعات في المنطقة كانت قد أتت من عرش أولاد دراج مثل الدحادحية وأولاد سديرة¹ من جبال ونوغة ذات الأصول البربرية، في حين انحدرت جماعة الخناشنة من جبال المعاضيد². كما ترجع بعض الروايات فرقة أولاد سيدي سليمان إلى مرابطين الزوي قبل انتصابهم بأولاد ماضي³. كما ترجع عائلات أولاد فالي من أولاد منصور بن ماضي إلى منطقة الزيبان بسكرة، في حين تنتسب فرقة أولاد بعلي إلى فرقة آتية من المغرب الأقصى نسبة إلى شخصية الحوناس من فأس⁴. كما تفرعت عن عرش أولاد ماضي فرق أخرى انتقلت إلى المناطق التالية منها: فرقة أولاد الحيف التي كانت تسكن حول منطقة السبخة بشط الحضنة وارتحلت إلى التل بمحيط عرش أولاد عبد النور بموقع الكدية الصفراء. وفرقة أولاد أحمد الذين انتشروا بجبال الخرابشة وأولاد العشاش⁵ وقد عرف عرش أولاد ماضي قبل الاحتلال الفرنسي بأصحاب الخيم الحمراء تميزا لهم عن أولاد نايل أصحاب الخيم السوداء والذين كان بينهم صراع طويل حول الأراضي المخصصة للعشابة أصحاب المواشي⁶.

1-A.C.M.M: B,227 (rapport caïd saida 1898)

2-CAOM:M100(283)/117mcom,150,senatus consulte de tribu maadid; ,1905; Despois ,(J):op-cit,p122.

3-IBID :,p,340

4ACC.PV 223extrait de senatus consulte de tribu ouled madhi.

IBID ;p,121.

5-CAOM:M104(300)/117mcom124,senatus consulte de tribu de kherabcha,1910.-Féraud,(LC):op-cit, p337

6-Arnaud : **Histoire des OuledNail**,in R.A.F,N°;16, année 1872 ,P332.et Bourdieu,(P) :sociologie de l'Algérie,(presse universitaire defrance),op-cit,p75

ثانيا/ عرش أولاد ماضي خلال العهد العثماني

تعتبر الحضنة ذات خصوصيات جغرافية وبشرية جعلت منها منطقة تفاعل للأحداث التاريخية الهامة الوطنية منها والإقليمية، وقد عملت الجغرافيا على تحول المنطقة إلى محطة عبور واحتكاك سريع لمختلف القوافل التجارية والبشرية باعتبارها منطقة تماس لما كان يعرف بإقليم بايليك الشرق وبايليك التيطري خلال الحكم العثماني. أن خصوصية المنطقة البشرية تظهر في ذلك التماسك والترابط الاجتماعي الذي تجلى عبر محطات التاريخ الحديث والمعاصر [الثورات والمقاومات] من خلال العلاقات التي ربطت مختلف عروشها ومشايخها ونتج عنها ما يطلق عليه بالإنسان الحضني: كان التقارب والتحالف كبير بين عرش أولاد ماضي وعرش أولاد دراج والمقرانيين، خلال الحكم العثماني، وشهدت منطقة الحضنة عامة ثورات عديدة كانت ورائها مشيخة أهم العروش لأولاد ماضي¹ وأولاد دراج.

وحكم الأتراك المنطقة إلا بمساعدة أعيان ورؤساء مشيخة أولاد ماضي ومن بينهم عائلة بوضياف بوراس، ومشيخة أولاد مقران بمجانة. ومعروف أنه منذ 1600 ربطت الأتراك بواسطة المقرانيين علاقة مع عرش أولاد ماضي منذ تولي الشيخ سيدي ناصر بن سيدي احمد المقراني مشيخة الحضنة والذي كانت تقوم بحراسته فرقة من قوم أولاد ماضي منكونة من 18 فارس. وكان خضوع سيدي ناصر للأتراك شكليا فقط.

ومن أبناء سيدي ناصر سيدي بنقة (وكانت أمه زنجية ويدعى بأبو عتيقة) الذي ربطته علاقة مصاهرة مع اولاد ماضي بحيث تزوج من ابنة شيخ

1-Nacib,(sebhi): **mutation du monde rurale**, le hodna,opu,alger 1981 ,p160,et B.O.G.A 1910.p1206.

أولاد ماضي وهذا ما سمح للمقرانيين بتوسيع نفوذهم إلى مناطق واسعة من الحضنة وأولاد نايل، وقد استمرت علاقة الأتراك وأولاد ماضي طيبة إلى غاية حادث إهانة أحد فرسان أولاد ماضي من طرف سيدي بتقة، ومنذ ذلك التاريخ أصبح صف أولاد ماضي الأجواد الصف المعادي للمقرانيين والأتراك إلى غاية بداية الاحتلال خاصة بعدما قام سيدي بتقة بجمع الفرسان من قبيلة الحشم وداهم أولاد ماضي وقتل منهم الكثير بموقع محفر الطير 1680. حدثت العداوة بين المقرانيين الذين يشرفون على الحضنة باسم الأتراك وفرقة أولاد عبد الحق فكانت ثورة أولاد ماضي ضد الأتراك وضد أولاد مقران 1733¹ مظهر لذلك الصراع.

تمكن المقرانيون من دحر أولاد ماضي إلى حواف الصحراء حيث عرفوا فيما بعد بأولاد بوراس. لم يستطع عرش أولاد ماضي الاحتفاظ بتماسكه رغم امتداده ونفوذه وبنهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر قاد عرش اولاد ماضي انتفاضة ضد الأتراك 1774 كما استمر الصراع بين المقرانيين وأهل الحضنة بداية القرن التاسع عشر حيث ثار أولاد ماضي في 1800 ضد بن القندوز المقراني مستغلين الصراع الدائر بين أفراد العائلة المقرانية، ووقعت معارك كبيرة بمواقع مختلفة قرب وادي الشلال وتحالف حينها عرش اولاد دراج إلى جانب أولاد ماضي، وكانت هزائم المقرانيين عامل مشجع لأولاد ماضي الذين هاجموا المقرانيين المتجمعين بموقع العوج قرب وادي الشلال ووصفت المعارك بالعنيفة جدا وقتل تسعة من أفراد عائلة المقرانيين الذين تركوهم مع ما يزيد عن 200 فارس من قبائل الحشم وكان عدد الجرحى أكثر من ذلك بكثير. ورغم العدد الكبير لقتلى عرش أولاد ماضي ولأولاد دراج إلا أنهما استطاعا

مطاردة المقرانيين وسبي عدد من نسائهم واطفالهم. وتم نقل جثث المقرانيين إلى مقبرة سيدي علي الطيار بتازروت ووجد جثة العزيز بن القندوز بدون رأس. وساند عرش أولاد ماضي انتفاضة بن الاحرش 1803 وقاوم سلطة باي قسنطينة نعمان سنة 1815 ومن بعده سلطة شاكربا قسنطينة و1818. وخلال الاحتلال الفرنسي لمنطقة الحضنة بداية 1840 شكل صف أولاد ماضي قوة هامة في الدفاع على المنطقة مشكلا حلفا قويا مع اعراش الحضنة خاصة أولاد دراج سواء في حماية أحمد باي بعد سقوط قسنطينة 1837 أو خلال مقاومة الأمير وخلفاءه بالمنطقة 1838، وكانت المقاومة للأجنبي خصوصية لعرش أولاد ماضي واستمر فكر المقاومة إلى ما بعد انتصاب الإدارة الاستعمارية بمركز المسيلة 1841 ومن بعدها بوسعادة 1849.

ثالثا/ عرش أولاد ماضي من فكر المقاومة إلى الانتفاضة

كانت انتفاضة عرش أولاد ماضي سنة 1864 عبارة عن انتفاضة شعبية في إطارها الوطني رغم محليتها، لأنها تزامنت مع نداء ثورة أولاد سيدي الشيخ بالغرب الجزائري، وتلبية لرغبة السكان في رفض الاحتلال كما كانت ثورة جهادية دينية حركت وهزت كامل المنطقة واستدعت تجنيد فرنسا لفيالق عسكرية من جهات مختلفة، وأكدت بذلك أن الاحتلال الفرنسي لمنطقة المسيلة، لم يتم في ظروفه لولا تداعيات الانقسامات المحلية وتداخل أصحاب النفوذ والامتيازات القديمة وأطماعهم في ظل الاحتلال. فقد مثلت هذه الانتفاضة تجاوبا شعبيا كبيرا لسكان مدينة المسيلة وعرش أولاد ماضي وعرش بوسعادة مع نداء كاتب زعيم أولاد سيدي الشيخ الباشاغا سي الفضيل بن علي¹، الذي حل بمدينة المسيلة سنة 1864 لجمع السكان على الثورة ضد المحتل. كما

قام سي الفضيل بن علي بالتردد على منطقة الحضنة وحتى الأقاليم الشمالية لأولاد نائل وتمكن من الاتصال بقياد وأعيان المنطقة واجتمع بعرش أولاد سيدي إبراهيم بقرية بنزوه التي تبعد بـ 10 كم شمال بوسعادة.

وتذكر التقارير الفرنسية أن المقرانيين حضروا هذا الاجتماع إلى جانب بعض زعماء اولاد سيدي الشيخ القادمين من الغرب، واستمرت التحضيرات للثورة سرىا إلى غاية إعلانها في نهاية شهر جوان 1864. وتسارع الناس إلى اقتناء الأسلحة والذخيرة من أسواق منطقة المسيلة خصوصا المدينة حيث كانت تجارتها تتم علنيا، ومن بين الأسباب التي مهدت لهذه الانتفاضة سوء تسيير سياسة المكاتب العربية التي خضعت لها مناطق الحضنة سواء مكتب برج بوعريريج في عهد الضابط بايان payen أو مكتب بوسعادة في عهد الضابط بان¹ pein إضافة إلى قيام السلطات الفرنسية بإرهاق الأهالي بالضرائب و الغرامات كلما وجدت فرصة لذلك كما أقدمت على إنزال مكانة بعض العائلات التي كانت لها علاقة بوضع الأهالي كالمقرانيين وقد سبق الانتفاضة إجراء فرنسا بمنع السكان من العمل الجماعي المعروف باسم التويزة سنة 1863 والضرائب التي كانت تفرض على السكان عند مرور القوات الفرنسية، أو ما يعرف بضريبة الضيافة، إلى جانب الدور الهام لمكانة كاتب زعيم أولاد سيدي الشيخ سي الفضيل بن علي الذي كان تلميذ زاوية الهامل الرحمانية ببوسعادة،

1-CAOM:8H7 notice historique et géographique de bousa ada

*للمزيد حول انتفاضة أولاد سيدي الشيخ وعلاقتها بانتفاضة الحضنة 1864. أنظر

LE Colonel TRUMLET:notes pour servir l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger de 1864à1869,Revue africaine,Alger 1882,pp333-390,et SI-HAMZA Boubekour,"Origine de la guerre de Sud-oranais contre la France,1864-1900,selon la version arabe, Revue d'histoire Maghrébine 6,Tunis 1976,pp133-138..

وله علاقة طيبة مع السكان بحكم وجود عائلته بالمنطقة وقد انتشرت هذه الحركة في مناطق واسعة من الحضنة ، كأولاد سيدي إبراهيم والسلامات¹ وحتى سور الغزلان².

وقد عمل سي الفضيل بن علي التحضير للانتفاضة بمنطقة المسيلة منذ جوان 1864³، حيث تم اجتماع زعماء وكبار أعيان المنطقة ليلا وفي سرية بجامع سيدي الغزلي بمدينة المسيلة وأدوا اليمين بالجهاد مع إخوانهم الثوار بغرب الجزائر، وبدأت الأخبار تنتشر بسرعة مفادها قدوم أولاد زعيم أولاد سيدي الشيخ سليمان بن حمزة، كما تناقل الناس أخبار انتفاضة السكان في مناطق عديدة مثل عروش الجزائر ووهران ، وبوغار وأولاد عامر وأولاد سيدي إبراهيم ببوسعادة وبدأت عملية جمع المئونة والحبوب وتجميع المواشي ثم نقلها بعيدا إلى الجبال لتأمينها⁴.

رابعا/ تطورات الانتفاضة

قبيل اندلاع الانتفاضة تم تجمع قبائل الحضنة أولاد ماضي وأولاد عبد الله والهجارس والسلامات في وادي اللحم في الوقت الذي تحرك فيه عرش أولاد عامر في الجنوب. كتبت عدة مراسلات بين قياد المنطقة وفرنسا حول تطورات الاستعداد للثورة واحداثها، منهم القايد إسماعيل بن علي والسعيد بن بوداود وحتى إبراهيم بن عبد الله قلب الثورة وكذا سي عامر بن علي فارس ومحمد

1-Jules,(oGet):**Une Expédition Algérienne**, épisode de L'insurrection de 1864,Bastia,imp.,Fabiani, 1871pp 1-5 .

2-Gaid ,(M):op-cit, pp 62-68.

3-ابن شعيب محمد بن علي: أم الحواضر في الماضي والحاضر-تاريخ مدينة قسنطينة - مطبعة البعث 1980 ص 71.

4-Gaid,(M):op-cit ,p 70.

بن القمري وعيسى بن الشيخ والشلابي بن الجدبة والشيخ الطيب بن العمري بن عبد الله والباشاغا سي الحاج المقراني محمد.

أغلب الرسائل لم تكن تقدم المعلومات الكافية لفرنسا، انطلاقاً من المواقف الضمنية المساندة للثورة، فإبراهيم بن عبد الله نجده ينظم إلى الثورة ثم يتزعمها، والباشاغا المقراني كان يعلم باستعدادات الثوار ولم يعمل بتعاليم فرنسا في مجابهة الثوار ولعل هذا الموقف هو الذي جعل فرنسا تقلص من مكانته وسلطته وثروته فيما بعد ليثور ضدها في 1871، والسعيد بن بوداود وإن كان إلى جانب فرنسا خلال هذه الانتفاضة إلا أنه لم يعمل كثيراً في محاربة الثوار بشكل عنيف، وهذا ما أشاع أخبار تحريضه للثورة مع إبراهيم بن عبد الله وحاول بن بوداود تنفيذها في رسالته للقائد الفرنسي مارتى marty في 3/10/1864. علماً أن السعيد بن بوداود وإبراهيم بن عبد الله كانا قد كلفا من قبل فرنسا بحفظ الأمن بالحضنة.¹ أشار القايد اسماعيل بن علي في رسالته إلى القائد الأعلى للجيش الفرنسي إلى حادثة إخفاء أولاد ماضي للحبوب والمواشي وتحريض السكان للثورة وأشار كذلك في رسالته في 25/10/1864 إلى خبر دعوة إبراهيم بن عبد الله قايد السوامع لعروش أولاد نايل المتواجدين ببسكرة إلى الثورة. كتب القايد السعيد بن بوداود رسالة في 9/10/1864 إلى القائد الأعلى للجيش الفرنسي يخبره فيها أن فرقة أولاد بويحيى وأولاد علي بن خالد يوجدون في استنفار، حيث تنقل كبارهم إلى مدينة المسيلة يوم الاثنين عند عرش أولاد عبد الحق وأولاد معتوق واجتمعوا من أجل التحضير للثورة، وكانت الآراء مختلفة حسب رسالة السعيد بن بوداود الذي لم يستطع متابعة جلسة المشايخ

ليلاً لأنه خاف على نفسه وعائلته وكان مهده بالموت، كما يذكر أن كل الاجواء تدل على الثورة وكل السكان موافقين عليها رغم أنه قرا على السكان رسالة الضابط الفرنسي ديسفو desvaux .

كما كتب عيسى بن الشيخ بتاريخ 1864/10/6 عن استعداد عرش السلامة وأولاد سيدي هجرس وأولاد سيدي عيسى حول وادي اللحم وتموقعوا بضاية عامر بعين الترك والمخازن وسد الجير وذراع العريب. وفي 9 أكتوبر كتب القائد أحمد بن القمري بعد أن أرسل جاسوساً له إلى أولاد ماضي وأطلعه على الوضع، حيث يذكر في رسالته الموجهة إلى القائد الفرنسي أن السوامع قد انتفضوا ضد فرنسا وأقاموا بواد المسيلة وأن أولاد سيدي العوي وأولاد سيدي إبراهيم قد انضموا إلى الثوار كما أن أولاد عامر قد تنقلوا إلى الحضنة وأرسل السلامة وأولاد سيدي هجرس كبارهم لاختيار مكان إقامتهم كما أرسل أولاد عدي كبارهم كما يذكر في رسالته أن إبراهيم بن عبد الله قد قام بتحريض ناس الحضنة.

ولما أحست السلطة العسكرية عن طريق قياداتها بالمنطقة بنوايا السكان، قام القائد العسكري بريا ند Briand باستدعاء كل قياد الحضنة في 15 أوت 1864 للاستعداد لمواجهة الانتفاضة ثم جهزت فرنسا قوة عسكرية انطلقت من قسنطينة بقيادة الجنرال دولا كرو Delacroix والكولونيل سيروكا Seroka¹ والكولونيل برياند Briand من بوسعادة² وقاد المقراني فرقة نحو المسيلة لدعم الجيش الفرنسي. وخلال محاولة الكولونيل بريا ند التحرك في بوسعادة نحو المسيلة حاصرت قوات إبراهيم بن عبد الله زعيم الانتفاضة

1-Feraud,(ch):op-cit ,pp 369.370.

2-Gaid,(M):op-cit ,p 72,Feraud, (ch);op-cit ,p.373.

بالقرب من قرية بانيو في 1864/09/08 شمال شط الحضنة ونظرا لشدة المقاومة وعجز فرقة بوسعادة من العبور نحو مدينة المسيلة فقد تدعمت القوة الفرنسية الموجودة بالمنطقة بوصول فرقة سيروكا وبأعداد كبيرة من قوم سطيف وباتنة التي وصلت مدينة المسيلة في 18 سبتمبر 1864¹.

وأمام هذه المعلومات انتشرت أخبار انضمام السعيد بن بوداود إلى جانب اولاد ماضي وأخبار أخري تفيد أن الباشاغا المقراني قد انضم إلى الثورة وقرر مهاجمة فرقة بريان الذي حاول التقهقر نحو بوسعادة والخروج من قرية بانيو التي اتجه إليها قائد الانتفاضة إبراهيم بن عبد الله، الذي اتجه بعد ذلك بقوة من عروش أولاد علي بن خالد وأولاد بويحيى وأولاد مطرق إلى سد الجير، في تخلف أولاد سيدي سليمان في وادي المسيلة وامتدت الانتفاضة إلى عروش أخرى مثل أولاد سيدي إبراهيم وأولاد فرج وأولاد عيسى².

وقعت خلال شهر سبتمبر مواجهات عديدة في كل من ضاية لحبارة في 1864/9/8 وموقعة العقلة البيضاء في 1864/9/11. وكتب قائد فرقة المسيلة إلى قائد وحدة سطيف عن أحداث الانتفاضة بالحضنة وعن جهل القيادات العسكرية بحركات بعضها البعض كما أكد الضابط في تقريره المكتوب يوم 1864/09/11 عن الاتصال الذي جمع كل من السعيد بن بوداود والباشاغا المقراني وكذا عرش أولاد ماضي.

يقدم التقرير تفاصيل جزئية لمعركة وادي سيدي حملة يوم 1864/09/10 حيث فقد فيها الجيش الفرنسي 7 فرسان و7 جرحى وتقل عرش أولاد ماضي إلى القرب من عرش أولاد عامر وتموقع عرش أولاد سيدي إبراهيم بمنطقة

1-B.O.G.A: 1911,p 20.

2- CAOM:1K276-279,troubles dans les tribus, rapport du 20-09-1864.

تارمونت. وقد عمد الضابط اوبلان Aublin حسب نفس التقرير إلى¹ دفع عروش الحوامد والسوامع والمطارفة وأولاد عبد الحق وأولاد سيدي حملة إلى التمويع في المساحات الفارغة على الطريق الرابط بين بوسعادة والمسيلة باعتبارهم يشكلون كثافة سكانية كبيرة².

وفي الوقت الذي أخبر فيه الباشاغا المقراني القيادة الفرنسية عن انتهاء الانتفاضة في المناطق الشمالية للحصنة الغربية، عمدت الفرقتين العسكريتين بقيادة الكولونيل لاكروا والكولونيل سيروكا إلى مهاجمة الثوار من الشرق، لأن القيادة الفرنسية حسب الضابط قائد المسيلة لم تعد تثق في المقراني وأنه لم يعد يعجب الفرنسيين الذين يعتقدون أنه يظهر لهم ما لا يبطن وأنه لم يعد الرجل الصديق لفرنسا، إلا أن الفرنسيين لم يكن من السهل عليهم الاستغناء عنه وعن دوره الإخباري الذي يكاد يكون ضروري، وهذا ما جعل القيادة العسكرية تفضل إبقاء المقراني إلى جانبها³.

أدى تزايد عدد الثوار من كل الجهات بقائد فيالق الحصنة إلى عدم المجازفة بقواته في ظل عدم ثقته بقوم المقرانيين وخاصة بعد رفض قوم أولاد زيغة البالغ عددهم 500 مسلح الانصياع لأوامره في الذهاب إلى القارصة وفضلوا البقاء مع قوات فيلق الضابط سيروكا⁴ وفي الوقت الذي كان الثوار يتجمعون في مناطق وادي مجدل فكر قايد الثورة إبراهيم بن عبد الله في التوجه إلى بوسعادة التي أصبحت محاطة بالقبائل الثائرة كالتالي: الشرفة وأولاد فرج في المقطع الفوقاني وأولاد عامر في ميتر وأولاد ماضي في الحصنة.

1-IBID.

2-CAOM: 8H17, colonne de m'sila, rapport du commandant de m'sila au colonel de subdivision de setif, 11/09/1864.

3-CAOM: 8h27, colonne du hodna, rapport du 11/09/1860.

4 -IBID; et Mouloud,gaid :op.cit. ,p 78.

أما الفرق العسكرية الاستعمارية فقد دخلت بوسعادة مقهورة بعد معركة ضاية لحبارة بقيادة بريون Briand كما دخلت فرقة سيروكا Serokka في 1864/09/10 وأعطيت على إثر ذلك الأوامر لقوم المقراني بالتحرك من مجانية للالتحاق بقوات سيروكا، وحاولت القوات الفرنسية قطع منافذ الحضنة المؤدية إلى بوسعادة والى باتنة ومنع الاتصال بالثوار كما اتخذت احتياطات أخرى شمال الحضنة بإرسال قوم من قبل النقيب بان pein والباشاغا المقراني إلى ونوغة لحمايتها من هجومات ثوار مقاطعة سور الغزلان¹.

حاولت القيادة العسكرية الاستعمارية محاصرة الثوار بمنطقة تواجد الثوار حيث اتجهت فرقة سيروكا Serokka إلى وادي الشعير لتطويق الثوار من جهة الجنوب الشرقي في الوقت الذي توجه المقراني بقومه الى العقلة البيضاء مرورا ببوسعادة بعد ان ترك بالحضنة قوة أخرى لسد المنافذ إلى بوسعادة، وتمت المجابهة يوم 1864/09/22 بمهاجمة الثوار قوم عوامر سطيف بالحضنة الذين كانوا معززين بخمسة كتائب من الرماة، كما تعززت القوات الفرنسية بقوم قيادة الكولونيل دو لاکروا Delacroix التي انطلقت من سطيف مرورا بالبرج حيث تعززت بفيلق من الأعوان قوامه 1300 جندي انضم إليها 900 مسلح من الفيلق 63 تحت حماية حشم المقرانيين². كما انطلقت من البرج قبل ذلك قوة الجنرال بيريقو beregot بتعداد 2000 جندي³.

1-CAOM: 23 I 1à7, rapport d'ensemble et exposé des faits historique et politique, 1864.

3-CAOM: 23 I 1à7, rapport d'ensemble et exposé des faits historique et politique, 1864.

3 -CAOM: 23I 1à7, rapport d'ensemble et exposé des faits historique et politique, 1873.

انطلقت الحملة العسكرية من مدينة المسيلة يوم 1864/09/28 لتصل إلى موقع درمل الهامل في 1864/09/30 الذي عسكر به القائد لاکروا وعسكر الباشاغا المقراني على بعد 2 كلم حيث تلقى الهجوم الأول من الثوار ليلة 64/09/30 مما دفع بالقايد لاکروا بتعزيز قواته بثلاث فيالق بقيادة الكولونيل دو لاجاي delajaille مع فيلق من قناصي إفريقيا وفيلق من الصبايحية و150 مدفعي على البغال، وجعل قوة احتياطية من قوم عوامر سطيف تحت قيادة النقيب دوبومون ¹debeaumont.

تكبدت محاولات القائد دولاجاي خسائر في الأرواح وانحطت معنويات الجيش الذي أربكته الهجومات الخاطفة للثوار في منطقة ثنية الريح، وتركت هذه المواجهة الأولى مقتل ضابطان و17 فارس من قوات العدو واستمرت الثورة إلى غاية 24 من شهر أكتوبر استطاعت القوات الفرنسية المدعمة بقوات الجنرال يوسف بعد معركة عين درمل التي وقعت يوم 2 أكتوبر أن تقبض السيطرة على الوضع في إقليم الحضنة الغربية².

حيث حوصر ثوار أولاد ماضي وأولاد عامر في موقع عطف المقام من طرف قوات لابيير وقينار ومارقيريت وألقي القبض على الفارين وتم

1 --CAOM: 8h7, colonne du hodna, rapport du colonel serroka, 25/09/1864.

2-CAOM: 11H25, insurrection de 1864 en Algérie, dépêche télégraphique 12/09/1864 AU 24/09/1864

** شاركت في الانتفاضة معظم عروش الحضنة وشمال الصحاري وقدرت التقارير العسكرية عدد الثوار بـ 1920 مسلح موزعة كالتالي؛ أولاد ماضي 300 مسلح، أولاد عامر 600 مسلح، أولاد عيسى ومحمد لمبارك وأولاد عمارة بـ 200 مسلح، وأولاد علي والشرفة بـ 210 مسلح السلامة 300 مسلح، أولاد سيدي هجرس وأولاد عبد الله وأولاد علي بن داود وأولاد سيدي عيسى بـ 185 مسلح. (caom: 11h25, dépêche télégraphique du 28/09/1864).

الاستيلاء على ممتلكاتهم وقتل في هذه الظروف كثير من البدو الرحل وتشنت الكثير من السكان إلى مناطق ونوغة التي حاولوا الثورة منها لكن أخبار هزيمة الثوار واستسلام كبار أولاد ماضي وأولاد فرج وطلبهم الأمان أفضل الخطة. قامت القوات الفرنسية عقب أحداث الثورة بعمليات قمع واسعة مست ممتلكاتهم وأموالهم وأعراضهم وأنفسهم وفرضت عليهم ضريبة حرب قاسية.

لقد أبرزت انتفاضة أولاد ماضي مدى التماسك الشعبي والتلاحم ضد الاحتلال وقدرة الأهالي على تحطيم مخططاته كما برهنت على مدى الترابط بين المقاومات الشعبية التي حدثت في تلك الفترة في مختلف جهات الوطن والتي كانت تلقي صداها بمجرد اندلاعها، ويقدر ما امتازت به ثورة أولاد سيدي الشيخ من شمولية وانتشار فإن انتفاضة أولاد ماضي أو انتفاضة الحضنة العربية ورغم طابعها المحلي إلا أنها كانت امتداد لثورة الزعاطشة¹ في الشرق وأولاد سيدي الشيخ في الغرب.

كما برهنت على مدى نفوذ أعيان المنطقة ومشايخها وتأثيرهم في جمع الناس وتوحيد صفوفهم رغم الانقسامات القديمة التي وجدت قبل الاحتلال الفرنسي، بين صف بن بوضياف² وصف المقرانيين، الذين كان لهم دور اجتماعي بارز خلال سنوات الجفاف على المنطقة خصوصا سنة 1857³، ولعل هذا الدور هو الذي دفع معظم سكان الحضنة إلى الانضمام إلى جانب ثورة المقراني 1871.

1-CAOM:23I 1à7, rapport d'ensemble et exposé des faits historique et politique, 187

2-Gauvion,op-cit,p,71.;Gaid ,(M) ;op-cit ,p69.

3-Le Moniteur Algérien :Journal officiel de la colonie 27 année N°: 1620 ,15/05/1858.

خامسا/ تفكيك فرنسا لعرش أولاد ماضي بعد انتفاضة 1871

لعب الاحتلال الفرنسي دورا خطيرا قبل وبعد ثورة المقراني 1871 في تقسيم وتفتيت العرش اجتماعيا، وإعادة توزيعه جغرافيا في غير ظروفه الطبيعية المعتادة وإعادة ربط عناصره بتقسيمات إدارية قلصت من روابطه الاجتماعية والاقتصادية ومن تماسكه¹.

لقد عملت فرنسا على أن تكون أراضي عرش أولاد ماضي المنطقة التي تم توطين حشم المقراني المهجرين من إقليم مجانة بالثل إلى الحضنة سنة 1876. كما تم تنفيذ مقررات المجلس المشيخي *senatus consulte* بعملية تقسيم العرش إلى دواوير 5 حسب تقرير المجلس المشيخي " 1898" ولم يتم مراعاة الارتباطات والعلاقات الاجتماعية التقليدية لسكان المنطقة في هذا التقسيم، مما أحدث اختلالات في نمط الحياة وعقد من بساطتها المألوفة والدواوير الخمسة هي-دوار أولاد سيدي حملة -دوار أولاد عبد الحق-دوار أولاد معتوق-دوار البريري-دوار وادي الشلال².

كانت غاية الاحتلال تفكيك البنى التقليدية للعرش وتحطيم هيكله الاجتماعي القبلي، وتمزيق وحدته الاجتماعية والاقتصادية ونقله من الإطار الجماعي إلى الفردانية وإلى العائلة الصغيرة التي يذوب فيها الفرد ويتقلص ارتباطه بالقبيلة وفكر الجماعة.

جدول تقسيم عرش أولاد ماضي حسب قانون المجلس المشيخي سيناتوس كونسيلت *senatus consulte* 1869³.

1--Sebhi ,(s):op-cit ,p,93.

2-A.C.M:B227,(rapport caïd Saida1898.

3-CAOM:M60(95)117-105,senatus consulte de tribud'ouled madhi,1869.

اسم الدوار	عدد السكان 1869	الأراضي الزراعية	مساحة الدوار
أولاد سيدي حملة	1456 نسمة	9375 هكتار	70.000 هكتار
واد الشلال	1520 نسمة	6644 هكتار	20.837 هكتار
أولاد عبد الحق	914 نسمة	1806 هكتار	19.123 هكتار
البريبري	732 نسمة	1420 هكتار	10.405 هكتار
أولاد معتوق	846 نسمة	2891 هكتار	10.379 هكتار
المجموع	5468 نسمة	22136 هكتار	130.744 هكتار ¹

خاتمة

ورغم هذا التقسيم فقد استطاع عرش أولاد ماضي، أن يجمع تحت غطاءه فرق اندمجت فيه وقويت باسمه الذي كان يعني الكثير بالنسبة للعرش² المجاورة، فهو يعني السيادة وضمان الأمن والشرف والعزة، لذلك نجد فرقة أولاد سيدي حملة ورغم ارتباطها بشخصية وليها لصالح سيدي حملة إلا أنهم أكثر احتفاء وولاء لعرش أولاد ماضي الذي زاد نفوذه وسيادته على الحضنة الغربية من خلال منح فرنسا سلطة القيادة لأعيانه على مختلف دواوير بلدية المسيلة. شكل عرش أولاد ماضي للأعراش الاجواد المحاربة التي احتمت تحتها الكثير من الفرق وكان التضامن والتآزر والعصبية مرتكزا هاما في حياة العرش، كما كان الخطر الأجنبي دافع أساسي في تلاحم الاعراش ونسيان احقادها، ورغم تعاقب السلط على العرش إلى أن سوسولوجية الجماعة والعصبية القبلية استمرت في مخيلة المجتمع القبلي في المجال الجغرافي الواسع للعرش.

1- Sebhi (s):op-cit,p,107.

2- Bourdieu,(p):op-cit,pp75-76.,ACC:pv/sc tribu ouled derradj 207.

المقاومة بالصحراء الجزائرية: مقاومات الشريف محمد بن عبد الله،
وبوشوشة وابن ناصر بن شهرة أنموذجا

**The resistance in the Algerian sahara : the resistances of
Sharif Muhammad bin Abdullah, Bouchoucha and Ibn
Nasser bin chohra as models**

د/د محمد قن رحمته الله دة/ علفية مقيدش
جامعة زيان عاشور الجلفة

مقدمة

مع مطلع النصف الثاني للقرن التاسع عشر عرفت الصحراء الجزائرية
عديد الثورات التي تميزت بالتداخل والتزامن مع بعضها البعض. حينما ألقى
الأبطال الأمير عبد القادر ومحمد بن عبد الله بومعزة والحاج أحمد باي
قسطنطينة سلاحهم، لم يلق الشعب الجزائري السلاح لأن حربه ضد الغزاة لم
تنته، ما دام أبناؤه يواجهون الموت؛ فظل مستعدا لتلبية نداء الجهاد وهكذا
استجاب الشعب إلى عشرات الانتفاضات (حوالي 160 ثورة وانتفاضة)، التي
غطت النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نقدم في
هذا العرض الموجز أهمها وهي مقاومات الشريف محمد بن عبد الله
(1842.1895م)، والشريف محمد بن التومي "بوشوشة" (1864 - 1875م)،
وابن ناصر بن شهرة (1851.1884م).

أولا/ الوضع السياسي للمنطقة

كانت الصحراء الشرقية الجزائرية خلال هذه الفترة تتحكم في شؤونها
عائلتان كبيرتان توارثتا السلطة والنفوذ منذ عهد الأتراك وهما عائلة بوعكاز

وعائلة بن قانة¹. تميز الوضع السياسي بالمنطقة بوجود كيانات سياسية محلية؛ ففي ورقلة توفي الحاج أحمد بن بابية سلطان ورقلة وتولى مكانه الشريف إبراهيم. أما في تقرت فكان الحكم بيد عبد الرحمان الجلابي² الذي نافسه فيه ابن عمه سلمان المتعاون مع الشريف بن عبد الله. كما كان النائب زعيم الأرياع ناصر بن شهرة ناقما على الخليفة أحمد بن سالم المتعاون مع الفرنسيين. أما بنو ميزاب³ فقد كانت العزابة تتحكم في أمورهم وتفضل الحياد وعدم توسع الفرنسيين نحوهم.

ثانيا/ الشريف محمد بن عبد الله (1842-1895م)

1- أصوله وأسرته

ينتمي إلى أسرة عريقة شريفة وهو الطيب الملقب بمحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عيسى دفين مدينة تلمسان. أنجب الشريف

1- عائلة بوعكاز: كانت تتولى منصب شيخ العرب منذ عهد الأتراك. ثم استمر نفوذها على وادي ريغ، بسكرة، الحضنة، واستمال الزاوية الرحمانية بطولقة. من أشهر زعمائها علي باي آغا ورقلة وتقرت.

. عائلة ابن قانة: تنحدر من ضواحي ميللة ارتبطت بالمصاهرة مع عائلة بوعكاز. تولت منصب شيخ العرب منذ 1758م مما أدى إلى صراع العائلتين. أنظر: يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص 216-217.

2- بنو جلاب: أسسوا سلطنتهم بمدينة تقرت في القرن العاشر أواخر العهد الزياني واستولوا على وادي ريغ، اتسعت تقرت واشتهرت على عهد بني جلاب فأقيمت القصور.

3- بنو ميزاب: كونفدرالية مكونة من سبعة قصور تقع في أربع واحات، على بعد 600 كلم جنوب الجزائر، يركز النشاط الاقتصادي على إنتاج التمور، والتجارة. يتكون بني ميزاب من سبع مدن متفاوتة من حيث تاريخ التأسيس وهي العطف بونورة، بني يزقن، مليكة، غرداية، القرارة، بريان.

إبراهيم بن أحمد أحد عشرة ولدا من بينهم الطيب من أم شعانية من أولاد بن فريدة نواحي ورقلة والمشهور بالشريف محمد بن عبد الله، من فرع قبيلة أهل غسول¹ قرب عين تموشنت.

لجأ أبوه إبراهيم إلى مدينة نفطة جنوب تونس أين أسس زاوية لنشر الطريقة القادرية وزوايا أخرى بالجزائر (زاوية بنور بالشلالة بتيارت، زاوية بلحول بوادي سيدي الخير بمستغانم، زاوية أوقروت بتوات، زاوية الشط، بني إبراهيم والحاج عبد القادر بورقلة، زاوية سي أحمد بن الحرمة ببريان، وزاوية منعة بباتنة).

وكان له أتباع كثيرون بالجزائر ومنهم عرش الحرازلية، الأرياع، بني أغواط، أولاد سيدي عطا الله، عرش المذابيح، بني مرزوق بغرداية، عروش شعانية، ورقلة متليلي المنبوعة وسكان الشط، بني إبراهيم، بني سنيسن، بني واقين وأهل نقوسة، عروش تقرت ووادي ريغ² وعروش وادي سوف وسكان الزيبان وسكان القرارة وأهالي تبسة وعين صالح. وقصد نشر الطريقة القادرية وإعلان الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، صاهر أهالي تلك المناطق وشارك في حملات الأمير عبد القادر وبعدها في ثورة الزعاطشة ناحية الزيبان.

1-C. Trumelet , **Les Français Dans Le Désert**, Garnier Frères Librairies-Editeurs, Paris,1863, p 38.

2 - يبتدئ هذا الإقليم من عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور شمالا إلى غاية مدينة قوق جنوبا، يحده شمالا شط ملغيغ ومن الجنوب ورقلة، أما من الشرق العرق الشرقي الكبير ومن الغرب منحدر حصوي، ووادي ميزاب.

- رضوان شافو، مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي(1875-1852م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007م، ص13.

2- حياة الشريف محمد بن عبد الله وجهاده

أ- مرحلة ما قبل 1851م

استقر الشريف محمد بن عبد الله منذ صغره بمدينة تلمسان واشتغل معلما للقرآن الكريم بزواوية أولاد سيدي يعقوب سنة 1840م¹. تعاون في البداية مع الفرنسيين ضد المغاربة² و ضد الأمير عبد القادر منذ ديسمبر 1841م، فمنحوه لقب سلطان³. وبعد احتلال تلمسان في جانفي 1842م كان يطمح أن يعين خليفة عليها لكن السلطات الفرنسية نصحته بالذهاب للحج، فغادر عام 1844م إلى الإسكندرية واتجه إلى مكة لأداء فريضة الحج، واتصل بعدد من الجزائريين المنفيين من بينهم "محمد بن علي السنوسي"⁴، قصد الإعداد والتنظيم للمقاومة ضد الغزو والاحتلال الفرنسي للجزائر. نجح في جلب العديد من الطرق الصوفية كالرحمانية والسنوسية وحتى الدرقاوية⁵، وكون ما يعرف شبه تحالف وطني شعبي ضد المستعمر الفرنسي.

1 - C. Trumelet , op cit, p37.

2. الأمير محمد الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، الإسكندرية، 1903، ج1، ص ص 267.263

3-C. Trumelet , op cit , p37-39.

4-محمد بن علي السنوسي: مؤسس الطريقة السنوسية، ولد بضاحية مستغانم بالجزائر، حصل علومه الأولى من شيوخ مستغانم حيث حفظ القرآن الكريم مع القراءات السبع. قصد العديد من المدن أهمها فاس بالمغرب الأقصى، أصبح مدرسا فيها بالجامع الكبير ونال المشيخة، انتقل بعدها إلى المشرق وأقام بمكة وتوفي فيها عام 1859م عن عمر يناهز 80 سنة، ترك عدة مؤلفات تقدر بنحو 30 مؤلفا. محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر، ط 1، 1948، ص 14.

5- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ط6، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص373.

وحينما قلصت فرنسا عددا من جيوشها لإخماد ثورة باريس عام 1848م ضد الملك لويس فيليب (1830-1848م)، اندلعت الثورات في الجزائر - مستغلة هذا الظرف -، كثورة الزعاطشة 1849م وبرز الثائر ناصر بن شهرة، وصل محمد بن عبد الله إلى طرابلس الغرب بداية 1850م واتجه إلى سوف عبر غدامس وتقرت واستقر بالروبيسات وبقي يتربص الأوضاع حتى فيفري 1851م¹.

ب- مرحلة ما بعد 1851م

- الاستيلاء على ورقلة أوت 1851م

كانت ورقلة أول محطة وسط أخواله أولاد بن فردية الشعانبة²، أين بدأ يشكل نواة من الرجال والعتاد، فانضم إليه جل سكان ورقلة من شعانية ومخادمة وبني ثور وغيرهم بفضل دعم زعيم المخادمة عبد الله بن خالد المخادمي وبايعوه بصفة سلطان ورقلة في شهر أوت سنة 1851م وبعدها مبايعة شعانية متليلي شهر سبتمبر من نفس السنة.

1 . يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 153.154؛ عميرواي حميدة وآخران، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844.1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 44.

2 - يعود أصلها إلى قبيلة بنو سليم العدنانية التي جاءت مع الزحف الهلالي في القرن الرابع عشر الميلادي، وتضم عدة بطون، وجاؤوا إلى الجزائر عبر دفعات. يتفرعون إلى أربع أقسام، قسمين هما شعانية المخادمة وشعانية الرح، وهم موجودين بورقلة، وشعانية موهادي شرق المنية، والرابعة هم شعانية برازقا بمتليلي. وقبائل الشعامية رحل، ولديهم قطعان كثيرة ولا يبتعدون كثيرا عن المدن التي يتواجدون بها، وهم يرتحلون مرتين في السنة للتخيم حول الواحات.

- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 163-170.

- التوجه إلى تقرت

بعد ورقة مباشرة فكر في الاستيلاء على تقرت فاتجه إليها وانضم إليه سلطانها السابق سليمان بن جلاب. لكن عبد القادر بن جلاب صده عنها. كما انضم إليه سكان متليلي يوم 12 سبتمبر 1851م¹.

- نحو الأغواط² 1852م

بعد تقرت غادر المنطقة واتجه إلى جبل عمور لجمع المزيد من الأنصار؛ فخلال خريف 1852م استمر في حشد القوات متجها إلى الغرب نواحي جبل العمور، قصد التصدي لقوات الزحف الفرنسي، بعد أن كانت سلطاتها قد قررت إرسال بعثة بقيادة الجنرال "لادميرول" لمدينة الاغواط في شهر ماي 1851م. وبعد الاجتماع بقيادة القبائل المحلية، فكر قائد الحملة الفرنسية في تعيين ابن ناصر بن شهرة خليفة على الأغواط، خلفا لأحمد بن سالم. ولكن ابن شهرة رفض وانضم إلى لواء الشريف محمد بن عبد الله.

ومن جهته أمر الحاكم العام للجزائر "راندون"³ الجنرال "لادميرول" بالزحف على الأغواط على رأس حملة قوامها أكثر من 1500 عسكري بقيادة

1. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 358.

2- الأغواط: أو لاقواط حسب اللهجة المحلية، وهي جمع لكلمة غوط التي تعني المساكن المحيطة للبساتين، تستمد مياهها من وادي مزي الذي ينبع من جبال عمور، تشتهر بزراعة النخيل والتجارة. سكنتها عشائر قبيلة مغراوة التي دعمت بعناصر عربية أخرى خلال الغزو الهلالي مثل الداودة، وأولاد بوزيان، تميز تاريخ الأغواط الحديث بالصراع على السلطة بين القبائل، كما عرفت حملات لإخضاعها للحكم التركي من باي التيطري وباي وهران منذ 1727م.

- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 150-152.

3- جاك لويس راندون (1795- 1871م): عسكري فرنسي، تدرج في الجندية، وشارك في حروب نابليون التوسعية في أوروبا. انتقل إلى الجزائر منذ 1838م، عين وزيرا للحربية عام 1851،

الجنزلات"، بليسييه¹، ماكماهون، يوسف". فبدأت أول مناوشات بين هذه القوات الزاحفة وقوات الشريف محمد بن عبد الله ورفقائه ابن الناصر بن شهرة والشريف بوشوشة بن التومي.

وعندها اضطرت قوات الاحتلال إلى جلب قوات إضافية من تيارت تحت قيادة الجنرال "دولينبي".

ومن جهته تحرك الشريف محمد بن عبد الله ناحية طاجرونة قرب وادي زرقون قصد تعبئة أكبر عدد ممكن من الرجال، وتردد على الأغواط بهدف تحسيس وتعبئة السكان، ورد هجومات الضابطين "بان" و"دينو". لذا قرر الحاكم العام بالجزائر ضرب الأغواط بقوة فجدت ثمانية فيالق عسكرية من وهران والجزائر تحت قيادة الجنرال "بيليسي" و"يوسف المملوك".

وهكذا اشتبك مع طلائع الجيش الفرنسي على مشارف المدينة في شهر أكتوبر 1852م. وسيطر على المدينة خلال نوفمبر 1852م² واستقبله سكان الأغواط بمثابة الفاتح³، مما دفع بالفرنسيين إلى المعركة الحاسمة يوم 4

قاد عدة حملات عسكرية ضد القبائل النائرة في كل من منطقة القبائل والأغواط، تقرت، بني ميزاب. عين حاكما على الجزائر سنة (1858-1851م) على إثر سقوط الجمهورية الثانية .

-Paul Azan, Les Grands Soldats de L'Algérie Publication du comité National Métropolitain du centenaire de l'Algérie, Paris, 1889, 107-118.

1- إيمانيل جان جاك بيليسي (1794 - 1869م): دوق مالاكوف، عسكري فرنسي تخرج من مدرسة سان سير العسكرية بباريس في 1815 م برتبة ضابط في فرقة المقاتلين. شارك في عدة حروب أوروبية وفي الجزائر بعد الاحتلال، وارتكب مجازر رهيبة، عين قائدا للأركان بوهران في فيفري 1839م، ثم حاكما عاما للجزائر سنة 1860م.

-Narcisse Faucon ,Le Livre D'Or de L'Algérie de 1830 à 1889 ,Paris, 1889 , pp486-492 .

2 -C. Trumelet , op cit, p p 60-61.

3 - Henri Garrot , Histoire Générale de l' Algérie, Paris, 1910, p190-191.

ديسمبر 1852 م، والتي انسحب على إثرها الشريف بن عبد الله، بعد أن سقط عدد من العسكريين الفرنسيين وخاصة الجنرالان الفرنسيان "بوسكاران" و"موران"¹. ونتيجة عدم تكافؤ القوى، احتلت القوات الفرنسية مدينة الأغواط يوم 4 ديسمبر 1852م²، بعد مجازر رهيبة (أكثر من 800 شهيد، و2000 فرنسي)³.

ترتب عن هذه الهزيمة، توجه الشريف محمد بن عبد الله وأنصاره ابن شهرة وبوشوشة نحو الجنوب بعد أن أدركوا استحالة مواجهة الفرنسيين الذين وظفوا ضده آغا أولاد نائل الشريف بن الأحرش بالجلفة والخليفة سي حمزة بن سيدي الشيخ ودعموا هذا الأخير بقوات كبيرة، أجبرت بن عبد الله على الانسحاب نحو تونس أين واصل نشاطه وتضايقت منه سلطات فرنسا وتونس⁴. وبعد تمركزها بالأغواط، أخضعت سلطات فرنسا سكان وادي ميزاب بموجب اتفاقية 29 أبريل 1853م لعزلهم عن المقاومة⁵.

- التوجه ثانية إلى تقرت 1854م

وبعد سنة على الاتفاق المذكور، ظهر الشريف بن عبد الله بتقرت عند صديقه سليمان بن جلاب وحاول صد القوات الفرنسية التي كانت قد جهزت حملة عسكرية بقيادة الكولونيل "ديفو"، واشتبكت مع الثوار في معركة المقارين

1- C. Trumelet , op cit, p60-61 .

2 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص359.

- Trumelet , op cit ,p 61-62.

3 - Henri Garrot, op cit , p 191-192.

4- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص156-157.

5 . يحيى جلال، تاريخ المغرب الكبير، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 190.

أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص359.

قرب تقرت يوم 28 نوفمبر 1854م لتسيطر بعدها على مدينة تقرت في 05 ديسمبر 1854م وعينوا عليها فرحات بن سعيد من عائلة بوعكاز¹.

- دور العمالة في الاعتقال 1861م

ظل الشريف محمد بن عبد الله يحرض السكان بين تقرت والأغواط على التصدي لفرنسا، حتى استقر بورقلة خريف 1861م، وجندت فرنسا ضده أحد عملائها الخليفة الباشاغا حمزة بن بوبكر بن سيدي الشيخ² من البيض. وفي يوم 8 أكتوبر 1861م اشتبك مع القوات الفرنسية، بمساعدة بوبكر بن حمزة خليفة أبيه منذ أوت 1861م، في انقوسة نواحي ورقلة، فاعتقل وحول إلى مدينة وهران، حيث نقل إلى جزيرة كورسيكا، وفي 1863م أعيد إلى عنابة، وهو في حالة مرض³.

- مواصلة الجهاد 1861-1895م

رغم المضايقات ناصر ابن عبد الله الثورات التي اندلعت منذ سنة 1864م كثورة أولاد سيدي الشيخ؛ فانضم إلى سي الأعلى وسي الزوبير وبقي معهم حتى سنة 1867م. وحينما اندلعت ثورة المقراني اتصل بابن شهرة في تقرت وبوشوشة في ورقلة وربط صلات مع محي الدين بن الأمير عبد القادر الذي قدم متخفيا من طرابلس إلى نفزاوة ونفطة وتبسة ليتزعم الثورة. كما شارك أولاد

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 361.

2- عينته فرنسا خليفة على الصحراء منذ 1850-1851م، وزودته بالمال والعتاد لملاحقة الشريف محمد بن عبد الله الذي حاول استرجاع مدينة الأغواط بداية 1853م إلا أنه فشل بعد اشتباكات ومعارك مع القوات الفرنسية وقوات حمزة نواحي بريزينة بالبيض. أنظر:

- C, Trumelet, op cit, p65 - 66.

. عميرايوي احميدة وآخران، المرجع السابق، ص 46.

3. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 362.

خليفة ناحية تبسة في 10 سبتمبر 1871م بمهاجمتهم لواحة "ليانة" بالزاب الشرقي. كما قاد يوم 20 سبتمبر 1871م معركة بنقرين. وما أن وصلته أنباء نهاية ثورة المقراني، حتى عبر حدود تونس إلى منطقة الكاف واعتقله هناك الباي وسجنه عام 1876م بعد حادثة مقتل العربي المملوك¹ حاكم وادي سوف.

3- وفاته

بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس عام 1881م غادر ابن عبد الله إلى الحدود الجنوبية الشرقية ومكث بجوار طرابلس مدة، ثم عاد مع باقي المهاجرين إلى الجنوب التونسي، أين توفي عام 1895م ودفن بقرية "دوز" التونسية². ونستخلص من كل هذا أن الشريف محمد بن عبد الله كان له الأثر الكبير في جل الثورات الشعبية التي اندلعت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي.

ثالثا/ محمد بن التومي "بوشوشة" 1864 - 1875م

1- التعريف بشخصيته

هو أحمد بن التومي بن إبراهيم المعروف ب(بوشوشة)، لميله إلى حياة الفروسية والرعي وصيد الغزلان منذ نشأته الأولى. ولد في ناحية الغيشة قرب المنيعة ما بين 1826-1827م بجبال عمور. وبسبب المجاعة كان أبوه - مثل غيره من الجزائريين - معدما، فاضطر للتنقل بين القرى والأسواق³، التابعة

1. من أصل ايطالي ومن أعوان فرنسا كان من فرق الصبايحية وبعد ثورة 1871م عينه الجنرال دولاكروا قائدا على سوف. وكانت له علاقات سيئة مع السكان فاغتيل.

2. محمد المرزوقي، صراع مع الحماية، تونس، دار الكتاب الشرقية، 1973، ص 268.

3- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 218.

للمكتب العربي بأفلو¹؛ فتنقل ما بين البيض وبلاد فقيق وتوات ورقان والأغواط، جامعا الأموال والأسلحة. كان ينتمي إلى الطريقة القادرية.

2- الاستعداد للكفاح (1852-1869)

في ديسمبر 1852م ذهب رفقة الشريف محمد بن عبد الله والناصر بن شهرة أثناء الدفاع عن مدينة الأغواط. في 22 ديسمبر 1862م سجنته السلطات الاستعمارية ببوخنيفيس قرب مدينة بلعباس، بسبب اتهامه من طرف السلطات بالسرقة²، وكان عمره حوالي خمسة وثلاثون عاما. في عام 1863م فر من السجن، ولجا إلى فجيح بالحدود المغربية ومن هناك إلى توات³، واخذ يجمع الأنصار والأتباع ويستعد للمقاومة⁴، حيث التحق بثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م، كما رحل خلال هذا العام إلى تونس وطرابلس وانتمي إلى الطريقة السنوسية. ثم رجع في مطلع 1865م، إلى الجزائر فاتجه إلى مركز تجمع ثوار أولاد سيدي الشيخ بقيق وتنقل بعد ذلك إلى واحة توات، وظل متجولا في الصحراء أثناء المجاعة الكبرى التي عرفتها الجزائر سنتي 1867-1868م⁵. أصبح بوشوشة واحدا من جماعة (المدافنة) التي تأسست في تديكلت عام 1869م⁶ من أبطال الطوارق لاختراق الصحراء، حيث كان الواحد منهم يستطيع أن يقطع الصحراء بمفرده دون رهبة أو خوف ممن يتعرضون طريقه.

1- Le Chatelier , «**Les Medaganats** » ,Revue Africaine ,volume 30, 1886, Alger, pp39-57.

2 -Louis Rinn , **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie** ,Alger,1891,p79.

3- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 219.

4 - Le Chatelier ,op cit,p47.

5 - Ernest Mercier, **Histoire De Constantine**, Marle et F. Biron, Imprimeurs Editeurs , Constantine , 1903,p635.

6- Le Chatelier, op cit,p46.

3- المبايعة والكفاح (1869-1870)

تمركز بوشوشة في بداية أمره بواحة عين صالح وأعلن نفسه زعيما، فبايعته قبيلة الشعانبة في ورقلة ثم بقية الشعانبة في شهر فيفري 1870م. وبعد هذه المبايعة هاجم المتعاونين مع الفرنسيين، ودعا لحمل السلاح والمقاومة. وأصبح في ظرف قصير زعيما ومقاوما، وحاكما للصحراء، واتسعت دائرة مقاومته من وسط الصحراء الجزائرية إلى مدينة نفطة التونسية¹. خلال مارس 1870م اصطدم بسكان الأرياع وسعيد عتبة ثم فرض سيطرة واسعة على واحة المنيعية في أبريل 1870م واستولى في 5 ماي 1870م على مدينة متليلي بعد حصار دام عدة أيام وفي 5 ماي ثم لجأ رفقة الناجين من هذه المعركة إلى ناحية عين صالح². ومن هذا التاريخ يعتبر بوشوشة مستوليا على الجبهة الجنوبية بصورة فعالة مجندا المقاومين للدفاع عن الصحراء³. اتجه في أواخر 1870م من عين صالح إلى واحة الرويسات قرب ورقلة ومنها إلى وادي سوف.

هاجم بعدها حامية ورقلة في 5 مارس 1871م فهزمها واستولى على المدينة بمساعدة أنصاره الكثيرين الموجودين داخلها، وعين بن ناصر بن شهرة خليفة عليها لتكون قاعدة للثورة⁴.

1 - عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816/1871، ط1، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1972، ص113.

2- Le Comte De Margon, **Insurrection dans la Province de Constantine de 1870 à 1880**, Paris, 1883, pp13-17.

3- Le Chatelier, op cit, p46-47.

4 - C. Trumlet, op cit , p50.

4- الاستيلاء على ورقلة وتقرت

في أواخر سنة 1871 اتجه إلى الشمال فحاول اقتحام انقوسة يوم 5 مارس 1871م، فقاومه أهلها ثم اتجه يوم 8 مارس 1871م إلى قمار بوادي سوف لمهاجمة أعوان الباي ممثل القوات الفرنسية ثم اتجه نحو ورقلة وسيطر عليها. وكانت تابعة لأغوية علي باي من عائلة بوعكاز وعين عليها ابن ناصر بن شهرة آغا. وفي 13 ماي هاجم بقواته مدينة تقرت وقهر القوات المتعاونة مع الفرنسيين بها وبقي ينظم أحوال المدينة حتى 21 ماي 1871م، وعين بوشمال بن قبي آغا عليها. ورجع إلى عين صالح، حيث اتصل به الشريف محمد بن عبد الله. وتكونت من الثلاثة "بوشوشة ومحمد بن عبد الله وابن ناصر بن شهرة"، قيادة ثلاثية أخذت تنظم أحوال الثورة ما بين عين صالح جنوبا وأولاد جلال شمالا ووادي سوف شرقا إلى أن اتصل بهم الزبير من أولاد سيدي الشيخ، فتعاونوا معه وعين بوشوشة هذا الأخير رئيسا على مدينة ورقلة خلفا لناصر بن شهرة¹.

5- بداية التراجع

شعرت السلطات الاستعمارية بخطورة بوشوشة فجندت قواتها لمواجهته بعد أن نجحت في تحطيم ثورة المقراني والشيخ الحداد في الشمال فاضطر المقاومون إلى التوجه إلى الجنوب، واستقبلهم كل من ناصر بن شهرة وبوشوشة استقبال الأبطال²؛ ففي يوم 27 ديسمبر 1871م، استرد الفرنسيون من بوشوشة مدينة تقرت، وفي يوم 2 جانفي 1872م انتزع الجنرال "دولامروا" مدينة ورقلة

1- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 223.

2- يذكر لوي رين أن ناصر بن شهرة وبوشوشة قدما لأبطال مقاومة المقراني ضيفة كبيرة أنظر: -Louis Rinn , op cit , p588.

من أنصار بوشوشة، كما تعرض بوشوشة إلى محاولة اغتيال، وأصيب بجروح خطيرة¹ من طرف أحد أصدقائه وهو مولاي العربي من ورقلة يوم 11 جانفي 1872 م، ونقل بوشوشة على جناح السرعة من أجل معالجة جروحه البليغة². كما تمكنت القوات الفرنسية من إلقاء القبض يوم 20 جانفي 1872 م على بومزراق المقراني، بعد أن أشرف على الهلاك من شدة التعب والعطش³.

وبعد شفاء بوشوشة واصل حركة الجهاد وظلت القوات الفرنسية في صراع معه وأنصاره إلى أن استطاعت أن تقضي على جموعهم، فاتجه بوشوشة نحو الجنوب ورفيقه الزبير إلى عين صالح واتجه ابن ناصر بن شهرة مع الوافدين من بقايا ثورة المقراني⁴ إلى الحدود التونسية.

6- الأسر والوفاة

وفي جويلية 1873 م، ظهر بوشوشة في المنيعه ورجع إلى مواجهة القوات الفرنسية، إلى أن وقع أسيرا بعد معركة "وادي البطحة"⁵ على يد بعج بن قدور في 31 مارس 1874 م حيث ألقى القبض على بوشوشة ورفقائه واعتقلوا ووجهوا إلى ورقلة ثم إلى قسنطينة حيث أودع السجن سنة⁶ ثم أعدم صباح 29 جوان 1875 م بمعسكر الزيتون في ضواحي قسنطينة⁷.

1-Louis Rinn , op cit, p635 .

2 - Le Chatelier ,op cit,p47.

3 -Louis Rinn ,op cit ,p 642.

4 - Ibid ,p588.

5 . في شهر مارس 1874 شكلت السلطات العسكرية حملة مكونة من 37 خيالة و 260 مهاري من القوم تحت قيادة السعيد بن إدريس أغا ورقلة.

6 -أحمد مريوش، "التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار"، مجلة المصادر، 11ع، السادسي الأول، 2005، ص123.

7 -يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 191.

رابعاً/ ابن ناصر بن شهرة (1851.1884م)

1- المولد والنشأة

ينتسب ابن ناصر بن شهرة بن فرحات إلى قبيلة المعامرة والحجاج الذين ينتمون بدورهم إلى الحرازية أين ولد عام 1804م. نواحي مدينة الأغواط. كان أبوه شهرة وجده فرحات قائدین وشيخين بالتوالي على الأرباع، انتمى إلى الطريقة القادرية حينما ارتبط بشيخها أحمد الشاوي بالمنطقة¹. تزوج من ابنة خليفة الاغواط أحمد بن سالم قبل أن يخضع للفرنسيين. وهناك من يرى أنه بسبب رفض ابن شهرة طاعة صهره وعدم تعيين الفرنسيين له مكان أبيه عام 1846م، تمرد وثار ضد فرنسا منذ 1851م². ولذلك اعتقل. كان عالماً بدقائق أرض الصحراء وفسيح فضائها ويابسها حتى قال فيه المؤرخ الفرنسي لوي رين: "كان الناصر بن شهرة الملاح الحقيقي للصحراء".

وقال أيضاً: "في نفطة كان الناصر بن شهرة الذي خلف أباه كأغا على الأرباع سنة 1846م، يقوم منذ سنة 1851م بحرب مستمرة ضدنا في الصحراء الشرقية ولم يترك سنة واحدة لم يهاجمنا فيها أو يهاجم قبائلنا التي رضخت لنا". ووصفته القوات الفرنسية بالتعصب وبالعدو الذي لا يلين³.

2 - جهاده

بدأ جهاده منذ عام 1851م، فافتيد إلى معتقل " بوغار " الذي غادره متخفياً في 05 سبتمبر 1851م، معلناً رفضه للسلطة الفرنسية. تعاون مع الشريف

1- أحمد بن أبي قصبية، "ابن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871"، مجلة الأصالة، عدد

6، السنة الأولى، جانفي 1972، ص ص5756.

2 - Louis Rinn, op cit , p663-664.

3- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص362.

محمد بن عبد الله في الدفاع عن مدينة الأغواط وورقلة. في 31 جويلية 1852م سيطر على قصر الحيران. بعد سيطرة الفرنسيين على الأغواط 1852 م وورقلة 1853 م وفشله في استتجاد باشاغا أولاد نائل الشريف محمد بالأحرش، التجأ إلى " نفطة " وتوزر بالجريد التونسي حيث

أيدته الزاوية الرحمانية التي كان يرأسها الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز الجزائري¹والد الشيخ محمد المكي بن عزوز وربط علاقات عديدة باللاجئين الجزائريين وأخذ من هناك يشن الغارات على الأعوان الفرنسيين. وشاركه ثوار لاجئون بتونس مثل محي الدين بن الأمير عبد القادر وأولاد بوطيبة بن عمران السوفي ومحمد بوعلاق التونسي ومحمد بوعلاق اليعقوبي²، مما جعل الباي محمد الصادق يطلب اعتقاله. وشارك الشريف محمد بن عبد الله في معاركه ضد القوات الفرنسية بانقوسة، بريزينة والرويسات نوفمبر 1853م. وعندما اندلعت مقاومة أولاد سيدي الشيخ عام 1864م عاد ابن ناصر بن شهرة إلى الجزائر، ودخل إلى ورقلة واتصل بسي الأعلى بن حمزة يوم 6 أوت 1864م في عين طاقين واشترك معه في عدة معارك بالمنطقة.

وفي عام 1865م رجع إلى ورقلة صحبة سي الأعلى وبعدها (1866م) اتجه إلى المنيعة وعين صالح لتجنيد العامة. وفي مارس 1869م التحق ابن شهرة ببوشوشة الذي كان قائد جيش (الشعابنة ومثليي وشعابنة المواضي

1. أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 122.

2. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ط4، دار الثقافة، بيروت، 1980، ص328.

. يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 214-215. أحمد بن أبي قصيبة، المرجع السابق،

بالمنيعة وأهل توات. فالتقيا في قرى (المخرق وقنفيد على الضفة اليسرى لوادي مزي) واستولوا على مدينة المنيعية وطردوا قائدها (جعفر) المعين من طرف السلطة الفرنسية. وعين بوشوشة ابن شهرة خليفة له على الصحراء الشرقية وعاصمته مدينة تقرت.

وفي 1869م امتدت حركته إلى عين ماضي التي أظهر شيخها التيجاني ميلا للثوار ففني وجماعته إلى مدينة الجزائر ومنها إلى بوردو بفرنسا¹. وكان ابن شهرة خلال كفاحه بالجزائر لم يقطع صلته بتونس حيث كان يتردد عليها لجمع الأنصار وتدبير الخطط وتوفير الذخائر والمؤن وتسهيل دخول الثوار مثل محي الدين بن الأمير عبد القادر خلال سنة 1870م، وإرسال الرسائل الجهادية منه ومن محي الدين بن الأمير عبد القادر، إلى قبائل وعشائر الجزائريين، قال رين: " أرسل إلينا الرؤساء الموالون أعدادا كبيرة من هذه الرسائل، وقد تجمع لدى القائد العسكري لناحية بسكرة نحو (44 رسالة) كلها محفوظة في وثائق بسكرة".

وكانت مختومة بأختام الأمير محي الدين وابن شهرة، مرسلة الى مقدم زاوية تماسين، أو إلى السيد باي آغا تقرت وورقلة أو إلى رؤساء وأعيان سوف والأغواط ومنطلي وميزاب وإلى الشريف بوشوشة، وإلى المخادمة والشعانة وغيرهم².

1- شكل نفي التيجاني إلى فرنسا فرصة لمقابلة الجاسوسة الفرنسية أوريللي بيكار، التي عرفت

بأميرة الرمال، ومن ثم الزواج بها حتى تراقب وتعد التقارير عن نشاط الزاوية وشيوخها.

Louis Rinn, Marabouts et Khouan, **Etude sur L'Islam En Algerie**, Adolphe Jourdan, Paris ,1884 ,433-434.-

2- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 220.

وفي ماي 1870م استقر ابن شهرة صحبة الأمير محيي الدين¹ بعين صالح ومعهما ثوار الصحراء الشرقية وهناك التقت جيوشهما بجيوش الشعانبة بقيادة بوشوشة، وثار أولاد سيدي الشيخ بزعامة سي الزوبير، في وقت كانت قد اندلعت في الشمال ثورة الحاج محمد المقراني والشيخ ابن الحداد ثم انتشرت إلى أعماق الصحراء حيث استولى ابن شهرة على تقرت وورقلة، واستولى الأمير محي الدين على نقرين وتبسة. وأثناء ذلك استشهد المقراني في 05 ماي 1871م في مكان يعرف بـ "سفلات" قرب مدينة عين بسام (البويرة)². ثم في 13 جويلية 1871م ألقى القبض على الشيخ الحداد. ولما تغير الحال في الشمال قرر باقي ثوار عائلة المقراني الاعتصام بالصحراء، فكان لابن شهرة الفضل في تسهيل دخول بعضهم إلى تونس³.

وبعد أسر بومزراق يوم 20 جانفي 1872م قرب الرويسات، ثم بوشوشة واستيلاء الجيش الفرنسي على تقرت وورقلة، وتفرق المجاهدين في أنحاء البلاد وتونس وطرابلس الغرب، بقي ابن شهرة وحده يهاجم جيش الاحتلال من الجريد ونفزاوة التونسيتين، ثم دخل إلى تونس لاجئاً، حتى أرغمه باي تونس محمد الصادق على الرحيل، فتوجه إلى بيروت بحرا في 2 جوان 1875م

1- محي الدين ابن الأمير عبد القادر (1843-1918م)، كان يؤمن بفكرة الجامعة الإسلامية ومحاربة الاستعمار بدعم من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، قدم إلى الحدود الجزائرية بهدف قيادة المقاومة بعد حرب 1870 بين فرنسا وبروسيا، وأثار وجوده حماسا كبيرا لدى المجاهدين. للمزيد حول نشاط الأمير محي الدين:

- عبد القادر بوباية، "نشاط القائد بن ناصر بن شهرة في تونس وعلاقته بالأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر"، مجلة عصور، ع3، جوان 2003.

2- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص252.

3. أحمد مريوش، المرجع السابق، ص123.

ومنها إلى دمشق واتصل بالأمير عبد القادر بدمشق فتوسط له لدى الحكومة التونسية لبيع ما تركه بتونس عند رحيله منها، وبقي في دمشق إلى غاية وفاته في سنة 1884 م¹.

خاتمة

من خلال معالجة هذه المقاومات نستنتج ما يلي:

إن المقاومات هدفت لتحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي، وكانت ذات طابع وطني وليس محلي أو جهوي.

أنها كانت متزامنة حيث اندلعت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إذ شهد بداية حكم نابليون الثالث وهزيمته في معركة سيدان عام 1870 أمام بروسيا معارك طاحنة وانتفاضات في الجزائر. لقد تراوحت قيادة المقاومات والثورات بين الجماعية والفردية، وتحدث الاستعمار وتعاونت فيما بينها ورفضت الاستسلام للاحتلال، وواجهت أكبر جنرالات فرنسا بإمكانيات محدودة بالمقارنة مع قوات المستعمر، وتكبدت خسائر في الأرواح بسبب المجازر الرهيبة الانتقامية. وقد ترتب عن هذه الثورات سياسة قمعية تمثلت في نفي وإعدام وتهجير وتغريم كل المشاركين فيها

1 -Louis Rinn , L'insurrection de 1871, op cit , p 663.

واقع الجزائر في ظل سياسة الاستيطان الاستعمارية (1830-1870)
The reality of Algeria under the colonial settlement policy
(1830-1870)

أ/ بلقاسم صحراوي

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02

مقدمة

لقد حدد البيان الذي وزعته قوات الحملة الفرنسية على سكان مدينة الجزائر الخطوط العامة للسياسة الفرنسية بالقضاء على حكومة الداوي وعدم احتلال البلاد واحترام املاك الجزائريين ودينهم، كما نصت معاهدة الاستسلام على احترام حرياتهم العامة وملكياتهم الفردية. إلا أن الاستعمار الفرنسي انتهج سياسة مغايرة كشفت عن بداية الوعود الكاذبة الذي وظفها طوال 132 سنة (1830-1962) لإبادة المجتمع الجزائري وازالة كيانه.

أولا/ في عهد النظام الملكي " 1830-1848 "

بعد نجاح الحملة الفرنسية في احتلال مدينة الجزائر في صيف 1830، اعتبر الضباط الفرنسيون هذه البلاد محتلة ولجأوا إلى اتباع سياسة النهب والسلب والتوسع¹، ولكنهم واجهوا صعوبات كثيرة بسبب المقاومة الشعبية. ومنذ البداية اتبع الفرنسيون سياسة الاحتلال الكامل والادارة المباشرة واخذوا يشجعون هجرة الأوروبيين إلى الجزائر والاستيلاء على الأراضي الزراعية والاملاك العراقية، ويعتبر كلوزيل clauzel أكثر الضباط الفرنسيين تحمسا لسياسة

1- يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954، ديوان

المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 7.

الاستعمار والاستيطان الأوروبي بالجزائر¹. لينتهج بعده "بارتزين" berthézéne سياسة الترغيب والترهيب مع الاهالي، ووضع اسس الاستيطان وقام بتسليم الأراضي للمعمرين². أما الجنرال الدوق "دي روفيقو" dug de rovigó الذي تولى زمام الأمور في الجزائر اواخر ديسمبر 1831 فقد تمثلت سياسته في الاستيلاء على المؤسسات الدينية وتحويل جامع كتشاوة إلى كنيسة كاثوليكية وارتكب مذبحه رهيبه ليلة 16 افريل 1832 في حق قبيلة "العوفية" حيث أبيدت عن اخرها³. وقد اصدرت الحكومة الفرنسية قرارها المشهور في 22 جويلية 1834 الذي اعلنت من خلاله أن الجزائر "أرض فرنسية" تحت المراقبة المباشرة للحاكم العام قصد التحكم في الوضع⁴. وعندما عين كلوزيل حاكما عاما عامي 1835 و1836 نشط في تطبيق سياسة الاستيطان الحر والرسمي وصمم على تحويل سهل متيجة وقراه إلى وطن حقيقي للمهاجرين الوافدين من فرنسا والدول الأوروبية واغلبهم من الصعاليك والمنحرفين وذوي السوابق العدلية⁵. وبمجيء الجنرال بيجو bugeaud عام 1840 انتهج سياسة التوسع اتجاه كل من مليانة، مستغانم، معسكر، وهران، تلمسان، الشلف حيث وقعت عدة اشتباكات بينه وبين الأمير عبد القادر، وباستعماله شعار "الأرض

1- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 7.

2- صالح فركوس، تاريخ الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 198.

3- إدريس خضير، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830-1962، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 243.

4- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج2، ط4، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1992، ص 20.

5- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 8.

المحرقة " في العمليات العسكرية نجح في إضعاف المقاومة الجزائرية التي كان يقودها الأمير عبد القادر.

وقد عمل "بيجو" كذلك على حجز النساء والاطفال إما كرهائن وإما للبيع، وخنق قبائل كاملة في الكهوف¹ "حادثة غار ظهرة" عام 1845 الوحشية، أما فيما يخص سياسته الاستيطانية التي جاء بها والمتمثلة في ساسة المحراث والبندقية فقد فشلت ليعود إلى سياسة الاستيطان المدني، وفي شهر فيفري 1848 صدر قرار بإنشاء المكاتب العربية لتكون واسطة بين الفرنسيين وزعماء الاهالي، وفي شهر افريل 1845 صدر قرار يؤكد الحاق الجزائر بفرنسا ويقسمها من الناحية الادارية إلى ثلاثة مناطق:

_ منطقة مدنية تخضع للإدارة المدنية وتشمل المدن والقرى الساحلية التي يكثر فيها العنصر الأوروبي.

_ منطقة مختلطة يقل فيها العنصر الاوروبي، فيخضع الاوروبيون للحكم المدني أما الأهالي فللحكم العسكري.

_ منطقة عسكرية ينعلم فيها العنصر الأوروبي وتشمل الهضاب العليا والصحراء ويخضع فيها الاهالي للحكم العسكري².

ثانيا/ الاستيطان في عهد الجمهورية الثانية (1848-1852)

في 24 فيفري 1848 وقعت الثورة في فرنسا ضد نظام " لويس فيليب " ولم تؤد الثورة إلى سقوط الملك او عزله فقط بل إلى تغيير النظام كله اذ تحول من الملكية إلى الجمهورية. وبعد ثورة 1848 ومشاركة المعمرين الفرنسيين فيها بوفد طالبوا بإعطائهم أربع مقاعد في البرلمان الجديد وبالفعل تمكنوا من

1-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 22.

2-يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 9-12.

ذلك، وقد تحصلوا على هذا لكسب السياسي بمقتضى الدستور الجديد الصادر بتاريخ 4 نوفمبر 1848 والتي نصت المادة 109 منه على اعتبار الجزائر أرضاً فرنسية¹.

وقد تم تقسيم الجزائر بمقتضى قرار مارس 1848 إلى منطقتين أساسيتين: الجزائر الشمالية واخضعت للحكم المدني وقسمت إلى ثلاث مقاطعات والجزائر الجنوبية اخضعت للحكم العسكري وضباط المكاتب العربية، والحققت مصالح التعليم والدين والقضاء بالوزارات المختصة في باريس. واهتمت الجمهورية الثالثة بأمر التهجير والاستيطان الأوروبي ووضعت خطة لتهجير 200 ألف أوروبي إلى الجزائر في ظرف 10 سنوات². أما فيما يخص جانب المقاومات الشعبية التي وقفت ضد الاستعمار الفرنسي في سياسته التوسعية والاستيطانية في عهد الجمهورية الثانية نذكر: ثورة محمد بوسبع الملقب بلحسن بسكيكدة عام 1848، ثورة مولاي الشقفة بدائرة جيجل خلال عام 1848، ثورة احمد بن عبد الله بن يمينة بقبيلة بني توقرت عام 1849³. اضافة إلى ثورة الزعاطشة من سنة 1848-1851 بقيادة الشيخ بوزيان، وثورة الاغواط سنة 1852 بقيادة محمد بن عبد الله.

ثالثا/ الاستيطان في عهد الامبراطورية الثانية (1852-1870)

إن انتخاب " لويس نابليون " كرئيس للدولة من طرف الجمعية الوطنية الفرنسية في شهر ديسمبر 1852 جعله ينتهج سياسة خاصة به حيث استعان

1-عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص 126.

2-يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 9-12.

3-صالح فركوس، المرجع السابق، ص 232.

بالفلاحين ورجال الاعمال وجندهم للعمل من أجل المحافظة على الأمن والاستقرار والتخلص من خصومه، كما عمل على كسب ولاء الجيش وكبار المسؤولين في الدولة، وقام بإلغاء النظام الجمهوري وأنشأ الامبراطورية الثانية التي تربع على شرعها إلى غاية انهزام جيشه في معركة " سيدان " واعتقاله من طرف بروسيا سنة 1870.

لقد جاء " نابليون الثالث " بسياسة استعمارية جديدة اتجاه الجزائر، تتميز بالتقلب والاضطراب والتي نوجزها فيما يلي:

_ نقل شؤون الجزائر من العسكريين إلى ايدي مدنية عام 1858.

_ إنشاء إدارة جديدة باسم وزارة الجزائر والمستعمرات.

_ إعطاء الجزائر الحكم الذاتي وذلك بإنشاء مملكة عربية فيها.

_ وقف موجة الهجرة الأوروبية إلى الجزائر والتوقف عن مصادرة أراضي الأهالي.

_ توفير التعليم للأهالي¹.

1- في عهد راندون (1852-1858)

بعد أن عين راندون حاكما عاما على الجزائر في ديسمبر 1851 انتهج سياسة التوسع والغزو لبلاد جرجرة، البابور، المنطقة الممتدة بين جيجل والقل وقسنطينة، وكان من أنصار تطبيق سياسة "بيجو" في الاحتلال بواسطة التجويع، الحرق، التخريب، القتل الجماعي². إلى جانب هذا اعتمد على ساسة

1- أبو القاسم سعد الله، ابحاث واره في تاريخ الجزائر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 99-100.

2- يحيى بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 132.

التهجير والاستيطان الأوروبي حيث تقرر تهجير 100 ألف أوروبي. واعتمد المجلس الوطني الفرنسي 50 مليون فرنك فرنسي لإنشاء مراكز ومستعمرات استيطانية حيث بلغ عدد القرى التي أنشئت بين أعوام 1851-1857 ب 68 قرية¹، إضافة إلى انتهاج " راندون " لسياسة مصادرة أملاك الأهالي وتمليكها للمستوطنين الأوروبيين. ففي 26 افريل 1851 صدر قرار يقضي بتنظيم عمليات تمليك الأراضي للأوروبيين، وبهذا حصلت 51 شركة على 50 ألف هكتار خلال 10 سنوات وحصل المهاجرون الأوروبيون على حوالي 250 ألف هكتار².

2- في عهد وزارة الجزائر والمستعمرات (1858-1860)

حاول نابليون الثالث أن يطبق سياسة إدماج جديدة في اطار إنشاء ما عرف بوزارة الجزائر والمستعمرات يوم 24 جوان 1858، واسندت رئاستها إلى الامير "جيروم نابليون" حيث أنشأ 6 دوائر عمالية مدنية، وجرت محاولة لإدماج العدالة الاسلامية في العدالة الفرنسية، وبعد تنازل جيروم نابليون عن منصب وزارة الجزائر والمستعمرات يوم 7 مارس 1859 وخلفه مؤقتا "روهر" إلى أن عين الكونت "شاسلو لوبا" الذي سار على نفس سياسة سلفه حيث تجرأ فألغى القضاء الاسلامي وأرغم الأهالي على التقاضي لدى القضاء الفرنسي والمحاكم الفرنسية، مما تسبب في ثورة الأوراس عام 1859 وثورة الحضنة عام 1860. وخلال هذه الوزارة تم إنشاء 17 قرية استيطانية ووزعت على 4600 قطعة أرض زراعية مجانا على المهاجرين الأوروبيين³. وبعد

1- يحيى بوعزيز، كفاح الجزائر، المرجع السابق، ص 134.

2- يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص ص 15-16.

3- يحيى بوعزيز، كفاح الجزائر، المرجع السابق، ص 136.

معارضة العسكريين وضباط المكاتب العربية لهذه السياسة وشرحهم لنابليون الثالث مساوئها، انتقل بنفسه إلى الجزائر في 19 سبتمبر 1860 وتأكد مما قيل له فقام بإلغاء وزارة الجزائر والمستعمرات في 26 نوفمبر 1860¹.

3- في عهد بيليسيو مكماهون (1860-1870)

بعد إلغاء وزارة الجزائر والمستعمرات قرر نابليون الثالث في ديسمبر 1860 إعادة نظام الحكم العسكري السابق وتدعيمه وتقوية الحاكم الجديد "بيليسي" (1860-1864) والذي جمع في يده كل السلطات تقريبا، ومع أنه كان عازما على اتباع سياسة "راندون" فيما يخص مصادرة الأراضي وتهجير الأوروبيين وتوطينهم ومد الطرق البرية والسكك الحديدية لخدمة مشاريع الأوروبيين الاقتصادية ومستقبلهم السياسي، ولكن نابليون الثالث الذي تأثر بآراء مستشاريه فضل تطبيق سياسة جديدة اتجاه الاهالي الجزائريين. وزار الجزائر اوائل عام 1863 وشغلته الملكية الشخصية للأراضي بالنسبة للأهالي ورفضه عمليات انتزاعها ومصادرتها منهم، ففي رسالة بعث بها إلى بيليسي في 6 فيفري 1863 امره فيها بوقف مصادرة الأراضي وإعلان المساواة الكاملة بين الجزائريين والفرنسيين، وأعلن أن نابليون الثالث يعتبر نفسه امبراطور العرب كما هو امبراطور الفرنسيين ولكي يؤكد هذه السياسة أصدر القرار المعروف بـ "سيناتوسكونسيلت" في 22 افريل 1863 الذي يقضي بتملك الجزائريين الأراضي التي بحوزتهم سواء كانت في الاصل ملكا شخصا أو مشاعة بين الاعراش. وقد جلبت له هذه السياسة عدااء العسكريين حيث زعموا بأن سياسة بيليسي المدنية هي السبب في ثورة اولاد سيدي الشيخ بالجنوب

1-Djamal khakchi, **colonisation et politique d'assimilation en Algérie (1830-1962)**, casbah editions, Alger, 2004, p 175.

الوهراني وثورة الزواغة وفرجوية عام 1864. وبسبب ضغط العسكريين اضطرت السلطات الاستعمارية أن تصدر قرار 7 جويلية 1864 القاضي بإخضاع الحكام المدنيين للمقاطعات الثلاث إلى الحكام العسكريين. وبعد وفاة بيليسي عام 1864 خلفه الحاكم العام ماكماهون (1864-1870) الذي تلقى رسالة من نابليون الثالث في 20 جوان 1865 ذكره فيها بأن الجزائر عبارة عن مملكة عربية ومستعمرة فرنسية ومعسكر أوروبي واقترح اعتبار الجزائريين فرنسيين تطبيقاً للقوانين والتشريعات الفرنسية السابقة التي تعتبر الجزائر أرضاً فرنسية منذ عام 1848 مع احتفاظهم بشخصيتهم الإسلامية (قرار سيناتوسكونسيلت 14 جويلية 1865)¹.

رابعاً/ انتقال الأراضي إلى المستوطنين في الجزائر (1830-1870)

لقد قامت الإدارة الاستعمارية بمصادرة الأراضي الزراعية اعتماداً على سلسلة من المراسيم والأوامر والقوانين بهدف تشتيت الشعب الجزائري والقضاء على روحه الثورية والقيام بتوزيعها على المستوطنين كقرار كلوزيل الصادر في 7 ديسمبر 1830 الذي صادر أراضي البايك والاقواف ومرسوم 1832 الخاص بمصادرة أراضي القبائل الثائرة والامر الصادر في 1 أكتوبر 1844 لمصادرة أراضي الزوايا والأمر الصادر في 31 جويلية 1846 الذي ينص على مصادرة أراضي البور والرعي التابعة للأعراش والقبائل الرحل وقانون 16 جوان 1851 الخص بتأميم أراضي القبائل والحاقيها بملكية الإدارة الاستعمارية بدعوى المنفعة العامة والأرقام التالية توضح مساحة الأراضي المصادرة :

1830-1850: 42760 هكتار.

1- يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص ص 18-19.

1851-1860: 184555 هكتار.

1861-1870: 73211 هكتار.

خامسا/ تطور حركة الاستيطان في الجزائر (1830_1870)

1830-1850: عدد المستوطنات 150 وعدد المستوطنين 63497.

1851-1860: عدد المستوطنات 91 وعدد المستوطنين 39825.

1861-1870: عدد المستوطنات 25 وعدد المستوطنين 26576¹.

خاتمة

وخلاصة القول فإن السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر خلال الفترة ما بين 1830-1870 كانت لها انعكاسات اجتماعية واقتصادية وعسكرية يمكن إجمالها فيما يلي:

_ توسع حركة الاستيطان وتحويل الجزائر إلى مستعمرة استيطانية.

_ استمرار المقاومات الشعبية ردا على سياسة المصادرة حيث شهدت هذه الفترة أربعين ثورة شعبية.

_ توجيه الانتاج الزراعي من المحاصيل المعيشية إلى المنتوجات التجارية.

_ ظهور المجاعات الكبرى (1867_1868) وتفشي الأوبئة الفتاكة.

1- بوشابو أحمد وعيرزم لحسن، تاريخ الجزائر، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000، ص ص 206-208.

الجزائر خلال فترة حكم نابليون الثالث 1848-1870، دراسة
تاريخية لمشاريع تفكيك الملكية الجماعية للجزائريين
Algeria during the reign of Napoleon III 1848-1870
Historical study of dismantling projects for collective
ownership of Algerians

د/ قويدر عاشور
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع إستراتيجية التغلغل والتجذر الاستعماري في الجزائر خلال حكم نابليون الثالث 1848-1870. أي خلال نظام الجمهورية الثانية (1848-1852) ثم العهد الإمبراطوري (1852-1870)، وسنعالج خلال ذلك قضية الاستيطان الأوروبي وفق آليات المشاريع النابليونية، وهي في معظمها مشاريع وأساليب تحايل الغاية منها؛ مصادرة الأراضي وتفكيك الملكية والبنية الاجتماعية للجزائريين.

Abstract

This study aims to retrace the strategy of colonial penetration and radicalization in Algeria under the reign of Napoleon III 1848-1870, that is to say under the regime of the second republic (1848-1852) then under the imperial era. (1852-1870). they are projects and methods which circumvent their objective; Confiscate land and dismantle the property and social structure of Algerians.

مقدمة

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830، اتبع الساسة الفرنسيون والضباط العسكريون على انتهاج سياسة الضم الكامل للتراب الجزائري وإحاقه بفرنسا، وهذا وإن اختلفت إستراتيجيات وأساليب كل طرف منهم في كيفية فرض

سلطتهم على الجزائريين ولكن الغاية كانت واحدة. فشجعوا الهجرة الأوروبية إلى الجزائر وسن القوانين المجحفة والإجراءات القمعية بغية الاستيلاء على الأراضي الزراعية والأملاك العقارية، وهذا طيلة فترة الحكم العسكري الذي دام من 1830 إلى 1870. ونأمل من خلال هذه الدراسة إلى تتبع إستراتيجية التغلغل والتجذر الاستعماري في الجزائر خلال حكم نابليون الثالث 1848-1870. أي خلال نظام الجمهورية الثانية (1848-1852) ثم العهد الإمبراطوري (1852-1870)، وسنعالج خلال ذلك قضية الاستيطان الأوروبي والمشاريع النابليونية لمصادرة الأراضي وتفكيك الملكية والبنية الاجتماعية للجزائريين.

ركز الضباط الأوائل للاحتلال الفرنسي على الجزائر على انتهاج سياسة الاستيطان التي رأوا فيها السبيل الأنجع لديمومة التواجد بالجزائر والاستفادة من خيرات وثروات البلاد، وأنها تفتح أفقا للمشروع الاستعماري الفرنسي في القارة الإفريقية، ولهذا السبب سارعت السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى اعتماد السياسة الاستيطانية الأوروبية في الجزائر وتشجيعها ودعمها بكل الإمكانيات اللازمة بتهجير الأوروبيين وعلى نفقتها من فرنسا وأوروبا إلى الجزائر، ومنحهم الأراضي والمساعدات المادية والمالية والفنية حتى يباشروا أعمالهم الفلاحية وكان الحاكم العام كلوزيل 1835-1836 متحمسا بشكل كبير لسياسة الاستيطان فأنشأ قرية بوفاريك واخذ يوزع الأراضي والآلات والحيوانات مجانا على المستوطنين الأوروبيين القادمين من فرنسا وإسبانيا ومالطا وسويسرا وإيطاليا تشجيعا لهم على الاستقرار والبقاء¹. والشيء نفسه اعتمده الجنرال

1- يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى

بيجو (1841-1847) من تسهيل عملية الهجرة الأوروبية ومصادرة أراضي القبائل والتي بلغت في عام 1846 بأكثر من نصف مليون هكتار¹.

أولا/ سياسة نابليون في عهد الجمهورية الثانية

حينما وصل نابليون الثالث² إلى السلطة في باريس ابتداء من عام 1848 كرئيس جمهورية حاول تغيير الوضع القائم وعمل على تنفيذ فكرة إدماج الجزائر في فرنسا كما كان يطالب بها المستوطنون³، حيث نص دستور الجمهورية الثانية على أن الجزائر من الناحية القانونية مقسمة إلى ثلاث مقاطعات فرنسية وكل ولاية قسمت بدورها إلى بلديات وكل بلدية يدير شؤونها مجلس منتخب غالبية أعضائه فرنسيون، بينما ظل غالبية الجزائريين تُسير شؤونهم من قبل المكاتب العربية⁴ التي يشرف عليها ضباط عسكريون، وجل

1- يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص10.

2- لويس نابليون (1808-1873)، ابن شقيق نابليون الأول بعد ثورة 1848 انتخب رئيسا للجمهورية الثانية 1848/12/10 لمدة أربع سنوات، وفي 1852/11/4 ينقلب عليها ويعلن قيام الإمبراطورية الفرنسية الثانية وينصب نفسه إمبراطورا على فرنسا في 1852/12/23 الى غاية سقوط إمبراطوريته على يد بروسيا في 1870/09/2 ووقع أسيرا في يد الألمان؛ ينظر مصطفى عبيد، "دراسة في رسالة الإمبراطور نابليون الثالث إلى المارشال بيليسي بتاريخ 6 فيفري 1863"، مجلة المصادر، عدد 25، 2012، ص256.

3 - بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830-1989، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ج1، ص 141.

4 - المكتب العربي: هيئة إدارية بصلاحيات متعددة وواسعة أنشأها الفرنسيون في كل المدن والقرى الجزائرية. أنشأها الحاكم العام الدوق دور فيفو عام 1833، وأسندت إدارته إلى النقيب لامورسيار، وفي عام 1837 صار يطلق عليه مديرية الشؤون الأهلية. وقد بلغ عدد المكاتب العربية بـ 49 مكتبا وذلك عام 1870، ويتشكل كل مكتب عادة من ضباط ومجموعة من الموظفين ككتاب وترجمان وطبيب إضافة الشاويش وعدد من المخازنية السبايحية، وهو عبارة مقر للتجسس على

هذه الهيئات كانت مُسخرة للعمل على عملية الدمج الكلي للمجتمع الجزائري من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية¹.

بادرت حكومة الجمهورية الثانية بتكريس حق التملك للكولون دون وجه حق فأصدرت مرسوم 16 جوان 1851 الذي اعتبر الملكية حق مصون للجميع بدون تمييز بين الملاك من الأهالي والملاك الفرنسيين وغيرهم وهذا تلبية لمتطلبات التوسع الاستيطاني²، واعترف أيضا بحقوق الملكية والانتفاع للغير وللقبائل مثلما كان الحال قائما أيام الغزو أو كما حافظت عليها السلطات الفرنسية فيما بعد³، وكما اعترف أيضا أن أراضي العرش غير قابلة للتصرف طبقا للتقاليد وأنه ليس للقبيلة حق ملكية الأرض الذي تستغلها وإنما الملكية فقط تعود للدولة ويسمى بحق ملكية الرقبة⁴.

وبالتالي فقد حقق هذا الإجراء القانوني انتزاع مساحات معتبرة من الأراضي الخصبة من الأهالي والتي منحت للوافدين الأوروبيين دون وجه حق.

الجزائريين. وقد ألغيت مهامها بموجب قرار 24 أكتوبر 1870؛ ينظر عز الدين بومزو، الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري -ارنست مرسيه نموذجا -، رسالة ماجستير، جامعة منتوري بقسنطينة 2007-2008.

1 - أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الرائد، الجزائر، 2009، ج1، ص320
2 - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر - حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص14.

3 - جمال خرشي، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830-1962، تر. عبد السلام عزيزي، دار القصة، الجزائر، 2009، ص184.

4 - الهواري عدي، الاستعمار الفرنسي في الجزائر - سياسة التفكيك الاقتصادية والاجتماعية من 1830-1960، تر. جوزيف عبد الله، ط1، دار الحدادثة للنشر، بيروت، 1983، ص62.

ثانيا/ سياسة الإمبراطورية الثانية 1852-1870

وأما في العهد الإمبراطوري فقامت حكومة نابليون الثالث عام 1852 بترحيل المجرمين والمعارضين لسياستها إلى الجزائر للتخلص من شغبهم ومشاكلهم حيث تقرر تهجير 100 ألف أوروبي وذلك بتشجيع ودعم من المجلس الوطني الفرنسي الذي خصص خمسين مليون فرنك لإنشاء مراكز مستوطنات ومنح أراضي للمهاجرين تتراوح مساحتها للفرد الواحد ما بين 2 إلى 20 هكتار إضافة إلى المنازل والحيوانات وآلات زراعية حتى بلغ عدد القرى الاستيطانية المنشأة بين عامي 1851 -1857 إلى 68 قرية¹.

وبغية تجسيد هذه السياسة الاستيطانية²، استغل ووظف نابليون الثالث علاقات الصداقة التي تربطه بالرجال الرأسماليين الكبار والشركات الرأسمالية الكبيرة التي وعدته بإنشاء قرى استيطانية وتتولى بتهجير الأوروبيين إلى الجزائر مقابل حصولهم على امتيازات من أراضي وأملاك عقارية³، ومن أهم هذه الشركات خاصة السويسرية منها إذ منحهم الكثير من الأراضي والامتيازات. ومن الأفراد الذين استفادوا من هذه الامتياز المقاول الفرنسي دومونشي الذي

1- سعدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري وأساليب المواجهة الجزائرية له 1867-1892، دار سيدي الخير للكتاب، الجزائر، 2009، ص 110-111.

2 - يرى الدكتور سعدي مزيان أن أهداف فرنسا بتوافق مع الكنيسة من إقامة جالية أوروبية مرتبطة بالأرض في الجزائر يحقق الكثير، ومنها: دعم التواجد العسكري ضد أي حركة مقاومة جزائرية مناهضة للاستعمار الفرنسي؛ تزود الإدارة الفرنسية بالموظفين وبالكفاءات الفنية في المجال الصناعي؛ ولها القدرة على تحويل الفلاحة الجزائرية من طابعها الذاتي إلى طابع تجاري يخدم السوق الفرنسية وفي المقابل تصبح وسيطا بين المنتجات الصناعية الفرنسية والأسواق الجزائرية؛ ينظر سعدي مزيان، المرجع السابق، ص 113.

3 - يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 18.

حاز في عام 1854 على 2672 هكتار في ناحية تيبازة وطرد أصحاب الأراضي لحوالي ستة وتسعون عائلة جزائرية ونشأ عليها سكنات للمهاجرين الأوروبيين، والشيء نفسه استقادت منه شركة جنيفواز "Genevoise" السويسرية التي تحصلت على أكثر من 281 ألف هكتار، خاص في ناحية سطيف من أجل إنشاء قرى سكنية للمهاجرين الأوروبيين وخاصة منهم السويسريين¹. إن هذه السياسة التي يعتبرها البعض في صالح الأهالي وفي الحقيقة كانت نذير شؤم وجشع مورس على المجتمع الجزائري وفي المقابل حققت الكثير من الفوائد للمعمرين؛ ولكنها لم تحقق أية فائدة لصالح الحكومة والسلطات الاستعمارية الفرنسية² مما كانت تصبوا إليه وخاصة إقرار الهدوء والأمن بل زادت حدة الثورات هنا وهناك.

ثالثا/ المكاتب العربية وموقف الكولون منها

على إثر اكتمال السيطرة على الشمال الجزائري بعد إخضاع بلاد القبائل في جويلية 1857. حيث كثر الجدل حول جدوى بقاء النظام العسكري القائم على المكاتب العربية فاستغل المستوطنون الفرصة فراحوا يشنون الحملات الصحفية ضد السلطة العسكرية والمكاتب العربية وينادون بسياسة الإدماج السياسي للجزائر بفرنسا في إطار حكم مدني وتجريد الجزائريين من الأراضي ومنحها إلى المهاجرين الأوروبيين بمبالغ رمزية³.

1 - يحيى بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 121.

2 - محفوظ سماتي، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، تر. محمد الصغير بناتي - عبد العزيز بوشعيب، مطبعة ديوان محو الأمية، 2000، ص 191.

3 - يحيى بوعزيز، كفاح الجزائر، المرجع السابق، ص 121-122.

لقد استحدثت المكاتب العربية كسياسة لتعويض البايك العثماني، فكان كل مكتب عربي يضم مجموعة من الموظفين تحت رئاسة ضابط عسكري، يتمتع بسلطات واسعة منها مراقبة سلوك رؤساء العرب وتسوية الخلافات بين القبائل على مستوى القضاء، ويحدد الضريبة على كل قبيلة، إضافة إلى الصلاحيات العسكرية الواسعة¹، وفي عهد نابليون زاد في توسع إنشاء المكاتب العربية وتقوية أجهزتها الإدارية والسياسية، واستطاعت هذه المكاتب من إنشاء 68 قرية استيطانية خلال عامي 1851-1857، وبالرغم من ذلك لم يرض المستوطنون بتلك الانجازات التي حققتها المكاتب العربية، لأنها تكبح نفوذهم وسيطرتهم وأطماعهم، إضافة إلى الكثير من الحواجز التي لم يتقبلها الكولون، فشنوا حملة كبيرة على الحكم العسكري مما أجبر الإمبراطور نابليون الثالث على إلغائه وإنشاء بديل عنها وزارة المستعمرات². ولكن ما الغاية منها؟

رابعاً/ إنشاء وزارة المستعمرات والفصل بين السلطات المدنية والعسكرية

ولكي يُسرّع نابليون الثالث في تنفيذ فكرته هذه دون أن يصطدم بالمعمرين، قام بإنشاء وزارة الجزائر والمستعمرات وعين عليها ابن أخيه الأمير جيروم نابليون في 24 جوان 1858، وألغى منصب الحاكم العام واستبدله بمنصب القائد العام للقوات البرية والبحرية والذي اسند إلى الجنرال مكماهون³، وكان الهدف من هذه الهيئة الوزارية تسهيل عملية تسيير شؤون المستعمرة بإزالة المنازعات في الاختصاص ما بين السلطة المدنية والعسكرية وأسندت إليها كل

1 - أحمد سيساوي، البعد البايلي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث 1838-1871، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة 2، 2013/2014، ص 235.

2 - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط، المرجع السابق، ص 20.

3 - بشير بلاح، المرجع السابق، ص 141.

مصالح الجزائر الإدارية ماعدا: التعليم العام، والدين. فقام الأمير جيروم على العمل على تطبيق القوانين الفرنسية بالجزائر من أجل إتمام سياسة الإدماج وتفكيك المجتمع الجزائري بدءا من القبيلة وتحطيم نفوذ العائلات الارستقراطية الأهلية وإضعاف سلطة وهيبة القادة وزعماء وشيوخ القبائل وفي المقابل مقاومة نفوذ وتجاوزات العسكريين¹.

وقد جاء في تقرير 29 جويلية 1858 عرض فيه الأمير جيروم على الإمبراطور النهج الذي يجب إتباعه إزاء أهالي الجزائر، قائلا: " لا يمكن للجزائر أن تكون شبيهة بأية واحدة من المستعمرات الأجنبية، ففي الهند الحكم يمارس بواسطة القادة من أصل البلد، وبالولايات المتحدة فتم الاستيطان فيها بعد إبادة الهنود أو طردهم، فلا شيء مثل هذا يمكن أن يمارس في إفريقيا، إن مشكلتنا اكبر من ذلك بكثير إذ نحن أمام جنس محب للحرب وعلينا احتواؤه وإيصال له حضارتنا ومسألة إقناع وجذب المهاجرين بهدف الوصول إلى تركيبة ناتجة عن صهر لمختلف الأجناس، والعمل على تطوير حضارة راقية باستخدام نتائج اكبر لاكتشافات العلمية الحديثة ... فيجب إذن إحقاق التوافق ما بين كل هذه المصالح المتعارضة"².

ولأجل تنفيذ تلك السياسة فقد رخص الأمير جيروم عام 1858 بإصدار جريدة "الجزائر الجديدة" والتي تُعنى بمعالجة القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية حيث صدر في أحد مقالاتها: " أنه لا يجوز للأهالي في الجزائر أن

1 - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص 21.

2 - حسين الحاج مزهورة، "مشروع المملكة العربية لنابليون الثالث في الجزائر 1852-

يملكو الأرض لان الأرض حسب الشريعة الإسلامية لصاحب السيادة أي فرنسا¹. ثم أصدر مرسوما آخر في 16 فيفري 1859 أعلن فيه حرية التصرف في الأملاك العقارية بالجزائر². ومما يكشف النوايا الحقيقية لهذا الأمير وما قدمه من خدمات جليلة للمعمرين، إذ تم خلال عهد هذه الوزارة التي لم تتجاوز السنتين من إنشاء 17 قرية استيطانية، وتوزيع 4600 قطعة أرض زراعية خصبة على المعمرين وبالمجان³.

وقد ترتب على إثر هذه السياسة والضغط المستمر من المعمرين إلى ارتفاع عدد المهاجرين الأوروبيين في المناطق الداخلية إلى 189 ألف، وفي المقابل نجم عنها أيضا انتزاع الأراضي الخصبة من الجزائريين وإعادة توزيعها على المستوطنين، وبالرغم من ذلك فان تلك السياسة فشلت فشلا ذريعا بسبب معارضة العسكريين لها واستقالة الأمير جيروم من منصبه في مارس 1859 ليخلفه الكونت شاسلو لوبا⁴.

خامسا/ مشروع المملكة العربية

وبناء على كثرة التقارير العسكرية السلبية التي كانت تصل نابليون الثالث حول الوضع القائم والقائم في الجزائر ثم استقالة الأمير جيروم، هذا ما دفع به إلى محاولة الاطلاع شخصيا على حقيقة الوضع في الجزائر وذلك بالقيام بزيارة استطلاعية إلى الجزائر في 17 سبتمبر 1860 والتي دامت ثلاثة

1 - أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ج1، ص377.

2 - محمد عيساوي، نبيل شريخي، الجرام الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري 1830-1871، دار الشطايبي للطباعة والنشر والتوزيع، 2015، ص225.

3 - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص 22.

4 - بشير بلاح، المرجع السابق، ص 141.

أيام، حينها اطلع على الأوضاع المتعفنة فقرر إدخال تغييرات جذرية على السياسة الفرنسية وخاصة الاقتصادية منها وهذا بعدما رأى سلبية قانون جوان 1851 الذي اضر بالأهالي وأجبرهم عن التنازل عن ملكيتهم، فجاء حاملا معه مشروعا يعتقد فيه الحل التام للمشكل القائم وإيجاد تسوية نهائية بين أفراد المجتمع الجزائري والمجتمع الاستيطاني الأوروبي بالجزائر مستلهما أفكاره من السانسيمونيين، وفي مقدمتهم مترجمه ومستشاره إسماعيل عريان الذي يدعو إلى تكوين حضارة عربية فرنسية¹.

فقد صرح في زيارته هذه التي تضمنت إستراتيجية استعمارية جديدة، وجاء فيها: "إن واجبنا الأول هو تحقيق سعادة ثلاثة ملايين من العرب أرادت الأقدار أن يكونوا تحت سيطرتنا، وإن مهمة فرنسا تقتضي الرقي بالعرب إلى مستوى الإنسان"². وهو على قناعة مسبقة بأن لا تسلم الجزائر إلى المستوطنين، لأنه كان يدرك جيد أهدافهم وغاياتهم، وأن الوضع في الجزائر قد آل إلى الانحراف عن طريقه السوي منذ اليوم الذي استدعيت إليها، وأن من واجب فرنسا الأول هو الاهتمام بسعادة الثلاثة ملايين عربي³.

وصل نابليون إلى قناعة تامة بأن هيئة وزارة الجزائر والمستعمرات وفي هذه الظروف عاجزة وغير قادرة على تسيير شؤون الجزائر. فحينما عاد إلى باريس ألغى هذه الوزارة نهائيا في 24 نوفمبر 1860، ثم أعاد الحكومة العامة

1 - نادية طرشون، "سياسة نابليون الثالث العربية"، مجلة دراسات وأبحاث، السنة التاسعة، العدد 26، 2017، ص 331.

2 - مزهورة حسين الحاج، السياسة الأهلية للولاية العامة الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005، ص 227.

3 - شارل روبيير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر. عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 57.

والحاكم العام العسكري في ديسمبر من العام نفسه، وعين الجنرال بيليسي كحاكم عام يساعده مدير عام للشؤون المدنية ونائب عام ومجلس الحكومة، ووجه أنظاره هذه المرة صوب الأهالي والتأكيد على ضرورة التعامل معهم وفهم قضيتهم قبل قضية المستوطنين¹.

سار الماريشال بيليسي على نهج سلفه راندون فيما يتعلق بمصادرة الأراضي ودعم التوسع الاستعماري من خلال إنشاء السدود ومد الطرق المعبدة كالسكك الحديدية، غير أن الإمبراطور نابليون الثالث، الذي يبدو بأنه فعلا تأثر بأراء مقربيه، واقتنع بفكرة المملكة العربية² ولا بد من الإسراع في تنفيذها. ومحاولة منه لتنفيذ فكرة "المملكة العربية"، فقد أكد في رسالة مؤرخة في بداية شهر فيفري 1863، جاء فيها: "إن الجزائر ليست مستعمرة كبقية المستعمرات وإنما هي مملكة عربية ينقسم فيها الأهالي والكولون حق الحماية والرعاية من جانبنا، فأنا إمبراطور العرب مثلما أنا إمبراطور الفرنسيين"³. وقد أوضح هذا وبشكل صريح في رسالة إلى الوالي العام مالاكوف بليسيه المؤرخة في 6 فيفري 1863 يقول فيها: "وقد علمنا أن قانون من قوانين شرعنا المؤرخ في سنة 1851 يتضمن إقرار حقوق العرب في أملاكهم وحقوق الانتفاع التي كانت لهم في زمان الفتح، لكن هذه الحقوق فيها اشتباه لقلّة العناية بتقييدها والآن يلزم علينا الخروج من هذا المجال المشكل الذي يحير عقل اللبيب، ونبدأ في النظر في أوطان الأعراش وحدودها

1 - نادية طرشون، المرجع السابق، ص 330.

2 - صالح حيمر، "قانون سيناتوس كونسولت 1863 حول الملكية العقارية في الجزائر - قراءة تاريخية"، مجلة عصور، مجلد 11، عدد2، 2012، ص 504.

3 - أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص35.

ثم نقسم كل وطن أقساما بين الدواير.. ثم عند إقرار العرب في أملاكهم إقرارا مطلقا.. يسهل التصرف فيها كما يشاؤون فتكثر حينئذ المعاملات بينهم وبين النصارى... وذلك انفع من القهر في تأليف قلوب العرب وإصلاح لنفوسهم"¹. وهذا ما يبين أن نابليون الثالث كان يبحث عن صيغة قانونية من أجل تقسيم أراض العرش إلى ملكيات فردية حتى يسهل التعامل مع أصحابها إما في حيازة عقود التملك أو فرض الضرائب أو في عمليات البيع.

فلذلك أصدر قانون 22 أبريل 1863 أو بما يسمى القرار المشيخي سيناتوس كونسولت الذي يعتبر منعرجا حاسما في الملكية العقارية في الجزائر مما أحدثه من انقلاب في البنية الاجتماعية والاقتصادية للإنسان الجزائري²، وفي المقابل أصبح ينظر إلى تأثير مضمون القانون في حالة تطبيقه بمثابة الضربة الموجهة للاستعمار وخصوصا المعمرين الذين كانوا يريدون الاستيلاء على كل أراضي العرش باعتبار أن هذه الأملاك للدولة العثمانية وإن الدولة الفرنسية أحق بإرثها وتوزيعها³. والهدف الأساسي والأسمى من القرار المشيخي هو تحديد أراضي العرش ورسم حدودها وتقسيم كل حد إلى دواير ثم توزيع الأراضي إلى ملكيات فردية بين سكان كل دوار⁴. أما الغاية من القانون محاولة

1 - عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، موفم للنشر، الجزائر، 2010، ص161.

2 - موسى عاشور، أساليب الاستعمار في الاستيلاء على الأوقاف، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص183.

3 - محفوظ سماتي، المرجع السابق، ص 189-190، 195-196.

4 - محمد الهاشمي المغلي، التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، عدد6، مارس2002، الجزائر، ص 169.

من السلطات الاستعمارية النابليونية إضفاء الصبغة الحماية والحفاظ على ممتلكات الجزائريين والتي تمثلت في:

- طمأنة الجزائريين الذين شعروا بمخاطر اغتصاب أراضيهم مرة بالقوة ومرة باسم القانون إضافة إلى سياسة التجميع السكاني لأهالي الريف في مساحات محددة.

- الاعتراف بحق ملكية الجزائريين لأراضيهم وقابلية تشكيل ملكيات فردية منها.

وبمقتضى هذا القانون تم تجزئة الكثير من الأراضي إلى وحدات عقارية فردية مما سهل في إجراء عمليات التعريفات القانونية عليها.

إن هذا القانون ما هو إلا جزء من القوانين المنظمة لعملية اغتصاب الأرض الذي ألحقت الكثير من الأضرار الفادحة بالمجتمعات الفلاحية خاصة وبمجتمع القبيلة عموماً¹، وحيث تضمن هذا القانون أيضاً بأحقية الدولة جبر الناس على بيع أراضيهم كلما دعت المصلحة العامة²، وبذلك واستطاع هذا القانون تفكيك بنية القبيلة المبنية أساساً على الأرض وإنشاء جماعة صغيرة يطلق عليها الدوار وإحلال الملكيات فردية داخل كل دوار مكان الملكيات الجماعية³.

وعن إفرازات هذا القانون ما صرح به أحد الشيوخ والذي كان قائداً على أولاد رشاش بخنشلة: "لقد هزمتنا الفرنسيون (الفرنسيين) في سهل سبيخ

1 - جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص134.

2 - Bulletin officiel du Gouvernement général de l'Algérie, Alger, année 1863, p131-133.

3 - الهواري عدي، المرجع السابق، ص 64-65.

وفرضوا علينا ضريبة الحرب كل هذا لا يهم لكن إنشاء الملكية الفردية على يد الفرنسيين والترخيص لكل فرد ببيع ما يحصل عليه من ارض بعد إجراء القسمة معناها الحكم على القبيلة بالموت، فبعد عشرين سنة من تنفيذ الإجراءات الفرنسية سيؤدي لا محال إلى زوال قبيلة أولاد رشاش¹. هذا التصريح يعكس حقيقة القانون وتأثيره على مصير أرض القبيلة بعد فترة من تنفيذ بنوده. ويعلق المؤرخ والباحث يحيى بوعزيز على عموم سياسات وقرارات نابليون الثالث ومشاريعه بأنها اتسمت بالتقلب، والاضطراب وعدم الاستقرار على مبدأ وسياسة واحدة، فقد حاول أن يرضي كل الأطراف²، ولكن جل مشاريعه فشلت والمتضرر والخاسر الأكبر من هذه السياسة هم أفراد المجتمع الجزائر لما خلفته من معاناة وتشريد وفقر وتهجير.

خاتمة

وما يمكن أن نستخلصه مما تقدم، هو فشل جل القوانين والمشاريع النابليونية التي تقضي بتحسين حياة المواطن الجزائري والحفاظ على ملكية أراضيه ومحاولة منه بذلك مد جسور التعاون وخلق انسجام بين أفراد المجتمع الجزائري والأوروبيين، ولكن في الحقيقة الأمر أن هذه القوانين سمحت بتحول الملكية الجماعية لأراضي العروش إلى ملكية فردية قابلة للبيع والتي حتما ستؤول إلى المستوطنين.

فقدان الزعمات الجزائرية التي كانت تؤدي دور الوسيط بين المواطن الجزائري والسلطات الاستعمارية الفرنسية (المكاتب العربية) وبخاصة في

1 - أحمد حسين سليمان، "نزع الملكية العقارية للجزائريين 1830-1871"، مجلة المصادر، عدد6، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية والثورة، مارس، 2002، ص112.

2 - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص17.

المناطق الريفية، مما انجر عنها اضطراب في الأمن وتوافر دوافع التمرد واستمرارا للثورات الشعبية.

ممارسة الأقليات الأوروبية ضغوطات كبيرة على الإمبراطور نابليون الثالث مما مكنها من الاستيلاء على أجود الأراضي الزراعية الخصبة والحصول على الدعم المالي لبناء القرى الاستيطانية في مختلف المدن الساحلية للجزائر وحتى الداخلية منها.

هزيمة نابليون الثالث أمام الألمان سبتمبر 1870م، فتحت المجال الواسع أمام المستوطنين الأوروبيين وخاصة بعد تدفق اللاجئين من الألزاس واللورين على الجزائر وهذا ما أدى إلى زيادة قوة المستوطنين وسمح لهم بالهيمنة على جميع مقاليد الإدارة الفرنسية في الجزائر سواء في النشاط الاقتصادي أو التمثيل السياسي بعدما تخلصوا من الهيمنة العسكرية والمطالبة بالحكم الذاتي.

المقاومة الشعبية في الزيبان من 1858 إلى 1879

Popular resistance in Ziban from 1858 to 1879

كهد/فريح لخميسي

جامعة محمد خيضر بسكرة

الملخص

تتناول هذه الدراسة المقاومة الشعبية في منطقة الزيبان في الفترة الممتدة من 1858 إلى سنة 1879 وتعرض فيها إلى ثورتين عرفتهما المنطقة هما ثورة الصادق بلحاج شيخ الزاوية الرحمانية بواحة سيدي مصمودي بجبل أحمر خدو التي شارك فيها أهالي الزّاب الشرقي، وثورة البوازيد بواحة العامري بالزّاب الغربي 1876. كما تتناول القضية التي حملت اسمها العلبه رقم (ANOM 2H35 et 37) بأرشفيف ما وراء البحار (أكس أن بروفنس)، وهي قضية سيدي عقبة التي بدأت فصولها في خريف 1879 وتحدث عن أعيان سيدي عقبة وتعرضهم للاعتقال والسجن بسبب ظلم القياد ومكتب الشؤون العربية.

Abstract

This study deals with the popular resistance in the Ziban region in the period from 1858 to 1879 and deals with two revolutions in the region: the revolution of Al-Sadik Belhaj Sheikh Al-Zawiya Al-Rahmaniya in the Sidi Masmoudi oasis in Jabal Ahmar Khado, in which the people of the eastern Zab participated, and the Al-Bawazid revolution in the Al-Amiri oasis in the western Zab in 1876. It also deals with the case that bore its name in box No. (ANOM 2H35 et 37) in the Archives Overseas (Axe in Provence), which is the Sidi Okba case that began in the fall of 1879 and talks about the notables of Sidi Okba and their exposure to arrest and imprisonment because of the injustice of the leadership and the Office of Arab Affairs.

مقدمة

إذا أردنا أن نقسم تاريخ الزّيبان مع المقاومة الشّعبية فيمكن القول أنها عرفت مرحلتين من المقاومة؛ مرحلة أولى امتدت من 1837 سنة سقوط قسنطينة إلى غاية 1848 ونطلق عليها المقاومة الشّبه رسمية مع خلفاء الأمير عبد القادر الممثلين في: لحسن بن عزوز وفرحات بن سعيد ومحمد الصّغير بن أحمد بلحاج من جهة، والحاج أحمد باي قسنطينة من جهة ثانية الذي أراد أن يجعل منها قاعدة لجهاده ضد الفرنسيين لولا خيانة خاله بوعزيز بن قانة التي انتهت به في الأخير إلى تسليم نفسه يوم 5 جوان 1848 في قلعة أولاد عبد الرحمن أكباش بعد سنوات قضاها مقاوماً و لجنّاً في الأوراس.

وهي المرحلة أيضاً التي عرفت فيها احتلال مدينة بسكرة يوم 4 مارس 1844 وخوض بعد اثني عشر يوم من ذلك في يوم 15 مارس 1844 معركة ضارية بواحة مشونش في جبال أحمر خدو بقيادة خليفة الأمير عبد القادر بالزّيبان والصّحراء الشّرقية محمد الصّغير بن أحمد بلحاج ضد القوات الفرنسية التي كان على رأسها قائد مقاطعة قسنطينة الدوق دومال (Duc D'aumale) ابن المالك لويس فليب. كما عرفت كذلك انتفاضة أهالي أولاد جلال بزعامة الشّيخ المختار بن عبد الرّحمن شيخ الزّاوية المختارية يوم 10 جانفي 1847 لمساندة النّائر الشّريف بومعزة القادم من التّيّطري، الانتفاضة التي واجهتها القوات الفرنسية بقيادة العقيد هريبون (Herbillion) وانتهت بمعركة خسر فيها الفرنسيون الرائد بيون (Billon) قائد الكتيبة المغامرة لدخول الواحة وهلاك 40 معه وجرح 104 جندياً.

أما المرحلة الثانية؛ فهي التي امتدت من 1849 إلى 1916 وميزة المقاومة فيها أن قادتها هم رجال الطرق الصّوفية والرّعاء المحليين، وكان

معلم بدايتها ثورة أهالي واحة الزّعاطشة 1849 بقيادة الشّيخ بوزيان، التي انتهت بتخريب الواحة ومشاهد مروعة شهد عليها المؤرخ الفرنسي لويس بوديكور (Louis Beaudicour) في كتابه: (الحرب وحكومة الجزائر) والضباط السّفاحين المنفذين للجريمة من أمثال: الجنرال هريبون (Herbillion) والضابط سروكا (Serouka) وغيرهم. تلتها ثورة الشّيخ الصّادق بلحاج بجبل أحمر خدو سنة 1858 ومشاركة أهالي الزّاب الشّرقي فيها. ثمّ بعدها في سنة 1876 ثورة البوازيد أهالي واحة العامري، ونهاية ذلك في القرن العشرين مع ثورة الأوراس سنة 1916 كان الزّاب الشّرقي مسرحاً لبعض أحداثها، واتهمت فيها الإدارة الاستعمارية زاوية طولقة بالتّحريض على اندلاعها.

وهي المرحلة التي سنتناول منها في هذه الدّراسة الفترة الزمنية الممتدة من 1858 إلى 1879 أين نتعرض فيها إلى مقاومتي: الشّيخ الصّادق بلحاج سنة 1858 وثورة البوازيد 1876، وكذلك قضية أعيان واحة سيدي عقبة سنة 1979 وهي القضية التي لم تأخذ حظها من كتابات المؤرخين.

أولا/ ثورة الصّادق بلحاج بجبل أحمر خدو والزّاب الشّرقي 1858

بعد تسع سنوات من نهاية ثورة الزّعاطشة ظهرت ثورة جديدة بجبل أحمر خدو بالأوراس شملت الزّاب الشّرقي قادها الشّيخ الصّادق بلحاج مقدم فرع الزّاوية الرّحمانية بواحة سيدي مصمودي بجبل أحمر خدو، أحد تلاميذ الشّيخ محمد بن عزوز البرجي⁽¹⁾.

(1) Louis Rinn «Marabouts et Khouins ,étude sur L'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1884, pp: 459-460.

والذي تذكره الكتابات باسم سي صدوق، من فرقة أولاد منصور عرش أولاد أيوب، وتقول عنه أن عمره أثناء نهاية ثورته سنة 1859 كان 69 عامًا، فهو قد يكون من مواليد سنة 1790 إذن (1).

مما عرف عنه أنه كان شديد الحماس للطريقة الرّحمانية مخلصًا لها مواظبا على أذكراها، أنشأ لها زاوية بالقصر القريبة من واحة سيدي مصمودي، صارت مركزًا للتعليم الديني. كما عرف عنه رفضه التّعامل مع الاحتلال منذ أن وطئت أقدامه المنطقة، ظهر ذلك بوضوح في مساندته لزعماء المقاومة فقد ساند الخليفة محمد الصّغير بلحاج وسكان الأوراس سنة 1844، ولبى نداء الشّيخ بوزيان لنصرة سكان واحة الرّعاطشة وخاض مع الشّيخ عبد الحفيظ الخنفي معركة سريانة يوم 17 سبتمبر 1849 التي قتل فيها الرائد سان جرمان (2).

عن كرهه للاحتلال قال عنه القائد الأعلى لنادي بسكرة سنة 1852 ما يلي: "إن كان هناك شخص ينبغي ألا نغفل عن تصرفاته فهو سي صدوق بلحاج من مرابطي أولاد أيوب ومقدم الإخوان في أولاد سي عبد الرحمن ووريث سي عبد الحفيظ في أحمر خدو ومنطقة الرّاب الشّرقي، إن سي صدوق يترصّد بنا وسوف ينتهز الفرصة لتأليب السّكان ودعوتهم للجهاد، إنه يرفض الدّهاب إلى بسكرة رغم كل الإغراءات التي قدمناها له" (3). وقال عنه ضابط المكتب العربي لبسكرة سنة 1857: " كان سلوكه محيرا بالنسبة

(1) عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 . 1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص: 192.

(2) عبد الحميد زوزو، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (1837 . 1939)، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ج، ص ص: 150-151.

(3) المرجع نفسه، ص: 150.

لنا ... غير واضح الشخصية.. إنه يشكل راية قائمة يلتقي حولها كل ثائر عدو لفرنسا مستعد للثورة... إنه في يوم ما سيصبح خطراً حقيقياً علينا" (1).

تُرجم الكتابات التاريخية سبب إعلان الشيخ الصادق بلحاج الجهاد ضد الفرنسيين في خريف سنة 1858 لذلك المنشور الذي أصدره سنة 1856، الذي بموجبه يلزم سكان الدائرة العسكرية بسكرة (2) بتسجيل أولادهم في المدرسة الفرنسية التي أمر بإنشائها الجنرال ديفو (Desvaux) قائد قسم باتنة سنة 1855 بمدينة بسكرة، وأوكل أمر الإشراف عليها والتدريس بها إلى الرقيب المتقاعد كولومبو (Colombo) (3). الأمر الذي جعل سي الصادق يقوم بجولة في الأوراس إلى قبائل الرشايش وبنى بوسليمان والثّابة شرح لهم خلالها المنشور وبين لهم خطورته على أبنائهم، وحثهم بعدم إرسالهم إلى هذه المدرسة الفرنسية، وهي الدعوة التي لاقت منهم الاستجابة وجعلت أنصاره يزدادون ونفوذه يتوسع بعد أن كان محصور في منطقة جبل أحمر خدو، ليتمدد إلى الزّاب الشرقي ومنه إلى الأوراس الأوسط وقبائل البدو الرّحل. لكن الفرنسيين الذين كانوا يتابعون أخباره قاموا بإصدار منشور جديد يوجبون فيه الحدّ من

(1) صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد

1844 . 1871، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص:87.

(2) أصبحت دائرة بعد إعادة تنظيمها سنة 1850 على أعقاب ثورة الرّعاشة تضم إلى جانب الزّيبان جبل أحمر خدو وخنقة سيدي ناجي وجبل ششار والصّحاري وأولاد زيان وأولاد زكري وسوف والعرب الشّراقة والغرابة. أنظر:

Quatmani Settar, *Zaatcha en 1849 Histoire d'une Révolte*, Edition EL Amal, Alger, 2013, p:231.

(3) عبد الحميد زوزو، الأوراس، المرجع السابق، ص: 152. وحول المدرسة أنظر:

Gustave Benoist, *De L'instruction et de L'éducation des Indigenes dans Province de Constantine*, Librairie Hachette et Cie, éditeurs, Paris, 1886, pp: 71-72.

حرية التنقل ويشددون الرقابة على زيارات الزوايا، جعل الإخوان ينتفضون بداية من مطلع شهر سبتمبر 1858 غير مبالين بهذه الإجراءات⁽¹⁾.

وعندما علم ديفو بتحركات سي الصادق ونواياه سارع لمكاتبته قصد محاولة إقناعه التسليم بالسيطرة الفرنسية على أنها مشيئة من الله وقدره، ومطالبته بالكف عن المقاومة المسلحة وأن يفعل مثلما فعل بعض المرابطين في المنطقة من أمثال: سي إسماعيل بن عمر (طولقة) وسي محمد بن بلقاسم (القرقور) وسي محمد السعيد (تيماسين) الذين استكانوا للفرنسيين وربطوا معهم علاقات. ولم تتوقف محاولات الجنرال عند هذه الرسائل، بل حاول معه بأن أرسل له بعض شخصيات المنطقة للتأثير عليه ومحاولة ثنيه على رفع السلاح ضدهم من أمثال: القايد سي أحمد بن شنوف الذي توسل إليه بعدم الإصرار على الهلاك، وقاضي وادي عبيد سي سعيد الذي ترجاه باسم الدين أن يتجنب كارثة قد تحل بالمسلمين. إلا أن سي الصادق لم ينجر وراء هذه العروض لمعرفته الجيدة بالنوايا الحقيقية لقوات الاحتلال التي لن تتوقف وعودها الكاذبة التي كانت تقدمها في كل مرة للجزائريين⁽²⁾.

كانت شرارة الثورة الأولى من واحة سيدي عقبة، وبمبادرة من عشيرة أولاد لخضر من قبائل الرّحل في 10 نوفمبر 1858، وذلك عندما هم المدعو لخضر بن كريب أحد مريدي الزاوية قراءة نداء سي الصادق للجهاد في سوق هذه الواحة، حاول شيخها القبض عليه فلجأ لمقدم زاوية سيدي عقبة للاحتماء

(1) عبد الحميد زوزو، الأوراس، المرجع السابق، ص: 152. وكذلك: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1860)، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 2005، ج1، ص: 364.

(2) عبد الحميد زوزو، الأوراس، المرجع السابق، ص: 151.

به، غير أن هذا الحادث تطور ليلتي 13 و 14 نوفمبر بالتحاق أكثر من عشرين خيمة قوامها أكثر من 200 تائر حاملا للسلاح. ولكي يتمكن الفرنسيون من تشتيت النّوار قاموا بإرسال قائد بسكرة سي محمد الصّغير بن قانة إلى سيدي عقبة، بهدف تدعيم قوات قايد الزّاب الشّرقي وأحمر خدو وبني بوسليمان سي أحمد بن شنوف وفرحات بن عبد الله المتكونة من حوالي 220 فارسا و 170 من المشاة فدارت بينهما معركة يوم 16 نوفمبر، عرفت خلالها انسحاب كثير من المشاة التابعين لقايد أولاد صولة أحمد بن شنوف وانضمامهم إلى إخوانهم من أنصار سي الصّادق. الأمر الذي جعل قوات القومية عاجزة عن فعل أي شيء تجاه النّوار المتحصنين في كمائن وراء أسوار بساتين الواحة. لكن أولاد لخضر عندما علموا باقترب جنود الخيالة تحت إمرة الجنرال ديفو انسحبوا إلى لقصر إلى حيث الشّيخ الصّادق بلحاج⁽¹⁾. الذي كان في هذه الأثناء يبعث برسائله إلى مقدمي الطريقة الرحمانية، وأعرّاش منطقة الأوراس والزيبان يدعوهم فيها للجهاد ضد الفرنسيين. من هذه الرّسائل التي كان يرسلها رسالة يوم 26 نوفمبر إلى محمد بن الصمد مقدم الطريقة الرحمانية القاطن بالقرب من باتنة. ورسالة أرسلها يوم 9 ديسمبر إلى أولاد بوعون يقول فيها: "إن الرومي يعمل ضد ديننا، ضد صلاتنا، ضد زكّاتنا، وضد حجنا توحدوا وانهضوا ضد هذا الرومي من أجل حماية ديننا"⁽²⁾.

مهما يكن من أمر؛ فإن الاشتباك الثّاني حدث يوم 30 من نفس الشّهر بين القوّات التي حافظت على ولائها للقايد أحمد بن شنوف المؤازر من قايد أولاد زيان أحمد بن الميهوب، وقوات سي الصّادق التي كان يقودها ابنه سي

(1) عبد الحميد زوزو، الأوراس، المرجع السابق، ص: 154.

(2) صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 447.

إبراهيم وسي الطاهر المتمركزة في وادي غسيرة. كانت خطة الجنرال ديفو المتمركز على بعد 6 كلم من سيدي عقبة تقتضي أن يلتحق قايد أولا داود سي بوضياف بقوات القايد أحمد بن شنوف في حين يتولى قايد بني وجانة مصطفى باش تارزي استعراض قواته شمال موطن بني بوسليمان، وذلك بغرض ربح الوقت واستنزاف قوة الثوار وتثبيط عزيمة قوة بقية العشائر والوقوف أمام انضمامها لقوات سي الصادق. غير أن المناوشات الأولى بين الطرفين تسببت في وقوع بعض الإصابات في صفوف المتحالفين مع قوات الاحتلال، فعمت الفوضى وانهارت معنويات الجنود. الأمر الذي دفع بالقبائل المحايدة إلى الانضمام لصفوف المقاومة، فخرج أولاد داود عن طاعة قايدهم، وتوافدت جموع المقاومين من ششار وبراجة وقرطة وسيدي خليل وغيرها، والتفوا حول واحة لقصر عند سي الصادق الذي شاعت أخبار ثورته فعمت ربوع الزّاب الشرقي كلّهُ (1).

كانت خطة الفرنسيين بعدها إرسال نداء باللّغة العربية يتم توزيعه في جميع التّواحي وبالخصوص بين سكان جبال أحمر خدو وبني بوسليمان وغسيرة وأولاد داود، ويتضمن هذا النداء الحطّ من شأن الشّيخ الصادق بلحاج في أعين أتباعه، وذلك بتقديمه كرجل مغرور وطموح، كما وظفوا رجال الدين، الذين أفتوا بأن عقيدته وثنية. كما تضمنت الخطة أن يتمّ مباغته الثّوار من الشّمال الشرقي ومن الشّمال الغربي ومن الجنوب الغربي، في الوقت الذي يشنّ القايد أحمد بلحاج على رأس لعامرة، والقايد مصطفى على رأس بني وجانة هجومات باتجاه مزارا وفورار حيث تتمركز قوات الثّوار. كما تضمنت الخطة الفرنسية تحالفت أخرى مماثلة مع أغلب قياد المنطقة والقوات التي كانت تحت قيادتهم.

(1) عبد الحميد زوزو، الأوراس، المرجع السابق، ص: 155.

على هذا الأساس ابتداء من يوم 5 جانفي 1859 شرع القياد وخيالتهم في التّوغل إلى كافة أنحاء الأوراس. أما الجنرال ديفو الذي كان معسكرا في واحة شتمة فإنه انطلق يوم 10 جانفي على رأس فيلق يتكون من 2962 رجل من رماة البنادق و 401 محاربًا بالسيّوف وفرقة مدفعية وكتيبة إسعاف و 863 بغلا لنقل العتاد وعلى سفوح جبل أحمر خدو خيمّ الجند. لكن التحام الطّرفين كان يوم 12 جانفي عندما كانت قوات الجنرال متجهة نحو ثنية بن عمار التي عندها بدأ التراشق بالبنادق، ثم عند هضبة حمام بسوف بدأ القتال بين الطّرفين كان خلالها أنصار سي الصّادق حوالي 1500 رجلا من مختلف القبائل. دام القتال نصف يوم لم تخسر فيه القوّات الفرنسية سوى اثنين وخمسة عشر جريحا في الوقت الذي خسر فيه النّوار العديد من القتلى والجرحى، مما جعلهم ينسحبون عند حلول اللّيل إلى الجبال المحيطة بقرية لقصر، التي تقدمت نحوها القوّات الفرنسية فوجدت بها الخط الدفاعي الثّاني للنّوار الذين دخلوا معها في اشتباك استمر مدة ثلاث ساعات اضطروا بعدها إلى الانسحاب نحو القلعة الجديدة. كانت نهاية هذا الاشتباك باستيلاء الفرنسيين على غنائم كثيرة، وبنسحاب الشّيخ سي الصّادق باتجاه ششار ثم النّمامشة ومنهما الدّهاب إلى منطقة الجريد التّونسي. وهو الانسحاب الذي على إثره بدأت طلبات الاستسلام من القبائل تصل إلى مخيم الجنرال ديفو، الذي سارع في هذا الوقت للقبض على سي الصّادق، وذلك بإرسال من يتعقبه لدى القبائل التي سيمرّ عندها. وأمر قايد خنفة سيدي ناجي سي محمد الطّيب مراقبة الممرات المؤدية إلى منطقة ششار، كما أمر الملازم عمر بن عبد الله على رأس جنود من فرقة الصّبايحية بالدّهاب إلى زريبة الوادي ليعترض سبيل الفارين عبر الطّريق

المؤدية من ششار إلى الصّحراء⁽¹⁾. وبهذه الخطة تمكنت قوات القايد سي محمد الطيّب التي كان يقودها ولداه أحمد بن ناصر وسي الميهوب يوم 19 جانفي 1859 من محاصرته في حوض وادي العرب بعد أن أعياه التعب فاضطر إلى التفاوض مع أحمد بن ناصر الذي أعطاه الأمان، ووعده باسم والده أنه سوف يتوسط لصالحه لدى الجنرال ديفو، فدخل الخنقة حتى جاء الفيلق الفرنسي بقيادة المقدم لرو (Leroux) ومعه محمد الصغير بن قانة قايد بسكرة، ثم تحت حراسة هذه القوات أخذ سي الصادق رفقة 88 من أفراد عائلته وأتباعه إلى مخيم لقصر. وفي يوم 16 أوت 1959 عقدت له أول محكمة عسكرية في مقاطعة قسنطينة، وكانت التهم الموجهة إليه وإلى أبنائه و11 متهما من أعوانه المقربين هي: حمل السلاح ضد فرنسا بالمنطقة العسكرية، وتحريض السّكان على التّسلح ضد السّلطات العليا، وارتكاب أعمال الاغتصاب المتبوعة بارتكاب الجرائم، والتحريض على الحرب الأهلية وذلك بتأليب السّكان ضد بعضهم البعض ودفعهم إلى التخريب والنهب وفي الأخير إلى الثّورة الشّاملة⁽²⁾.

وبعد جلسات محاكمة مغلقة، انتهت المحاكمة يوم 16 أوت بصدور حكم الإعدام ضد سي الصادق وجميع المتهمين ممن كانوا معه، ثم خفف الحكم القضائي النهائي في شهر نوفمبر فحكم على سي الصادق بالأشغال الشّاقة مدة خمسة عشر سنة وعلى ابنيه إبراهيم والطاهر وأعوانه، الذين كان غالبيتهم من جبل أحمر خدو والزّاب الشّريقي: علي بن شطوح (قرطة)، مبروك

(1) عبد الحميد زوزو، الأوراس، المرجع السابق، ص: 156-157.

(2) عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق، المرجع السابق، ص: 192 وأيضا: عبد الحميد زوزو، الأوراس، المرجع السابق، ص: 158.

بن العشيبي (أولاد الأخضر)، الأخضر بن كريب (سيدي عقبة)، عمار بلبوكراري (أحمر خدو)، محمد بن طراد (بن شنوف)، بلقاسم بن المبارك (أحمر خدو)، سليمان بن عمر بن زعلاش (غوفي)، أحمد بن الطاهر (فلوس)، محمد بن صالح (سيدي عقبة)، جودي بن الأخضر (جمورة) حكم عليهم بعشر سنوات⁽¹⁾. بعد هذا الحكم القضائي الذي استفاد من عفوه سي الغزالي، بقي والده سي الصادق في سجن الحراش إلى أن وافته المنية سنة 1862 وهو في سن الثمانين. بينما كان مصير زاويته في القصر التّخريب بعد أن أمر الجنرال ديفو بتهديمها نهائيا سنة 1859 بحجة أنها كانت منطلقاً للثورة ومركزاً للتعبس ضد الفرنسيين، إلا أن ابنه سي الطاهر أعاد بناها من جديد سنة 1872 في تييرماسين⁽²⁾.

ثانيا/ انتفاضة البوازيد سكان واحة العامري 1876

في سنة 1876 وبعد مضي سبعة عشرة عاما من القضاء على ثورة الصادق بلحاج بجبل أحمر خدو، ومساهمة سكان الزّاب الشرقي فيها، شهدت

(1) عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق، المرجع السابق، ص: 192.

(2) عبد الحميد زوزو، الأوراس، المرجع السابق، ص: 161. أنظر أيضا:

Depont (O) et Coppolani (X.), **Les Confréries Religieuses Muslmanes**, Alger, 1897, pp:410-411.

من النتائج الثّورة تعرض القرى المتواجدة في الأوراس شمال غسيرة إلى غزو القوات الفرنسية المعسكرة في باتنة فاستولت على مواشي أولاد داود وبني بوسليمان، الذين خسروا على التّوالي 31 و30 رهينة من بين علية القوم في القبيلة. كما أضرمت قوات الجنوب النيران في قريتي بنيان والديسة. أرغمت عمليات القمع التي نفذها القيّاد تطيقا لأوامر الضباط الفرنسيين استسلام 18 قبيلة في منطقة جبل أحمر خدو، وقدمت 36 من أبنائها كرهائن والتزمت بتسديد ضريبة الحرب، وكان المصير نفسه مع قبيلتي أولاد داود وبني بوسليمان الذين قدموا على التّوالي 31 و30 رهينة من علية القوم من القبيلتين.

الزّيبان انتفاضة جديدًا في عهد الحاكم العام الجنرال شانزي (Chanzy) كان الزّاب الغربي مسرحًا لها وبالتحديد واحة العامري إحدى واحات قبيلة البوازيد، التي عرفنا عنها من قبل أنها تدخل ضمن العرب الغرابة، الدائرة العسكرية بسكرة الخاضعة للإدارة العسكرية في تقرت (1).

أرجع الفرنسيون سبب اندلاعها إلى ذلك الصراع القائم بين عائلتي بو عكاز ممثلة في علي باي وعائلة بن قانة ممثلة في محمد الصغير بن قانة في الوقت الذي حملت فيه العائلة الأخيرة علي باي الذي كان قد عينه الفرنسيون كقائد على باتنة سنة 1873 بعدما كانوا قد عزلوه من منصب آغا على تقرت ووادي سوف منذ سنة 1854 بعد عجزه عن الدفاع عنها أمام التّائر بوشوشة سنة 1872 سبب الانتفاضة بتحريض البوازيد على ذلك (2).

يقول القبطان دو مارقون (De Margon) أن الذي تزعم الثورة هو الشّيخ محمد بن يحيى بن عبد الله زعيم فرقة أولاد إدريس من قبيلة البوازيد، والذي كان عمره أثناء اندلاع الثورة خمسة وثلاثين سنة، وكان قد عمل خوجة (كاتبًا) للقائد بولخراص بن قانة عدة سنوات. وأن دافع اعلانه الثورة حسب مارقون دائمًا تعود أساسًا إلى مشاكل شخصية متعلقة بعائلته وظلم عائلة بن قانة فجرها حدثان هما: الحادث الأول أنه كان لمحمد بن يحيى شقيق أكبر يدعى مسعود كان قاضيا في مدينة بسكرة قبل إنه مات مسمومًا، وشاع بين

(1) مصطفى حداد، ((انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري والمناطق المجاورة سنة 1876))، الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ع:81، شعبان . رمضان 1404هـ . مايو . يونيو 1984م، ص:212.

(2) شارل روبيير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871 . 1919)، ترجمة: م. حاج مسعود وأ. بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ج1، ص:111-112.

النّاس أن الذي كان سببا في موته هو القايد محمد الصّغير بن قانة الذي أوعز إلى من يغدر به ويسممه. أمّا الثاني فيتمثل في رسالة مجهولة كتبها سكان بسكرة في شهر جوان 1875 إلى الحاكم العام للجزائر بالعاصمة يشكونه فيها ظلم عائلة بن قانة، وظلم الضّابط الفرنسي كروزى (Crouzet)، وهي الرّسالة التي اتهم فيها بولخراص بن قانة كاتبه محمد بن يحيى بأنه هو الذي كتب هذه الرّسالة لهم، فاعتقله وأخذه إلى بسكرة وحقق معه الضّابط لوفروا (Le Froid)، وبعد التّحقيق تبين أنه لم يكن هو كاتب الرّسالة. بالرغم من ذلك فإن بولخراص ظلّ غاضباً على محمد بن يحيى وطلب منه الاستقالة من منصبه كخوجة وكشيخ على أولاد إدريس غير أن الأخير رفض وأصر على مواصلة مشيخته عليهم⁽¹⁾.

منذ ذلك الحين جفت العلاقة وتوترت بين محمد بن يحيى وعائلة بن قانة إلى أن تطورت الأمور بإعلان لبازيد ثورتهم بداية فصل ربيع سنة 1876، بعد أن لاقت دعم شخصية دينية ثانية كانت لها مكانتها بين أهالي عرش لبازيد في الرّبيان وهي شخصية أحمد بن عياش الذي أخذ يدعو النّاس للجهاد ومؤازرة الشيخ محمد بن يحيى، فبدأت الحركة تكبر وتتوسع، ووصلت أخبارها يوم 26 مارس الحاكم العام للجزائر شانزي (Chanzy)⁽²⁾.

كانت أول مواجهة بين الفرنسيين وأعدائه يوم 11 أفريل وهذا بعد خروج العقيد كارتيري (Carteret) منذ الساعة السادسة صباحا من واحة البرج متقدماً نحو واحة العامري التي تمركز غير بعيد عنها وقد ضمت قواته تعداد 800

(1) Margon, *Insurrections dans la Province de Constantine de 1870 a1880*, Paris, 1883, ppp: 119-121-123.

(2) Margon, op-cit, p:128.

بندقية و200 سيف. بينما كانت قوات الثوار 100 فارس و2000 من الرّاجلين في صفوف منظمة ومستعدة للقتال على بعد كيلومترين من بساتين النّخيل لكيلا تتضرّر واحة العامري أثناء القتال، ثم شرع لبازيد بالهجوم على الفرنسيين، غير أنهم حسب التقارير الفرنسية خسروا خمسين قتيلًا في أثناء هذه المعركة، ومن بين من قتلوا محمد بن يحيى زعيم الثّورة، أمّا صديقه الشيخ أحمد بن عياش فرغم جرحه فقد واصل في تنظيم الثّورة.

في يوم 14 أبريل استغل السّكان فرصة هبوب عاصفة رملية شديدة، وقاموا بهجوم على مركز مخيمات الجيش الفرنسي، استمر هذا الهجوم بين خمس وعشر ساعات، تقول التقارير الفرنسية أن لبازيد خلال هذا الهجوم تركوا الكثير من القتلى فعادوا للاحتماء بأصوار واحة العامري. ولتحريض القومية المتردّدين على القتال، وزرع الخوف في نفوس الثّوار عمد الفرنسيون إلى تسريب معلومات مفادها أن نجدات فرنسية قادمة من بوسعادة شرقًا ومن باتنة وقسنطينة شمالًا لدعم القوات الفرنسية المحاصرة للواحة.

ومما يذكر عن هذه المعركة أن المرابط أحمد بن عياش لعب دورا هاما للتّخطيط لهذا الهجوم وشحذ همم أنصاره على الجهاد، إذ خلال الهجوم وقصف واحة العامري بالمدافع كان هو يصيح بينهم ويقول: "ترجو من الله أن يرسل عاصفة، حركوا التراب بأقدامكم". فأخذ النّساء والأطفال يثيرون بين أقدامهم الرّمال والأتربة، فكان من جراء ذلك أن تكونت غمامة فوق معسكرات العدو بفعل رياح الشّهيلي فاقتحم 1500 مقاتل من لبازيد بعزيمة خارقة مخيم الفرنسيين، فكان من نتيجة ذلك أن جرح ثلاثة ضباط فرنسيين، وجرح بن قانة قائد قوم بسكرة، وقتل 27 جندي فرنسي و4 من جنود القومية وجرح 4 آخرين

منهم⁽¹⁾. في يوم 22 أبريل تدعمت القوات الفرنسية بقوات أخرى قدمت من قسنطينة بقيادة الجنرال عبد العال (Abdelal) والعقيد باروي (Barrué)، ثم بعد يومين من ذلك أي في يوم 24 أبريل لحقت قوات أخرى من بوسعادة بقيادة الجنرال روكبرون (Roquebrune).

وتمركزت قوات من هذه القوات الثلاث في الشمال والشرق والغرب الجهات المحيطة بالواحة، بينما تمركز في الجهة الجنوبية منها القوم والفرسان العاديون. فحوصرت الواحة من كل الجهات. وفي يوم 28 أبريل ضربت واحة العامري بقذائف المدفعية من كل الجهات، فخربت الواحة على غرار ما فعل بواحة الزعاطشة قبل سبعة وعشرين سنة فهدمت المنازل والجدران وخلف ذلك القصف وتلك المعارك من جانب سكان الواحة ما يفوق 400 قتيل، وخسائر في الممتلكات أرغمت أعيان الواحة إلى طلب الأمان وتسليم الشيخ أحمد بن عياش وزعماء المقاومة. أما خسائر الجانب الفرنسي فكان ثمانية قتل وجرح 37 من بين هؤلاء الجرحى ثلاثة ضباط هم: القبطان أوليفيه (Olivier) من الفرقة الثالثة الصبّاحية، واليوطنا دوراند (Durand) نائب المكتب العربي ببسكرة، واليوطنا قابيت (Gabet) من الكتيبة 11 القناصة مشاة. كما جرح محمد الصّغير بن قانة قايد بسكرة⁽²⁾.

تقول جريدة (كريسبونندنس جنرال ألجيريان) أنه بعد نهاية المعركة في يوم 1 ماي 1876 أمر الجنرال كارتيري بإجراء إحصاء لكل ما كان في الواحة

(1) مصطفى حداد، المرجع السابق، ص: 215 - 216. وأنظر: شارل روبير أجرون، المرجع السابق، ص: 110.

Le Mobacher, Journal Officiel Paraissant Tous Les Jours, Alger, N°1387, 30 Mai 1876, p:3.

(2) **Correspondance Générale algérienne**, Paraissant Tous Les Samedis, Constantine, Alger, N°18, le 6 Mai 1876.

من غنائم التي أصبحت لهم، فتمثلت في: 4032 جملا و 14338 رأس غنم و 661 خيمة، كما نزع لهم الأسلحة وفرض عليهم التجمع في نقاط محددة حتى تقرّر في حقهم العقوبات (1).

ثم جاءت العقوبات بفرض غرامة حربية على لبازيد وحدهم قدرها ثمان مائة الضريبة السنوية التي يدفعونها في العادة، وكان من المفروض أن يسلموا للفرنسيين 1122 بندقية غير أنهم سلموا منها 452 بندقية فقط ففرض عليهم غرامة أخرى قدرها 45.000 فرنك. ثم جرت المصادرة الجماعية لكل أملاكهم العقارية. وكان عرش البوازيد يتألف من أربع فرق، شردت جميعاً وأجبرت على النزوح من المنطقة التي استوطنتها من عهود قديمة. وقد نزحت إحداها إلى التلّ الوهراني، وحلت إحداها بمنطقة الزواوة، وبالضبط ناحية آقبو (أعزر أمقران)، تحت حراسة قايد عرش أوزلاقن والباشاغا ابن علي الشريف، ولا يزال الناس هناك يطلقون عليهم اسم لبازيد (إيبوزيدن). ولم يتوقف عقابهم عند هذا الحد فقد حمل منهم 91 سجيناً إلى كورسيكا، وتم إعدام رؤوس الانتفاضة، الزعيم الثاني للثورة ابن عايش الذي اعتبروه الزعيم العسكري، كما أعدموا معه سبعة آخرين. كما شملت الضرائب الحربية أيضاً أولئك الذين أنجدوا الثوار من أهل الزيبان، إذ فرضت عليهم غرامة حربية قدرها 44.200 فرنك. فافتقرت العائلات بذلك فقراً شديداً ولم يصدر العفو عنهم إلا بعد خمس عشرة سنة 1860، بعد أن سمحت السلطات الفرنسية لبعض العائلات وأقاربها الاستقرار في الزاب الشرقي (2).

(1) Ibid.

(2) أبو القاسم سعد الله، الحركة ج 1، (1860 . 1900)، المرجع السابق، ص: 301.

لم يأت إذن السّطات الفرنسية بالسّماح بالعودة لهم إلى الزّيبان كما أشرنا من قبل إلا بعد العديد من الرّسائل التي بعثوا بها إلى الحاكم العام بالجزائر يصفون له فيها حالة الضّيع التي كانوا يعيشونها في المناطق التي هجروا إليها، ويطلبون السّماح بالعودة إلى موطنهم في الزّيبان. نماذج هذه الرّسائل الكثيرة الموجودة في العلبة رقم (892H-90) بأرشفيف ما وراء البحار (أكس أن بروفونس) بفرنسا رسالة مؤرخة يوم 4 ديسمبر 1887 من المتّقين من فرقة أولاد سعود المتّواجدين في بلدية عين القصر دائرة باتنة يطلبون منه فيها من الحاكم العام إبطال عقوبة النفي مما جاء فيها ما يلي: "...نعم سيدي إن المصيبة التي نزلت على آبائنا سنة 1876 حتى خرجوا عن عقولهم بالخروج عن طاعة الدولة السعيدة وأهلكوا أنفسهم حتى أخذوا جزاءهم من العقوبة العامة المشتملة على النفي تخصيصًا وتعميمًا وعلى حيازة أملاكهم الترابية من أيديهم... ونحن في سنة 1876 لم نبلغ حدّ التكليف بل بعضنا في أمد الرضاع وبعضنا في حالة الصّبوة الخ وعمتنا العقوبة بالتبعية لا بالإيجاب... إن الناس الذي حضرت في الفساد سنة 1876 أمّا رؤسائهم أخذوا جزاءهم من النفي إلى كالدون ونحوها ومات من مات وأمّا العامة فكثيرها توفي رحمة الله عليه ونفي شيء قليل لا عبرة به وهو كله حاصله سيدي نرجو من الله ثم منكم العفو من عما سلف وشأن كل دولة العفو بعد القدرة ومثلك لا يحتاج لتعريف وحاصل مرغوبنا من سيادتكم إزالة النفي...".⁽¹⁾

(1) ANOM 2H89-90,

(رسالة المنفيين من البوازيد فرقة أولاد سعود بلدية عين القصر دائرة باتنة إلى الحاكم العام للجزائر بتاريخ 4 ديسمبر 1888).

وهذه رسالة أخرى من المنفيين من فرقة أولاد أيوب بدوار بكارية بتبسة إلى الحاكم العام للجزائر مؤرخة في 7 جانفي 1889 جاء فيها ما يلي: "... نحن جماعة البزید فريق أولاد أيوب المنفيين بتبسة منذ سنة 1876 إلى يوم التاريخ، ونحن بالوطن المذكور وطالت بنا المدة وعدمت العباد وانحرفت القلوب من طول المدة واحتوى علينا الوقت من قلة من بيدنا من المواشي بسبب البلاد (كذا...) بالليل بالغنم من البرد لم يصح شيء لنا ولم نجد قتنا بما تتعش به وجميع العرش المذكور كلها تأكل في الحشيش مثل الزوايل بسبب ذلك توقعت الموت في العباد من كل الحشيش والحويج الرديئة ... وصار علينا الجوع من الهم والجوع ونظن في الدولة العالية ورجالها المتولين بالعدل والإنصاف تحقق الحق وتبطل الباطل وتحن على الفقير والضعيف ونحن أولادكم وتسامحنا على السابقة ولم نفعل عيب بسبب كنا صغار في ذلك الوقت وجميع من غلط من آبائنا كله ونحن بقين صغار فالمطلوب والمرغوب من كريم فضلكم تحن علينا بالتسريح إلى حكم بسكرة لكي تحن علينا البلاد والعباد..."⁽¹⁾.

ثالثا/ قضية أعيان واحة سيدي عقبة عام 1879

(قضية سيدي عقبة) هي عنوان فهرس علبة تحمل رقم (ANOM 2H35 et 37) (2H35 et 37) بأرشفيف ما وراء البحار (أكس أن بروفنس)، تحتوي على مجموعة من الرسائل المرسلة إلى الحاكم العام من أعيان واحة سيدي عقبة يشكون فيها ظلم قايد بسكرة، الذي استولى على

(1) ANOM 2H89-90,

(رسالة المنفيين من البوازيد فرقة أولاد أيوب بدوار بكارية بتبسة إلى الحاكم العام الجزائر بتاريخ 7 جانفي 1889).

ممتلكاتهم وأرزقهم، وكذلك تحوي على تقارير ضباط مكتب الشؤون العربية، ومحاضر استماع لهؤلاء المتهمين من السّكان.

يمتد زمن هذه القضية التي لم تحظ بالدراسة من طرف الباحثين كما يبدو من خلال الوثائق التي ضمتها العلبة بداية من خريف سنة 1879 إلى غاية سنة 1881. زمن الحاكم العام ألبرت قريفي (Albert Grévy) ⁽¹⁾، كما تزامنت حوادثها مباشرة مع نهاية ثورة محمد بن عبد الرّحمن ابن جر الله الملقب (بوبرمة) في الأوراس في أواخر شهر جوان سنة 1879 ⁽²⁾ الغير بعيدة عن الزّيبان، وبعد ثلاث سنوات من القضاء على ثورة البازيد بالزّاب الغربي كما عرفنا من قبل.

أمّا من الجانب الإداري فقد جاءت بعد ترسيم بلديتين في الزّيبان: بلدية مدينة بسكرة الأوروبية التي تدخل ضمن التّراب المدني بموجب مرسوم 22 أبريل 1878. وبلدية بسكرة الأهلية يوم 25 فيفري 1979 التي تدخل ضمن حيز تراب الجنوب العسكري قسمة باتنة مقاطعة قسنطينة ⁽³⁾، وضمن هذه البلدية واحة سيدي عقبة التي سنجد بعض سكانها يرأسلون رئيسها.

(1) ألبير قريفي: خلف شانزي كحاكم عام للجزائر في مارس 1879 وتولى هذا المنصب إلى غاية نوفمبر 1881 هو أخ رئيس الجمهورية جول قريفي (Jules Grévy)، كان خبيراً بالشؤون الاقتصادية إذ كان نائباً لرئيس لجنة الميزانية في البرلمان، كان من المتحمسين للنظام الجمهوري والحكم المدني في الجزائر كوّنّه كان مدنيا ولا صلة له بالحياة العسكرية. كما كان يؤمن بإدماج الجزائر في فرنسا، وفي عهده تمّ قهر ثورة جار الله (محمد بن عبد الرحمن أمزيان) بالأوراس وثورة بوعمامة في جنوب التّل.

(2) حول هذه الثّورة أنظر: عبد الحميد زوز، ثورة ابن جار الله (بوبرمة) بالأوراس سنة 1879، دار هومة، الجزائر، 2013.

(3) Cataldo Huber, op- cit, p:144.

على كل؛ فإنه منذ بداية شهر أوت 1879 بدأت الشكاوى من أهالي بلدة سيدي عقبة ترسل ضد ظلم قايد بسكرة وابنيه إلى مير بسكرة وإلى الحاكم العام للجزائر، من هذه الرسائل رسالة المدعو الصادق بن مبارك العقبي يوم 26 أوت إلى مير بسكرة يشكو له فيها ظلم قايد بسكرة محمد الصّغير بن قانة وابنه محمد بن الحاج شيخ بلدة سيدي عقبة جاء فيها ما يلي: "الحمد لله وحده سبحانه وتعالى ليكون في علم المعظم الأرفع السيّد المير بسكرة السلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد أني قد كنت اشتكيت بحالي لحضرتكم السعيدة في جوابي قبل هذا مؤرخ في أوت 1879 في شأن ما أخذ مني سي محمد الصّغير بن قانة وأولاده ظلما فإنه سمع محمد بن الحاج بن قانة بشكايتي إليكم أرسل دايرة إلى سيدي عقبة في يوم 25 أوت فرجعتني منها مربوطا وافجعتني وأفجع أولاد وأهلي وعذبني ذلك الدائرة في مسافة الطريق التي ما بين سيدي عقبة وبسكرة وأنا رجل كبير وصايم حتى حصل لي قرر العطش وقرر التعب في وقت الحر الشهير حتى غشي علي وأنا بين الدائرة كالمجرم وافضحني أمام ناس سيدي عقبة وناس بسكرة ووصلني الدائرة على تلك الحالة إلى بسكرة فقام إلى محمد بن الحاج غاضب وغيرني بقبيح كلامه ثم امرني بالذهاب إلى بير عرب فلما وصلت إليه قال الذي أخذت أربعين دور من الناس ولم يذكرهم لي فقلت له تعرف بأني كنت فاضل مدة 27 سنة واليوم أنا رجل كبير... " (1).

ومن الرسائل التي وجدت في العلبة والمواجهة لمير بسكرة، والمؤرخة في نفس اليوم والتاريخ رسالة المدعو الحاج البشير بن يحيى العقبي الملاك

(1) ANOM 2H35 et 37,

(رسالة الصادق بن مبارك العقبي إلى مير بسكرة في 26 أوت 1879)

بسيدي عقبة الذي بعد أن اشتكى ما لحق به من ظلم محمد الحاج بن قانة شيخ سيدي عقبة، وما لقيه من عذاب وإهانة في شهر رمضان والحر الشديد أمام أولاده وأمام سوق بسكرة والتهم الباطلة التي الصقت به ختم رسالته قائلاً ما يلي: "وأعلمك أيه السيد المير أني خفت وقوع الظلم مثل ما وقع على الأخضر بن العلمي الفلياشي الذي اشتكى معنا عند الكومسيون بواد الطاقة فإنه مسجون ظلماً منذ سبعة أيام على غير ذنب والسلام. الحاج البشير بن يحيى العقبي" (1).

لم يقتصر ظلم عائلة بن قانة على صاحبي هذين الرسالة بل تعد إلى آخرين بل طال ظلمه أهالي البلدة جمعاء، وكان جوره من قبل سببا في ثورة أهالي العامري، الذين لازال سكان واحة سيدي عقبة يتذكروا ما كابده البازيد ولزالوا يكابدونه من جراء ثورتهم. فرأوا أن إزاحة ظلم هذه العائلة قد يكون بمكاتبة الحاكم العام للجزائر نفسه لعله ينصفهم، فرفع له جماعة منهم شكاواهم، وهي الشكوى التي يظهر أن من حرّرها هو المدعو بلقاسم بن منصور، الذي ستذكره محاضر المكتب العربي أنه كان موظف طالب (معلم قرآن) بمسجد سيدي عقبة، وأن عدد الذين كتبوا الرسالة قد بلغ 24 شخص من خلال ذكر أسماءهم (2)، ويبدو من وظائفهم أنهم من أفاضل وأشراف البلدة. وحسب ما

(1) ANOM 2H35 et 37,

(رسالة الحاج البشير بن يحيى العقبي إلى مير بسكرة في 26 أوت 1879)

(2) هم: (محمد الصغير بن رجب، محمود بن العربي، محمد بن الصادق بن مبارك، محمد الصغير بن مبارك، محمد بن التهامي، محمد بن إبراهيم بن العابد، محمد بن الميهوب بن يحيى، إبراهيم بن محمد بن العربي، الحشاني بن بلقاسم بن عمار، محمد بن رجب، محمد بن عباس، بلقاسم بن منصور، محمد بن الطيب، علي بن ناجي، محمد بن لطيف، بلقاسم بن عبد الله، الحاج الصالح الصادق بن صالح، ابن العربي بن علي بن الحاج أحمد، الصادق بن السعيد، محمد

هو مدون في الرسالة أنها كُتبت يوم 30 أكتوبر 1879، وأن الذين كتبوها عادوا بظلم وجور قائد بسكرة محمد الصّغير بن قانة إلى سنة 1870 عند قدوم الجنرال لكروا⁽¹⁾ إلى الصّحراء وسنه خطية الحرب. منذ ذلك الحين اشتد ظلم آل بن قانة على سكان واحة سيدي عقبة بالسّخرة في بناء دار الحاج محمد بن قانة شيخ الواحة ثم حرمانهم من الماء لسقي نخليهم لصالح نخيله وغيرها من الأضرار التي ألحقها بهم مما تحدثت عنه الرسالة التي جات بداية فقرتها كما يلي: " في 30 أكتوبر 1879. الحمد لله وحده ولا رب غيره. المعظم السيّد المحترم القيصر نور بالجزائر السّلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد أيها السيّد فالمطلوب من فضلك أن تصغي لشكايتنا وتعتبر ما حل بنا من الجور والظلم الواقع علينا من قايدينا السيّد محمد الصغير بن قانة وولداه بولايتهم علينا بسيدي عقبة عساك أن تنقذنا مما نحن فيه. ولقد طال ما صبرنا وكبدنا وانتظرنا لفرج من الله كما ينتظر الصابرون عند قدوم كل حاكم جديد إلى وطننا حتى كلت نفوسنا وفترت قلوبنا فأول ما نعرف به سيادتك

الحشاني بن حمزة، محمد البسكرة، محمد بن أعمر بن السعيد. الأخضر بن عزيز، العربي بن رماني. الحاج سليمان بن القزان).

(1) بواتيفان دولاكروا دو فوبوا (Poittevin de Lacroix de Vaubois) تولى قيادة مقاطعة قسطنطينة في 13 جويلية 1871 خلفاً للجنرال أوجيراود (Augeraud) وانتهت مهمته على قيادة قسطنطينة سنة 1873 ليخلفه الجنرال ليبير (Liébert). ودولاكروا هو من مواليد 1810 تخرج من المدرسة العسكرية سان سير (Saint-Cyr) قضى معظم فترة حياته العسكرية في الجزائر إذ تقلّد في سنة 1840 رتبة قبطان وفي سنة 1858 رتبة كولونيل وفي سنة 1865 رتبة جنرال، شارك في الحرب الفرنسية البروسية سنة 1870 وتمّ أسره في ميتر (Metz) ثم أطلق سراحه في مارس 1871، عاد إلى الجزائر وكان له دور في مطاردة أولاد مقران والتأثر بوشوشة في الصّحراء الشرقية، توفي 1880.

هو قضية ماعنا المأخوذ علينا غصبا من غير رضاء منا ولا على وجه شرعي...". ثم ختمت الرسالة بالفقرة التالية: "...وما ذكرنا لك من ظلمهم نبذة قليلة وظاهر أنه لم يقع الظلم على أحد في الوطن مثل بلدنا وقد دخلوا بلدنا بالضرب والعصا والتطويق حتى صار أحد الناس بذلك. والسجن في بيت الجير فبذلك وقع الرعب في قلوب الناس وازداد خوفهم على الشكاية ولا نقدر على حصر ما وقع بنا إيها السيد فنطلب من كريم فضلك أن تنقذنا من أيدي هؤلاء الناس لقد طال ما ظلمونا وأكلوا أموالنا وأرزاقنا وتركونا فقراء ومشردين في الجبال (كذا..). في طلب القوات لأن ولايتهم علينا في المستقبل تؤدي إلى الهرج وربما يوصلنا إلى غضب الدولة ونحن لا نرضى بغضبها علينا ولا يخفاك حالنا لأن بلدنا صرت خربة بعد كانت روضة ومسنا الفقر الشديد وسببه قايدنا وولداه بولايتهم علينا وفي القانون أن الرعية إذا لحقهم الشيخ بضره يشتكون به إلى القايد وهو أبيهم فكيف يتسنى لنا الشكاية له الحاصل هنا عرفناك بحالنا والسلام من كافة أهل سيدي عقبة أعانهم الله على مرغوبهم" (1).

لكن كما يبدو من محاضر استماع المتهمين الصادرة من المكتب العربي ببسكرة بتاريخ 25 أفريل 1880 أمام ضابط الشرطة القضائية، أن إدارة الاحتلال قابلت أصحاب هذه الرسالة والشاكين من ظلم آل بن قانة بالسجن، وألبستهم تهمة إثارة الاضطرابات في الواحة وتحريض السكان على مقاومة أوامر السلطة الفرنسية، فكان من هؤلاء الذي سجنوا في سجن باتنة وظلوا

(1) ANOM 2H35 et 37,

(رسالة أهالي سيدي عقبة إلى الحاكم العام للجزائر مؤرخة في 30 أكتوبر 1879)

يراسلون السّلطات الاستعمارية الفرنسية بطلب الإفراج عنهم هم الآتية أسماهم
(1):

الاسم	العمر	المهنة
بلقاسم بن منصور	52	طالب موظف بمسجد سيدي عقبة
لحسن بن التّوي	70	أمين مخزن بمسجد سيدي عقبة
الطّاهر بن سي لحسن	18	مؤذن مسجد سيدي عقبة
محمد الصّادق بن مبارك بن عمر	65	ملاك، قاضي قديم
علي بن العربي	42	ملاك
بلقاسم بن عبد الله	50	ملاك
الحاج الصّادق بن الصّالح	62	ملاك
الحاج البشير بن يحيى	65	ملاك
محمد بن عباس	45	ملاك
علي بن رجب	35	تاجر

من خلال رسالة هؤلاء المسّجونين في سجن باتنة إلى الحاكم العام للجزائر يوم 16 جانفي 1881 يظهر أنهم حتّى هذا التّاريخ قد لبثوا تسعة أشهر، وأنهم بعثوا له رسالتين: رسالة يوم 4 أوت 1880 وأخرى بعدها بشهر يوم 12 سبتمبر بيّنوا له فيهما ظلم قائد بسكرة وولده شيخ واحة سيدي عقبة اللّذين حاكا لهم المكائد والأباطيل حتى أدخلهم السّجن. وذكروا له فيها أيضا ما لقوه من عذاب في السّجن حتى مات واحد منهم من شدة البرد وهو المدعو لحسن بن التّوي، وهذا بعض ما جاء في نص هذه الرّسالة:

"نعم سيدنا فالمطلوب من الله ثم سيادتك العالوية أن تنتظر قضيتنا لأن رجائنا فيك غير منقطع وأمالنا فيك غير ما يؤس لأنه طال سجننا واضرنا

(1) ANOM 2H35 et 37, (Formule de procès-verbal d'interrogatoire d'un accusé, Bureau Arabe de Biskra, Cercle de Biskra Subdivision de Batna, Le 25 avril 1880).

المرض حتى مات سي الحسن بن النوي ولا يخفا سيادتك السنية باتنة موصوفة بشدة البرد وأكثرنا شيوخ كبار السن ولنا مدة تسعة أشهر ننام على البلاط من غير فراش ونحن قلوبنا سالمة وخدمتنا للدولة صافية وما عندنا عيب أصلا وقد تركنا أهاليها وأولادنا جياعا مهملين وضاعت أملاكنا وفوائدنا وتقطعت أعضنا نعم سيدنا فالمرجو من كريم فضلك وجزيل إحسانك أن لم يبلغ بيديك الرسائل المذكورتان بالأعلا أن تأمرنا بأمرك الشريف وقدرك العالي المنيف أن تعرف سيادتك بما حل بنا مفصلا كل مقال على حدته وقد رسلنا الرسائل المذكورتين بالبوسة في تاريخهما المذكور بالأعلا والسلام من خدامك أهل سيدي عقبة المسجونين بباتنة. في 16 جانفي عام 1881"⁽¹⁾.

خاتمة

ختاما لهذه الدراسة يمكن القول: أن جذوة المقاومة في منطقة الزيبان لم تنقطع منذ أن وطئت أقدام الاحتلال الفرنسي المنطقة، رغم سياسية القمع المسلط والمشاهد المروعة بعد كل ثورة يقوم بها سكانها، مثلما هو الحال مع ثورتي الصادق بلحاج، والبوازيد اللتان أعقبتا ثورة واحة الزعاطشة سنة 1849، وتعرض أهاليها للقمع الشديد.

ومما يمكن استنتاجه أيضا بعد هذه الدراسة؛ أن ظروف ودوافع ثورتي الشيخ الصادق بلحاج والبوازيد مختلفة، وإن اتفقتا في الهدف وهو مقاومة الاحتلال الفرنسي وسياسته المتبعة لإخضاع سكان المنطقة، فإنهما اختلفتا في الأسباب، فثورة الصادق بلحاج كانت ضد السياسة التعليمية التي كان الاحتلال

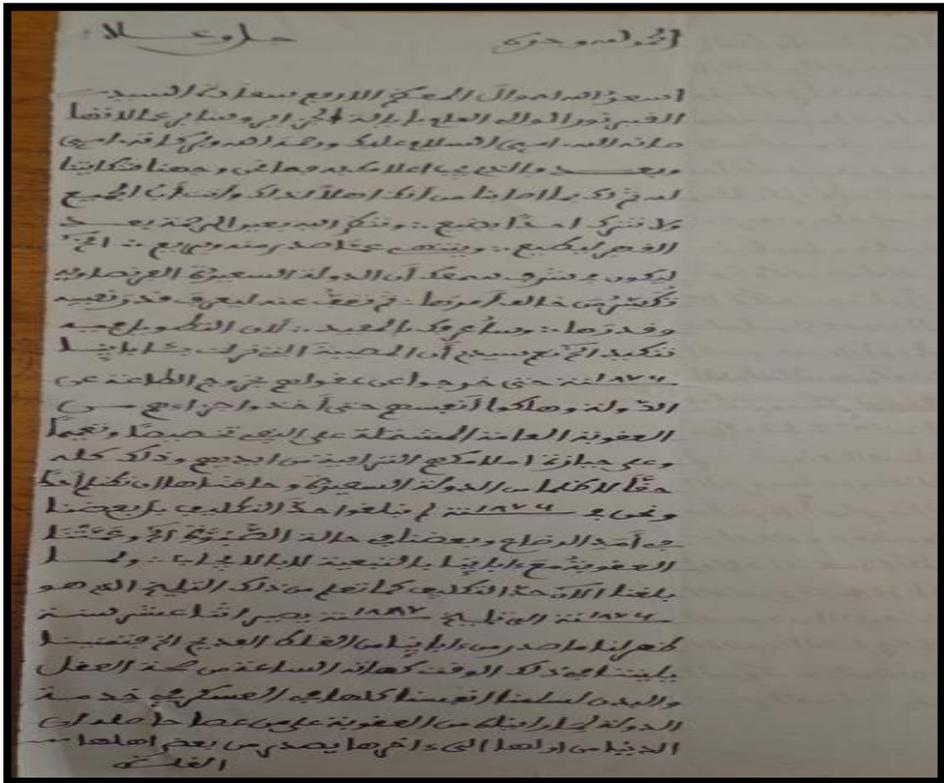
(1) ANOM 2H35 et 37,

(رسالة أهال سيدي عقبة المسجونين بباتنة إلى الحاكم العام مؤرخة في 16 جانفي 1881).

فرضها أبناء الجزائريين وهو إحلال التعليم الفرنسي على الجزائريين محل التعليم العربي وذلك بإنشاء مدرسة فرنسية في بسكرة، وإن كان الشيخ الصادق سبقا في المقاومة والانتخا في الجهاد منذ سنواته الأولى للاحتلال. فإن ثورة البوازيد كانت ضد ظلم القياد ومكتب الشؤون العربية، وهو الظلم نفسه الذي تعرضوا له أعيان واحة سيدي عقبة بداية من سنة 1879.

الملاحق:

ملحق (1): (رسالة المنفيين من البازيد فرقة أولاد سعود بلدية عين القصر دائرة باتنة إلى الحاكم العام للجزائر بتاريخ 4 ديسمبر 1888).



المصدر: أرشيف ما وراء البحار أكس أن بروفنس بفرنسا (ANOM 2H89-90)

القتل، المفاد من كمال من الله، والامور بهيكم وثانها
 ان الناصر الذي حضرته في العسباد سنة ١٨٧٤م
 ورسوله في اخذوا من اربع من النعم التي كالدون وثانها
 وما من من ما سواها من العاقبة فكثيرها قوسى دلت
 الله عليه ونفى نفعه قابل للاعتراف به وهو كلابية
 حاملة يسبح في هو من الله ثم منكم العفو عما سلف
 ومثان كل دولة العفو بعد القدرة ومثلك لا يحتاج
 لتعريفه وحاصل مرغوفنا من سبيل ذلك ازالة النفي
 علينا وما جعلته الدولة علينا او كلابية مناس
 فو ذكركم ان فسلك الله واولد بعد ما جيبنا نفسنا فضلا
 عما نزلكم ايدينا قل او حل ذبح يسبح انما جاز
 علينا من العفونة المذكورة في الملاحم وهو من
 استوجبه اياها ونفى بالنيعة وانما ان نفع
 الدولة السعيرة علينا في المستقبل وهو من الذي
 الكلم ومثلك ~~الذي~~ لا يرضى به ولا يرضى من شأنه
 من كونه سنة ١٨٧٤م لكاننا حين كاننا غايبين
 لم نحضر ابي العسباد أصلا وذلك هو الخوف في نفس
 الامر وما هو مثلنا في العفونة بالنيعة النسوة
 من أن نرى له مثل الصياد وحيه كجلبه ود من
 من امن الله وعظه والس ~~الامر~~ من هذا أمك
 اولاد اسعد الكلابين في ولاتة بلاتة داركم
 العصر معرفة من الاباز يد من المرازون على من
 السعيد بن الصبيح بن علي بن المسعود بن العز بن عبد الله
 بن احمد بن الدراج بن افندي بن القنود بن عبد القادر بن
 البروك بن داون بن علي بن الهامل بن القوي
 امته الله امي سنة ١٨٧٧م

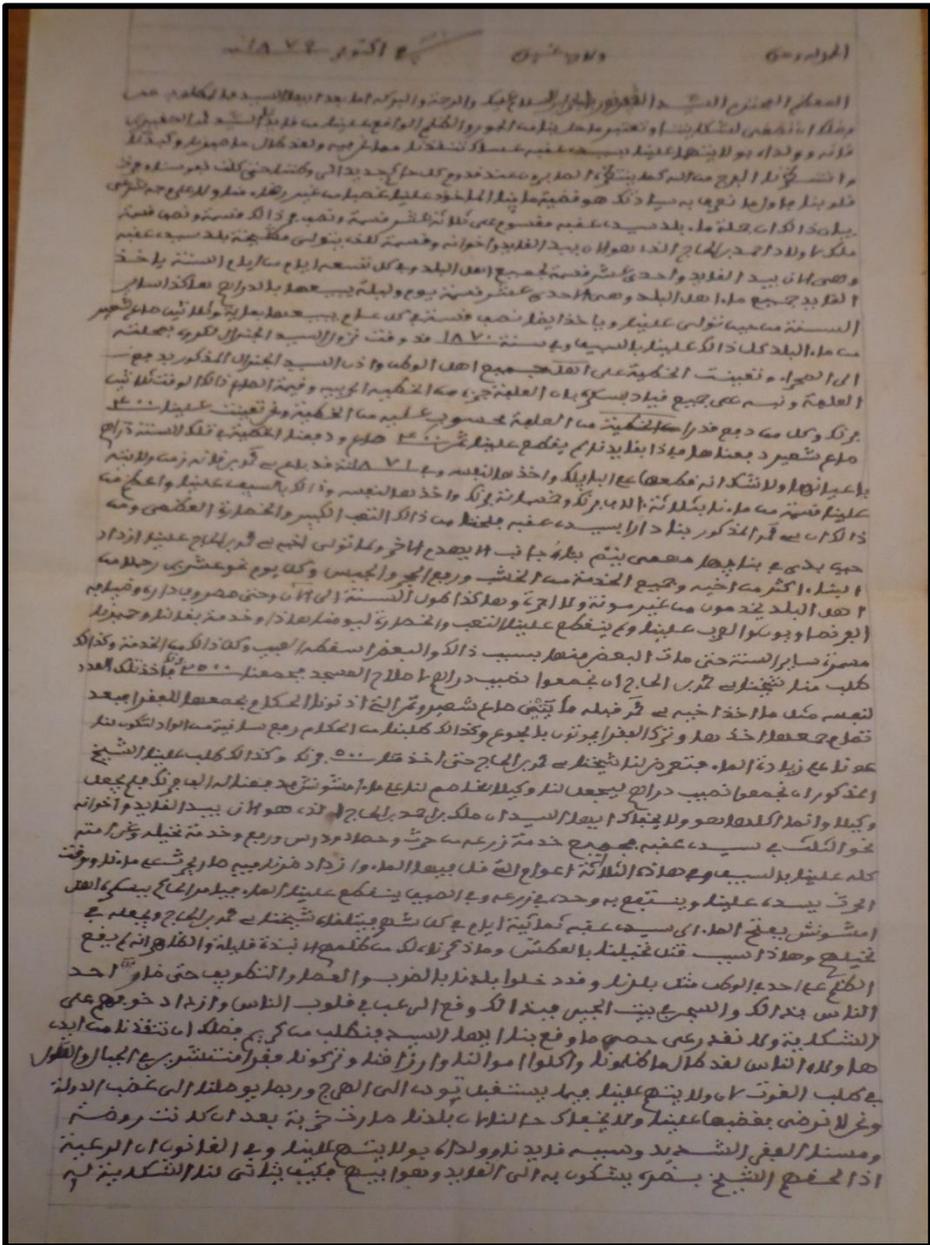
ملحق (2): (رسالة المنفيين من البازيد فرقة أولاد أيوب بدوار بكارية بتبسة إلى الحاكم العام الجزائر بتاريخ 7 جانفي 1889).

اسعد الله احوال المعظم الماروق العلم الاعز
 العتيق وسعادة السبع القبر نور خير الحاكم
 على العائلات الثلاثة الجزاير وسائر جهات طان
 الله بعينه وكراميه امين التملك عليكم ورحمة الله تعالى
 وبركاته وحيته ورضوانه وخيراته واحسانه نعم سيدنا
 والدم ينصلي لعزير مقامه والواجب به اعلامه فرحنا
 الابن زيد فرسخ اولاد ايوب المنفيين يا تبسة منذ
 الى يوم التاريخ ونحو بالوكى المذكور وكالات تبلا المدة
 وعدت من العباد والخرف الفلوب من كحول المدة واحتموي
 علينا الوقت ما قلنا ما يبعنا من الواشيسيب البلاخ لالتين
 بالبلوالغرم من البرطلم يصح تسيى. لناوم جدد بما نتعش
 به وتجميع العرش المذكور كلها تا طلع الحسيسر مثل
 الزوايا يسبب ذلك توفعت الموتى العباد من اكل
 الحسيسر والجميع الراخية وتجميع الاعراض البلاء من
 كلها خرجت لها الصافات والسلف سوى نحى
 لي جدد في السلف ولا صدفه ولا كلف وصار علينا
 الغلب من الهج والجموع ونفى في العاوله العاليه ورجالها
 الختولير بالعباد والاصناف تحق الحق وتبطل الباطل
 وتعالى القلوب والضعيف ونحو اولادهم وتسا محنا
 على السابفة ونح نعلم عيب بسبب كغارة الوقت
 وجميع من غلك من اباينا كلمه ملت ونح يافى صفار
 بالكلوب والمرغوب من طريق فقلع نح علينا بالتسريح
 الى حكم يسكن لكي نحى علينا البلاخ والعباد وتتمس
 واما هذا البلاخ لي تليف بناوم تشغف بمالنا جيبى
 نكلب التسريح الى الصغر واللابعض من البلاخ ان
 لكي نبيع ونشتريه لي يسمع كلامنا الحاكم علينا
 كفت بنا المصرة اكرم من ذلك ويا قيسى منكوفيى
 اولاد بكاريه فقط جهاننا وجهنا جواينا وكليتنا الله
 اننا والسلف من خدمته ومجيب التزوي من تحت افكنا
 جماعة الابن زيد اولاد ايوب منهم اقوليد بن السبعين
 العلم بن المسعود والتم بن محمد والسعود بن محمد
 والمسعود بن ابراهيم ومحمد بن ابوايكر ومحمد بن
 العرش الكندسور حكار بكاريه

المصدر: أرشيف ما وراء البحار أكس أن بروفنس بفرنسا (ANOM 2H89-90).

الملحق رقم (3): رسالة أهل سيدي عقبة المسجونين بباتنة إلى الحاكم العام مؤرخة في 16

جانفي (1881)



المصدر: أرشيف ما وراء البحار أكس أن بروفنس بفرنسا (ANOM 2H35 et 37).

الحلقات هلا ناعر جنك عالنا والاسلام من كلمة اهل بيده عقيب اخذنا نوح اليه
 مرغوب وبع فونالو الساجي الساد من على كلالته كعشر فستة وذهب جهوتكك من الكلالته
 ماء سيده عقيب كله معلوك على انش عشر فستة وذهب بعبك واحا الفستة الكلالته عشر جهن
 ماخوذة قلة كماله جهل والماء الماخوذ منا كماله خمسا كل ملاه سيده عقيب كله والاسلام
 محمد السفر رحمته الله ثم ودين الله عقيب محمد الطاهر بكر محمد الخيري عقيب
 محمد بن النعمان ثم من ابراهيم بن العابد محمد الوهاب بن محمد واندا ابراهيم بن ابي العباس
 الحشاشي بن بلقاسم بن عمار الكوفي

محمد بن يحيى عقيب محمد بن ابراهيم

بلقاسم بن منصور عقيب محمد بن كليب عقيب

عاقلي بن ناجية العقب طهر بن كليب عقيب

بلقاسم بن عبد الله عقيب

الحاج الصادق وطرالم عقيب

محمد الهادي بن الشيرازي عقيب

عقب البستكي عقيب

انابن العباس بن علي بن الحاج احمد

محمد بن ابي عبد الله السعدي

الصلاح بن الصعبي

الاخضر بن ابي يحيى عقيب

الحاج ابي اسحاق بن ابي العباس

اصغر بن مانيه

الطبيب عبد القادر بن زهرة من خلال ملفه في الأرشيف الفرنسي

1885-1861

The physician Abdelkader Bin Zahra according his file in the
French Archive 1861-1885

أ/ يحيى بن فطيمة

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 02

الملخص

نروم من خلال هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على إحدى الشخصيات المغمورة في مجال الطب الذين تخرجوا من مدرسة الطب الفرنسية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، ونخص بكلامنا ضابط الصحة "عبد القادر بن زهرة"، الذي عثرنا على ملفه بين محفوظات أرشيف أكس أو نيفروفس Aix-en-Provence حيث يحتوي هذا الملف على عدد من الوثائق الخاصة بالمترجم له، نستعرض من خلالها مختلف مراحل حياته، ونعرج على نشاطه الطبي وعلاقته مع الإدارة الفرنسية خصوصا عند عمله في الجنوب، حيث تلقى عبد القادر بن زهرة صعوبات جمة مع المناخ والإدارة العسكرية في تقرت.

Abstract

Westrive through this Through this researchpaper, weaim to shed light on one of the unknown figures in the field of medicin ewhograduatedfrom the French School of Medicin eduring the colonial period. The documents related to him, through whichwe aix-en provence stages of his life, and seehismedicalactivities and hisrelationshipwith the French administration, especially when working in the south, where Abdul Qader ben Zahra facedmanydifficultieswith the climate and the military administration in touggourt.

مقدمة

بدأ اهتمام الإدارة الفرنسية بعلاج الجزائريين منذ بداية الاحتلال، حيث قام الأطباء العسكريون بتقديم مساعدات كالعلاج وحملات التلقيح¹، محاولين كسب ود القبائل، ولكنهم كانوا كذلك مطالبين بمعرفة عادات وتقاليد القبائل الجزائرية لتحديد نقاط ضعف سهولة السيطرة عليهم، وبالتالي كان هناك رفض قاطع من الجزائريين للطب الفرنسي، ما اضطر بالإدارة إلى توظيف أطباء جزائريين سواء كانوا ضباط للصحة أو دكاترة ليتيسر لهم تمرير مشروعهم الاستعماري عبرهم، ومن بين هؤلاء ضابط الصحة "عبد القادر بن زهرة" الذي عثرنا على ملفه محفوظا في أرشيف اكس اونبروفنس Aix-en-Provence في السلسلة "U" يتضمن 60 وثيقة بين رسائل مع الحاكم العام، أو شكوى أو قرارات التعيين، وانطلاقا من هذا كيف كان تعامل الإدارة الاستعمارية مع الأطباء الجزائريين خصوصا مع ضابط الصحة عبد القادر بن زهرة ؟

وقد قسمنا هذا المقال إلى 3 محاور رئيسية:

- المحور الأول: الأطباء العسكريون في خدمة الاحتلال.
- المحور الثاني: الأطباء الجزائريون والإدارة الاستعمارية.
- المحور الثالث: عبد القادر بن الطيب بن زهرة وملفه الأرشيفي.

أولا/ الأطباء العسكريون في خدمة الاحتلال

إن أول طبيب دعا إلى ضرورة تعميم الفحص والعلاج للجزائريين هو الطبيب "جيسكارد" حيث أسس مستوصف خاص للجزائريين بدالي إبراهيم، أما

1 حول تمرير مشروع الحضاري الفرنسي وكسب ثقة القبائل أنظر وجهات نظر الطبيب برتراند السياسية، الإنسانية، العلوم:

- E.L Bertherand, **Médecin** et hygiène arabe, GERMER LIBRAIRE EDITEUR, Paris, 1855. Pp 551-556.

الدكتور بوزان، فقد شرع في تنظيم حملة مشبعة بسياسية طبية دعائية " politique médicale de propagande تحت شعار تعميم الهياكل الصحية عبر كل المناطق الجزائرية ووضعها في متناول الجزائريين وذلك حتى يرتبط الاحتلال العسكري للبلاد بالإجراءات الصحية والخدمات الطبية، لجعل الجزائريين يؤمنون بأن فرنسا احتلت الجزائر لتمير مشروعهم الحضاري¹، فقام بتأسيس مشروع مركز الإسعاف بوفاريك في جوان 1835، وأصدر بخصوص ذلك إعلان باللغة العربية بعنوان " تخبير إلى المرضى جاء فيه " إن الذين كانوا يداونون المرضى بسوق بوفاريك، فالآن أصبح مكان المداواة في "السيطار" الذي عملوه بغرب السوق المذكور، ويلطفونهم ويحسنوا إليهم لوجه الله الكريم باطل، سواء كانوا رجالا أو نساء أو صغارا ولا يؤخذ منهم أي درهم وهذا السيطار مخصص للعرب والسلام².

كما قام كذلك الطبيب بوزان باقتراح برامج صحية كبرنامج اللقاح ضد الجذري الموجه للجزائريين وقد تم قبول العرض من طرف المسؤول المدني، ورئيس البلدية، والمفتي، والقاضي، وخصص سجل بدار البلدية لأجل التطبيب فجاء في المنشور "علم إبراء داء الجذري لكل من يريد باطل لوجه الله، وجميع العيال الذين عندهم أبنائهم مرضى بهاد الداء يستحق أن يقدموا مع أولادهم في كل يوم خميس من وقت لعلام إلى الثانية بعد الظهر، ليأخذوا لفصد ويفصدوا أولادهم"³. أي أن جميع عمليات التلقيح ستكون مجانا يوم الخميس في الفترة الصباحية إلى منتصف النهار، وقد أوضحت الرسائل بين محمد بن

1قلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال

الفرنسي 1815-1870، منشورات بن سنان، 2013، ص389.

2FR ANOM, F80 678, GGA document N°11.

3FR ANOM, F80 678, GGA document N°7.

علال بن سيد اعلي مبارك، مدى التأثير الذي كان يمارسه عليه الدكتور بوزان وعلى قبيلته فكانت الرسائل كالتالي: "إلى المعظم الأرفع السيد الطبيب الحاكم العام السلام عليك كثير السلام، من عند محبك على الدوام محمد بن علال بن مبارك، نحن بخير وعافية ولا ينقصنا إلا الالتقاء بك، في ساعة سعيدة" ثم يسرد أخبار الموتى من قبائل مزاية وجعوط والقليلة وذلك بتاريخ ذي الحجة 1250 هـ سنة 1835م¹. أما بيجو فقد أطلق فكرة الطب قبل المدرسة سنة 1844 وتم دمجها في الإدارة وحاول تطوير الفحوصات الطبية وتوزيع الأدوية كما وروجت لهذه الفكرة الصحافة الاستعمارية الفرنسية².

ثانيا/ الأطباء الجزائريون والإدارة الاستعمارية

بعد أن وجد الأطباء العسكريين الفرنسيين صعوبات جمة في التعامل مع المسلمين، قرر تأسيس مدرسة الطب لتكوين أطباء جزائريين، ولكن بسبب الشروط الموضوعية تم التحاق عدد قليل منهم فقط، وكان أول أطباء الجزائريين الذين تدربوا في المدرسة الفرنسية يطلق عليهم "ضباط الصحة" لأن تدريبهم استغرق ثلاث سنوات، وتم افتتاحه في كلية الطب بالجزائر العاصمة التي أنشئت عام 1857، وللحصول على رتبة دكتور وجب على الطالب أن يسجل في جامعة فرنسية للطب ودراسة ثلاثة سنوات إضافية³. جاءت المبادرة الأولى لتكوين ضباط أو أعوان الصحة مسلمين من قبل الأسقف لافيجيرى الذي - بسبب مجاعة الستينات - كان لديه أكثر من ستمائة يتيم متعلم في الجزائر

1FR ANOM, F80 678, GGA document N°5

2 فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 227.

3 مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، منشورات ANEP،

ومرسيليا وسان لوران. وكان من هذه المجموعة 140 تتكون من الشباب العرب في العاصمة، والذين تحول العديد منهم إلى الإسلام فيما بعد، وقد استخرج لافيجيري الأطفال الأربعة الأكثر ذكاءً من أجل قيادتهم، بعد البكالوريا، إلى دبلوم الطب السريع¹.

ثم جاءت المبادرة الثانية من قبل الحكومة العامة في الجزائر، من خلال الجنرال Chanzy شانزي الذي اتبع نفس المنطلق من خلال استخراج عشرات الأطفال الموهوبين الصغار، وفي بعض الأحيان كان الاختيار عن طريق الصدفة -كما حدث مع عبد القادر بن زهرة-، من أجل النهوض بهم بطريقة متسارعة من خلال الدورات المقدمة في الجزائر. ولا ننس بالطبع بعض السوابق مثل الدكتور "علي برشي" الذي كان طبيبا "بالفندوك" بين عامي 1869 و1887²، ونذكر كذلك، علي بن محمد بلوك باشي، بن جادو الجيلاي، محمد بن لعربي بن مصطفى، محمد بن سعيد³، عبد القادر ولد بوزيان الذي ناقش أطروحته سنة 1892 في جامعة مونبوليه⁴.

1 Bertrand Taithe, Entre deux mondes : médecins indigènes et médecine indigène en Algérie, 1860-1905, in LA SANTÉ DES POPULATIONS CIVILES ET MILITAIRES, Nouvelles approches et nouvelles sources hospitalières, XVIIeXVIIIe siècles,Élisabeth Belmas et Serenella Nonnis -Vigilante, Presses universitaires du Septentrion, Villeneuve d'Ascq, 2010, p105

2 IBID.

3 تمكنت من الاطلاع على عدد كبير من الأطباء الموجودة في السلسلة 1U، منهم الدكتور عبد القادر بن زهرة، إضافة إلى الطبيب مرسلي في علبة 1U 147، أما الآخرون لم يسعفني الوقت للاطلاع على العلب الخاص بهم على غرار بن جادو الجيلاي، محمد بن لعربي بن مصطفى، محمد بن سعيد تحت رقم 1U68.

4 Abdelkader ouled Bouzian , RECHERCHES SUR L'HEMATOZOAIRE DU PALUDISME FAITES A L'HOPITAL CIVIL DE MUSTAPHA

إن الغرض الرئيسي من تكوين أطباء جزائريين وضباط للصحة، يكمن في محاولة كسب الجزائريين عبر بني جلدتهم، حيث يرى لافيجيري تعزيز الموقف البابوي بشأن دور الطب والعمل الخيري في العمل التبشيري¹، ويعتقد لافيجيري أيضا أن الطب يجب أن يكون بمثابة مقدمة للحدث المسيحية، لقبول المتحولين (المرتدين) داخل المجتمعات الإسلامية، وبصورة غير مباشرة إلى تبني الديانة الكاثوليكية.

إنه منظور يستخدم الطب، لتحديث الوظيفة الخيرية لفعل الإيمان. أما بالنسبة لإدارة الحكومة العامة، فإن الأمر يتعلق بإيجاد متطوعين للوظائف البعيدة التي لا يريدونها أحد، وكذلك إيجاد هذه الأدوات المندمجة للتعاون العميق واستخدام الأدوية لأغراض التهيئة².

لم يستقبل منصب ضابط الصحة عددا كبيرا من المترشحين الجزائريين نظرا لسياسة التمييز العنصري بينهم وبين الأطباء الفرنسيين، إضافة إلى العراقيين التي تحيط بهم من كل جانب من قبل الإدارة الاستعمارية، وذكر الأستاذ مصطفى خياطي في كتابه حول " إحصائيات الأطباء الجزائريين " كانت نتائج مدرسة الطب بالنسبة لخبذة للأهالي بالكاد مهزلة، فمنذ سنة 1857

ALGER ,thèse doctorat en médecine , Montpellier , 20 décembre 1892, MONTPELLIER IMPRIMERIE CENTRALE DU Midi,1892.

1 هذا ما لمسناه من خلال كتاب الأب بوزري حول الأزمت التي ضربت الجزائر في ستينات

القرن التاسع عشر حيث قاموا بتوزيع الأدوية والطعام واستغلال المجاعة للتبشير أنظر:

- Abbe Bouzret. Histoire des désastres de l'Algérie, 1866-1867-1868, sauterelles, tremblement de terre, choléra, famine, imprimer central Algériennes, Alger ,1869.

2Bertrand Taithe, Entre deux mondes: médecins indigènes et médecine indigène en Algérie, op cit , p107.

إلى 1905 سجل 33 من أبناء الجزائريين فيها، 3 في الصيدلة، 12 تحصلوا على شهادة ضابط صحة، و 6 على شهادة الدكتوراه في الطب¹.

ثالثاً/ عبد القادر بن الطيب بن زهرة وملفه الأرشيفي

يعد ضابط الصحة عبد القادر بن الطيب بن زهرة من الجزائريين الذين لم يعنوا بدراسة جادة حول شخصيته وحياته، عدا إشارات طفيفة في مقال لـ "Bertrand Taithe" ودراسة حوله للأستاذ الطبيب مصطفى خياطي، وقد وجدنا ملفه محفوظاً في أرشيف اكس تحت رقم 1U1.

1-نشأته ودراسته

ولد عبد القادر بن زهرة سنة 1861، وقد تعلم القراءة والكتابة متأخراً عن أقرانه الأوروبيين في سن العاشرة من عمره، وتعرض كباقي الجزائريين للتمييز والعنصرية والمعاناة من قبل الإدارة الفرنسية والعسكريين خاصة، ونجد أنه أشار إلى قصته في رسالة موجهة منه إلى الحاكم العام مؤرخة في 30 ماي 1884 يقول فيها: "في العاشرة من عمري أتيت من الريف حيث لم أر أوروبياً قط، دخلنا إلى قوات الزواف، وهناك تعلمنا القيام بالأعمال المنزلية والجمباز (يقصد تدريبات عسكرية) بدلاً من القراءة والكتابة. في عام 1874، كنت في الثالثة عشرة من عمري ولحسن الحظ، جاء الجنرال "تشانزي" لإجراء معاينة للقوات في البليدة وأمر باقتراح طفلين للمدرسة الثانوية في الجزائر العاصمة. وفعلت كل ما بوسعي لأكون من المتميزين فيها، وبسبب التحاق المتأخر لم أدرس اللاتينية"².

1 مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 309.

2 lettre de Abdelkader ben Zahra officier de santé au gouverneur général, 28 mai 1884, FR ANOM, GGA 1U1.

ثم اجتاز عبد القادر بن زهرة مسابقة السنة الرابعة عام 1879 للمنح الدراسية في مدرسة الطب بالجزائر، ثم يضيف قائلاً في الرسالة واصفا حسرته وتأسفه وطامعا في منصب لدى الحكومة العامة: " أريد أن أومن أن السياسيين يواصلون التشجيع إلى الآن وأن مكاتبهم ستشجع الأطباء الجزائريين وذلك لتحفيز بلادنا لتتطور وتحضر، أما الآن أنا بشهادتي كعون للصحة أجد نفسي بلا مداخيل، سيدي الحاكم العام إذا طلبت منك الوظيفة فإن الضرورة القصوى هي التي دفعتني لذلك، لدي عائلة كبيرة، ولا يتكفل بهم غيري، لدي أخوان صغيران لا يستطيعان تجاوز غمار الحياة ، وأختين صغيرتين وأم فقيرة، أبي توفي منذ 15 سنة وأعلم جيدا إنني إذا ذهبت إلى تقرت فإن الموت هو مصيري¹، ولكني سأقبل العمل هناك بصفة مؤقتة لأجل عائلتي الفقيرة"²

إن هذه الرسالة تبين بشكل واضح مدى تأسف بن زهرة حيال الوضعية الخاصة بأعوان الصحة الجزائريين، ونكران الإدارة الفرنسية وعودها بالنسبة لهذه الفئة، مع التمييز والعنصرية. وتتجلى هذه العنصرية أكثر عندما توسط لبن زهرة السيناتور لوليافر (le lièvre) في عمالة الجزائر الذي قام بطلب منصب عمل له كطبيب الاستعمار في ماي 1884، ولكن تم رفض طلبه متحججين بقانون 23 مارس 1882 الذي لا يسمح لضابط الصحة أن يرتقي

1 في وثيقة أخرى تفسر هذا القول ذكر عبد القادر بن زهرة في رسالة تعيينه انه جاء خلفا لمحمد بن مصطفى، وجيلالي بن فياح وهما عونين للصحة جزائريان لاقا حثقهما في "تقرت" بسبب العدوى والأمراض وسوء الأحوال المعيشية هناك أنظر:

-Abdelkader ben Zahra officier de santé en congé a Alger au gouverneur général FR ANOM, GGA 1U1

2Ibid.

إلى مصاف الأطباء، ومن هنا نرى أشد حالات التمييز بين الجزائريين والأوروبيين في الميدان الطبي، لأنهم تكونوا كضابط للصحة وليس كدكاترة¹.

2- تعيينه

أصدر قرار للحاكم العام في 20 جوان 1884 يتضمن ثلاث مواد لتعيين عبد القادر بن الطيب بن زهرة ضابطا للصحة وطبيبيا للاستعمار في تقرت، ويأخذ راتبه من ميزانية البلدية الأهلية لبسكرة قدر ب 4210 فرنك سنويا². إن عمله كطبيب في تقرت جعلته يعاني من عدة نواحي، فأصابته الملاريا هو وزوجته ما أضطره للرجوع للتل حيث يقول: " إن الأحوال السيئة بسبب تأثير المناخ الصحراوي على زوجتي الشابة جعلها تعاني من الحمى، ولهذا السبب أطلب من سيادتكم منحي عطلة لمعالجتي ومعالجة زوجتي في التل وأؤكد أن غيابي لن يضر بالخدمة الصحية في تقرت"³. وبالتالي واجهته مشاكل عديدة لعدم شغله منصبه إلا لأربعة أشهر سنة 1885، أبرزها مشاكله مع البلدية التي آثرت الاحتفاظ بمبلغ 4200 فرنك لميزانيتها على أن تسددها كأجرة لطبيب دائم التغيب⁴.

من ناحية أخرى كان بن زهرة الذي يمثل الإدارة المدنية في صراع مع الطبيب العسكري الفرنسي، كما أنه كان نشيطا وغير محبوب من الفرنسيين فلم يتركوه يتمتع بالسلطة المخولة له، حيث كان يطالب بالأموال لشراء اللوازم

1, lettre de gouverneur général au le lièvre sénateur de département d'Alger; mai 1884, FR ANOM, GGA 1U1.

2GGA, Arrêté de gouverneur général le 4 juin 1884, au sujet de nommé Abdelkader ben Zahra officier de santé, FR ANOM, GGA 1U1.

3lettre de Abdelkader ben Zahra officier de santé au commandant supérieur de cercle de Biskra, 23 avril 1885, FR ANOM, GGA 1U1.

4Le général commandant de la division de Biskra au gouverneur générale ,4 mai 1885, FR ANOM, GGA 1U1.

والدواء وتقديمها مجاناً للسكان الجزائريين ما سبب لهم عدة مشاكل وأدى ذلك لرفع تقارير ضد للحاكم العام. كانت السلطة العسكرية دائماً ما تجعل حياته عسيرة وتمنعه من أداء مهامه على أكمل وجه، لأنه كان المنافس لهم والوسيط بينهم وبين السكان الجزائريين يقول في هذا الصدد: "...دون أي اعتبار للمنصب الذي أشغله كطبيب مسؤول من قبلك في الخدمة الصحية في تقرت، ودون الالتفات إلى الجهد الذي نجعله أنا وزوجتي الشابة (فرنسية) لدعم الوجود المؤلم في هذه العزلة الرهيبة في الصحراء بعيداً عن عائلتنا وأصدقائنا وكل علاقات العالم الحضاري والفكري، فإن السلطة المحلية العسكرية تحب أن تضعني باستمرار في موضع الانزعاج، لمنعني من أداء خدمتي والإساءة إلى تقديري لذاتي، ودفعتهم الجرأة إلى ضربني أثناء القيام بواجباتي، حتى الآن سيدي، لا أعتقد أنني أخطأت في واجبي، لقد بذلت قصارى جهدي لأستحق الشرف لأنك وثقت بي لقد كنت دائماً في مستوى مهمتي، و أنا آسف فقط لأن سلطة البلاد لم تبالي بجهودي"¹. وفي رسالة أخرى أكد أن الرائد سيشرر (scherer) كثيراً ما أهانه وأعتدى عليه أمام الملأ وبحضور شخصيات كالأغا وقائد الصبايحية الذي اشترى ذممهم كي لا يدلوا بشهادتهم ضده².

3- استقالته

في رسالة إلى قائد العسكري لِبِسْكَرَة يوم 14 أوت 1885 طلب بن زهرة الذي كان في عطلة في مدينة الجزائر استقالته ذاكراً أسبابه التي دفعته إلى

1lettre de Abdelkader ben Zahra au gouverneur générale, 10 Mai 1885, FR ANOM, GGA 1U1.

2lettre de Abdelkader ben Zahra au gouverneur générale ,7 Mai 1885, FR ANOM, GGA 1U1.

ذلك: "سيدي القائد، باعتبار السنة الحارة بشكل استثنائي في الصيف في تقرت، يشرفني أن أطلب منك أن تجعلني متاحًا لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر أخرى أو تقبل استقالتني، لا أستطيع تحمل الحرارة الكبيرة"¹. تجدر الإشارة أننا وجدنا أن عبد القادر بن زهرة، انه كان المسؤول عن الصحة في السفينة البخارية "Galtia"، التي كان على متنها 200 حاج وتمر بعدة موانئ على سواحل الجزائر وتونس انطلاقًا من بجاية، وكلف بحمل هدية إلى شريف مكة من الحكومة الفرنسية سنة 1892² قام باشتراك قدره 5 فرنك لصالح بلدية maison-carrée سنة 1909³.

خاتمة

نستنتج من خلال هذا الورقة البحثية الطريقة التي أنكرت بها الإدارة الاستعمارية وعودها اتجاه ضابط الصحة عبد القادر بن زهرة، أي أنها كانت بوجهين لعملة واحدة، انطلاقًا من الهدف المصرح به للطب الاستعماري وحقيقة الغرض من تطبيق السياسة الصحية لتجاه الجزائريين، كما نلاحظ معاناة الأطباء الجزائريين والتضييق عليهم من قبل زملائهم الفرنسيين أو حتى من قبل الإدارة الاستعمارية فالطبيب الجزائري كان يعمل تحت المراقبة العسكرية، وفي حذر دائم من السلطة الإدارية تجنبًا للعراقيل التي قد تواجهه.

1Lettre de démission de Abdelkader ben Zahra 14 Aout 1885, FR ANOM, GGA 1U1.

2Le tell, journal politique et des intérêts coloniauxN°3022, 25 mai 1892.p3.

3Bulletin municipal de maison-carrée Alger N149, 15 Aout 1909, p185.

الاستيطان وتأسيس الملكية الفردية في الجزائر 1871-1914 Settlement and the establishment of individual property in Algeria 1871 - 1914

كهد/ خميلي العكروت

جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02

مقدمة

يُعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر واحداً من أكبر الحُلُول التي كانت تُعَوَّل عليها الإدارة الفرنسية لتجاوز أزماتها الداخليّة، بإبعاد فضاء كل المُعضلة الاقتصاديّة والديمغرافيّة معاً، فقد اعتبرت فرنسا الجزائر منذ البداية مُستعمرة إسكان، تفتح أفاقاً واسعةً للهجرة والاستيطان، فليس بعيداً عن سُقوط مدينة الجزائر حتّى أصدرت الحكومة الفرنسية قرارها يوم 22 جويلية 1834م الذي ألحق الجزائر بفرنسا، وذلك ما يعني انتقال جُل السُلطات إلى الإدارة الفرنسية بما فيها إدارة الأملاك العامّة والأراضي، ومع قيام الجمهوريّة الفرنسيّة الثّانية، اعتبرت في تاريخ (04 نوفمبر 1848م) أنّ الجزائر جزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي طبقاً للمادّة 109 منه.

تحمّس الكثير من قادة الاستعمار في الجزائر إلى الاستيطان الأوروبي، وبسبب ضعف الهجرة الفرنسية إلى الجزائر، فتحت باب التسهيلات والتّحفيزات للمتوظّفين، ووفّرت الظروف الملائمة لذلك، وتقدّم هؤلاء الجنرال "بيجو" Bugeaud الذي خاض معركة سياسية كبيرة من أجل الاستيطان، كُلت بناء بعض القرى في سهل متيجة، وقد وافق ذلك السّياسة الاستعماريّة التي ارتكزت على اعتبار الجزائر أرضاً زراعيّة طيلة الفترة (1830م _ 1870م) التي ظلّ فيها المُستوطنون أغراباً ارتبط مصيرهم بالوجود العسكري الفرنسي، وبالمقاومة

الجزائرية، وبعد 1870م، وبعد قيام الجمهورية الثالثة، وهزيمة فرنسا أمام الألمان، ومقاومة المقراني، وسياسته المعادية الواسعة للأراضي، وصُدور قانون "فارني" بدأ الاستيطان يقف على فرنسته مُستندًا إلى فكر استيطاني قائم على ثلاثية (الأرض، المدينة، المؤسسة)، فهذه الثلاثية الإستراتيجية مكّنت الإدارة والمستوطنين من بناء استقرار طويل في الجزائر امتدّ إلى غاية 1962م. فكيف ساهمت عملية تملك الأرض للمستوطنين وتوسيع وبناء المُدن وعملية خلق المؤسسات المختلفة خاصّةً المالية والمواصلات في تثبيت أركان الاستيطان الأوروبي في الجزائر، ومنه تمكين الاستعمار على حساب الجزائريين؟

أولاً/ نقل الملكية العقارية إلى المُستوطنين

تُعتبر ملكية الأرض وطُرق استغلالها من المواضيع الأكثر تشعبًا وصُعوبةً في الفترة الاستعمارية، وذلك بالنظر إلى الوضعية التي كانت عليها قبل الاحتلال، وطول المُدة التي استغرقتها عملية نقل ملكية الأرض إلى الدولة الفرنسية، أو إلى الخواصّ والشركات وحتى الأفراد من المُعمرين، ولفهم السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر يُمكن تقسيمها إلى مراحل هي:

1- المرحلة الأولى

وهي مرحلة ما قبل الاحتلال الفرنسي والتي تميّزت بوجود أنماط من العلاقات بين الأرض ومالكها ومُستغليها في الفترة العثمانية، ومنها من أنماط الملكيات وهي أربعة حيثُ توزّعت إلى أربعة أنواع هي:

أ- أراضي البايليك (ملك الدولة)

وقد آلت هذه الأراضي إلى الدولة بانتقال الحكم والفرح، وهي تُقابل الأراضي الخراسية في فقه الدولة الإسلامية وهي تحت تصرّف بثه المال، لم تعد تخضع فيما يتعلق بالاستغلال إلى الأحكام الإسلامية، بل تمّ استحداث

طرق جديدة للاستقلال¹. ويشمل هذا النوع من الأراضي كل الأراضي التي استولى عليها الأتراك بطرق مختلفة طويلة فترة وجودهم في الجزائر، وأجود تلك الأراضي هي أراضي الغول، التي يمنحها السلطان لقادته وخدامه وأجرائه، ويقع الجزء الأكبر منها في إقليم قسنطينة، حيث قُدِّرت مساحتها بـ 317 310 هكتار².

يقع أيضا ضمن هذا النوع من الملكية تلك الأراضي المخزنية التي شغلها القبائل المخزنية التي تقدّم فرنسا منها للحرب عند الحاجة، وقُدِّرت هذه الأراضي بـ 1.5 مليون هكتار سنة 1830م.

ب- الملكيات الخاصة

وهي تلك الأراضي التي ملكها وشغلها أصحابها مباشرة، أو عن طريق أنظمة الاستغلال الشائعة ويمكنهم التصرف فيها بالبيع أو الإهداء أو التوريث، وقد كان أصحاب هذه الملكيات من التجار الأثرياء، أو من الموظّفين الأتراك المستنديين ومن الكراغلة وكانت تنتشر في مختلف مناطق الجزائر في جبال والفجوص (أطراف المدن) وفي الواحات الصحراوية³.

ج- أراضي العرش (المشاعة)

تعود ملكية هذه الأراضي في الأساس للدولة أو للسلطان، الذي تخلى عن استغلالها لصالح القبائل التي توطّنت فيها أو اتخذتها مضاربا لها، تتربّع فيها بين الحين والآخر، وتُعرف باسم أراضي العرش في قسنطينة والجزائر، وتشمل

1_ ناصر الدين سعيدوني: دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص 48.

2 _Maurice Pouyonne Lo propriété Foncière en Algérie In Adolphe Jourdon Alger 1900. P 222.

3_ ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 43.

حسب حاجة القبائل إما للرعي أو الزراعة، ولا تخضع هذه الأراضي لعقود ولا للبيع والشراء، قد قُدّرت مساحتها قبل الاحتلال بـ 5000 000 هكتار.

د- الأراضي الموات

وهي أراضٍ لم يسبق لأحد استغلالها وتدخل ضمنها الأراضي الشوكية والغابات والأراضي البور، تُصبح مكسبة لمالكها الأول بإحيائها واستصلاحها¹.

هـ- الأوقاف

وهي نوع من الملكيات العقارية بخصوصية فقهية، تُحدّد طريقة استغلالها وتكوينها، وهي أراضي الحبوس والأوقاف، وقد سُمّيت بهذا الاسم لأنها موقوفة أو محبوسة على الأعمال الخيرية بمختلف أنواعها، وهي من الناحية القانونية ملك لله، والإنسان مُكلّف باستغلالها فقط، فهي لا تُهدى ولا تُباع ولا تُورث، بل يتصرّف فيها وكيل مُعيّن بعقد².

وتُنشر الأوقاف في المدن والأرياف، ففي مدينة الجزائر كانت توجد ملكيات هامة بلغ عددها 287 ملكية ما بين لستان وصديعة³. ويقوم على الأوقاف مجموعة من المؤسسات الهامة لها الطرق الدينية والشخصية القانونية أهمها أوقاف الحرمين (مكة والمدينة) وسبل الخيرات، والجامع الكبير، وبيت المال، وأوقاف أول الأندلس، وأوقاف الأشراف⁴.

1_ Perron. **ExplozationScienlitique de l'Algerie**.tr paris imanotionole. P 03.04.

2_ Worms Recherches Sue Lo Constituion de la PropriertiTerritoile dans les pats Musulnas paris 1944.

3_ ناصر الدين سعيدون، المرجع السابق، ص 80.

4_ المرجع نفسه، ص 98.

2- المرحلة الثانية

وتمتد هذه المرحلة الاحتلال إلى غاية 1870م، وعمدت خلالها الإدارة الاستعمارية على إصدار مجموعة من التشريعات هدفها الاستيلاء على أملاك الجزائريين، وعلى الأملاك العامّة لمختلف صحتها السابقة، وأهمّ هذه التشريعات نجد¹:

_ قرار 7 ديسمبر 1830م القاضي بمصادرة أملاك الوقف والبايليك.

_ مرسوم 1832م الخاص بمصادرة أراضي القبائل الثائرة.

_ الامر الصادر في أول أكتوبر 1844م لمصادرة أراضي الزوايا.

_ الأمر الصادر في 31 جويلية 1851م القاضي بمصادرة أراضي القبائل وإحاقها بملكيّة الإدارة الاستعماريّة.

_ قرار مجلس الأعيان المؤرخ في 22 افريل 1863م، ويهدف إلى تحويل الحق الجماعي إلى ملكية جماعية للدواوير وتحويل تلك الملكيات الجماعية إلى فردية.

وإضافة إلى هذه القوانين التي نزعت الملكية من الجزائريين ومن المؤسسات العثمانية وبدأت بتأسيس الملكية الفردية، فقد عدت الإدارة الاستعمارية إلى تسهيل حصول المُعمّرين الوافدين على الأراضي، بكل الطرق والوسائل، فبدأ هؤلاء يطمنون للإدارة الاستعمارية، وبدأت حملة الاستيطان في العاصمة وضواحيها في كل من الأربعاء، برافن، رغاية، بابا علي، بئر توتة، وكل سهول متيجة، التي تحوّلت إلى مُستوطنات وُرّعت على العائلات الأوروبية

1_ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،

على شكل ضيعات تفوق مساحتها 5 هكتار¹. أما في المناطق الشرقية من الجزائر فقد انتشرت المستوطنات في أول الأمر في المدن الكبرى خاصة سكيكدة، قالمة، قسنطينة، عنابة، حيث أقام العسكريون مستوطنات واسعة قريبة من المناطق العسكرية، وقد فاقت مساحة الواحدة منها 50 هكتاراً².

تحمس الكثير من الجنرالات " كلوزيل" و " بيجو" لعمية الاستيطان في مرحلتها الأولى التي توسعت بالجزر والحماية العسكرية، فقد وصف " روبيرت أجيرون" كلوزيل بالاستيطان العنيف³، بينما واجه بيجو الامير عبد القادر وتمثلت سياسته في تبني الاستيطان كإستراتيجية للقضاء النهائي على المقاومة وضمان عدم عودتها إلى الوجود.

وقد جعلت هذه الظروف الاستيطان مُحتمًا طيلة الفترة الممتدة (1830م _ 1870م)، بسبب الاحجام الفرنسي من المغامرة، الاستجداء بالأوروبيين من مختلف الجنسيات، وكذلك صعوبة الاستقرار في أجواء المقاومة والحروب، وهجمات الأهالي المتواصلة في كل مكان.

3- المرحلة الثالثة

تمتد هذه المرحلة من 1871م إلى غاية نهاية الحرب العالمية الأولى، وتميّزت بحدوث تغييرات هامة في مسار فرنسة الملكية العقارية أي الانتقال إلى الملكية الفردية سواء كان المالك شخصاً مادياً أو معنوياً، وكذلك إلى الملكية

1- يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، 1830م _ 1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م، ص 25.

2- عدي الهواري: الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830م _ 1962م، ترجمة، جوزيف عبد الله، ط1، دار الحدائث، بيروت، 1983م، ص 29.

3- شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة، عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982م، ص 41.

الدمتالية وفق القانون الفرنسي، وتميّزت المرحلة بهزيمة الفرنسيين أمام البروس، وفشل ثورة المقراني في الجزائر، فكان من نتاج الهزيمة هجرة الآلاف من سكان الألزاس واللّورين إلى الجزائر، حيثُ صادق البرلمان الفرنسي على منحهم 000 100 هكتارًا من أراضي الدّومين الفرنسي، بقرار 21 جوان 1871م¹، ومن نتاج ثورة المقراني مُصادرة نصف مليون هكتار من أراضي الثّوار وبالتّحديد (446.408)، وكذلك ضريبة حرب قُدّرت بـ: 65 مليون فرنك².

جاءت عمليات الحجز تطبيقًا لقرار الحاكم العام "لامبير" الذي نصّ تطبيق الحجز العام على أملاك العرش والملكية المُشاعة عقابًا للمُشاركين في انتفاضة المقراني.

جاء قانون "فارني" 26 جويلية 1873م، من أجل خدمة الاستيطان بتوفير عقار يُرضي فهم المُعمرين، وقد سُمي هذا القانون بـ "قانون المُعمرين"، وقد تضمّن بالأساس فرنسة الأراضي الجزائرية بإخضاعها كليًا ونهائيًا للقوانين الفرنسية، وكل تلك المُسيّرة عن طريق القانون الإسلامي³. وشكّل هذا القانون المُهمّد الرّئيسي لسُيولة العقّار في الجزائر، فقد أصبح قابلاً للتداول بالبيع والشراء والتنازل، وذلك ما يخدم المُستوطنين وتسهيل استمرارهم وحُصولهم على

1- عيسى بيزر: السياسة الفرنسية تُجاه الملكية العقّارية في الجزائر (1830م _ 1914م)، رسالة ماجستير، 2008م _ 2009م، جامعة الجزائر، ص 72.

2- المرجع نفسه.

3- عدة بن داهة: الخلفيات الحقيقية للتشريعات العقّارية في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (1830م _ 1873م)، أعمال الملتقى الوطني الأول والثّاني حول العقّار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830م _ 1962م، منشورات وزارة المُجاهدين، 2007م، ص 149.

العقار¹. وقد اعترض هذا القانون كل الأراضي التي جرى عليها مرسوم 21 / 07 / 1846م، أراضي فرنسية، وكذلك تلك المسجلة لدى الأعدان الإداريين المكلفين بتجميع والحصر والتوثيق، وحصر تطبيق القانون الإسلامي في الميراث فقط، ثم جاء قانون 16 فيفري 1897م المتمم بالقانون المؤرخ في 04 أوت 1896م، الذي ينص على تصفية الأملاك عن طريق التخفيضات الجبرية والإجمالية بغرض تصفيتها من الديون وإخضاعها للملكية عن طريق الحيازة، ثم جاء قانون 04 أوت 1926م، الذي يُقر بعملية التحقيق الإجمالي الذي تقوم به الدولة بغرض تصفية الأملاك من الديون وتغيير طبيعة ملكيتها بتحويلها إلى ملكية خاصة².

وبفصل كل هذه القرارات، شكّلت الإدارة الاستعمارية بنكاً عقارياً بلغ رصيده 3.460.207 هكتاراً، ووزعت مجاناً، وبموجب عقود على المستوطنين الأوروبيين، واشترطت عليهم فقط الإقامة في الأراضي الممنوحة وعدم التصرف فيها إلى حين مُحدّد قانوناً وكل ذلك تشجيعاً للاستيطان الأوروبي في الجزائر. أمّا الركن الثاني من أركان ثلاثية الاستيطان الأوروبي في الجزائر فهو المدينة.

ثانياً/المدينة

يبدو ظاهرياً أنّ المدينة هي نتيجة طبيعية للاستيطان الأوروبي في الجزائر، فقد توسّعت بعض المدن الكبرى وعواصم الأقاليم الثلاثة المكوّنة لمستعمرة الجزائر، ونمت الكثير من المراكز العمرانية التي سرعان ما تحوّلت

1- جمال بلعيدوني: السياسة العقارية إبان فترة الاحتلال، أعمال الملتقى الوطني الأول حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830م _ 1962م، (20 _ 21) نوفمبر، 2008م، وزارة المجاهدين، الجزائر، -2008م، ص 49.

2- المرجع نفسه، ص 49 _ 50.

إلى مدن حديثة البناء، وقد تمَّ كلُّ ذلك في ظل سياسة عُمرانية مُواكبة لسياسة الاستيطان، تلعبُ فيها المدينة دورًا أساسيًا لما تُوفِّر من مُقومات الاستقرار والحياة الكريمة والأمن.

شكَّلت المراكز العسكرية التي أنشأتها مصالح الهندسة العسكرية الفرنسية أوَّل مناطق الاستقرار الآمنة في المناطق المُحتلة سواءً كانت عسكرية تمامًا أو مُختلطة، وعمدت تلك المصالح إلى اختيار مواقع قديمة رُومانية أو عُثمانية تمَّ تهيئتها، أو مواقع أخرى جديدة اقتضت الحاجة العسكرية انتشارها في ظلَّ حُطَّة عسكرية عُمرانية تهدفُ لإنشاء شبكة حضارية تتكوَّن من مُدن وقُرى، تتربط فيما بينها بشبكة من الطُّرق أو السكك الحديدية، تحتوي المراكز المدينة والعسكرية الضرورية لتوفير شروط الحياة والأمن¹.

ومن جهة أخرى فإنَّ ظاهرة إنشاء عدد كبير من المُدن دُفعةً واحدة هي ظاهرة نادرة تاريخيًا، وهو التحدِّي الذي رفعته مصالح الهندسة العسكرية الفرنسية، حيثُ حوَّلت أكثر من عشرة مواقع قديمة إلى مُدن حديثة البناء، وكذلك تمَّ بناء عشرون مدينةً جديدةً من (1830م _ 1860م)².

تشهدُ وثائق أرشيف الهندسة العسكرية الفرنسية في الجزائر في " فانسان (vincenes) على دقة عمليات الإنشاء والتعمير وتوسيع المُدن وتخطيطها، حيثُ تحنوي على تقارير دورية وسنوية على مُختلف العمليات والمُخططات، وكذلك الفواتير وتكاليف الإنجاز.

تميّزت المُدن الاستعمارية بالتخطيط الهندسي، الذي أعدته مصالح الهندسة العسكرية، وفق نظرية الشبكة المترابطة في أوعية عقارية مُلكٌ للدولة

1 -Xavier Malverti, Nleth Picard: lesvilles colonia Pes Fondeés entre 1830 et 1880 en Algerieicoled'Architectue du Gvonople/ PGRA. Paris, 1988.

2- Xavier Malverti, aleth Picard. Op. cit.p 32.

الفرنسية، تُقام حولها الملكيات المؤرّعة على المُستوطنين، وتتميّز أيضاً تلك المُدن بسرّعة التّوطين، وبخُلُوها شبه الكامل من الأصلي ما عدا على الأطراف، وفي بعض الاحياء العشوائية المنشأ.

يُوجد في الجزائر نُموذجين من المُدن؛ الأوّل منها هو مُدن قديمة تمّ إعادة تخطيطها وتحديثها وفق النّموذج الذي اختارته مصالح الهندسة العسكرية مثل تلمسان والجزائر العاصمة. والنّموذج الثّاني هو لمدن حديثة النّشأة، استعماد التّخطيط مثل سيدي بلعباس، والشلف (oileconce ville).

فمدينة سطيف مثلاً والتي عرفت تطوّرًا سكانيًا كبيرًا خلال الفترة الاستعمارية، فقد تمّ إنشاء إدارة عسكرية في موقع روماني سنة 1842م، ولم تكن تحتوي إلّا على فُندق، حوّلتها مصالح الهندسة العسكرية على مدينة نموذجية استعمارية استيطانية، كانت تحتوي سنة 1860م على 192 منزلًا و727 من الأوروبيين منهم 478 بالغ من الجنس ذكر.

في المخطّط الابتدائي لمدينة سطيف تمّ تخصيص 32000م² للمدينة المُخصّصة للمدنيين بمعدّل 10 متر² لكل ساكن حيث تمّ بناء سكنات تتكوّن من طابق أرضي وطابق واحد، كان هذا الفضاء كافيًا لاستيعاب 3000 نسمة، ومع توسيع المدينة لاحقًا وقُدوم مُستوطنون جُدد تمّ بناء منازل بطرائق عديدة¹. بعد توصية مجلس البناء سنة 1863م لُوْحظ توافق عدد كبير من المُسلمين إلى مدينة سطيف، حيثُ تحوّلوا إلى عمّال في الأراضي التي صُودرت منهم وقُدّمت للكولون، وأصبح بالإمكان إحصاء 10000 ساكن بلغ عدد المُسلمين منهم 6113 سنة 1860م، بقي الثلثين منهم خارج أسوار المدينة، وبلغ عدد الأوروبيين 3582 خمسة أسداس منهم فرنسيين.

توافدت هذه الجموع إلى أطراف المدينة متأثرة بمجاعة 1868م وانتفاضة 1871م، وبدأت المدينة بالتوسع، وتم ربطها بالسكة الحديدية سطيف _ قسنطينة، وسطيف _ سكيكدة، وسطيف _ برج بوعريج والعاصمة، وبدأت سطيف تعرف للبلاد بعض المشاريع الصناعية التي تستقطب اليد العاملة الأهلية وأهمها مصنع للعجائن الغذائية مطلع سنة 1908م¹.

وتعتبر مدينة سطيف نموذجاً للمدينة الاستعمارية الاستيطانية الداخلية التي لعبت دوراً هاماً في استفزاز الأوروبيين أصحاب رؤوس الأموال، وكذلك إعداد تحفيزة للتأحين من الأرياف، واهتمت بها أحياء الاستيطان العمالية، حتى من الزوج مثل الزوج 1892م، وقد تبرع المعمار والمندوب المالي " شارل ليفر" بقطعة أرض من أجل إسكان الزوج، ومحدودية الدخل بحي يحيى " Bel Air" وقد ارتكز دور المدينة وبسبب الهجرات الكثيرة، ومتنوعة الأسباب إلى مركز زراعي، يوفر مختلف الخدمات الزراعية وسبل تصريف المنتج كم تحتوي على خزان لليد العاملة المرتبطة بالفلاحة².

أما مدينة الجزائر وباعتبارها مدينة قديمة، وعاصمة الحكم العثماني قد تحولت عاصمة للاستعمار وقاعدة اساسية للاستيطان بشوارعها وأحوازها وفحوصها، فبعد ان طالت عملية الهدم والتخريب مع وصول الفرنسيين، والذي توقف نسبيا بعد زيارة نابليون سنة 1865م، وقد حاولت السياسات الفرنسية إعادة إعمار وبناء المدينة وفق النمط الأوروبي³. توسطتها ساحة بها نصب تذكاري للدوق "أورليان" كما تمّ بناء بعض المعالم المسيحية مثل معبد القديس

1 -AnohéPrénont. Facten du peuplement d'une ville de L'Algeriunteruers. Setif. Annc les drgeogroqhv 1957 pp 434, 451.

2- Xavier Malverti, aleth Picard. Op. cit. p436.

3-Jord et planche (Louis) Alger 1860 – 1939 le mode Anpigué du Trionplecoloni de ed. Autent. Mrn= 0

أوغسطين في نهج قسنطينة 1878م، وكنيسة القديس سان بول بباب الوادي وكنائس أخرى بالحامة¹.

الدور الاستعماري الأول لمدينة الجزائر كان دورا أمنيا، فهي المركز الاستعماري الأول الحصين، تحتوي على مقر الحكومة العامة وأهم المراكز العسكرية والمدنية وهي قاعدة التوسع الأساسية في البلاد، وبإنهاء المقاومات الشعبية مطلع القرن العشرين انتهى الدور العسكري لمدينة الجزائر، وازداد إحكام الإدارة الفرنسية بتوفير الضرورات الأساسية للسكان الأوروبيين، أما مؤسسة التعليم حيث أنشأت المدارس والثانويات وحتى الجامعة، والمدارس التحضيرية العليا للعلوم والطب والآداب والحقوق سنة 1909م².

وبدأت الجزائر تلعب دورها المركزي في تغذية الاستيطان الأوروبيّ بتهمة بناء الجزائر، وربط المدن الداخليّة الحديثة مثل سطيف والشلف والبليدة والجلفة بشبكة السكك الحديدية، وتمّ بناء البريد المركزي والكثير من المرافق الثقافيّة بالمتاحف في فترة سُميت بمرحلة التّفوق الأوروبيّ سنة (1920م_1930م)، تمّ تهميش السكان الأصليين، فقد ظلّت الأحياء الفخمة المخصّصة للأوروبيين مثل حيّ مشيلي ومرتفعات مّلي وحيدرة وغيرها عصيّة على الجزائريين الذين تركّز وجودهم في المدينة القديمة بالقصبة، فرنسا من الطبقة الأوروبيّة المتوسّطة في حيّ البحريّة وحيّ باب الوادي الذين يشتغلون في الورشات والمعامل الموجودة في المدينة³.

1 _ N=0 55 pari. 1995. P 27.

2_العكروت خميلي: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1957م_1962م)، أطروحة دكتوراه، 2017م، جامعة الجزائر.

3_ BENATIA (F) l'Appropriation de L'espace a Alger. Es. SNED Alger 1978 p 70.

شكّلت المدينة بشكل عام سواء كانت داخلية حديثة البناء مثل سطيف والشلف وسيدي بلعباس، أو قديمة مثل قسنطينة والعاصمة وتلمسان، مركزا استيطانيا واستعماريا، توفّر مختلف الخدمات الضرورية للاقتصاد الزراعي، والصناعي، والخدماتي، فهي المركز الإداري والاقتصادي الآمن الذي يوفّر الاستقرار للمعمّرين ومختلف الضرورات لأعمالهم المنتشرة في أرجاء البلاد.

ثالثا/ المؤسسة

تعتبر ظاهرة مؤسسة الحياة الاقتصادية واحدة من الظواهر التي واكبت التحوّلات الكبرى التي عرفتها أوروبا من ثورة صناعية أو ما ومنها حركة استعمارية، وإذا كانت بعض الظواهر المتعلقة بالملكية وإخضاعها للقانون الفرنسي، قد سمّيت فرنسة، فإنّ ظاهرة المؤسسة تختلف نسبيا عن كون المؤسسات المنظمة للحياة تخضع للسلطة الاستعمارية، بل تُعتبر من أدواتها الأساسية لفرض سيادتها مثل النظام الملكي، ومؤسسة البريد، وشركات النقل، والسكة الحديدية، وشركات الاستثمار الزراعي والاستغلال المنجمي واستغلال الغابة والسهوب كالحلفاء والفلين.

شكّلت مؤسسات القرض، والتّموين، والنّقل، الوسائل الأساسية لتوفير جميع ضرورات الحياة السهلة والكريمة المشجّعة للأوروبيين على الاستقرار النهائي في الجزائر، خاصة في القرى التي استوطنوها وحولوها إلى مراكز حضارية تحيط بها مزارعهم ومحتشدااتهم الصناعية مثل معاصر الخمر، والزيت، ومعامل تكييف المواد الزراعية والاستهلاكية، ولعلّ من أهمّ هذه المؤسسات نجد:

1- مؤسّسات التمويل

وتمثل في صناديق القرض الزراعيّ، والتي كانت تمكّن المستوطنين من قروض يهدف لاستغلال أراضيهم، ومن أهم هذه المؤسسات أيضا نجد "القرض المالي للجزائر" الذي تأسّس بمقتضى مرسوم يناير 1860م، والشركة الجزائرية "1868م"¹. وفي 30 أكتوبر 1880م، أنشأت مؤسسة "القرض المالي والزراعي للجزائر" تحت رئاسة مدير القرض المالي الفرنسيّ، الذي حدّد دور هذه المؤسسة في تمويل الأنشطة الزراعية والتجارية عن طريق قروض تُمنح للفلاحين والتّجار².

بل الأكثر من ذلك كان هدفها احتواء الفلاح الجزائريّ وجعله أسيرا للمؤسسات الاستعمارية التي مكنت تقدير قدراته الإنتاجية ومداخله طالت أيضا ظاهرة المؤسسة، أنشاء عدد كبير من المؤسسات الزراعية الإنتاجية التي تملك مزارع الكروم، وكذلك مؤسسات الصناعات التحويلية التي تملك معاصر الخمر، وكذلك مؤسسات وتعاونيات العقار الفلاحي، وبذلك تم ضبط عمليات الإنتاج، والتسويق، والادّخار، والتّطوير.

2- مؤسسات النقل

ارتبط موضوع المواصلات والنقل بالتوسع الاستعماريّ، ثم بمشروع الاستيطان، حيث بُنيت المراكز الاستيطانية بشكل ترابطيّ بينها وبين المراكز الكبرى كالمدن عواصم الأقاليم وهران، والعاصمة، وقسنطينة.

عملت مصالح الهندسية العسكرية على رسم الخرائط الطبوغرافية اللازمة لمدّ الطرقات والسكك الحديدية، وتدعمت بمؤسسات مدنية مثل مصلحة الجسور

1_ بن داهة عدة، المرجع السابق، ج 1، ص 154_155.

2_ المرجع نفسه، ص 248.

والطرق التي أنشأت سنة 1832م، وقد عمل الجنرال بيجو على ضمان المواصلات والنقل بين أهم المدن والمراكز الفرنسية منذ 1842م¹. وبدأ تصنيف الطرق من خلال قرار 18 جويلية 1864م، الذي صنّف خمسة طرق طرقا إمبراطورية هي: قسنطينة بسكرة، والجزائر الأغواط، وهران تلمسان، وطريق الجزائر وهران، والجزائر قسنطينة، ثم جاء قرار 29 مارس 1879م، الذي صنّف خمسة طرق أخرى طرقا وطنية، وأعاد قانون 01 مارس 1915متصنيف الطرق الوطنية، وأضاف طرقا أخرى.

كان هدف هذه الشركة هو تعزيز الاستيطان عن طريق منح المعمرين قروضا تمتد بين (10_30 سنة)، لتمكّنهم تحقيق مشاريع اجتماعية واقتصادية وبنسب فوائد لا تتجاوز 6 بالمئة، وقد بلغ عدد مقرّاتها 46 مقرا في كامل الجزائر سنة 1968م².

ساهمت أيضا البنوك الكبرى مثل "القرض الليوتي" و"البنك الصناعي لإفريقيا الشمالية" و"بنك الجزائر" في تقديم القروض للفلاحين بشكل القروض الرهنة، وكذلك لتوظيف الأموال المودعة في تنشيط الزراعة الصناعية كالكروم والحوامض خاصة بعد الإجراءات الجمركية سنة 1892م³. وقد نشأت أيضا بعض القروض المحلية مثل "بنك روبرت" بمدينة الأصنام وقد بلغ عدد المؤسسات المالية في الجزائر أكثر من 24 مؤسسة سنة 1894م⁴.

وقد أنشأت السلطات الاستعمارية القرض الأهلي عن طريق إنشاء الشركات الأهلية للاحتياط (Sip) التي عدّلت تسميتها إلى الشركات الزراعية

1_ بن داهاة عدة، المرجع السابق، ج 1، ص 161.

2_ Afrique du Nodillustiu N 87. Du 25/07/1908 p 10.

3_ Abdallah LAroui. L'hrstore du Mogrel. T.2. pors 1970. P 05.

4_ بن داهاة عدة، المرجع السابق، ص 244، 246.

للاحتياط (Sip) بعد فشلها في تقصي ظروف الفلاح الجزائري، وقد أنشأت بغرض حماية الفلاح الجزائري والمقاربة، ومن المجاعات والنكبات وإسعافهم بقروض منذ إنشاء مؤسسة القرض الداخلي في مليانة 1869م، ثم صدر قرار 19 أبريل 1893م ينص بإنشاء "الشركات الأهلية للاحتياط" وقد فشلت هذه المؤسسات لأنها كانت تقدّم قروضا هزيلة انتقاصية للفلاحين.

وعملت سلطات الاحتلال على بناء خطوط السكة الحديدية، وأوكلت مهمة إنشاء طرق استراتيجية لشركة (باريس، ليون، المتوسط) عام 1857م، وذلك عبر مهمة إنشاء خط الجزائر وهران وخط سكيكدة قسنطينة بطول (512 كلم)¹. وسّعت السلطات الاستعمارية شبكات السكة الحديدية عن طريق شركات استغلال الحلفاء والفليين التي وسّعت الشبكات مقابل عقود الاستغلال، وبذلك بلغت شبكة السكك الحديدية 3.033 كلم سنة 1892م².

أدارت عمليات النقل من مواقع الإنتاج إلى مواقع التصدير شركات النقل عبر السكك الحديدية الفرنسية، أو عربات النقل التابعة لشركات الاستغلال، كما أنشأ المعمرون شركات لنقل المسافرين والبضائع، ساهمت إلى حد كبير في توسيع دائرة الاستيطان، وتسهيل حياة المستوطنين بشكل جعلهم يشعرون بالأمن، الكثير ممن وفي بالأمس، في حالة من الفقر والحاجة حياة كريمة بلغت حدّ الترف، وزاد عدد المستوطنين ليقف فوق عشر السكّان مطلع الاحتلال.

خاتمة

وأخيرا؛ فإنّ ثلاثية (الملكية العقارية، المدينة، والمؤسسة) قد شكّلت الدّعائم الأساسية لعملية الاستيطان الفرنسي في الجزائر، فقد عملت السلطات

1_ Paul Leroy BEAULIEU: L'Algeri et laTisnisie 2enedt paris 1898. P 142.

2_ عدة بن داهة، المرجع السابق، ص 166.

الاستعمارية إلى تغيير وضع الأرض وأشكال الملكيات السائدة إلى وضع جديد يجعل الأرض قابلة للتداول، باستحداث الملكية الفردية وملكية الدولة، وملكية الشركات العقارية والزراعية، وبهذا انتهجت عمليات الاستصلاح والاستغلال الزراعي، وقد لمست هذه العملية بتفكيك الملكيات الجماعية للعروش، ومصادرة الأراضي الجائرة مثل أراضي ثوار 1870م، وإصدار ترسانة من القوانين في اتجاه واحد تخدم مصلحة المعمرين.

أمّا المدينة فقد لعبت المراكز الحضارية الكبرى القديمة مثل عواصم العمالات (الجزائر، قسنطينة، وهران) دورا كبيرا في توفير الأمن، وشروط الحياة للمستوطنين الوافدين، والذين توزّعوا لاحقا في الساحل ونحو داخل البلاد مُقيمين مراكز استيطانية سرعان ما تحوّلت بدورها إلى مدن ناشئة تترايط فيما بينها بشبكات من الطّرق والسكك الحديدية، فبذلك لعبت المدينة دورا هامًا، فهي واحدة من أهمّ دعائم الاستيطان وواحدة من أهمّ نتائجه.

أمّا ظاهرة مؤسسة الحياة العامة، من خلال استحداث المؤسسات المالية، ومؤسسات الإنتاج والاستغلال والنقل التي تسهّل حياة المستوطنين، وتُسرع مختلف العمليات المتعلقة بالاستغلال والاستثمار والإنتاج، فقد حوّلت الحياة من مستعمرة الجزائر إلى صورة مصغّرة عن الوضع في المتروبيول، وبذلك استقرّ المستوطنون في الجزائر وأصبح بإمكانهم مقارنة وضعهم بنظراتهم في المتروبيول لما يتوفّرون عليه من ثروات وحياة كريمة، على حساب السكّان الأصليين الذين ازدادوا فقرا وحرمانا بسبب فقد ممتلكاتهم وتحولهم من أحسن الأحوال إلى عمّال يُتحكّم في أملاكهم وأراضيهم.

الثوابت الوطنية في فكر وممارسات المقاومة الشعبية الجزائرية

NATIONAL CONSTANTS IN THE THOUGHT AND PRACTICES OF THE ALGERIAN POPULAR RESISTANCE

كهد/فتح الدين بن أزواو

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الملخص

يهدف من هذا البحث، الكشف عن الثوابت الوطنية في فكر وممارسات المقاومة المسلحة، كالوطنية المرتبطة باسترجاع السيادة، الإسلام، العروبة، الوحدة، الانتماء الحضاري. نحاول استنباط هذه الثوابت من أدبيات قادة المقاومات الشعبية، ومن مختلف تنظيماتها الميدانية وممارساتها اليومية، للتعرف على مجهودات هذه المقاومة في تكريس هذه الثوابت في نفسية وسلوكيات الشعب الجزائري للتصدي للهجمة الاستعمارية الصليبية، في مرحلة حرجة من تاريخ الجزائر، تميزت بالضعف والانحطاط على جميع المستويات. وقد تمخض عن هذه الدراسة مجموعة من النتائج، تمحورت أساساً حول إبراز الدور الإيجابي للمقاومات الشعبية في إحياء ثوابت الأمة الجزائرية، التي من خلالها استطاع الشعب الجزائري الوقوف في وجه المشروع الاستعماري، الرامي إلى اتمام الهيمنة المادية والمعنوية على كامل القطر الجزائري.

Abstract

The aim of this research is to reveal the national constants in the thought and practices of armed resistance, such as patriotism related to the restoration of sovereignty, Islam, Arabism, unity, and cultural affiliation. We are trying to deduce these constants from the literature of the leaders of the popular resistance, and from its various field organizations and daily practices, to identify the efforts of this resistance in consecrating these constants in the psyche and behavior of the Algerian people to confront the Crusader colonial attack, at a critical stage in Algeria's history, marked by weakness and decadence at all levels. This study resulted in a set of results,

mainly centered around highlighting the positive role of popular resistance in reviving the constants of the Algerian nation, through which the Algerian people were able to stand in the way of the colonial project aimed at embodying the material and moral hegemony over the entire Algerian country

Key words: Popular resistance, patriotism, sovereignty, Islam, Arabism, unity.

مقدمة

تعرض الشعب الجزائري لأخطر هجمة في العصر الحديث، فعلاوة عن طبيعتها الاستعمارية، فقد تميزت بسياسة مسخ حضاري لتدمير البنيات الأساسية للمجتمع الجزائري خاصة على صعيد الثوابت الوطنية والمقومات الأساسية للهوية الجزائرية، التي ما فتئ الاستعمار، منذ السنوات الأولى، العمل على طمسها لتكريس السيطرة المادية والمعنوية على الشعب الجزائري، وكانت المقاومة الشعبية المسلحة أول من واجه هذه السياسة الجهنمية، حيث عملت على إحياء الثوابت الوطنية في مشروع مقاومة مسلحة زواج بين الفكر والممارسة لإعادة الاعتبار لهذه المنظومة القيمية الوطنية والحضارية، التي بها وقفت الجزائر عقبة كؤود في وجه الحملات الصليبية. فما هي تجليات تجسيد المقاومة المسلحة لهذه الثوابت في نضالها فكري وممارسة؟ وفيم تمثلت هذه الثوابت؟ وما أثرها في تفعيل المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي على المديين، القريب والبعيد؟

أولا/ الوطنية

من أهم ثوابت المقاومة المسلحة؛ الوطنية، التي تعني حبّ الإنسان لوطنه ورغبته في الدفاع عنه والتضحية في سبيله⁽¹⁾ من أجل تحريره واسترجاع سيادته

(1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط2، الجزائر، 1981، ص68-69.

المغتصبة. هذه النزعة جبل عليها الشعب الجزائري منذ القديم عندما دافع عن أرضه وسيادته ضد الغزو الروماني، ثم في العصر الوسيط والحديث عندما تصدى للحملات الصليبية الأوروبية التي استهدفت احتلال الجزائر. وبعد الغزو الفرنسي أضحت الوطنية السمة البارزة للمقاومة. وكثيراً ما نقرأ بأن الوطنية دخيلة عن المجتمع الجزائري، كونها جاءت بفضل التأثيرات الفكرية من المشرق⁽¹⁾، والحقيقة عكس ذلك، كون الوطنية في الجزائر نشأت نتيجة استعمار استيطاني بشع⁽²⁾ حول البلاد بأهلها إلى نار ودمار، فقد وجد الجزائريون أنفسهم عشية الاحتلال أمام الأمر الواقع؛ إما الاستسلام للمستدمر الذي استولى على البلاد وهتك الأعراض والمقدسات، أو الدفاع عن الأرض الشرف والدين، وقد اختاروا الكفاح المسلح الذي تجسد في سلسلة من المقاومات والثورات والانتفاضات عبر الجزائريين من خلالها عن وطنيتهم الصادقة.

وتعد مقاومة أحمد باي والأمير عبد القادر مثالا حيا على وطنية الثورات الشعبية، أعلن الأول مقاومته منذ 1830م واستمرت ثماني عشرة سنة (1848)⁽³⁾، تصدى خلالها للهجمة الفرنسية على مدينة قسنطينة سنة 1836م، ورغم

(1) من رواد هذا الطرح المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان أنظر: شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع الجزائر، تونس، 1976، ص55.

(2) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص75. وكذلك أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص108.

(3) محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص99.

سقوط المدينة في الحملة الثانية (1837) ⁽¹⁾ فإنه ظل يقاتل لمدة إحدى عشرة سنة أخرى. ورغم العروض التي تلقاها من الفرنسيين فإنه رفض التنازل عن وطنيته لصالح مكاسب مادية ⁽²⁾.

أما الأمير عبد القادر فقد بوع بالإمارة عام 1832 ⁽³⁾ واستمرت مقاومته فترة طويلة خاض خلالها حروبا ومعارك ضد الاستعمار حقق في بعض منها انتصارات كبيرة، بيّن ذلك عزيمة الجزائريين الصادقة في الدفاع عن وطنهم ورفضهم المحتل الأجنبي، ورغم العروض التي عرضت على عبد القادر وأتباعه، مقابل الاعتراف بالاستعمار، فإنهم رفضوها، وهي ما تؤكد الرسالة التي أرسلها الأمير إلى **دوبيش** أسقف الجزائر، والتي قال فيها: كنت أحارب فرنسا وليس لي أمل أن أرى نهاية حميدة لي في هذه الحرب، والتي ابتدأت من سبتمبر (أيلول) سنة ثلاث وثلاثين (1833) مع أنني كنت معتقداً أنني لم أقم بالواجب الديني وحفظ بلادي، وأخشى أن أتلقى شبه الملامة من قومي الذين وثقوا بي، وحلفوا: أن لا يتركوني. وفي هذه المدة عرضت علي الحكومة الفرنسية مقدمات كثيرة، وهي ترك السلاح مقابل شروط، وزيادة على ذلك، كان قد عرض المارشال (بيجو) مليوناً لأضع السلاح، فلم أقبل

(1) محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص105.

(2) منذ الاحتلال حاول الفرنسيون مرات عديدة استدرج أحمد باي لصفوفهم، وإغرائه بشتى أنواع المغريات، إلا أنهم فشلوا في ذلك. وهذا ما أكده أحمد باي في مذكراته، إذ قال: وجاءني سي حمدان مرتين في أوت وديسمبر 1832، وعرض علي باسم الحكومة الفرنسية، أن أستسلم ولكنني رفضت. أنظر: المصدر نفسه، ص137.

(3) مصطفى الأشرف، المصدر السابق، ص91.

ذلك منه محافظة على عهدي⁽¹⁾. كما برزت وطنية هذه المقاومة بشكل جلي من خلال معاهدتي دي ميشال (1834م) والتافنة (1837م)⁽²⁾، دافع فيهما الأمير بقوة عن حدود دولته، ورفض التنازل عن شبرٍ من أراضيها، حتى أنه كان يشهر الحرب كلما حاول المحتل اختراق الحدود المعلومة المنصوص عليها في المعاهدتين⁽³⁾، وفي رسالة الأمير إلى بيجو نجد تعبيراً صادقاً عن هذه المواقف الوطنية: "بينما كنا معكم في حال سلم ومعاهدة فلم نشعر إلا وقد فعلتم ما ينافي ذلك وتجاوزتم الحدود المعلومة بين بلادنا وبلادكم، بغير إذني ولا تقدم مخابرة في ذلك ولا علم... والذي يظهر أن القصد من فعلكم هذا؛ إظهار التعدي على حقوقي حتى أتأثر لذلك، وينجر الأمر إلى نقض المعاهدة، والحال إن فعلكم هذا هو نفسه ناقض للمعاهدة مبطل لها. وبناءً على هذا أعلن لكم: أنني عزمتم على استئناف الحرب"⁽⁴⁾.

فالأمير عبد القادر لم يعترف يوماً بسلطة فرنسا، وكان يتجنب في جميع مراسلاته مع الفرنسيين بحذر شديد كل صيغة يؤخذ منها الاعتراف بالسيطرة العليا لفرنسا أو لملكها⁽⁵⁾. ولا داعي الإتيان بأمثلة أخرى تبرز وطنية هذه المقاومة، ما دام بعض المؤرخين الفرنسيين أقرّوا بها، ومن ذلك نذكر ما نقله

(1) محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، الجزء الثاني، دار اليقظة العربية، ط2 بيروت، 1964، ص524.

(2) محمد البجاوي، الثورة الجزائرية والقانون، ترجمة علي الحنش، دار اليقظة العربية، دمشق، 1965، ص45.

(3) صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثورية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص12.

(4) محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، الجزء الأول، ص354.

(5) محمد البجاوي، المصدر السابق، ص47.

سعد الله عن المؤرخ ل. لاتياد صاحب كتاب عبد القادر، عدو وصديق فرنسا قوله: "إن عبد القادر قد تحدّى أكبر الجيوش في وقته، واخترع حرب العصابات ووضع أسس الوطنية الجزائرية"⁽¹⁾.

وإن تمكنت فرنسا من القضاء على مقاومة البطلين في الشرق والغرب، فإن الجزائر ستصبح بعد ذلك كلها بؤرة للاضطرابات والثورات المتتالية، وقد سجل في هذا الإطار حوالي 160 انتفاضة وثورة كبيرة وصغيرة في الفترة الممتدة بين 1830م و1916م⁽²⁾ وإن اختلفت هذه الثورات والمقاومات في الزعامات والتنظيم والمدة والنتائج، فإنها كانت تتمحور بصفة إجمالية حول تحرير البلاد واسترجاع الاستقلال⁽³⁾. وبالرغم من الأساليب الوحشية التي اعتمدها الاستعمار للتصدي لها، من خلال سياسة الأرض المحروقة والفتك بالسكان، فإن ذلك لم يثن عزيمة الجزائريين عن مواصلة المقاومة في كل مرة، وهو ما يعبر عن الروح الوطنية للشعب الجزائري، التي أكدت عليها نصوص الضباط الفرنسيين أنفسهم، فنقلا عن الأشرف كتب الضابط: كانروبير قائلاً: "لقد سرنا في طول البلاد وعرضها لكي نقوم بإحراق ونهب وتخريب ممتلكات القبائل الساكنة فيما بين البلدية ونهر الشلف ونواحي شرشال ورغم أننا استطعنا أن نلقي الرعب في قلوب السكان، إلا أننا أبعد ما نكون من بلوغ الهدف الرئيسي وهو إخماد الفتن

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المصدر السابق، ص ص 273-274.

(2) بشير خلدون، "أصول الحركة الوطنية وتطورها 1830-1954"، مجلة الرؤية، عدد: 01، الجزائر (جانفي، فيفري 1996)، ص 54.

(3) يحيى بوعزيز، "حروب المقاومة كما صورتها الكتابات الفرنسية" مجلة الدراسات التاريخية،

والقضاء على الثورات"⁽¹⁾. ونقلا عن الأشرف فقد أشاد الدوق أورليان بوطنية المقاومين الجزائريين عندما قال: "إن هؤلاء المناضلين الشجعان ألحقوا بالفرنسيين من الأضرار ما لم تستطع قوات العدو الأخرى أن تلحقه بنا وهم بذلك يشبهون الجيش الروسي غير النظامي، فقد كان نصيبهم في تحطيم الجيش الإمبراطوري أكثر من الجيوش النظامية الأخرى... وهكذا مات كلُّ منهما وهو يحارب من أجل وطن كان يتمنى أن يراه عزيزاً منيعاً"⁽²⁾.

وإذا كان كثير من المؤرخين والباحثين يميلون إلى اعتبار الفترة الممتدة ما بين 1916 و1954 فترة خمود تام، فإن وقائع الأحداث تفنّد ذلك، وإلا كيف تفسّر حوادث أوت 1934 في قسنطينة وعين البيضاء⁽³⁾، وحوادث أوائل ماي 1945م في العديد من المدن والمناطق (الجزائر، قسنطينة البرواقية، تلمسان، مستغانم، سيدي بلعباس، بوسعادة، بسكرة، سطيف، قالمة، خراطة، العلمة خنشلة، عنابة، جيجل، القل، تيزي وزو، البليدة)⁽⁴⁾. في هذه الأخيرة أظهر الجزائريون وطنية صادقة، فقد خرج مئات الآلاف منهم يطالبون باستقلال الجزائر وسيادتها، وعندما أصرت فرنسا على قمع هذه الحركة تحوّلت إلى أعمال عنفٍ واشتباكات، استخدم فيها الاستعمار الأسلحة الثقيلة وسلاح

(1) مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص: 85. نقلا عن:

Canrobert , campagnes ,p271.

(2) المصدر نفسه، ص: 88- 89 نقلا عن:

Duc d'orleans , compagnes de l'armee d'Afrique.

(3) عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر

1936/1920، ج01، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص414.

(4) ناصر الدين سعيدوني، "أحداث 08 ماي 1945م: ذكرى تضحيات جسيمة وعبرة كفاح

مرير" مجلة الذاكرة، عدد رقم 02، 1995، ص20.

الطيران، وكانت النتيجة إبادة الآلاف من الجزائريين⁽¹⁾. فالوطنية إذن، كانت الطابع المميز لكل المقاومات والثورات والانتفاضات التي شهدتها القطر الجزائري من الاحتلال إلى سنة 1954. وقد نشأت وتطورت كنتيجة حتمية للغزو الاستعماري وسياسته التعسفية في الجزائر، وكان شعارها وهدفها الرئيسي تحرير الوطن واسترجاع سيادته المغتصبة.

ثانياً/ الإسلام

يعتبر الإسلام المقوم الأساسي للأمة الجزائرية، فهو دين الجزائريين دون منازع منذ أربعة عشر قرناً، لذلك تجندوا للدفاع عنه ضد الاحتلال الصليبي، وهو ما يفسر ارتباط جل المقاومات الشعبية بالإسلام الذي ظل محركاً لها لأكثر من قرن من الزمن. فمعظم قادة المقاومة كانوا زعماء طرق صوفية⁽²⁾، وقد ارتبط التصوف بنظام الربط في الإسلام، والربط أو الرباط هو الاجتماع في الثغور للدفاع عن تخوم الدولة الإسلامية، ومنذ نشأت تميزت المرابطة بصبغة دينية، فقد اعتبرت جهاداً في سبيل الله وكان معظم من يدخل في هذا النظام من المتطوعين⁽³⁾ لذلك عادة ما يلقب المتصوفة بالمرابطين. وقد تجندت الحركة المرابطية في الجزائر للدفاع عن البلاد من الخطر الصليبي، وإن كان بعض الطرق الصوفية موالياً للاستعمار، فإن قسماً كبيراً منها حمل السلاح ضده، بدليل أننا نكاد لا نجد حركة مقاومة دون أن يكون وراءها مرابط⁽⁴⁾ (قائد أو تابع لحركة صوفية أو مرابطية). وكانت الطريقة القادرية والرحمانية

(1) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص20-23.

(2) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص 396.

(3) عمر فروخ، التصوف في الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1981، ص ص26-28.

(4) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 396.

والدراوية من أهم الطرق التي قاومت الاحتلال؛ فقد كانت تجند اتباع وتجمع الأموال باسم الجهاد والدين، وتخوض المعارك دفاعاً عن الأرض والشرف والإسلام⁽¹⁾.

وقد كانت مقاومتا أحمد باي والأمير عبد القادر تقومان على الجهاد والشريعة الإسلامية، ففي الشرق وضع أحمد باي علم الدولة الجزائرية يتوسطه سيف عليّ رضي الله عنه (ذو الفقار) كرمز للجهاد، نصب هذا العلم على كل المراكز العسكرية والإدارية للدولة، كما كانت وفوده تصل حتى بجاية والمدية والبلدية لإعلان الجهاد ضدّ العدو⁽²⁾، وفي الغرب بايعت القبائل الأمير عبد القادر كأمر للمؤمنين، للدفاع على الإسلام، وتمت البيعة تحت شجرة اقتداءً بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم⁽³⁾ وطمعا في نصر الله القريب لدينه وللمسلمين، عملا بالآية الكريمة ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾⁽⁴⁾. ومنذ ذلك أخذ الأمير عبد القادر على عاتقه مهمة تحرير البلاد من النصارى، وجعل من هذه المسألة أولى أولوياته، وهذا مقطع من رسالة الأمير إلى سلطان المغرب (1838) يبيّن بوضوح الدوافع الدينية لمقاومته: "إنني لم أتقدم لتولي المسؤولية بمحض الطموح أو الرغبة في السلطة أو الجاه، أو حباً في ثروات الحياة الدنيا، ولكن والله وحده يعلم أسرار

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 301، 396.

(2) بوعزة بوضرساية، "الأعمال الإدارية والسياسية للحاج أحمد باي حاكم الإقليم الشرقي للجزائر"، مجلة الرؤية، عدد رقم 1، جانفي-فيفري 1996، ص ص 92-94.

(3) محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد وصالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 1994، ص ص 75-76.

(4) سورة الفتح، الآية: 18.

القلوب، لأحارب في سبيل الله، ولأحقن الدماء بين المسلمين، ولأحمي أملاكهم، ولأمهد البلاد كما تقتضي ذلك الغيرة على الدين والوطنية" (1).

ثم إن خليفة الأمير عبد القادر (ابن سالم) في بلاد القبائل صرح حسب شهادة الضباط الفرنسيين عند القبض عليه سنة 1847: "لقد حاربنا إلى يومنا هذا للدفاع عن حريتنا وديننا" (2). كما أن في تضامن السكان والبلاء الحسن

الذي أظهره في المقاومات التي استمرت زمنا طويلاً، دليلاً على رغبتهم في تحرير دار الإسلام، تطبيقاً لتعاليم القرآن التي تحث على الجهاد، بل وتجعله ملزماً إذا تعرّض المسلمون لغزو الكافرين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَكَاتِبُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (3)، وقوله: ﴿مَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَيَمُتْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (4). لذلك أخذت المقاومات الشعبية شكل الحرب المدافعة عن الدين

الاسلامي، وليست حرب مكاسب مادية كما ادعى ذلك مؤرخو المدرسة الفرنسية (5).

(1) شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر 1982، ص156.

(2) مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص:135، نقلا عن:

General ducrot , correspondance.

(3) سورة البقرة، الآية 190.

(4) سورة النساء، الآية 173-174.

(5) Charles André Gulien, histoire de l'algerie contemporaine, la conquête et les debuts De la colinisation (1827-1871) T:01 presse universitaires de France, 3e editions Paris , 1986, PP:418-429.

ثالثا/ العروبة

تمثل العروبة مكونا رئيسا ثانيا للشخصية الوطنية بعد الإسلام، فهي لغة للقرآن، ووعاء للحضارة الإسلامية التي عمرت قرونا، وكانت الجزائر جزءا منها، لذلك أخذت مقاومتها المسلحة طابعا عربيا قوميا، وهذا قبل ظهور فكرة القومية العربية بعدة عقود⁽¹⁾؛ لأن الجزائر كانت أول أمة عربية تعرضت للاستعمار، واكتشفت مخططاته للهيمنة على المنطقة العربية، خاصة وأن قادة المقاومة فيها كانوا على تواصل مع أشقائهم العرب ولهم شغف بالتراث العربي الإسلامي؛ هذه الخصائص حلت، مثلا، في مقاومة الأمير عبد القادر؛ فتكوين الأمير الفكري وبيئته وظروف مقاومته أكسبت ثورته الصبغة القومية العروبية، إذ كان على اطلاع واسع بالثقافة العربية الإسلامية التي نهلها من علماء الجزائر⁽²⁾.

إضافة إلى انفتاحه على المخزون الحضاري للعالم العربي الإسلامي خلال جولته في الحجاز ودمشق وبغداد⁽³⁾، أين اطلع على العلوم والآداب العربية من مصادرها الأصلية والتقى بالعلماء والأدباء والسياسيين، كمحمد علي زعيم النهضة المصرية، وهو ما عزز فيه الشعور بالانتماء القومي للأمة العربية⁽⁴⁾، فكانت مقاومته انطلاقا من الفكرة العربية القومية التي آمن

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، المرجع السابق، ص 306.

(2) كان ذلك في المدرسة الأشرفية والمدرسة الجمقمقية والمسجد الحسني، وكان من أبرز أساتذته: الشيخ أحمد بن الطاهر. أنظر: خيرية عبد الصاحب وادي، الفكر القومي العربي في المغرب العربي، دار الرشيد للنشر، بغداد 1982، ص 35.

(3) أحمد صلاح، التصوف والإصلاح عند الأمير عبد القادر، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، دون تاريخ، ص ص 08-10.

(4) يعبر شعر الأمير عبد القادر عن هذا التوجه؛ إذ يقول في هذا الصدد:

بها⁽¹⁾.

هذه الروح الوطنية للأمير عبد القادر، كانت دائما تختلط مع مشاعر الانتماء القومي للأمة العربية، جعله ينبه العرب إلى خطر الاستعمار الفرنسي، فحسب رؤيته إذا ما نجح هذا الاستعمار في بسط سيطرته على الجزائر، فإنه سيتجه إلى احتلال أقطار المغرب العربي ثم الوطن العربي برمته، لذلك حث الحكام العرب على مساندة مقاومته لتحرير الجزائر منه كصمام أمان لكبح جماحه في التوسع نحو باقي الأقطار العربية، مؤكدا على ضرورة التضامن والتآزر في هذا المجال حفاظا على كيان الأمة العربية. في هذا الإطار، بعث برسالة إلى سلطان المغرب (عبد الرحمان بن هشام) حثه على الجهاد ومساعدة إخوانه الجزائريين، مبينا أن التقاعس عن ذلك يؤدي إلى تقوية شوكة الاستعمار ويدفعه لاحتلال المغرب⁽²⁾، كما أرسل إلى باي تونس (أحمد باشا) خطابا، دعاه إلى التفاهم والتعاون وحسن الجوار، وذكره بالروابط المشتركة بين الجزائريين والتونسيين⁽³⁾، ونفس اللهجة حملتها مراسلاته إلى حاكم مصر

لنا في كل مكرمة مجال ومن فوق السحاب لنا رجال

ركبنا للمكارم كل هول وخضنا أجرا ولها زجال

وورثنا سؤددا للعرب يبقى وتبقى السماء ولا الجبال

فبالمجد القديم علت قرش ومنافوق إذا طابت فعال

أنظر: خيرية عبد الصاحب وادي، المرجع السابق، ص ص 35-37. نقلا عن ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، دار اليقظة العربية، ط2، بيروت، 1964، ص ص 25-27.

(1) خيرية عبد الصاحب وادي، المرجع السابق، ص ص 35-36.

(2) المرجع نفسه، ص ص 37-38.

(3) المرجع نفسه، ص ص 38.

وشريف مكة أرشدهم إلى المخاطر التي يشكلها الاستعمار إذا ما طالت قدماه باقي الأقطار العربية⁽¹⁾.

والحق أن مقاومة الأمير عبد القادر كانت عاملا في يقظة الوعي القومي العربي، على الأقل في المغرب العربي، فوجدنا، مثلا، تحرك الوجدان القومي المغاربي لنصرة هذه المقاومة في كل من تونس والمغرب، من خلال الدعم المادي والسياسي، لدرجة أن سكان وجدة بايعوه على الجهاد⁽²⁾، بل انتقلت جيوش القبائل المغربية إلى الغرب الجزائري وشاركت في معارك إلى جانب الأمير⁽³⁾.

فالنزعة الوطنية العروبية في المقاومة المسلحة تولدت في الجزائر عقب الاحتلال مباشرة عقب القضاء على سيادة الدولة الجزائرية، وما تبعها من محاولات المس بشخصيتها العربية الإسلامية، وكان المنحنى البياني لهذه النزعة يتصاعد كلما حاول الاستعمار تكريس وجوده السياسي والحضاري.

رابعاً/ الوحدة

الوحدة صبغة المجتمع الجزائري، برزت عبر التاريخ في ذلك المجتمع القبلي المتجانس الذي تصدى للاحتلال الروماني، وتعمق معناها بعد الفتح العربي الإسلامي وتقبل السكان للإسلام كدين سماوي يدعو إلى الوحدة وينهى عن الفرقة، وترجمت في مجموعة الكيانات السياسية التي ربطت الجزائر بدول عربية مجاورة وجعلت من الوحدة شعارا لها؛ كدولتي المرابطين والموحدين، وهما الدولتان اللتان تصدتا بقوة للتحرش الصليبي الإسباني. هذا الرصيد لم

(1) خيرية عبد الصاحب وادي، المرجع السابق، ص38-39.

(2) المرجع نفسه، ص39-40.

(3) المرجع نفسه، ص40.

يكن غائبا عن أذهان الجزائريين، الذين تلاحموا في خندق واحد مع المقاومة المسلحة وظلوا لأكثر من قرن وقودها الحقيقي، فمثلا؛ وقف سكان القبائل في الغرب الجزائري إلى جانب الأمير عبد القادر وأمدوه بالدعم المادي والمعنوي، ورغم ما لحق هذه القبائل من الأذى، فإنها واصلت الكفاح تحت لوائه وهو ما تؤكده شهادة أحد الضباط الفرنسيين التي ذكر فيها: "لم يعد لي من عمل سوى منع القبائل من الهجرة والالتحاق بعبد القادر" (1).

وفي الشرق التف السكان حول مقاومة أحمد باي، فأظهروا مقامة بطولية رغم سقوط مدينتهم (قسطنطينة)، وقد غدت هذه الصفة ملازمة لكل المقاومات الوطنية؛ كذلك التضامن الذي حدث بين السكان في مقاومة الزعاطشة (1848-1849)، فقد توالى الإمدادات على الواحة المحاصرة حتى من الأوراس، والتفاف سكان القبائل حول الشيخ بويغلة وفاطمة نسومر (1850-1857) (2)، وكذلك الأمر بالنسبة لثورة المقراني (1871) (3). فكل هذه الحركات المسلحة تعدّ مثالا حيا عن شعبية ووحدة المقاومة الجزائرية.

وبهذا، يمكن القول إن الشعب الجزائري لم يكن مستكينا للهزيمة ولا راضيا بالأوضاع المفروضة عليه، بدليل مشاركته الواسعة والفعالة في كل المقاومات، ودفاعه المستميت عن أرضه ووطنه ودينه، وهي كلها دلائل تفند مزاعم الاستعمار وإشاعاته بكون الثورات التي قام بها الجزائريون كانت معزولة ومن تدبير مرابطين أو متعصبين دينيين، أو كما قالوا ثورات ضدّ دفع الضرائب

(1) مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص: 119، نقلا عن:

Compagnes d`afrique , de castellane , p 39 .

(2) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 156، 351-352، 368-369.

(3) مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص: 129.

(1). وهذا بهدف النيل من هذه المقاومات بتقزيمها وإفراغها من ثوابتها التي ناضلت من أجلها وإلغاء صفة الاستمرارية على الكفاح الجزائري.

خامسا/ التاريخ

رغم ما يحمله مصطلح التاريخ من محتوى معرفي ووعي بالماضي، فإن المقاومات الشعبية كان لها نزعة تاريخية، استمدتها من الواقع الاستعماري الجديد الذي اعتدى على سيادة الدولة الجزائرية واغتصب كيائها وطمس تاريخها الحافل بالأمجاد، استعدادا لدمجها في الفضاء الأورو متوسطي، وبالتالي عزلها تماما عن ماضيا التاريخي وواقعها الحضاري. تصدت المقاومة المسلحة لمحاولة طمس التاريخ السياسي والحضاري الجزائري، فكانت مقاومة أحمد باي بتنظيماتها العسكرية والإدارية والسياسية والاقتصادية تعبيراً عن استمرار الدولة الجزائرية المغيبة بموجب معاهدة 5 جويلية 1830 (2)، والقول نفسه ينطبق على مقاومة الأمير، الذي أوجد في إطار مقاومته تنظيمات عسكرية وإدارية (3) رقاها بالتدرج إلى ما يمكن أن تتميز به الإمارة. وقد عبرت هذه التنظيمات عن النزعة الوطنية التحررية، التي استلهمت من تاريخ الجزائر مبدأ إعادة تأسيس الدولة الجزائرية التي كانت قائمة بمؤسساتها قبل الاحتلال أين كانت هذه الدولة تحتل مكانة مرموقة في حوض المتوسط والعالم.

وقد عبر الأمير عن هذه النزعة التاريخية في أكثر من مناسبة؛ ففي خطاب وجهه إلى بيجو قال: "إن هذه القارة هي بلاد العرب ومهما مكثتم فيها

(1) Gulien ,histoire de l' algerie contemporaine ,op. cit , p429 .

(2) محمد العربي الزبيري، المصدر السابق، ص 114.

(3) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج01، المرجع السابق، ص ص173، 211، 213، 272.

معشر الفرنسيين فأنتم ليس سوى عابري سبيل ولو طال مكثكم فيها ثلاثمائة عام مثل الترك سينتهي الأمر بخروجكم منها" (1). ولعلنا نلاحظ أن الأمير قد مزج - في هذا الخطاب - بين الانتماء الوطني والانتماء القومي العربي وجعلهما في إطار تاريخي مشترك عندما أقر بأن الوطن الجزائري هو جزء من بلاد العرب، جعله يؤمن بقيام الدولة الجزائرية العربية الإسلامية كما كانت قائمة أيام الرستميين والمرابطين والموحدين. فتاريخ الجزائر بالنسبة للأمير عبد القادر لا يقبل الطمس والتحريف، وإن كان الاستعمار فرض واقعا سياسيا جديدا باغتصابه شرعية الدولة الجزائرية، فإن الجزائر بالنسبة إليه - مهما طال الأمد - ستعود إلى أصولها التاريخية.

خاتمة

في الأخير، يمكن القول إن المقاومات الشعبية نجحت في إعادة تفعيل منظومة الثوابت الوطنية، لتنهض بدورها التاريخي في التصدي للهجمة الشرسة الفرنسية، هذه الثوابت كانت فيما مضى مفاتيح النصر للجزائريين عبر مراحل متعاقبة من التاريخ النضالي الجزائري في مواجهة الغزاة، ولعل هذا ما استوعبته المقاومة الشعبية الجزائرية وعملت به، عندما أعاققت هذه المقاومات بهذه الثوابت تمدد الاستعمار الفرنسي على الجغرافية الوطنية على مدى ثمانين سنة، فضلا عن إجهاض مشروعه التغريبي، وفوق كل ذلك ظل فعلها في التمسك بهذه الثوابت فكرا وممارسة، راسخا في نضال الحركة السياسية ومسيرة الثورة التحريري، وفي نفسية المجتمع الجزائري.

(1) خيرية عبد الصاحب وادي، المرجع السابق، ص 122.

إسهامات عمر راسم في مواجهة التغريب الثقافي الفرنسي في الجزائر
مطلع القرن العشرين

contributions of Omar Racim to face French cultural
westernization in Algeria at the beginning of the
twentieth century

طالبة دكتوراه / رحيمة قليل
جامعة زيان عاشور الجلفة

الملخص

أنجبت الجزائر في خضم مسيرتها التاريخية العديد من الشخصيات العظيمة الذين اخذوا على عاتقهم مسؤولية النهوض بالأمة الجزائرية والتصدي للسياسة الاستعمارية، التي كانت تهدف إلى طمس مقومات الشخصية الإسلامية المتمثلة في الوطن والدين واللغة وإحداث نوع من الانبعاث الثقافي في الجزائر مطلع القرن العشرين، ومن أبرزهم الصحفي الكبير عمر راسم الذي لعب دورا كبيرا في مقاومة التغريب الثقافي الفرنسي في الجزائر بواسطة التأليف والصحافة.

Abstract

Algeria gave birth to many of the great characters who took responsibility for promoting the Algerian nation and addressing colonial policy, which was aimed at blurring the element of Islamic personality, religion and language. And the creation of a kind of cultural emission in Algeria at the beginning of the twentieth century and the most prominent journalist Omar Rasem, who played a major role in resisting French cultural diversion in Algeria by authoring and press .

مقدمة

عرفت الجزائر كبقية أقطار المغرب العربي خلال القرن التاسع عشر للميلاد فترة انكماش ثقافي بحكم الاحتلال وضريبة المقاومة، شعر فيها المثقف الجزائري بالغبن والانكسار المادي والمعنوي من جراء الغزو الفرنسي وسياسته،

هذا الأخير الذي لم يكتف بالتغلغل في أرض الجزائر واحتلالها احتلالا شاملا فحسب بل تبنى سياسة تعليمية إزاء بعض الجزائريين، لكن في إطارها التجهيلي انطلاقا من محاربة اللغة العربية وفرنسة الجزائريين... وقد امتدت هذه الحقبة المظلمة إلى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، فعرفت الجزائر نهضة حديثة كانت وليدة جهود علماء ومفكرين جزائريين أمثال عمر راسم الذي دعا إلى الإصلاح والمحافظة على الهوية والشخصية الوطنية. كل هذا دفعني إلى طرح الإشكالية التالية: من هو عمر راسم؟ وما هي مساهماته في الحفاظ على الهوية الجزائرية ومحاربة التشويه الفرنسي؟

أولا/ ميلاده

هو عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمد البجائي⁽¹⁾، ولد يوم الثلاثاء الخامس ربيع الأول 1302 هـ الموافق لـ 3 جانفي 1984 م، بأحد منازل شارع غيلبان من حي القصبة بمدينة الجزائر⁽²⁾، أما أصل أسرته فقد اختلف المؤرخون حولها فهناك من اعتبره أصيل مدينة بجاية حسب النسبة الملتصقة باسمه وحسيب قبيلة صنهاجة الأمازيغية لأنه كان يوقع اسمه في كتاباته الصحفية بأبو منصور الصنهاجي⁽³⁾.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص283.

(2) سليمة كبير، من أعلام الجزائر في العصر الحديث عمر راسم الصحفي والفنان العبقرى، ط1، المكتبة الخضراء، الجزائر، 2009 م، ص 14.

(3) فارس كعوان، المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي (1830-1962) مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر؛ جامعة قسنطينة، الجزائر، 2012م، ص111.

بينما نجد الكاتب محمد ناصر فقد أرجع أسرة عمر راسم إلى أصل تركي لكون لقب "راسم" موجود في تركيا⁽¹⁾.

ثانيا/ نشأته وتكوينه

نشأ عمر راسم في وسط عائلة فنية متوسطة الحال، تنحدر من القصبية وبها نشأ وتعلم حيث تلقى تعليمه الأول بكتاتيب⁽²⁾ مدينة الجزائر، حيث ادخله والده كتاب بابا عثمان بالعاصمة⁽³⁾، فظهر تفوقا ونجابة لفتت أنظار معلميه إليه فقد أتم حفظ القرآن الكريم وهو في سن السابعة من عمره ولحفظه الجيد وأدائه الدقيق عينه الشيخ بوقندورة حزابا بمسجد السفير وهو في الثانية عشر من عمره فقط. وفي مسجد السفير تلقى دروسا في النحو على يد الشيخ محمد بن مصطفى خوجة⁽⁴⁾ الذي امتدحه عمر راسم، واعتبره شاعر العصر والخبير

(1) محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، ط 2، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013 م، ص 18.
 (2) وكان يطلق عليه ولاسيما في العاصمة اسم "مسيد"، وهو بدون شك محرف من تصغير كلمة مسجد، وظيفتها الأساسية هي تحفيظ القرآن للأطفال وترتيله، وهي عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو حتى بعيدة عنه، أو غرفة في منزل وقد خصصت لاستظهار كتاب الله العزيز وهي أول محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل والقلم القصبى. للمزيد ينظر: محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم محمد بن عبد الكريم، ط 2، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981م، ص 58.

(3) ACHOUR CHEURFI, LA GLAS POLITIQUE ALGERIENNE, ALGER, 2001, P86.

(4) محمد بن مصطفى خوجة (1865_1915): شاعر وكاتب وعالم بالشريعة الإسلامية واللغة العربية، عمل في جريدة المبشر كمحرر للغة العربية وعين مدرس بالمسجد السفير سنة 1895م حيث أقرأ التفسير والفقه والتوحيد، كان من المتأثرين بدعوة محمد عبده للمزيد أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 1، مؤسسة نويهض، لبنان، 1989م، ص 138.

بأحوال المشرق⁽¹⁾ وذلك في قوله: "شاعر الجزائر في وقته وأفصح علمائها وأعلمهم بتراجم الجزائر".

وكان ذلك بين سنتي (1895م - 1915م). كانت لهذا الشيخ مواقف معروفة في مقاومة الاستعمار الفرنسي وفي محاربة البدع في الجزائر، ويبدو لنا أن مواقفه هذه قد طبعت بشكل واضح في شخص الشيخ عمر راسم⁽²⁾، كما قضى عمر راسم سنة واحدة بالمدرسة الثعالبية⁽³⁾، وتلقى بعض الدروس في اللغة الفرنسية في مدرسة الشيخ إبراهيم فاتح لكنه لم يمكث بها إلا سنة واحدة لأنه طرد منها نظرا لتميزه بالتفكير الحر، وعندما رأى عمر راسم أن تكوينه غير كاف فعزم على تثقيف نفسه حيث استطاع بإرادته القوية أن يتكون تكويننا علميا حسنا فانكب على المطالعة باللغتين العربية والفرنسية، وخصوصا في سجن بربروس حيث قبع فيه بين سنتين (1921-1915م) في الزنزانة رقم أربعون⁽⁴⁾، أما تكوينه فكان على يد والده "علي راسم" الذي علم إليه وإلى أخيه "محمد" أصول الفنون التقليدية الإسلامية حيث تعلم مبادئ العلوم العربية الإسلامية، كل هذا كان في ورشة العائلة بالقصبة .

وتعد عائلة عمر راسم من بين العائلات العريقة التي سعت إلى إبراز التراث التقليدي والانتماء الإسلامي للشعب الجزائري، حيث اهتمت بقضايا

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 284.

(2) عادل نويهض، المرجع السابق، ص 138.

(3) المدرسة الثعالبية: أنشأها الحاكم العام للجزائر شارل جونار في ماي 1903م، كانت معلما حضاريا، ومنبرا من منابر العلم والتوجيه، والتأثير وسميت بالثعالبية نسبة إلى الإمام سيدي عبد الرحمان الثعالبي وهي امتداد للمدرسة الشرعية الفرنسية للمزيد ينظر، عبد القادر المجاوي، الدرر النحوية على المنظومة الشبراوية، دار زمורה، الجزائر، 2011، ص 65.

(4) فارس كعوان، المرجع السابق، ص 111.

المحرومين والفقر أثناء الاحتلال الفرنسي، غير أن السلطات الفرنسية صادرت ثروتها فاتجه والد عمر راسم إلى النحت والتصوير⁽¹⁾. عرف منذ صباه بأفكاره السياسية والإصلاحية وكان من أوائل الجزائريين المعتنقين للمذهب الأستاذ الأمام محمد عبده⁽²⁾ فقد جاوز عمر راسم العشرين سنة عندما زار الشيخ محمد عبده الجزائر⁽³⁾. سنة (1903م)⁽⁴⁾ فكان عبدويا مخلصا أمن بدعوة هذا الشيخ وتأثر بأفكاره الإصلاحية والسياسية وهو ما يزال آنذاك طالبا في المدرسة الثعالبية، مما اغضب المشايخ المحافظين منه فطردوه من المدرسة. ومن جهة أخرى انتقد عمر راسم حركة الشباب الجزائريين الذين تتقفوا ثقافة فرنسية فمن هنا يمكن وضع الشيخ عمر راسم ضمن خانة النخبة العصامية نخبة الوضع الخاص التي لم ترد الانضمام لا إلى هؤلاء التقليديين ولا أولئك المتفرنسين. كما عارض أيضا عمر راسم فرض التجنيد الإجباري على الجزائريين، وأن يقف في ذلك، مثل زميله عمر بن قدور ضد الفئة الاندماجية التي قبلت بالتجنيد بشرط كسب الحقوق السياسية غير ناظرين إلى مسألة الدين والرابطة الإسلامية، وكان اهتمامه بالحياة السياسية والثقافية هو الذي دفعه إلى أن يجرب الصحافة⁽⁵⁾.

(1) عادل نويهض، المرجع السابق، ص 243.

(2) عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، ج2، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2009 م، ص 283.

(3) محمد عبده زار الجزائر 1903 وقد مثلت هذه الزيارة عاملا حاسما في انتعاش الحركة الفكرية الإسلامية في الجزائر من خلال الأحاديث والدروس والمحاضرات التي كان يلقيها، للمزيد ينظر: إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2007 ص229م.

(4) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 284.

(5) المرجع نفسه، ص، 284.

عائش عمر راسم تطور الأحداث بالجزائر وخاصة العلاقة بين اليهود وفرنسا أواخر القرن عندما كان ماكس ريجس شيخا لبلدية العاصمة، وهو الأمر الذي لفت نظره إلى وضع اليهود في الجزائر الذين جنسهم الوزير اليهودي كريميو سنة 1870 م، فكان الخطر الصهيوني في العالم محل اهتماماته (1).
ثالثا/ مساهمة عمر راسم في الحفاظ على الهوية الجزائرية ومحاربة التشويه الفرنسي

لقد ساهم عمر راسم في المحافظة على الهوية الجزائرية وحارب التشويه الفرنسي في الجزائر عن طريق الصحافة والتأليف:

1- الصحافة

يرى أغلبية المؤرخين والباحثين في تاريخ الجزائر عامة والجانب الإعلامي خاصة بأن ظهور الصحافة المكتوبة في الجزائر يعود إلى ما بعد الاحتلال الفرنسي 1830م، فقبل هذا التاريخ لم تشهد الجزائر ميلاد صحافة إعلامية فقد كانت كلها صحف استعمارية، وأمام الزخم الكبير الذي عرفته الصحافة الكولونيالية المتسمة بتحيزها الكلي للحكومة الفرنسية، أدرك المثقفون الجزائريون أهمية الصحافة كوسيلة فعالة لتشرح مشاكلهم، وتوصل مطالبهم للحكومة الفرنسية وتواجه التعريب الثقافي الذي عرفته الجزائر منذ سنة 1830م (2).

لهذا شرع بعض الصحفيين الجزائريين أواخر القرن التاسع عشر في إصدار صحف تكون بمثابة منبر لتبليغ آراءهم وأفكارهم ووسيلة منهم للمقاومة

(1) الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 25.

(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 284.

الثقافة الفرنسية، ومنهم الصحفي الكبير عمر راسم الذي يعد أحد الأدباء المصلحين ومن كبار الصحفيين الجزائريين⁽¹⁾، وقد أشار عمر راسم إلى الأهمية الكبرى للصحافة (صاحبة الجلال) بقوله: "الصحافة هي ترجمان الأمم وهي أعظم واسطة يبلغ نفعها مصادر الخدمة الوطنية ووظيفتها اكبر الوظائف في الإسلام لأنها احكم الوسائل وأقوم السبل لترقية الشعوب وترقية الأمم ... وهي الباعثة في عقول الأحرار روح الفضيلة واليقظة فهي الآلة المؤثرة في النفوس بالترغيب والترهيب والأمر والنهي"⁽²⁾.

بدأ نشاط عمر راسم الصحفي في عهد الحاكم العام شارل جوناك⁽³⁾، حيث باشر في إصدار جريدة الجزائر في 17 أكتوبر 1908م وهي مجلة وطنية إصلاحية صدر منها عددان فقط⁽⁴⁾. كما أصبح عمر راسم كاتب الخط العربي لجريدة الحق⁽⁵⁾ التي تأسست في 10 أكتوبر 1911م بوهان حاملة شعار "الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين".

فقد قاومت هذه الجريدة الاندماج وطالبت بحقوق المسلمين الجزائريين مع الاحتفاظ بالجنسية الجزائرية. وقد نشر عمر راسم بهذه الجريدة مقال بعنوان: *نصيحة الأخ ودعوة الإصلاح* بتاريخ 11_18 أوت 1912م العدد 44.

(1) عبد الملك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ج2، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 74.

(2) إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 243.

(3) أبو القاسم سعد الله، حصاد الخريف، عالم المعرفة، الجزائر، 2011م ص 240.

(4) إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 246.

(5) BARKAT DJA MILA k, **ENCYCLOPEDIE**, DES SAVANTS, ET-19 HOMES DE LETTRES ALGERIENS, CORRECTION BELHADJ MOHAMED, AIGER, P 297.

وفي سنة 1912م تعاون عمر راسم مع الشيخ عمر بن قدور⁽¹⁾ في تأسيس جريدة الفاروق⁽²⁾، ثم انصرف الى تأسيس جريدة ذو الفقار⁽³⁾ في 5 أكتوبر 1913م في شكل مجلة مصورة فكان يحررها ثم يكتبها بخطه ويرسم صورها ويطبعا طبعا حجريا⁽⁴⁾، توارى بها تحت اسم مستعار وهو أبو منصور الصنهاجي⁽⁵⁾، وتعد هذه الجريدة أول جريدة عربية اكتشفت الخطر الصهيوني ونهت عليه⁽⁶⁾.

لقد ذكر عمر راسم في مقدمة العدد الأول أنه أصدرها " من أجل كشف أسرار المنافقين وإظهار مكائد اليهود والمشركين للناس أجمعين وانتقاد أعمال المفسدين"⁽⁷⁾. تميزت جريدة ذو الفقار بتوجهها الإصلاحى الدينى الاجتماعى الوطنى المشبع بأفكار محمد عبده⁽⁸⁾. فقد اعتبره راسم مدير

-
- (1) عمر بن قدور: من رواد الصحافة العربية الوطنية في الجزائر ولد بمدينة الجزائر 1886م ودرس على يد الشيخ عبد القادر المجاوي، ثم التحق بجامعة الزيتونة بتونس وعاد إلى الجزائر سنة 1908م للمزيد ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص 243.
- (2) جريدة الفاروق: وهي دورية إسلامية وطنية تربية أخلاقية اقتصادية واجتماعية تعنى بالشؤون الوطنية الإسلامية حملت شعار: قلمي لسانى ثلاثة بفؤادى ... دينى ووجدانى وحب بلادى. للمزيد أنظر: على مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007ص 40.
- (3) فارس كعوان، المرجع السابق، ص 112.
- (4) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، مصر، 1931، ص 369.
- (5) محمد حمدان وآخرون، الموسوعة الصحفية العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1995ص 78.
- (6) أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 369.
- (7) عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص 74.
- (8) أبو القاسم سعد الله، حصاد الخريف، المرجع السابق، ص 236.

الجريدة الديني بقوله: " ذو الفقار جريدة عبدوية إصلاحية وإنها لا تخرج عن الطريق التي خطها لها رجال الإصلاح المخلصين "، وفي الصفحة الأولى من العدد لهذه الجريدة رسم عمر راسم رجل مصري، ويشير ذلك إلى محمد عبده يحمل في يديه سيف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو " ذو الفقار " (1)، وتحت رجليه كتب "بعثت لأقتل النفاق والحسد والكبر والشرك من قلوبهم ... وأبث فيهم الصدق والتسامح والتواضع والإيمان الخاص وحب الخير لبعضهم ..."، وقد توقفت الجريدة عن الصدور بعد إصدارها لأربعة أعداد فقط (2).

لقد انضم عمر راسم خلال الخمسينات الى مجلة (هنا الجزائر) الصادرة عن الإذاعة الفرنسية، وقد ترأس هذه المجلة الشاعر الطاهر البوشوشي فكان عمر راسم لآخر لحظة من كتاب هذه المجلة ومن متحدثي المذيع وقد تنوع إنتاجه في هذه الفترة فشمّل تاريخ الموسيقى، إذ نجده كتب عن الموسيقى الأندلسية في إحدى الدوريات التونسية (3).

وقد أشار أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد أن أحد المصادر كان قد أحصى سبع مقالات لعمر راسم نشرت في الجريدة الرسمية قبل 1911م منها مقالة عنوانها "استعمار فلسطين" (4). ويرجح أن هاته الجريدة هي جريدة المرشد ومرشد الأمة التونسيين (5)، وهكذا يتمثل تراث عمر راسم، في مجموعة

(1) إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 248.

(2) عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص 75.

(3) أبو القاسم سعد الله، حصاد الخريف، المرجع السابق، ص 238.

(4) المرجع نفسه، ص 234.

(5) فارس كعوان، المرجع السابق، ص 112.

المقالات التي نشرها في الصحف الجزائرية والتونسية ومجموعة من الخطب التي كان يلقيها بالعربية والفرنسية⁽¹⁾.

2-التأليف

كما أشتهر عمر راسم في ميدان الصحافة أشتهر كذلك في ميدان التأليف، فلعمر راسم كتاب واحد مخطوط بعنوان "تراجم بعض علماء الجزائر" وهو عبارة عن رسالة ضمت عددا من الأعلام الجزائريين أمثال مصطفى بن خوجة وعبد الحليم بن سماية⁽²⁾ وحمدان بن عثمان خوجة⁽³⁾. هذا الأخير اعتبره عمر راسم وطنيا كبيرا وسياسيا ماهرا وأبرز علماء الدين الذين تقلدوا وظيفة التدريس بالجامع الجديد حيث درس التفسير والحديث⁽⁴⁾. ومن تراثه أيضا لوحات فنية قائمة على توظيف الخط العربي الذي كان يجيده⁽⁵⁾، ومنها ما نجده في أغلفة بعض الكتب المعاصرة، وهي عبارة عن رسائل وطنية موجهة للشعب الجزائري في إطار فني راقي مثل اللوحة التي رسمها لغلاف "كتاب الجزائر" لأحمد توفيق⁽⁶⁾ المدني والتي تمثل الذوق العربي الإسلامي وعروبة الجزائر وإسلامها

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص 288.

(2) عبد الحليم بن سماية: هو علم من أعلام الجزائر، الذين كانت لهم بصمات في الحياة الثقافية، ولد في قلب حي عبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة 1866، للمزيد ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص 8.

(3) فارس كعوان، المرجع السابق، ص 133.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، طبعة خاصة، دار البصائر، ص 441.

(5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المرجع السابق، ص 288.

(6) أحمد توفيق المدني: علم من أعلام الجزائر، ولد في الفاتح نوفمبر، 1889م، في مدينة تونس، من أسرة جزائرية مهاجرة، أب جزائري وهو السيد محمد المدني، وأم جزائرية وهي عائشة

من خلال الشعارات التي كتبت على الغلاف وهي (حب الوطن من الإيمان) و(الإسلام ديننا والجزائر وطننا والعربية لغتنا) ⁽¹⁾.

ويعتبر عمر راسم أول رسام جزائري في العصر الحديث حيث قام بتأسيس أول مدرسة أسماها "مدرسة الفنون الزخرفية والمنمنمات الإسلامية"، التي حملت مشعل الإحياء الجزائري الإسلامي، وبعد خروجه من السجن 1921 م أنكف عمر راسم على صقل موهبته في الرسم والخط، وفي سنة 1921 بدأ عمله كمدرس بمدينة الجزائر في مدرسة لتعليم فن التصوير والزخرفة العربية والشرقية. لقد اشتهرت عائلة راسم بالفن والرسم والفنون الجميلة، كالخط والمنمنمات وكان جده سعيد راسم نفسه فنانا، ويذهب جورج مارسيه إلى أن الأسرة قد تكون جاءت من المشرق في وقت غير معروف واستقرت أولا في بجاية ثم انتقلت إلى العاصمة، وربما تكون هذه العائلة مثل عائلة ابن خلدون ⁽²⁾. أما والد عمر راسم فقد برع في فن النحت والتصوير في حين برز نشاطه في تزيين العمارة العربية الإسلامية وصناعة الأثاث والمنمنمات، امتلكت هذه العائلة ورشات لتعليم، حيث تزينت قصور ومباني الكثير من الأثرياء بالأنامل والأشكال ⁽³⁾.

بويزار، للمزيد ينظر: محمد بوطيبي، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص 151.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، دار البصائر، 2007، ص 430.

(2) عبد النور خيثر وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية ' 1954_1830 '، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007ص104.

(3) الجيلالي ضيف، بناء المجد، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص 26.

ويعد محمد راسم أكبر من أخيه عمر بعدة سنوات وقد تخرج من مدرسة العائلة المحافظة واستقى روحها الإسلامية والوطنية، ورغم أنه مر بمدرسة الفنون الجميلة الفرنسية فإنه لم يتأثر بما فيها وبقي مع أخيه عمر وفيين لتقاليد العائلة والبلاد الجزائرية⁽¹⁾، وقد اختير هو وأخوه محمد راسم ليدرسا بها الخط العربي والزخرفة والمنمنمات، فباشر عمر راسم التعليم بها ليتخرج على يديه نخبة من الشبان الفنانين⁽²⁾.

لقد كان عمر راسم يمزج في أعماله الفن الفارسي كما كان يوقع لوحاته الفنية بالحروف العربية حتى تلك التي تعرض في أوروبا أو تنتشر في الكتب المتعلقة بالإسلام وثقافته لمؤلفين أوروبيين وقد قال عنه "ماري بوجيجا" سنة 1923 م، وهو عندئذ ما يزال في بداية عطائه الفني: "إنه شخص بارع في فن المنمنمات وهو ذو موهبة وإنه حصل على ميدالية فيرماي للفنانين الشرقيين بباريس، وإن بلدية الجزائر قد منحته منحة قيمتها 500 ف. ونوه به أيضا "قوانار" قائلا: "إنه تفرد بفن المنمنمات ونافس الفنانين الفرنسيين ولم يترك لهم المجال وحدهم". وقال عنه أيضا: "إن له تلاميذ واصلوا المهمة بعد"⁽³⁾.

يمكننا القول إن عمر راسم كان عميدا للمدرسة في فن التهذيب والخط، وكذلك المنمنمات وكان نشطا في هذا الميدان منذ سنة 1937، وشارك في اتحاد فناني شمال إفريقيا وكان يعرض أعماله في صالونات خاصة.

(1) عمار عمورة، المرجع السابق، ص 282.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، المرجع السابق، ص 429.

(3) المرجع نفسه، 433.

رابعاً/ وفاته

لم يزل عمر راسم بين أستاذيته للرسم ومقالاته في الصحف وأحاديثه في الإذاعة، حتى توفى يوم الجمعة 13 نوفمبر 1959م وعمره 75 سنة كله عمل وإنتاج، ودفن بمقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالعاصمة (1).

خاتمة

وفي الأخير أصل الى القول إن عمر راسم كان من أكبر الأدباء المصلحين ومن كبار الصحفيين الجزائريين فقد حمل نزعة إصلاحية وطنية ترمي لأحياء العواطف والعقول وتنمية المعارف في أذهان الجزائريين، كما برز في الساحة الجزائرية في فترة كانت الجزائر ترزخ تحت وطأة أبشع نظام استعماري عرفته البشرية في ذلك الوقت، لكن تصدى لها بفضل نشر مقالاته المتنوعة التي ساهمت في توعية الشعب الجزائري ومواجهة التغريب الثقافي في الجزائر.

(1) فارس كعوان، المرجع السابق، ص 112.

زاوية سيدي موسى بعرش بني وغليس، نشاطها ودورها العلمي والثقافي

**Zawiya of Sidi Moussa in the arche throne of Bani Ghalis,
its activity and its scientific and cultural role**

ك.أ.د / سفيان لوصيف

جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02

مقدمة

كانت منطقة القبائل تحتضن دائما شيوخا بارزين في تلقين العلوم الشرعية، واللغوية، بالمتون، والمصنفات، وكذا رجال الفكر، والأدب، وبها زوايا متنوعة، وكثيرة اشتهرت وعرفت تفوقا في اللغة، والخط، والنحو، والفقهاء، وكانت بمثابة معاهد عليا أسست لتعليم القرآن الكريم، وتدریس علومه، وقد لعب مشائخ هذه الزوايا الدور الأكبر في نجاحها، واستمرار إشعاعها العلمي والديني، فكانت لهم المسؤولية في اقتناء الكتب القيمة والنادرة، وتكليف الطلبة بمطالعتها، والتي كانت تفتح عقولهم، وتنير معارفهم، وتفتح لهم رغبة الاطلاع، والاستزادة في علوم الدين واللغة العربية، والتاريخ الإسلامي، والحساب، ومن هذه الزوايا نذكر زاوية سيدي موسى في تنبذار.

أولا/ تأسيس الزاوية

تأسست هذه الزاوية خلال القرن 9 هـ / 15 م في بلدية تنبذار دائرة سيدي عيش ولاية بجاية حاليا¹، على يد أحد الرجال الصالحين، وهو الشيخ سيدي موسى الوغليسي، وهو من علماء بجاية الناصرية، وتقع في قلب عرش بني

1 عبد الباهي بوزيت: عرش آث وغليس، قبيلة أسطورية، الجزائر، 2013، ص.90، 91.

وغليس¹ التي ينسب إليها الشيخ الوغليسي المشهور، وكانت هذه الزاوية تشع بنورها على ضفاف وادي الصومام، وانبتقت منها زوايا عدة والتي تقدر بالعشرات، وما زالت تؤدي دورها الديني والاجتماعي إلى اليوم، ومن المشائخ الذين تخرجوا منها ودرسوا فيها الشيخ محمد السعيد بن سحنون، والشيخ السعيد البهلولي² الذي ينحدر من بني وثيلان، وهو دفين زاوية سيدي موسى بجانب قبر مؤسسها، وكان شيخا محترما مبعلا من سكان عرش بني وغليس.

وكان أغلب طلبة زاوية سيدي موسى من جهة سطيف ونواحيها، خاصة الشمالية الشرقية (عموشة، ووادي البارد، وعين الكبيرة، والدهامشة، وبني عزيز، والأوريسيا)، ويعود اختيار هذه الزاوية رغم وجود زوايا كثيرة ومعتبرة تتجاوز العشرات لما فيها من ظروف الإقامة والمعيشة ما لم يتوفر في غيرها من الزوايا، ولما فيها من تنظيم داخلي مقبول وحرية منتظمة، ويتمثل ذلك في أن الشيخ سيدي موسى قد ترك كتاب صغير يسمى 'كتاب السفارة' الذي يحاكي ما يعرف الآن بالقانون الداخلي للزاوية، وهو مرجع أساسي يرجع إليه عند

1 كانت مقرا للأشراف ومنهم العالم الفاضل الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي عالم بجاية وقاضيا، والشيخ محمد بن إبراهيم الوغليسي، ومنهم الشيخ طاهر الجزائري الحسني الوغليسي من أسرة هاجرت إلى الشام، ويعد أحد رواد النهضة في بلاد الشام.

2 الشيخ السعيد البهلولي (1859 - 1945): أصله من قرية البهاليل وهي من قرى بني ورثيلان، تلقى تعليمه على يد والده أولا، ثم أرسله إلى تلقي العلم على يد مشائخ آخرين منهم: الشيخ يحي حمودي، الشيخ السعيد بن الحريزي العدلي، والعالم الفقيه الشيخ محمد القاضي الصدوقي...، أنظر: محمد الصالح الصديق: أعلام من منطقة القبائل، ج 2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص. 86، 87.

الخلاف، سواء بين الطلبة أو بين ممثلي العرش ورؤسائهم، والذين كانوا يشرفون على ما تحتاج إليه الزاوية من تمويل أو تنظيم¹.

ثانيا/ إدارة وتسيير شؤون الزاوية

وكان من هذا النظام انتخاب اثني عشر شخصا من قداماء الطلبة (نظام جماعي ديمقراطي تشاوري، بما فيه تداول على السلطة بكل حرية ورضا وقبول)، والموثوق فيهم من زملائهم، وهؤلاء الطلبة المختارون يمثلون المجلس الأساسي للمؤسسة، وهذا المجلس في نفس الوقت هو المرجع الأساسي للفصل في الأمور التي تحدث في الزاوية من خصومات إن كانت أو التأديب، ومن هذا المجلس ظهر مصطلح ' طالب السفارة '، بحيث يتولى كل واحد منهم الإشراف والتسيير لشؤون الزاوية لمدة شهر من الأشهر الاثني عشر، ويطلق على الذي يشرف على شؤون الزاوية لمدة شهر اسم ' المقدم ' ويخلفه بعد انقضاء الشهر أحد زملائه من طلبة السفارة. وللمقدم صفتان في مباشرة النشاط:

- مقدم الأحباس.

- مقدم التدريس.

الأول مهمته الإشراف على الزاوية ماديا وسلوكيا (التأديب)، والتمويل، والاتصال المباشر مع وكلاء العرش، وهؤلاء لهم الدور الأكبر في ضمان ما تحتاجه الزاوية ماديا واجتماعيا، من حيث البناء، والصرف، والتموين، والتدخل في الأمور الطارئة عند اللزوم، ويحظون بالاعتماد من قبل السلطات المحلية المسموح بها قانونا، والثاني أي مقدم التدريس يتمثل دوره في الحرص على المواظبة وحضور الطلبة في الحصص المعينة للحفظ، وكذلك في أوقات

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباس.

الصلاة¹. وللزاوية مصادر دخل تتمثل في جمع الزكاة أو العشور في رحلتين، هما رحلة إلى الشرق المتمثل في الأراضي الفلاحية الزراعية في سطيف ونواحيها مثل منطقة عموشة، والأوريسيا، وعين الكبيرة، والدهامشة، وعين عباسة، وبوقاعة، لأن هذه المناطق تتوفر على القمح والشعير خصوصا، ورحلة إلى الغرب في بلاد القبائل التي تتوفر على التين المجفف، ولا تقل أهمية هذه الجهة عن مصدر الحبوب الآتية من الشرق².

وأما زيت الزيتون فلحسن الحظ أن عرض بني وغيليس يعتبر بحيرة كاملة لزيت الزيتون الفاخر، وللزاوية أرض فلاحية تقدر بالتعبير الفلاحي التقليدي (حرث ثلاثة أشهر)، والتي هي أرض حبس للزاوية، وقد كان لها أربعة بغال وثوران للحرثة، وفلاحون يشتغلون بنصف الغلة، وحطاب دائم يزود مطبخ الزاوية كل يوم بالحطب.

ثالثا/ التعليم في الزاوية

بعد التأكد من حفظ المتعلم الوافد للقرآن الكريم، وحسن قراءته في الطور الأول يدخل المتعلم في مرحلة تلقي دروسا في الفقه المالكي، والعقيدة الإسلامية، والسيرة النبوية، ومختلف دروس اللغة العربية كالنحو والبلاغة وغيرها، وهناك مستويات ابتدائية تلقى فيها دروس فقهية كدراسة متن بن عاشر في الفقه، والعقيدة، والتصوف، ودروس في النحو على متن الأجرومية³، حيث

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عياش.

2 المصدر نفسه.

3 الأجرومية: كتاب في علم النحو ألفه أبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بن أجروم بدأه بالكلام عن الكلام وأنواعه وتسلسل مع المواضيع بأسلوب ابتكره، يعتبر من أهم متون النحو العربي ولأهمية الأجرومية البالغة فقد تصدى لشرحها جهاذة العلماء، وتدرس في جلّ جامعات اللغة والشريعة.

يقوم المدرس بشرح هذه الفنون، وتيسير مفهومها معرفة وتطبيقاً كالإعراب مثلاً بالنسبة للنحو، وتلخيص الواجبات، والسنن، والأعمال التعبديّة بالنسبة للفقهاء.

ثم يتدرج الطلبة إلى مستوى أعلى كدراسة العديد من المتون ومنها:

- قطر الندى، وألفية بن مالك في النحو والصرف.
- منظومة ابن عاشر وشروحها الميارة الصغرى والميارة الكبرى، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ثم متن الشيخ خليل بشروحه ومن أهمها جواهر الإكليل على متن خليل، وحاشية الدسوقي، والموطأ بشرح الزرقاني (في الفقه المالكي).
- جوهرة التوحيد، وأم البراهين الصغرى، وأم البراهين الكبرى للسنوسي في التوحيد.

- الجوهر المكنون في الثلاثة فنون (في البلاغة).

- تفسير الجلالين وتفسير ابن كثير (في التفسير).

- صحيح البخاري والأربعين النبوية (في الحديث).

- السيرة النبوية لابن هشام¹.

وفي هذا المستوى يهياً وبأهل الطلبة للارتقاء إلى مستوى أعلى، حيث يوجه الطالب النجيب في هذه المعارف الأولية إلى المعاهد العلمية المعروفة، والمعتمدة في تلك الفترة كجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين في المغرب للحصول على شهادة التحصيل أو الأهلية، وقد يواصل الطالب طموحاته العلمية دراساته العليا في المعاهد الأعلى مثل جامع الأزهر في مصر، وجامع دمشق في سوريا، وبعض المراكز المعروفة في مكة، والمدينة بأرض الحجاز. وهذا بالنسبة للمسار العام، أما ما يتعلق باستفادة المجتمع من هؤلاء الطلبة، فمنهم مبرزون في الثقافة العامة، والفنون العلمية التي حصلوا عليها

¹ هي كتب مؤلفة في الزوايا والمعاهد العليا في المغرب الإسلامي ساد تعليمها لقرون عدة.

بامتياز، مجازون من طرف شيوخ موثوق في علمهم وسيرتهم الدينية والتربوية، فيعينون في مناطق مختلفة من الوطن، كل حسب مؤهلاته العلمية، وملاءمته للبيئة التي يتولى فيها نشاطه، حيث يحتضنهم المجتمع الذي يضمن لهم الوسائل الناجحة والمريحة لمزاولة هذا النشاط العلمي والديني والثقافي، فيتولون بدورهم تعليم طلبة آخرين، وتكوينهم لأخذ المشعل في المستقبل¹.

وكان التأديب في الزاوية يتمثل في خمسة أشياء نظرا لظروف وأعمال الطلبة كانت الزاوية في القديم تأدب على بعض السلوكات المنحرفة بغرامة مالية بسيطة حسب المخالفة المرتكبة، وقد ألغيت هذه العقوبة لفقر الطلبة، وبقي من أسلوب في العقوبات الرديعية منها الفلقة (خمسة إلى عشر جلادات في أسفل القدم)، وهذه بالنسبة للقصر والصغار منهم الذين يطلقون عليهم اسم (قداش لمصباح) يكلف بأعمال إشعال المصابيح وملئها (الزيوت ومادة كانت تعرف آنذاك باسم البترول)، والآخرون وهم البالغون يطلق عليهم اسم 'قداش النواله' أي العاملين في تهيئة الإطعام وسقي الماء، وهؤلاء يعفون من الأعمال الصغيرة لأنهم مكلفون بالأشغال الأكبر منها خاصة جمع الزكاة والعشور، ونخبة الطلبة هم الكبار الذين يديرون مجلس السفارة².

وجسدت زاوية سيدي موسى تنبذار من خلال وظائفها المتعددة حقيقة الإسلام ورسالته الشاملة، التي لم تجعل فاصلا بين الاهتمامات الدنيوية والأخروية، فكان خريج الزاوية داعية للإسلام، ومفقا للناس في أمور دينهم دنياهم، و قد تجاوزت أنشطة الزاوية منطقة عرش بني وجليس وامتدت في مناطق مختلفة، وأصبحت نموذجا لزاوية تدرس فيها مختلف العلوم، ومنها

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباس.

2 المصدر نفسه.

يتخرج العديد من الفقهاء والعلماء الذين تنتدبهم الزاوية إلى القرى، والأماكن النائية للقيام بمهمة الوعظ والإرشاد، ونشر تعاليم الإسلام، وتعليم القراءة والكتابة، وتعمير المساجد بقراءة القرآن الكريم وتفهمه، وشرح أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، والاهتداء بهديه والافتداء بأخلاقه و سيرته.

ولذلك اهتمت الزاوية بالتربية الصوفية، وأول ما اهتمت بترسيخ تعاليم و مثل الإسلام السمحة والأخلاق الكريمة للرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن أذكار وأورد الزاوية لم تخرج عن ترديد جملة من الآيات القرآنية الكريمة، أو الاستغفار من الذنب والصلاة على الرسول الأكرم مع مراعاة مستوى المرید العلمي، وكانت الزاوية مسؤولة عن الدفاع عن حضارة المسلمين التي تحمل شعار القرآن والسنة، فكانت الزاوية الرديف المساعد لأولي الأمر، والمستنهض للهمم، بحيث أنه يصعب قراءة تاريخ الجزائر الإسلامي دون استحضار دورها الجهادي، سواء تعلق الأمر بالعقيدة، أو المذهب السني، وبذل النفس من أجل ذلك¹.

كانت الزاوية نموذج الراعي المسؤول عن رعيته في مختلف شؤونها الدينية والدينيوية، خاصة في الفترات العصيبة مثل أيام الأزمات الاجتماعية، والاقتصادية، ومساهم في حل مشاكلهم اليومية كالتقاضي، وحل المنازعات بين الأفراد والقبائل، وكمرجع لنشر أخلاق الإسلام وقواعده، وتطبيق تشريعاته وفق الكتاب والسنة، ومحاربة مختلف مظاهر الانحلال والانحراف، وعلى المستوى الوطني وجدت نفسها مسؤولة عن حرمة دار الإسلام أمام الاستعمار الفرنسي، فتحولت الزاوية إلى مركز للتعبئة وتأطير المجاهدين، وسخرت الزاوية

1 أحمد بوكاري: "دور الزاوية المغربية في تدعيم المذهب السني"، مجلة دعوة الحق، ع 257، جوان - جويلية 1986.

آنذاك كل إمكانياتها المادية والمعنوية لتحقيق تحرير التراب وطرد المحتل، وهذا ينسجم مع شعار الزاوية القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر¹. إن الزاوية المذكورة هي في الحقيقة مرجع ديني واجتماعي لنشر مختلف وجود الخير التي يحتاج إليها المجتمع من إيواء الطلبة، وتوفير متطلبات الدرس والإطعام، وجلب المشائخ والمدرسين للقيام بالمهام المطلوبة، زيادة عن إيواء واستقبال أبناء السبيل بضمان المبيت والتغذية، ويشمل ذلك الفقراء، والأرامل، والأيتام، والذين يحتاجون إلى المعاونة والدعم من أبناء القرية والعرش².

وقد يتولى هذه المهام شيخ موثوق في سيرته وعلمه، يتخذ كرمز موقر ومحترم يرجع إليه في إصلاح ذات البين بين المتخاصمين بطريقة حكيمة وعادلة، توفر عليهم متاعب المحاكم الرسمية، ومن أنشطة شيخ الزاوية وطلبته التحرك في أوساط المجتمع حتى بالنسبة للأسواق الأسبوعية لنشر ما تيسر من المبادئ الدينية كالفتوى والترغيب في وجوه الخير على اختلاف مجالاته.

ونخص بالذكر الشيخ صالح العباسي وهو من شيوخ الزاوية البارزين، والذي كان كل يوم أربعاء ينزل إلى السوق الأسبوعي من أجل قضايا الناس في الصلح، والفتوى، وإرشاد الناس، وهو مجود القراءات السبع، ومدرس الفقه مثل الشيخ خليل وقواعد اللغة العربية والفرائض، وكان حريصا على تحفيظ القرآن الكريم للطلاب حفظا تاما، وهو من علماء عرش بني وغليس وكان الناس يستفتونه حتى بالمراسلة من مختلف الجهات، ويرد عليهم الجواب

1 أحمد بوكاري: المرجع السابق.

2 أحمد مسعود سيد علي: "دور الأسرة السحنونية بمنطقة بني وغليس في التصدي للحملات التبشيرية بالجزائر 1920 - 1954"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 26، جامعة المسيلة، 2016، ص.330.

الشرعي بالرسائل¹. ومن العادة أن يتولى الزاوية شيخ مجاز على الطريقة الصوفية كالرحمانية، وهي تسير تسييرا جماعيا فلا يمكن لنا أن نعطيها درجة العمل الصوفي، ومع هذا اشتهرت بطواهر ما يسمى بالفتح والبركة، حيث أن التحصيل فيها كان مباركا بصورة لم تحقق في أماكن أخرى، حسب رواية الطلبة الذين تدرسوا فيها.

ويذكر أحد طلبتها في مطلع الخمسينات من القرن 20 م وهو عمر عباش قائلا: " شهدنا بعض الطلبة الموهوبين يصل وهو يغط في النوم العميق يسرد ما يقرب من خمسة إلى عشرة أحزاب دون خطأ يذكر، والشخص الذي صدر منه هذا المظهر هو الطالب علاوة فراح من عين الكبيرة، وهو من شهداء الثورة التحريرية، وتجربتي أنني قرأت على المشائخ المحليين مثلا عن الشهيد الشريف عباشة الذي كان معلم القرآن الكريم، وفي مدة ستة أشهر لم أستطع الحصول إلا على ثمانية أحزاب بشق النفس، أما في زاوية سيدي موسى تنبزار والتي تلقيت فيها الإلماء والحفظ من طرف علاوة فراح حفظت في مدة ثمانية أشهر حوالي 45 حزبا حفظا تاما، فالفرق بينهما ملحوظ"².

وكان النظام التعليمي في الزاوية صارما، بحيث لا يسمح للمتعلم بتلقي الدروس الفقهية والنحوية إلا وتحقق من حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا، ويذكر الشيخ عمر عباش بعد التمكن من الحفظ ' سمح لي بالمشاركة في الدروس الفقهية والنحوية في حلقة الشيخ صالح العباسي رحمته، وكان الشيخ متقدما في السن، وكان له من الإجلال ما كان للمشائخ المذكورين أنفا، وكان مرجعا للأئمة والمشايخ المختلفة مستوياتهم في التحصيل، وبعد انتقاله إلى قرية

1 شهادة السعيد ضيافات عن شيخه صالح العباسي.

2 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباش.

إملاحن في دائرة سيدي عيش، أخلفه في ذلك الشيخ عبد القادر زروق المكنى الزيتوني، والذي قام بدوره والذي لا يقل أهمية عن دور الشيخ عبد المالك¹. وخلال فترة الشيخ عبد القادر زروق أدمجت زاوية سيدي موسى الناصري ضمن مدارس الإصلاحية التابعة لجمعية العلماء المسلمين وهذا خلال سنة 1953، وكان الشيخ عبد القادر زروق مدرسا وإماما حتى منتصف سنة 1955، حيث بدأت الطلائع الثورية تشتت خاصة في مناطق جرجرة والأوراس، وشرعت قوات الجيش الفرنسي بتضييق الخناق على هذه المدارس، والتي هي بالطبع مضادة للاستعمار وداعية بطريقة أو بأخرى إلى الثورة². وقد تعرضت الزاوية في ذلك الوقت إلى التفتيش والترويع ثلاث أو أربع مرات مع طلوع الفجر، حيث أتلقت كل ما عثرت عليه من كتب، ومصاحف، وتفتيش الصناديق، وعند بداية النشاط الثوري زار المجاهدون الزاوية، وفيها عقدوا اجتماعا لنشر تعليمات الثورة في عرش بني وغيليس، وبني منصور بناحية أكفادو، وقاموا بتنصيب جماعة الخمسة، وخلايا المسبلين، وكذلك أخذ العهد من السكان في صورة اليمين بوضع اليد على المصحف، والتدريب على الحراسة، والأنشطة السرية ودفع الاشتراكات وجمعها، والوقوف بصرامة ضد أعمال الجوسسة والخيانة.

وذات يوم قام فوج من المجاهدين المسلحين بمختلف الأسلحة بهجوم عملي على عساكر الجيش الفرنسي الذين كانوا متحصنين في المدرسة الفرنسية (إخليجن)، والتي تقع في سفح قريب جدا من الزاوية وألقوا الرصاص، لأن الزاوية كانت في القمة حيث فاجأوهم، ولا يعلم كم قتل من الجيش الفرنسي،

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباس.

2 عبد الباقي بوزيت: المرجع السابق، ص.90.

وقتلوا بدورهم أربعة بغال ملك للزاوية، وفي الغد داهمت القوات الفرنسية زاوية سيدي موسى بأعداد هائلة وأحاطوا بها من كل الجهات، واختاروا منها 25 شخصا فذهبوا بهم إلى معتقل بجاية، ولا يعلم مصيرهم¹.

وبعدها يكاد يكون نشاط الزاوية المعهود قد توقف بفعل الضغوط الفرنسية، ولم يبق في الزاوية التي كانت يفوق عدد طلبتها عن 100 طالب إلا حوالي ستة طلبة، وذلك خلال أواخر سنة 1955، وباقتراح من المهتمين تولى عمر عباش الإمامة في الجمعة والصلوات الخمس.

رابعا/ الشيخ عمر عباش: من طلبة زاوية سيدي موسى تنبذار

عمر عباش بن حمو بن السعيد من مواليد 18 أكتوبر 1936 بقرية لمرابطين بلدية تيزي نبشار، درس المبادئ الأولية على يد جده السعيد، وتمثل ذلك في حفظ جزء من القرآن الكريم، ثم سجل في المدرسة الفرنسية بعد تخلفه عنها بسنتين لرفض العائلة للتعليم الفرنسي²، وتمرد الفتى عمر على هذا الحجر، وسجل نفسه في المدرسة الفرنسية في السنة الأولى مع أن سنه يكون في السنة الثالثة، واستطاع تدارك ما فاته من تعليم في فترة قصيرة.

وكان الطالب عمر عباش مثالا في الاجتهاد والطاعة والامتثال، وكان دائما في المراتب الأولى، رغم محاولات جده السعيد لإبعاده بأية وسيلة عن المدرسة الفرنسية، لإتمام حفظ القرآن الكريم، وكان والده الشيخ حمو إماما ومعلما للقرآن الكريم في دوار أولاد مرغم، وكان يطلب من مدير المدرسة

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباش.

2 كانت مدرسة تقيطونت للذكور في سنة 1948 تضم 78 تلميذ يدرسون في حجرتين، احتوت المدرسة على مكتبة وسكن بأربع غرف، يدرس فيها معلمان: ' Galéjeur ' و' Meir ' أنظر

الفرنسية السيد ' Galéjeur ' وهو معلم أصله من كورسيكا أن يسمح له كل يوم أربعاء الالتحاق بدوار أولاد مرغم (لمهانة) من أجل كتابة اللوحة حيث يحفظ لوحتين من القرآن الكريم في اليوم خلال نهاية الأسبوع¹.

واستمر هذا الحال مترواحا بين المحافظة على حفظ القرآن الكريم ومتابعة الدروس الرسمية في المدرسة الفرنسية، وبما أن التعليم في ذلك الزمان إجباري بحيث لا يسمح بالانقطاع، ويكون جزاء ذلك المتابعة القانونية بتغريم ولي الطالب، وأخذ التلميذ عنوة والإتيان به إلى المدرسة بالقوة التي كان يتولاها 'الشامبيط'²، ومن أجل الرغبة الملحة لجدّه على الانقطاع من المدرسة الفرنسية للتفرغ إلى قراءة وحفظ القرآن الكريم، والمبرر هو أنه لا يستطيع إعالة التلميذ عمر، ولذلك وجب عليه أن ينتقل من دوار تقيطونت إلى منزل والده في قرية أولاد مرغم، وانقطع عن المدرسة الفرنسية في السنة النهائية من مرحلة الابتدائي.

وأعطى الفتى عمر عباش الجهد لحفظ القرآن الكريم، مع أن أباه كان ضد قرار الجد، فكان يشجعه بأن لا ينسى ما تحصل عليه من دروس في الفرنسية، واستطاع في المرحلة الأولى أن يشق الستين حزبا المطلوبة، وهذا

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباش.

2 الشامبيط: دوره شبه أمني بمثابة الشرطة، فهو الذي يتعقب كل السلوكات الخارجة عن النظام الاستعماري المقرر، ويتابع الخصومات ' Champêtre ' والمساس بما يسمى بأمالك الدولة الفرنسية الاستعمارية، وكذلك يتصل دوره بمراقبة ما يجري في الغابات لأن عليه أن يخبر إدارة الغابات إذا لاحظ هناك سلوكا يمس الغابات من استغلالها في الفحم أو قطعها لأغراض البيع أو الاستغلال المنزلي، ومراقبة مزارع وحقول المعمرين الأوروبيين، ويلحق الذين لم يلتحقوا بالفحص لتوجيههم إلى الخدمة العسكرية.

المستوى كان شرطاً في القبول في الزاوية كطالب، وانتقل في حدود سنة 1952 إلى زاوية سيدي موسى تنبذار في حوض الصومام¹.

وهناك في الزاوية كان القصد الأول هو إعادة حفظ القرآن الكريم من جديد، وبالفعل حصل على حفظه حفظاً تاماً، وكان لا يسمح لطالب القرآن الكريم أن يشارك مرحلة الدروس الفقهية والنحوية إلا بختم القرآن الكريم، وعلى هذا فقد تحقق له شرط المشاركة في حلقات الدروس من لغة وفقه ونحو، والإلمام بالثقافة العامة المطلوبة في ذلك الوقت، واستمر ذلك إلى أن انضمت الزاوية إلى جمعية العلماء المسلمين، والتي كانت في ذروة نجاحها حيث تكونت مئات المدارس الحرة، وهناك تزايد نشاط العلماء فحولت عدة زوايا إلى مدارس حرة بعد إجراء تحسينات في البرامج منها زاوية سيدي موسى، وزاوية بن سحنون، وزاوية تمقرا، وزاوية تازملت، ومختلف الزوايا.

وقد عينت جمعية العلماء المسلمين الشيخ عبد القادر زروق الزيتوني، وتلقى على يده عمر عباس الدروس المختلفة والإصلاحات والتوجيهات الإصلاحية، وبالمناسبة تم شراء كتب لم يكن للزاوية عهد بها من قبل في مختلف فروع الشريعة الإسلامية، وبعض الدروس الحسابية وكتب مختصرة في التاريخ والجغرافيا، منها كتاب جغرافية الجزائر، وكتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني، وكانت قد ازدهرت الأفكار الإصلاحية، وكانت جمعية العلماء تصدر الجريدة الأسبوعية البصائر، والتي اشترك فيها جل الطلبة، ويأتي بها ساعي البريد إلى المدرسة، وهذا بعد الاشتراك السنوي².

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباس.

2 المصدر نفسه.

وقد استفاد الطالب عمر عباش كثيرا من هذه الجريدة ومن كتب أحمد توفيق المدني، وكان لهذه المصادر دور فعال في ترقية وتغيير النظرة التقليدية له كطالب، وكانت تحارب الاتكالية والجمود، وزرعت النهضة والتطلع للمستقبل، وفي هذه الحقبة تفتن المستعمر الفرنسي لما بدأ يظهر من خطورة الوعي، ومحاولة الخروج من عهد الاستسلام واليأس والنظر إلى مستقبل مختلف، وكما هو معلوم فإن نهضة الوعي والشعور بالذات قد انبثق فجره في تلك المرحلة، وباختصار يمكن أن نقول بأن مرحلة النهضة الثقافية في الجزائر كانت الجسر المهم للمرور والتفكير بجد في انطلاق الثورة التحريرية، حيث بدأوا يسمعون ويقرؤون لما يظهر في جريدة البصائر بتحفظ واحتشام على بعض الحوادث الأولى في الأوراس والقبائل وغيرها¹.

ويذكر الشيخ عمر عباش أنه وهو في زاوية سيدي موسى بتبذار كان بيان أول نوفمبر 1954² متداولاً بين الأيدي الطامحة لنجاح الثورة، وباختصار شديد يمكن أن يقال بأن الثورة الجزائرية هي وليدة النهضة الإصلاحية وليس العكس، وتعتبر الثورة المسلحة هدفاً ونتيجة لما كان يدعو إليه التيار

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباش.

2 انتدب محمد بوضياف ومراد ديدوش من قبل لجنة الستة لوضع الصياغة لبيان أول نوفمبر، بعد وضع الخطوط العريضة في اجتماع 10 أكتوبر 1954، وقد اجتمع الاثنان لهذا الغرض بالصحفي محمد العيشاوي، وأمليا عليه ما تم الاتفاق حوله في لجنة الستة، مستعينين في ذلك بمرجعية سياسية وإيديولوجية محددة في لوائح المؤتمر الثاني لحركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1953، وبعد الانتهاء من صياغة البيان ومراجعته انتدب العيشاوي لمواصلة المهمة، برقنه وسحبه بقرية إيغيل أومولا ولاية تيزي وزو، أنظر: محمد عباس: "الصحفي محمد العيشاوي، منجز بيان أول نوفمبر... صياغة و رقنا و سحبا"، الشروق، ع 2795، يوم 15 ديسمبر 2009، ص.19.

الإصلاحي النهضوي، وبيان ذلك يمكن الرجوع إلى قصيدة الشيخ عبد الحميد بن باديس 'شعب الجزائر مسلم'.

ويروى أنهم كانوا شغوفين جدا لمشاهدة الأعمال الثورية في الميدان التي تتحدث عنها البصائر، وأنهم تشوقوا إلى سماع ما يجري من عمليات ثورية على اختلاف أنواعها من اشتباكات مسلحة حية، وأعمال استنزائية تخريبية ضد مصالح الاستعمار، يتمثل ذلك في قطع أعمدة الهاتف، وتخریب الجسور، وهجومات على عربات القطار، واتلاف المحاصيل الزراعية الأساسية للكولون وغيرها¹.

ولم يطل الأمر كثيرا حتى عاشوا معركة مباشرة تمثلت في الهجوم من طرف المجاهدين على مدرسة إيخليجن في زاوية سيدي موسى تنبذار، والتي اتخذتها القوات الفرنسية كثكنة عسكرية، وكان رمي الرصاص من أحد أسوار الزاوية، وكانت مفاجأة كبيرة لفرنسا لأنها لم تكن تتوقع أن رجال جيش التحرير لن يصلوا إلى هذا المستوى من الهجوم على عساكرها، في مكان تعتبره آمن بحكم بعده عن التضاريس الوعرة والجبال، وغداة ذلك جاءت قوات فرنسية من سيدي عيش وبجاية، فطوقوا الدشرة واختاروا ما يقارب 25 شخصا وأخذوهم حيث لا يعلمون مصيرهم.

ويتحدث الشيخ عمر عباس عن مصير الزاوية، والتي كادت أن تتوقف تماما وفرغت من الطلبة، ولم يبق فيها إلا القليل، ولما لم يجدوا للزاوية إماما وكان عندئذ طالبا مثابرا كلّف من قبل لجنة الزاوية لإملاء الفراغ الذي تركه عدم وجود إمام، وقام في الحقيقة بدور نشيط وفعال وبفعل السن الذي كان

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباس.

فيه، والذي يتسم بالحماس والنشاط، وعدم الخوف إلى ما يشبه الغرور، وبقي كذلك إلى أواخر سنة 1955¹.

وحاول خلالها التجنيد في صفوف الثوار عن طريق أحد رفاقه، وأتاه الرد من قيادة جيش التحرير أن الشخص الذي يريد الانخراط في العمل المسلح، أن الثورة في حاجة له في منطقتة، ويذكر عمر عباس أنه رجع إلى مسقط رأسه وكان يتمنى الانخراط في الثورة، إلى أن جاء أول فوج من المجاهدين إلى قرية المرابطين في سرية تامة يقودهم السعيد مطروني المدعو السعيد أو عليوة²، وهدف الزيارة هو هيكلة ووضع التنظيم الثوري في الجهة، وعيّن المسؤولين وبدأت تنظم نفسها في الأدوار الأساسية، ومنها تكوين جماعة الخمسة التي تتولى التنظيم والإشراف على نشاطات القرية، ثم تكوين المسبلين وكان عمر عباس منهم في البداية.

وبقي في هذه المهمة ما يقارب ثلاث سنوات في حدود سنة 1958، وفي ذلك العهد اشتد ساعد الثورة وبدأ الالتفاف زيادة على الكفاح المسلح إلى

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباس.

2 السعيد مطروني: ولد في 12 سبتمبر 1921 بوادي البارد، نشأ في عائلة ميسورة الحال، درس في الكتاتيب القرآنية، حيث حفظ أجزاء من القرآن، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ سحنون، وتعلم القرآن الكريم وعلوم الشريعة على يد الشيخ بلحاج من فقه و لغة وأجرومية، وبعد ذلك عاد إلى مسقط رأسه، ثم سافر إلى الجزائر العاصمة، وهناك انخرط في الكشافة الإسلامية الجزائرية، وحزب الشعب الجزائري، وفي سنة 1950 ذهب إلى فرنسا للعمل هناك وعاد إلى أرض الوطن سنة 1954، لما اشتدت الثورة التحق بها في المنطقة الأولى الناحية الأولى بالولاية الثانية القسم الثالث كجندي تحت قيادة الضابط عيسى البيونداوي، ولم تمر عليه سنة حتى عين محافظا سياسيا بناحية بني إسماعيل إلى أوقاس بالولاية الثالثة، اسمه الثوري السعيد أو عليوة، واستشهد في جانفي 1960، أنظر: شهداء بلدية وادي البارد، قسمة المجاهدين لبلدية وادي البارد.

عدم إغفال الجانب الثوري والاجتماعي، فقد فرضت قيادة الثورة التحريرية على المحافظين السياسيين أن يشرعوا في تعيين المعلمين لتعليم القرآن الكريم، واللغة العربية، والأنشيد الثورية، ومختلف الأنشطة للأطفال، وكان في الولاية الثالثة للعقيد عميروش اليد الطولى في انتقاء شباب لهم مستوى ثقافي مقبول لإرسالهم إلى تونس عبر الحدود الشرقية صحبة كتائب جيش التحرير من أجل مواصلة التعليم¹.

وكان الشيخ عمر عباش من بين هؤلاء المختارين، وكان قبلها بشهور قد مر صنف من الطلبة الذين استشهدوا وتحت قصف الطائرات في أولاد مومن²، وقد تأسف جدا لفوات هذه الفرصة إذ الموعد المضروب لمرور الكتيبة لاصطحابه له قد تأخر بمدة أربعة أيام، لتأخر مسؤول الدوار في تسليم رخصة المرور له، ورغم سيره إلى جبل سيدي ميمون في بني عزيز للحاق بالركب وجد القافلة قد سارت، وعاد إلى قريته وكانت أكبر خيبة له في الوصول للغرض.

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباش.

2 معركة أولاد مومن: وقعت في سبتمبر 1957 م حيث كانت كتيبة من المجاهدين آتية من الولاية الثالثة متوجهة إلى تونس، غير أن الجيش الفرنسي تابع هذه المجموعة من المجاهدين، حيث وصلت هذه المجموعة إلى مشنة أولاد مومن غرب مدينة عين الكبيرة على مسافة 06 كلم في حدود بلدية عموشة، وقامت قوات الجيش الفرنسي بعمليات التطويق للمنطقة كلها، وبدأ المجاهدون في التسلل من المشنة سالكين اتجاهات متفرقة غير أن قبضة الجيش الفرنسي كانت محكمة، ودامت هذه العملية حتى الساعة الثانية بعد الزوال، أين تقدمت فرقة من الجيش الفرنسي لتفتيش المنازل بقرية أولاد مومن، وبادر المجاهدون بإطلاق النار، وتدخل الطيران الفرنسي لحسم الموقف، وكانت الحصيلة استشهاد أكثر من سبعين شهيدا.

وبعدها أسندت له مهمة التعليم في قرية بوسعادة التابعة لخراطة، وقضى فيها فترة زمنية، ثم انتقل في نفس المهمة إلى شعبة لادمام في عين قلو قرب عين عباس، حيث كان هناك مركز مهم لجيش التحرير الوطني يمتاز بموقع استراتيجي يتوفر على السرية، وسهولة الانسحاب لتشابك شعباه وأديته ومجاورته لسفح الحرشة، ولم يتأخر في الاستجابة، فذهب ليلا وانتظر قدوم سي سليمان خنيش مسؤول مكلف بالأوقاف والتعليم و كاتبه ساعد مهناة، وفي الصباح قدم ورحب به، وبعدها باشر في تعليم الأطفال مدة حوالي سنة، وعاش عن قرب حقيقة الثورة بإنجازاتها وبما يستتكر له من أخطاء جسيمة¹.

واستدعي من شعبة لادمام إلى مشقة الصياح (أولاد سالم) التي استقبله فيها الضابط سي مصطفى والذي توسم فيه الخير، ومارس التعليم في هذا المكان في بيت الذوادي في النهار، وفي الليل يلجأ المجاهدون إليه للمبيت، وذات ليلة استيقظ على صوت الرصاص بطريقة متقطعة حيث كان هجوم الجيش الفرنسي، وأحرق البيت وقتلت زوجة عبد الله بن قري.

وخلال سنة 1962 استدعي من قبل سكان دوار جرمونة للتعليم، وغداة الاستقلال كان من إطارات التربية والتعليم مستغلا تجربته السابقة في الدراسة والتدريس، وتعددت المناطق التي شغل فيها المهنة في كل من أوقاس، وسوق الاثنين، وصالح باي، وسطيف، وتيزي نبشار، وعين آرنات، وبومرداس، وبني عزيز، فكان خلالها أستاذ وإطار في مديرية التربية بولاية سطيف (مصلحة الإحصاءات)، ومفتشا عاما في التعليم الأساسي لمدة أربعة عشر سنة حتى تقاعد عن العمل سنة 1997، ولم يعتزل النشاط الديني والثقافي

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباس.

فكان إماما خطيبا في مساجد عديدة، ومساهما في تظاهرات وفعاليات عديدة في مجالات ثقافية ودينية واجتماعية¹.

خاتمة

وصفوة القول كانت زاوية سيدي موسى الناصري في عرش بني وجليس مؤسسة دينية وعلمية واجتماعية، تبلورت أنشطتها وخصوصياتها منذ القرن 9م/15م، ثم توسع نشاطها وتجدر داخل المجتمع المحلي، مما جعلها تساهم في مختلف اهتماماته التعليمية، والثقافية، والمادية، والمعنوية بل والتعبير عنها بكل صدق وموضوعية، ولاشك أن من أهم تلك المهام وأنبأها ما قامت به الزاوية من تدعيم و ترسيخ للثقافة الإسلامية سواء تعلق الأمر بالفقهيات أو التربية الصوفية، ذلك أنها في كل تلك المهام ظلت تستمد أصولها ومنابعها من الكتاب، والسنة، والسلف الصالح، ولهذه الزاوية الفضل في إنشاء زوايا أخرى متفرعة في إغزر أمقران منها زاوية الشيخ مزيان، والشيخ بلقاسم بضواحي وادي الصومام.

1 شهادة أدلى بها الشيخ عمر عباش.

فجر الحركة الإصلاحية في الجزائر (1914-1931)

The dawn of the reform movement in Algeria

(1914-1931)

د/د/ بن موسى حمادي
جامعة أحمد دراية أدرار

مقدمة

أدى توطيد الاستعمار الفرنسي أقدامه بالجزائر وانتصاره على المقاومات الشعبية خلال القرن التاسع عشر إلى اضطراب المجتمع الجزائري للانطواء على نفسه بعمق - بعد أن فُرض عليه الرضوخ بحدّ السلاح- والرضوخ لنظام سياسي واقتصادي لا يرحم، والى دونية اجتماعية وثقافية دائمة، غير أن ذلك لم يمنع من حفاظه على قدر من الطاقة والذاكرة الجماعية لربط حاضره بماضيه، رغم درجة الانسحاق التي أصبح بمقتضاها أشبه بلحمة يصعب تمييزها عن النسيج الطبيعي للبلاد، وقد أتاح له ذلك قدرا من الاستمرارية التاريخية تحافظ على شخصيته وإعداد الشروط الضرورية لعودته مجددا إلى الساحة السياسية، وبفضل تلك المقاومة ظل المجتمع الجزائري بعد قرن من الاحتلال يطرح نفس المشكلة على النظام الاستعماري ولكن بصيغ جديدة وفي جميع الميادين.

1- دواعي قيام حركة إصلاحية جزائرية

أصبح ظهور حركة إصلاحية في الجزائر من الضرورة بمكان، للتعبير الصادق عن الحاجات الملحة للمجتمع الجزائري فيما يتصل بالنشاط الثقافي والعلاقات الاجتماعية والمتطلبات الاقتصادية والأحوال السياسية، ولذلك أصبحت الحاجة ملحة إلى قيام حركة تعبر بعمق وأصالة وصدق عن مشروع

مجتمع يتعرض لتدمير قيمه بوسائل قاهرة عجز عن صدّها بالمقاومات الشعبية خلال القرن التاسع عشر و بالمجهودات الفردية التي أبرزتها المقالات الصحفية والخطب مطالع القرن العشرين، خاصة أن هاته الأخيرة قد كان كثير من أصحابها مدرّسا في مدارس الإدارة الحكومية، مما اضطرهم إلى مراعاة جانبها، فخففوا من نشاطهم، واحتفظ البعض منهم لنفسه ولبعض من حوله بأفكاره الإصلاحية.

كانت أفكار الحركة الإصلاحية في عمقها تحاول تجاوز الواقع المأساوي الذي يعيشه الأهالي للوصول إلى توازن ونمو داخلي يلبي حاجتها الاجتماعية ومتطلباتها الاقتصادية وتطلعاتها الثقافية والسياسية، ومن هنا كان على أي حركة إصلاحية ناشئة أن تحمل تلك التطلعات، وتستجيب لتلك المتطلبات، من خلال المحافظة على الذاكرة التاريخية، وبعث تراث وقيم الحضارة العربية الإسلامية في فترة ازدهارها، مما يبرزها في شكل حركة إحياء وبعث، تقوم على التطور الذاتي لتجاوز التأخر الاقتصادي والتفكك الاجتماعي وذلك لوقف المد الاستعماري ومحاصرته، وصولا إلى تصفيته، وبذلك تكون الحركة الإصلاحية هي إعراب عن رفض للواقع الاستعماري من خلال تجارب الماضي وذلك بمحاصرة الآثار المدمرة التي خلّفتها السياسة الاستعمارية طيلة قرن من الزمن، وذلك بإعادة بناء المجتمع الجزائري ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا.

2- ظروف ظهور الحركة الإصلاحية الجزائرية

ارتبطت ظروف ظهور الحركة الإصلاحية الجزائرية بتطور الوعي الوطني الجزائري بفعل انتشار التعليم ونشوء النوادي وتأسيس الجمعيات الثقافية وتشكيل الأحزاب السياسية، وقد تحكّمت في تطورها عوامل وظروف خاصة،

منها أن ظهورها في الأساس كان نتيجة للصدمة الحضارية التي جعلت من الغرب خصما وحكما ومعيارا في آن واحد¹، وبظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر فإن المجتمع الجزائري تجاوز المجهودات الفردية إلى العمل الجماعي والتنظيم السياسي والبناء الاجتماعي، فكانت الحركة الإصلاحية أداة في محاربة التناقضات الداخلية بين شرائح المجتمع الجزائري، كما كانت أداة في مواجهة التحدي الخارجي ممثلا في الاستعمار الجاثم على الأرض الجزائرية منذ قرن من الزمن.

لقد ظهرت الحركة الإصلاحية الجزائرية ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ظروف تميزت بوجود تيارات فكرية وتوجهات سياسية لا تتفق معها في أسلوب العمل ومنهج معالجة الواقع الاستعماري في الجزائر، وقد عبر الأستاذ مالك بن نبي عن مطالع القرن العشرين التي مثلت فترة صباه فقال²: "أنا أنتمي إذن إلى الجيل السيئ الذي يختم طور التحلل الذي ألم بالحضارة الإسلامية ويأذن بعصر جديد يختلط فيه نوعان من "العفن"، ولكنه عصر تنبثق منه هنا وهناك مؤشرات وبواكير نظام جديد لا يزال الغموض يلفه". فهناك تيار مغترب كان صنيعة الثقافة الفرنسية، وهو ما عبرت عنه جماعة النخبة التي ظهرت سنة 1919 وفيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين التي ظهرت سنة 1927، ويمكن أن نضيف إليهم جماعة الشيوعيين التي نشأت وترعرعت في أحضان الحزب الشيوعي الفرنسي منذ 1924 ثم انفصلت

1 ناصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وآفاق، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان: 2000، ص ص 211-212.

2 مالك بن نبي: العفن، ج1، ترجمة نور الدين خندودي، ط1، دار الأمة، الجزائر: 2007، ص13.

عنه منذ عام 1935 تنفيذاً لتعليمات مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي المنعقد في فيلوربان بفرنسا، ويمكن أن نطلق على هذا التيار إجمالاً أنه كان اندماجياً، وأما التيار الآخر فهو التيار الاستقلالي ويختلف عن جمعية العلماء في النظرة والأسلوب ويتفق معها في الهدف¹.

نشير ابتداءً إلى أن عبارة رجال الدين اليوم في أوروبا وفي الشرق الأدنى تعني المتخصصين في الشؤون الدينية ومفسي الفقهاء الإسلامي، لكننا هنا نعني أولئك المثقفين الجزائريين بالعربية وذوي التوجه الإسلامي، والذين حددوا أهدافاً سياسية وطنية واضحة، وذلك نظراً لسياسة الإدارة الاستعمارية الفرنسية تجاه الثقافة والشخصية الجزائرية.

وترجع فكرة إنشاء منظمة للعلماء الجزائريين إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، وحسب ديبارمي فإن هؤلاء المثقفين قد انجذبوا إلى فكرة التعليم والنظام في القرن العشرين، وتخلّوا عن فكرة حرب العصابات بعد اقتناعهم أنها لم تؤتي ثمارها خلال القرن التاسع عشر، فبدأوا الاستعداد لجولة جديدة فاصلة مع الفرنسيين تقوم هذه المرة على وسائل جديدة، ويقول أحد مؤسسي جمعية العلماء سنة 1931 أن العلماء الجزائريين كانوا قد تحدثوا عن قضية استحداث منظمة لهم قبل الحرب بعد أن أصبحوا مقتنعين أن تدهور الجزائر الاجتماعي والديني أصبح يندب بعواقب وخيمة².

وقبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى غادر بعض العلماء الشبان الجزائر متوجهين إلى تونس والمغرب الأقصى والشرق الأدنى، ومن هؤلاء عبد

1 ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص ص 221-222.

2 أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع،

الجزائر: 2007، ص 212.

الحמיד بن باديس الذي عاد إلى الجزائر سنة 1913 وبالضبط إلى مسقط رأسه أي مدينة قسنطينة وشرع في العمل التربوي، ولكن طريقته في التربية لم تُرق بعض خصومه، فأخذوا يقلقونه حتى أنهم أطفئوا عليه الضوء وهو في الدرس، فكان أن عاد للسفر عشية الحرب العالمية الأولى إلى تونس حيث تابع تحصيله العلمي لبعض الوقت، ثم انتقل إلى الحجاز بغرض الحج¹، أما الشيخ البشير الابراهيمي فقد غادر الجزائر سنة 1911 مثل أغلب الشبان الجزائريين المتوجسين من الخدمة العسكرية الإجبارية، والتحق بوالده الذي سبقه إلى الحجاز عام 1908، حيث استقر بها مدة ثم ارتحل إلى دمشق، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1921²، وكذلك كان الأمر مع الشيخ الطيب العقبي الذي هاجر رفقة عائلته إلى المدينة المنورة منذ 1895، وعاد إلى الجزائر سنة 1920³، وهكذا قضى هؤلاء الزعماء فترة الحرب العالمية الأولى في المشرق العربي باستثناء عبد الحميد بن باديس.

وفي المشرق العربي فإن هؤلاء تعلموا الأفكار النظرية عن الحضارة الإسلامية، وكذلك أخذوا التصورات العامة عن مشاكل وقوى العالم كله، وعندما انتهت الحرب رجعوا إلى بلدهم وهم أكثر عداء للفرنسيين، وشرعوا في وضع برنامج اجتماعي وثقافي يستهدف التصدي لمخططات الإدارة الفرنسية في الجزائر.

1 أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1985، ص 212.

2 المرجع نفسه، ص ص 148-149.

3 المرجع نفسه، ص ص 158-159.

وقد اعترف الشيخ البشير الإبراهيمي الذي أصبح فيما بعد رئيساً لجمعية العلماء أن هناك تأثيراً من حركة الجامعة الإسلامية على الحركة الإصلاحية الجزائرية، وخص بالمدح زعيمين للجامعة الإسلامية هما "محمد عبده" و"محمد رشيد رضا"، وقد اعتاد أن يسمي الأول الإمام، وكان حسبه شخصاً "فذاً"، كما أنه أول من نادى بالإصلاح الديني والعقلي في العالم الإسلامي¹، ومن جهة أخرى دافع البشير الإبراهيمي بشدة عن المفكر النائر جمال الدين الأفغاني، فقد انتقد من سماهم بـ "علماء القشور والرسوم" الذين ينظرون إلى الأفغاني على أنه ليس عالماً دينياً بالمعنى الذي يفهمونه من الدين، لأن العالم الديني عندهم هو حاكي أقوال وحافظ اصطلاحات وراوي حكايات، ثم قال²: "إن أصحاب العقول المدبرة والأفكار المثمرة والبصائر النيرة والموازين الصحيحة، يرون الأفغاني عالماً وأيّ عالماً وفرداً انطوى على عالمٍ وحكيماً أيّ حكيماً، وأنه أحيى وظيفة العالم الديني وأعادها سيرتها الأولى، وأنعش جدها العاثر وجدده رسمها الدائر".

وأما عن مساهمة الشيخ رشيد رضا، فقد اعتبر الإبراهيمي أن رشيد رضا بتحريره لمجلة المنار وكتابته ترجمة شخصية لمحمد عبده قد أدخل فكرة جديدة إلى العالم الإسلامي، وأضاف أن رشيد رضا قد ركز جهوده ضد "المستغلين من المسلمين والمتعصبين من المسيحيين"، لقد تقابل الإبراهيمي شخصياً مع محمد رشيد رضا في سوريا في طريق عودته إلى الجزائر بعد

1 محمد البشير الإبراهيمي: سجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة: 1935، ص 34، 35.

2 أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، مج 5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان: 2005، ص 285.

الحرب الكونية الأولى، وذكر أن جمعية العلماء مدينة بالكثير لمحمد رشيد رضا ولمجلة المنار، وأكد أن جهود جمعية العلماء لها جذور عميقة في مبادئ وأعمال رضا¹، وبذلك فإن العلماء الجزائريين قد أقرّوا بأن روابط متينة وعميقة تشدهم إلى الحركة الإصلاحية التي كانت تنمو في نفس الوقت في المشرق العربي، وبعد الحرب العالمية الأولى عاد العلماء إلى الجزائر بعد أن اكتسبوا تجارب غنية وطوّروا وعيا سياسيا بضرورة توجيه جهودهم لخلق صحافة وبناء مدارس ونوادي ثقافية، وهكذا عادت إلى الظهور فكرة إنشاء منظمة تعكس تفكيرهم²، خاصة وأن الحرب العالمية الأولى قد أفرزت على الصعيدين السياسي والاجتماعي: "انحطاط قيمة المقدسات الوهمية في نظر كثير من الناس... وانكباب أساطين التدجيل على المال، والتكالب على جمعه، والاتهمك في الملمات ومزاحمة العامة في الوظائف والنياشين بعد أن كانوا يتظاهرون... بالبعد عن هذه المواقف"³.

3- الأوضاع الثقافية والدينية في الجزائر عشية ميلاد جمعية العلماء

واجهت الحركة الإصلاحية بداية نشوئها مجموعة من التحديات ساهمت هي الأخرى في ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للعمل من أجل تذليلها، ولعل أبرزها تمثل في الطرق الصوفية، والمرابطة المنحرفة، التي اعتبرها العلماء "بدعة لم يعرفها السلف"، وأحدثت في الإسلام وثنية لاعتمادها

1 محمد البشير الابراهيمي، المصدر السابق، ص 36-37.

2 المصدر نفسه، ص 287.

3 أحمد الخطيب، المرجع السابق.

على بعض الطقوس الغربية عن الدين الإسلامي، مثل الخلوة، والتوسل بغير الله، والتبرك¹.

ومن تلك التحديات أيضا بروز نخبة جزائرية تخرجت من المدرسة الفرنسية، وحاولت إذابة الهوية الجزائرية في الكيان الفرنسي، وإلى جانب ذلك فإن الإدارة الحاكمة في الجزائر قد اعترفت بفصل الدين عن الدولة، لكن ذلك كان حكرا على الديانتين المسيحية واليهودية، أما الدين الإسلامي فقد استثنى من هذا الامتياز، فأوقفه ودور عبادته وموظفوه الشرعيون ظلوا تحت السيطرة الكاملة للإدارة الفرنسية بالجزائر، وأما التعليم العربي فظلّ هو الآخر محظور رسميا إلا في مجالات استثنائية، كمدارس إعداد الموظفين الضروريين للإدارة. وبناء على الأوضاع الثقافية والدينية السابقة فإن إنشاء جمعية إصلاحية لم يكن بالأمر الهين، ولكن ما جعل الأمر ممكنا هو وجود قلة من الأشخاص مؤمنين إيمانا راسخا بالإصلاح ومتأثرين بالوضع المتردي الذي يعانیه أبناء أمتهم.

ووفقا لرواية الإبراهيمي فإن عبد الحميد بن باديس قد زاره في بيته بسطيف سنة 1924، وأخبره بخطته في خلق جمعية تجمع العلماء الجزائريين وطلابه، وأنها تساعد في ربطهم جميعا ببرنامج مشترك، وقد لقيت الفكرة استحسانا وتشجيعا من الإبراهيمي، وفيما بعد فقد نسق الزعيمان في وضع خطة تتضمن القانون الداخلي، ومكان الاجتماع، وطريقة انتقاء المديرين، بالإضافة إلى خطوات أخرى لإعداد الاجتماع التأسيسي²، وذلك ما يعني أن صاحب الفكرة كان عبد الحميد بن باديس، ويعني أيضا أن هذا الأخير كان

1 البشير الابراهيمي، المصدر السابق، ص 24.

2 أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص 387.

يومن منذ البداية بأهمية التخطيط والتنظيم والانضباط، وذلك ما يتفق مع ما ورد في تفسيره¹: "إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة، وإذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر، وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة متساندة في العمل عن فكر وعزيمة". والواقع أن ابن باديس كان يرغب في أن يكون المركز العام للجمعية هو قسنطينة، وبذلك تكون هي العاصمة العلمية، وتكون خاصة بعمالتها، وتجمع شمل العلماء والطلبة، وتوحد جهودهم، وتقارب بينهم في التعليم والتفكير²، وقد عاد ابن باديس بعد أن طرح الفكرة على الإبراهيمي إلى قسنطينة، واستشار المقربين منه، وقد رحب هؤلاء بالفكرة، وتبنوا الدستور المؤقت، ولكن حصلت ظروف طارئة أخرت المشروع سبع (7) سنوات كاملة³، وقد تكون تلك الظروف متعلقة بكون الفكرة لم تتل حضاها من الدراسة، فهي لم تنضج بعد، كما أن الشعب لم يعهد مثل هذه الأفكار وهو غير مهياً لها بعد، لكن ابن باديس لم ينتظر إلى غاية تأسيس الجمعية لكي ينطلق في نشاطه، فبعد عدة أشهر من لقائه الإبراهيمي، أنشأ صحيفته الأولى وأسمها "المنتقد"، ثم أنشأ "الشهاب" في نوفمبر 1925⁴، وكان يرغب من وراء ذلك في تحقيق التقارب بين المثقفين المسلمين الجزائريين من ذوي النزعة الإصلاحية، وفي

1 أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 96.

2 أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 96.

3 البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 96.

4 عن الصحف التي أنشأها عبد الحميد بن باديس ينظر: علي مرحوم: "نظرة على تاريخ الصحافة

العربية الجزائرية"، مجلة الثقافة، السنة الثامنة، العدد 43، فبراير - مارس 1978.

26 نوفمبر 1925¹ وجه نداء إلى العلماء الإصلاحيين، وقد حمل النداء إشارات واضحة إلى مشروع الجمعية، ومما ورد فيه: "أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري، إن التعارف أساس التآلف، والاتحاد شرط النجاح، فهلّموا إلى التعارف والاتحاد بتأسيس حزب ديني محض غايته تطهير الدين مما أُلصقه به الجاهلون من الخرافات والأوهام، والرجوع إلى أصلي الكتاب والسنة وما كان عليه في عهد القرون الثلاثة... إننا نرغب من كل من يستحسن هذا الاقتراح ويلبّي هذه الدعوة من أهل العلم، ومن كل من يجب الإصلاح أن يكاتب إدارة الجريدة ببيان رأيه، حتى إذا رأينا استحساننا وقبولاً من عدد كاف شرعنا في التأسيس والله ولي التوفيق".

وقد أثار هذا النداء ردود فعل إيجابية، وبدأ الانضمام إلى إدارة الشهاب يزداد يوماً بعد يوم، فخلال مدة سنة استمال اقتراح ابن باديس جل العناصر ذات الاتجاه الإصلاحية، فقد انضم الطيب العقبي، ثم ميلود حفيظي، ثم مبارك الميلي... الخ، وقد كان انضمام هؤلاء فاعلاً، بمعنى أنه ليس مجرد التحاق، وإنما إحضار دعم معنوي، واقتراحات حول الكيفية التي بمقتضاها يمكن تأسيس "الحزب الديني"².

لقد انتشرت فكرة "جمعية الإخاء" في كل مكان بالجزائر، واستعملها الكتاب في الصحافة والخطباء في الاجتماعات العامة بالإضافة إلى استعمالها في المحادثات الخاصة، وبناء على رأي الشيخ البشير الإبراهيمي فإن العبارة

1 عبد الحق: "إلى الإصلاح الديني فلنحارب التخائل المميت بسلاح التنافر العتيد"، مجلة الشهاب، مج1، السنة الأولى، ع3، (26 نوفمبر 1925)، ص ص 2-5.

2 علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925-1940، ترجمة محمد بحياتن، دار الحكمة، الجزائر 2007، ص ص 144.

قد جذبت أنظار المثقفين في البلاد كلها، وقد شعر أصحاب المشروع أن خلق مثل هذه المنظمة قد يؤدي إلى انقسام الطبقة المتعلمة إذا لم يسبق ذلك إعداد محكم، ذلك أنه خلال عشرينات القرن الماضي كان هناك نوعان من المتعلمين بالعربية، النوع الأول هم العلماء، أي أولئك المثقفون الذين كانوا واعين سياسيا، ولهم اتجاه إصلاحى، والنوع الثاني قليلو الثقافة الذين لهم اتجاه دينى وتخرجوا من الزوايا المحلية وغيرها من المراكز الدينية.

ولم يرغب العلماء في تأسيس جمعية تعزل زملاءهم المحافظين، ذلك أن أي منظمة ترغب في تمثيل المجتمع يجب أن تضم المحافظين أيضا¹، فضلا على أن ذلك يعد شرطا رئيسا لاعتمادها من قبل ميرانت مدير الشؤون الأهلية.

4- عوامل اعتمادها

عندما ولدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 كانت تمثل علماء الجزائر من الاتجاهين الإصلاحى والمحافظ، ورغم أن الفكرة بحد ذاتها قد لاقت نجاحا في مجتمع يبدو أن مستواه الثقافى كان محدودا جدا، والحياة الثقافية فيه كانت راكدة، فمن الواضح أن هناك عوامل أخرى كانت مساعدة على النجاح، وقد قسمها علي مراد إلى سلسلتين من العوامل هما:

أ- العوامل الداخلية

وهي عوامل خاصة بالمجتمع الإسلامى وأهم عناصرها:
 إن إنشاء أي تجمع إسلامى ليس غريبا عن الوعي الإسلامى لأنه يستند إلى معطيات قرآنية وأحاديث نبوية فالمسلمون "أمة واحدة" و"حزب واحد" عبر عنه القرآن الكريم بـ "حزب الله"، وإذا كان واقع المسلمين لا يترك مجالاً للشك

1 أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص388.

في أنهم منفصلين سياسيا ومتفرقين اجتماعيا، فإن نزعتهم نحو الوحدة ظلت قائمة، وقد سعى المصلحون من أجل تحويلها إلى قوة اجتماعية يمكن أن تكون ذات حركة هائلة عندما يتجسد المجتمع في شكل بنیان مرصوص كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾¹، وكما جاء في الحديث النبوي الشريف: "مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"، وبالتالي فإن رؤية المسلمين الاجتماعية متحمسة إلى كل مشروع من شأنه أن يجسد هذه الفكرة وإن على صعيد ضيق مثل الروابط الموجودة بين العلماء والأشخاص النابهين، وقد وفق الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما جعل فكرة جمعيته تشمل بشكل صريح كل العلماء والمتعاطفين مع الحركة الإصلاحية دون تمييز اجتماعي أو فكري، وبناء على ما سبق فإن الوعي الشعبي والتراث الإسلامي شكلا أرضية مناسبة للمبادرة الباديسية².

ب- العوامل الخارجية

كانت مفيدة ومشجعة لنشأة جمعية علماء إسلامية جزائرية، فهي حسب علي مراد دائما تمثلت في:

الكنيسة الكاثوليكية التي كانت مثالا حيا أثبت أن تنظيم العبادات والتعليم الديني يكون فاعلا جدا إذا لم يرتبط بالدولة، ومن الواضح أن مصلحي الجزائر على غرار مصلحي مدرسة المنار المشرقية لم يكونوا غير مكثرئين بالنشاطات التي كانت تقوم بها الكنيسة الكاثوليكية³.

1 سورة الصف، الآية 4.

2 علي مراد، المرجع السابق، ص ص 145-146.

3 المرجع نفسه، ص 146.

أن الجزائريين قد أخذوا يستأنسون بمختلف المؤسسات والأحزاب الأوروبية، فتطلعوا هم أيضا إلى تشكيل هيئة من شأنها أن تكون ذات أهمية اجتماعية وصيت شعبي، خاصة وقد ظهرت تجمعات سياسية إسلامية منها تجمع المنتخبين المسلمين الجزائريين لمنطقة العاصمة الذي تأسس في جويلية 1930، وتجمع المنتخبين المسلمين لمنطقة قسنطينة في نوفمبر 1930، وقد كانت الذكرى المئوية للاستعمار الفرنسي للجزائر مناسبة لإظهار تعاطف المصلحين مع تلك التشكيلات، وذلك لأن غايتها تمثلت في إظهار خيبة أمل الجماهير بتلك المناسبة، والإعراب علانية على مطالبهم الوطنية ولا يكون ذلك إلا بتأسيس جمعية¹.

أن الإصلاحيين بوصفهم متقنين معربين، لم يستطيعوا إهمال الطبقة الجديدة التي أخذت في البروز على الساحة الثقافية الجزائرية خلال السنوات الأولى لما بعد الحرب العالمية الأولى، ويتعلق الأمر بخريجي المدارس الرسمية (العاصمة، تلمسان، وقسنطينة) المنضوين في رابطة صداقة منذ 1919، وكان هؤلاء يشكلون الإطار الاجتماعي والديني للجماعة الإسلامية (قضاة، مترجمين قضائيين، أمناء البلديات المختلطة، مدرسون، أئمة ومفتون)، وكانوا يظهرون كمنافسين شرسين بالنسبة للإصلاحيين الذين كانوا يسعون تحديدا إلى توسيع هيمنتهم وبسطها على جميع أوجه الحياة الاجتماعية لمسلمي الجزائر، وبالنظر إلى تكوينهم المزدوج اللغة ووظائفهم الرسمية، لم يكن قدامى المدارس هذه يحضون بتعاطف أو ثقة المتقنين الإصلاحيين الذين كانوا في غالبهم أحاديي اللغة، وقد يكون شعور الإصلاحيين بحاجتهم إلى الاتحاد لكي يشكلوا

قوة قادرة على جلب الاحترام، ومن شأنها الانتصار على الموظفين الرسميين في القضاء والتعليم والعبادات الإسلامية، وكذا زعماء الجمعيات المرابطة¹. وإلى جانب العوامل السابقة نضيف عاملين من خارج الوطن أحدهما تونسي والآخر مشرقي مصري، أما التونسي فإن معظم المثقفين الإصلاحيين الجزائريين من قدامى خريجي مدرسة الزيتونة كانوا متأثرين بالحياة الفكرية في تونس، ومن المحتمل أنهم سعوا إلى تقليد المثقفين التونسيين الذين كان العديد منهم يمارسون مواهبهم في جمعيات ثقافية وكانت أبرزها جمعية الخلدونية التي اهتم بها ابن باديس أيما اهتمام، وأما التأثير المصري أو المشرقي فنسجل أن الإصلاحيين الجزائريين كانوا متأثرين جدا بدعاية مجلة المنار، وبأنهم كانوا يقدرون آراء رشيد رضا حق قدرها، وقد كان هذا الأخير يلح على وجه التحديد في دراساته المخصصة للخلافة بين عامي 1921-1923 على ضرورة أن يؤسس الاصلاحيون "حزبا إسلاميا معتدلا" وسطا بين أنصار المحافظين المتشددين وأنصار التعريب المشتط .

ولا ريب أن دراسات رشيد رضا المنشورة في مجلة "المنار" لم تكن خافية على ابن باديس وبقية الزعماء الإصلاحيين، وقد تجاوز التوافق بين آراء رشيد رضا والأفكار المعبر عنها في "الشهاب" حول "الحزب الإصلاحي الديني"، تجاوز الأفكار إلى الألفاظ التي استعملتها "الشهاب"، فكانت صدى لألفاظ مجلة "المنار"، ولم يكن ذلك محض صدفة، ولكنه يتعلق برد فعل واع لدى فريق مجلة "الشهاب"، وقد شعر ابن باديس وأصدقاؤه بالفخر عندما استجاب لنداء رشيد رضا بالمشاركة في بناء حزب إسلامي إصلاحي عريض

يشمل مجموع البلدان العربية الإسلامية¹، ومن جهتهم فإن العلماء لهم نظرتهم الخاصة للعوامل التي ساهمت بشكل محسوس في ميلاد الحركة الإصلاحية بالجزائر، وقد لخصها الإبراهيمي في الآتي:

- تأثير الشيخ عبده (حركة الجامعة الإسلامية) ولاسيما فكرته عن الاجتهاد.
-تأثير مجلة "المنار" وكتب المصلحين الدينيين مثل ابن تيمية، ابن القيم، الشوكاني.

-الثورة التعليمية التي أحدثها ابن باديس بعد عودته من تونس والمشرق العربي.
-الوقوع النفسي للحرب العالمية الأولى على الجماهير الجزائرية والذي أدى إلى تدهور الاعتقادات الخرافية.

-عودة بعض أبناء الجزائر المخلصين المؤمنين من الحجاز منبت الإسلام ومركز النهضة الإصلاحية بعد أن تعلموا فكرة الإصلاح الناضجة².

ومما سبق ذكره نخلص إلى أن نواة الحركة الإصلاحية في الجزائر والتي مثلها فريق مجلة "الشهاب" قبل ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قد استمدت إلهامها من الواقع الجزائري من جهة، ومن من النزاعات الثقافية والدينية الخارجية في الوقت ذاته، فضغط الظروف التاريخية والاجتماعية المحلية لم يكن بغريب عن تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتلك حقيقة، لكنها لا تستطيع أن تفسر بمفردها ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ذلك أن تأثيرات مدرسة "المنار" الإصلاحية كانت واضحة للغاية وذلك ما يُظهر من جهة أخرى إدراكا للتطور العام للوعي الإسلامي .

5-الفكرة في طور المناقشة

1 علي مراد، المرجع السابق، ص ص148-149.

2 البشير الإبراهيمي: المصدر السابق، ص ص40-42.

لقد دام نقاش الفكرة التي أطلقها عبد الحميد بن باديس خمس سنوات ونصفاً (نوفمبر 1925-ماي 1931)، وكانت مجلة "الشهاب" تمثل خلالها واجهة ذلك النقاش، وقد أشار الشيخ أحمد حماني إلى أن سبب تأخر ميلاد الجمعية هو عدم تجاوب علماء قسنطينة وعمالتها مع رغبة ابن باديس، ذلك أنهم كانوا في أغلبهم من موظفي الإدارة الحكومية، بالنظر إلى معارضة الإدارة على الرغم من أنهم كانوا يحبذون الفكرة¹، وذلك لا يؤثر على الفكرة التي طرحناها سابقاً بل تشكل جزءاً من النقاش الذي يجب أن يتناوله موضوع بحجم تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وقد لخص البشير الابراهيمي الآراء الأساسية التي تناولها النقاش في رأيان أساسيان:

الرأي الأول: ويقوم على صب كامل المجهود في تعليم مثمر وذلك ما يتطلب مجهودات متضافرة، تستهدف تخريج طائفة جديدة منسجمة التعليم مطبوعة بالطابع الإصلاحية علما وعملا² مسلحة بالأدلة مدربة على أساليب الدعوة الإسلامية والخطابة العربية، حتى إذا كثر سواد هذه الطائفة، وكان منها الخطيب ومنها الشاعر ومنها الواعظ ومنها الداعي المتجول، استُخدمت في الحملة على الباطل والبدع على ثقة بالفوز"، وقد تبنى الشيخ البشير الإبراهيمي هذا الرأي.

1 في مقابلة معه بتاريخ 29 أبريل 1979 في الجزائر العاصمة ينظر: أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 79.

2 البشير الابراهيمي، المصدر السابق، ص 44.

الرأي الثاني: كان يرى ضرورة المبادرة بالهجوم على دعاة الباطل وإسماع العامة صوت الحق¹: "لأن البدع والمنكرات التي يريد الإصلاح أن يكون حربا عليها، وهي أمور قد طال عليها الأمد، وشاب عليها الوالد وشب عليها الولد، وهي بعد شديدة الاتصال بمصالح ألفها الرؤساء حتى اعتبروها حقوقا لهم، وأنس بها العامة حتى اعتقدوها فروضا عليهم، فلا مطمع في زوالها إلا بصيحة مخيفة تزلزل أركانها ورجة عنيفة تصدع بنيانها وإعصار شديد يكشف الستر عن هذا الشيء الملفف ليتبينه الناس على حقيقته... فتضعف هيئته في نفوسهم... وهناك يسهل العمل في نقضه وتخف المؤونة في هدمه...". وكانت وسيلة الرأي الثاني هي الاتصال المباشر بال جماهير لإيقاظها ضد مستغليها²، وكان ابن باديس أبرز زعماء الرأي الثاني، وقد تم الاتفاق في النهاية على الأخذ بالرأي الثاني أي المبادرة بالهجوم على الطرقيين والمرابطين وأعوان الإدارة الدينيين³، وقد استعمل عبد الحميد بن باديس في معركته تلك سلاحين هما الصحافة والمدرسة، فأصدر لذلك الغرض جريدة "المنتقد" عام 1925 في قسنطينة، وجاء اسمها على ما يبدو مناهضا ومناقضا للمنهج الذي كانت الطرقية تربي مرديها عليه وهو المنهج الذي تلخصه العبارة الشهيرة "اعتقد ولا تنتقد".

ويسمح تتبع المناقشات التي دارت بين المستجيبين لدعوة ابن باديس ونشرتها مجلة "الشهاب" بمعرفة المحاور الكبرى التي كانت محل اتفاق، فقد أكد المشاركون في تلك الآراء على الطابع غير السياسي للحزب، وقد تصلَّب

1 أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 79.

2 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص 389.

3 أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 98.

الطيب العقبي حيال هاته المسألة وواقفه الآخرون، لكنهم لم يكونوا يشعرون بأنهم ملزمون بإغفال الشأن السياسي، فبينما كان الواقع السياسي الجزائري يشق طريقه نحو ديناميكية جديدة فاعلة انطلقت منذ إصلاحات 4 فيفري 1919، كانت التحضيرات في الجانب الآخر جارية للاحتفال بالذكرى المئوية الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، والتي كانت تفرض على المسلمين التساؤل حول مصيرهم السياسي، وقد عجز الذين أظهروا استعدادا للانخراط والالتزام في الحزب الديني المنتظر عن فهم الموقف المتصلب - والسلبى حسب بعضهم - جدا للطيب العقبي الذي كان يصرّح بكل قواه¹: "منذ بداية الحرب العالمية وأنا أعتزل السياسة وسأظل أعتزلها إلى يوم يبعثون".

ومن المسائل الأخرى التي أثارت نقاشا هي مسألة المؤهلات الفكرية والدينية لأعضاء ذوي الاستعداد للانخراط في الحزب الديني المرتقب ميلاده، والذي كان يعيش طور التكوين، وقد اعترض بعض العلماء عن فتح حزبهم للأعضاء الذين لم تُمتحن قناعتهم الإصلاحية، وقد كانوا يخشون أن يتسرّب إلى جمعيتهم مرابطون لا أخلاق لهم، وبالنسبة للبعض الآخر مثل ميلود حفيظي الأزهري التكوين، يتمثل الإصلاح في تحسين الوضع المعنوي والفكري للمسلمين، دون الحكم على معتقداتهم إن كانت ذات نزعة مرابطية أو غيرها، فقد كان ممن يعتقدون بأنه يمكن للمرء أن يكون مسلما مثاليا وتابعا وفيها للحركة الإصلاحية، دون أن يكف عن الإيمان بفضائل المرابطين وبركة شفاعة الأولياء الصالحين، وهي أمور كان إصلاحيون آخرون يرونها من مظاهر

الشرك¹، وقد ذمه الشيخ مبارك الميلي فقال²: "أبو المساوي وكلية الرذائل ومعمل الموبقات، فهي معصية لا تجدي معها طاعة، ومنقصة لا يجدي عنها كمال، وضعة لا يقوم منها غر، وسفه لا ترشد به نفس".

وقد أدت تلك النقاشات إلى تعميق النظر في المسائل الدينية الكبرى في بعديها الاجتماعي والثقافي، وخلال تلك النقاشات كانت هناك أفكار كبرى موجّهة وكانت الشهاب منبرا لها، ولم يكن هناك برنامج مذهبي محدد بوضوح، وفي هذا الإطار يرى علي مراد³: "أن العديد من المساهمين في الشهاب كانوا يميلون إلى إلقاء الخطب الطويلة، لا لشيء سوى إبراز القدرة على الحديث بالعربية الفصحى، وليس للبحث المفيد عن حل المشكلة المطروحة بالسعي إلى التخفيف من حدة الخلاف، وذلك ما جعل ابن باديس يستشعر بعض التشاؤم لا سيما وأن النقاش ظل جاريا بين عدد من المختصين دون أن يجلب حماس الجمهور".

6- ظروف إعلان ميلاد جمعية العلماء المسلمين

وفي ظل تلك الظروف شهد النصف الثاني من عام 1930 دافعا مثيرا للعلماء المصلحين جعلهم يضغطون بكل قوة في اتجاه التعجيل بتأسيس جمعيتهم، فقد احتفلت فرنسا يوم 5 جويلية 1930 الذكرى المئوية الأولى للاحتلال، ورافق ذلك الاحتفال تحديات سياسية واستفزازات دينية، ومن ذلك مثلا تنظيم استعراض عسكري في شوارع الجزائر العاصمة وبعض المدن

1 المرجع نفسه، ص151.

2 مبارك الميلي: "الشرك ومظاهره"، مجلة البصائر، السنة الأولى، عدد5، 31جانفي 1936، ص1.

3 علي مراد، المرجع السابق، ص151.

الجزائرية الأخرى بثياب مماثلة للثياب التي كان يرتديها الجنود الفرنسيون عند احتلالهم الجزائر، وأسلحة كتلك التي استخدموها في احتلال سيدي فرج وبقية المناطق الجزائرية، ومن ذلك أيضا التصريحات المهينة التي صرح بها الحاكم العام في المرسى القديم أمام المهنيين بالذكرى إذ جاء على لسانه¹: "...في هذا المكان حيث كانت اللصوصية تضرب أطنابها، وحيث كانت أوروبا تخضع لفضاعة القرصنة، نستقبلكم أيها السادة وقد ساد الأمن، وعاد الرخاء ونشر العدل بساطه، وزالت اللصوصية وانمحت القرصنة إلى الأبد تحت لواء فرنسا العظيم المنتصر". وقد تجاوزت المسألة طابعها السياسي إلى طابع ديني فقد أقيم مؤتمر ديني كاثوليكي حضره مجموعة من القساوسة والرهبان، وقد نادى المؤتمرون بشعارات ضد الدين الإسلامي وضد العروبة وضد نبي المسلمين صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك أيضا أمر الإدارة الفرنسية لبعض موظفيها من رجال الدين المسلمين بالسير إلى مغارة سيدي فرج حيث كان الفرنسيون قد أقاموا تكريما في ذكرى الاحتلال للولي الصالح "سيدي فرج"² الذي تشتهر باسمه المنطقة، وهناك قرأ رجال الدين المسلمون القرآن وكرمهم الفرنسيون بالطعام، وقد وصف

1 أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، القسم الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1977، ص170.

2 أقامت فرنسا جدارا فوق كهف طبيعي صغير بضاحية سيدي فرج، وعينت له وكبلا من قدام جنودها بدعوى أن ذلك هو ضريح "سيدي فرج" لكن الحقيقة أن الضريح الحقيقي كان قد حطمه الفرنسيون عند نزولهم بساحل سيدي فرج سنة 1830، ينظر أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص169.

أحدهم¹ شعوره في تلك اللحظة بقوله²: "إننا كنا نأكل وكأنا نلتهم النار، وكنا نشرب وكأنا نبتلع السم الأرعن، وكنا نقرأ القرآن ونشعر أننا نسب الدين، وكانت وجوهنا مصفرة، وكانت سحناتنا مكفهرة، وكان شعورنا جميعا دون استثناء شعور من احتقر احتقارا لم ينل مثله أي شعب من شعوب الأرض".
والواقع أن احتفالات الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي والتي انطلقت منذ شهر ماي سنة 1930 وبلغت ذروتها يوم 5 جويلية من نفس السنة، كانت فعلا حافزا كبيرا لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فابن باديس شدد دعوته من خلال مجلة "الشهاب" إلى ضرورة توحيد العلماء.

وقد أكد أحمد حماني أن فكرة تأسيس الجمعية تعود لعبد الحميد بن باديس، فمنذ بدأ حركته الإصلاحية عام 1914 وهو عازم على تأسيس دعوة عامة، وقد أشار إلى ذلك في جريدة "السنة"، كما أن جريدة "الشهاب" كانت تدعو بصورة مستمرة إلى ضرورة تكثف العلماء وتأسيس جمعية لهم.

وقد ذهب جل الفاعلين في جمعية العلماء المسلمين إلى تنفيذ رأي توفيق المدني الذي سيأتي ذكره، ومنهم محمد الصالح رمضان، وعلي مرحوم، وعبد اللطيف سلطاني³، وذلك ما يتفق مع سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين، فقد ذكر فيه⁴: "ولقد كان من المعقول والحرب مشبوبة بين المصلحين والطرفيين أن يكون اسم الجمعية "الإصلاح الديني"، ولكن المصلحين وهم

1 هو حميدة حاج عيسى، ينظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص169.

2 أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص170. وأيضا أحمد الخطيب: المرجع السابق، ص100.

3 مقابلات للأشخاص المذكورين أعلاه مع أحمد الخطيب، ينظر أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص102.

4 البشير الإبراهيمي: المصدر السابق، ص434.

أول من فكر في مشروع جمعية العلماء، وزعيمهم هو أول من وضع ذلك الاسم، لم يكونوا يقصدون من هذه الجمعية من يوم تصورها فكرة إلى يوم أبرزوها حقيقة واقعة إلا غرضا واحدا، وهو جمع القوى الموزعة من العلماء على اختلاف حظوظهم في العلم للتعاون على خدمة الدين الإسلامي واللغة العربية، والنهوض بالأمة في طريقيهما" ، والواقع أن جل المهتمين بالحركة الإصلاحية في الجزائر سواء كانوا جزائريين أو فرنسيين قد اعتبروا أن ابن باديس هو صاحب فكرة تأسيس الجمعية.

في شهر فيفري 1931 تضمنت مجلة "الشهاب" التي كان يصدرها ابن باديس في قسنطينة دعوة إلى إنشاء جمعية العلماء، وقد جاء في الدعوة عرض بجائزة مقدارها ألف فرنك لمن يسعى في إنشائها، ويظهر أن ابن باديس قد تبرع بألف فرنك أخرى إلى صندوقها عندما تبرز إلى الوجود، وقد خلت الدعوة من ذكر أسماء المقترحين، لكنه ذكر أن المدعو عمر إسماعيل - بورجوازي عاصمي- خصص جائزة قدرها ألف فرنك لكل مثقف يتوصل إلى وضع أسس جمعية اسمها "جمعية العلماء"، وبعد ذلك بقليل شكل عمر إسماعيل لجنة تحضيرية بالعاصمة قصد جمع ردود أفعال المثقفين الجزائريين اثر نشر إعلانه في "الشهاب"، وكانت لهذه اللجنة مهمة أخرى تمثلت في إحصاء المثقفين المسلمين الجزائريين الذين يمكنهم المساهمة في جمعية العلماء المقبلة بعد تسوية التفاصيل¹، ثم كانت الدعوة إلى عقد جمعية قانونية في نادي الترقى بالعاصمة يوم الثلاثاء 14 ماي 1931، وقد ارتبط بعد ذلك ميلاد جمعية العلماء بنادي الترقى، وسنحاول في الآتي تقديم تعريف بسيط بذلك النادي.

1 علي مزاد، المرجع السابق، ص154.

ذكر توفيق المدني أنه صاحب فكرة إنشاء نادي الترقى وذلك خلال صيف 1926 في حفل أقيم على شرفه وضم اثنان وثلثون (32) رجلا من أعيان مدينة الجزائر ذكر أسماء الكثير منهم، وكان افتتاحه في 3 جويلية 1927، وأما جريدة "الشهاب" فقد ذكرت في عدد 4 أوت 1927 في مقال بعنوان نادي الترقى لكاتبه محمد العاصمي أن النادي افتتح رسميا في 18 جويلية 1927، وقد انتخب النادي محمود بن ونيش رئيسا له إلى جانب مجلس إداري. وقد افتتحت سلسلة المحاضرات العامة بتاريخ 25 جويلية 1927، وكان أول المحاضرين هو عبد الحميد بن باديس وحملت أول محاضرة له بالنادي عنوان: "الاجتماع والنوادي والعرب"، ثم توالى المحاضرات بعد ذلك بالنادي بشكل أسبوعي، وكانت تتناول مواضيع دينية واجتماعية وغيرها، وقد اجتهد المحاضرون في تجنب المواضيع السياسية وذلك لمجموعة من الأسباب كان أبرزها سببان:

أ- أن منشأ النادي هم جماعة من أعيان وبورجوازي المدينة، وبالتالي فهم لا يريدون الدخول في نزاع مع الإدارة الفرنسية في الجزائر، لأن ذلك لن يكون في صالحهم وسيؤدي إلى التأثير في أوضاعهم المادية.

ب- الخوف من انتقام السلطة والإدارة الفرنسية من النادي ذاته، فذلك لا يتطلب أكثر من قرار إداري وهو ما قد يؤدي إلى ضياع كوكبة من المصلحين الجزائريين بذلت ما في وسعها لإبعاد الشباب الجزائري من المقاهي والحانات¹. ولم يمضي على النادي إلا فترة وجيزة حتى تحول إلى مركز لقاء الطبقة الجزائرية المثقفة، وتعدى دوره المحلي إلى دور عربي، وذلك عندما أصبح

1 أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 106.

أيضا مركزا للالتقاء مع الزوار العرب من علماء وأدباء وشعراء وخاصة منهم الوافدون من المشرق العربي¹.

وحسب توفيق المدني فإن النادي تمكن إلى جانب ما ذكرناه من انجاز

المشاريع التالية:

- تأسيس جمعية الفلاح.
- جمع شمل وحدة النواب الجزائريين.
- اجتماع مؤتمر طلاب شمال أفريقيا.
- تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية.
- مقاومة سياسة التجنس والإدماج.
- مساعدة الكفاح الفلسطيني.
- تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- مقاومة التبشير المسيحي ومحاولة تأسيس "الاتحاد الديني السماوي".
- جمعية الزكاة.

وقد ذكر بعد ذلك أهم نشاطات مؤتمر طلاب شمال أفريقيا، إلى جانب شخصيات تونسية منها المنبي سليم، وعثمان الكعاك، وعلالة البلهوان، وأحمد بن ميلاد، كما ذكر شخصيات مغربية منها إبراهيم الكتاني وعبد الخالق الطريس، وأما من الجزائر فذكر فرحات عباس، والدكتور سعدان، والشيخ سليمان بن يوسف، ولعله من المهم أن نذكر أنه من الشخصيات الجزائرية عمار أوزقان الذي وصفه المدني بـ "الشيوعي المعتدل الحكيم"، وأما عن النقطة

1 أنظر مقال: محمد العاصمي: "أعظم ناد بالجزائر وإن كان بعد مائة عام"، مجلة الشهاب،

الثامنة والمتعلقة بتكوين " البنك الإسلامي الجزائري " فقد ذكر أن الإدارة الفرنسية قد منعت تنفيذ المشروع¹.

ولعب هذا النادي دورا محوريا في ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بعد، فبعد أن أعلن عمر إسماعيل عرضه السابق الذكر -جائزة قدرها ألف فرنك- لكل مثقف يتوصل إلى وضع أسس جمعية اسمها "جمعية العلماء"، بعد ذلك بقليل شكل عمر إسماعيل لجنة تحضيرية بالعاصمة، قصد جمع ردود الأفعال للمثقفين الجزائريين إثر نشر إعلانه بالشهاب، وكانت لهذه اللجنة مهمة أخرى تمثلت في إحصاء المثقفين المسلمين الجزائريين الذين يمكنهم المساهمة في جمعية العلماء المقبلة، وبعد تسوية التفاصيل تمت الدعوة إلى عقد جمعية عامة قانونية في نادي الترقى (العاصمة) يوم الثلاثاء 17 ذو الحجة 1349/5ماي 1931، وسمّيت هذه الجمعية 62 شخصا، وقدم خمسون آخرون اعتذارهم عن الحضور².

وأما توفيق المدني فيورد رواية مغايرة، إذ يذكر أن بعض أعضاء نادي الترقى كلفوه بتحضير قانون أساسي للجمعية، وأنه تمكن خلال ثلاثة أيام من أعداد المشروع، وأنه حرّر شخصيا رسالة الدعوة التي أرسلت إلى 120 مدعو من رجال العلم والدين الجزائريين على اختلاف نزعاتهم، وقد وافق 109 من المدعويين وعندما التأم المؤتمر كان العدد يزيد عن مائة³، وقد أنكر بقية العلماء ممن تحدثوا عن ظروف تأسيس الجمعية هذه الرواية

1 أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 114-115.

2 علي مراد، المرجع السابق، ص 154.

3 أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 179.

والجدير بالذكر أن المدعويين لم يكونوا فقط من أنصار الإصلاح بل شملت الدعوة أغلب العلماء ورجال الدين الذين أمكن إحصاءهم شرط أن يكونوا خريجي المعاهد المغربية العليا، أو أن يكونوا من المشهود لهم بالعلم، أو من الذين يتبوؤون مركزا دينيا مهما بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية أو الطرقية أو الإصلاحية¹.

في اليوم الأول من الاجتماع تبنت الجمعية العامة قوانين جمعية العلماء المسلمين، وعينت لجنة إدارية تتكون من ثلاثة عشرة شخصا وفيما يلي تشكيلة هذه اللجنة، وهي المديرية الأولى لجمعية العلماء لمسلمين الجزائريين:

- عبد الحميد بن باديس رئيسا

محمد البشير الإبراهيمي نائب الرئيس

- الأمين العمودي أمينا عاما

- الطيب العقبي نائب الأمين العام

- مبارك الميلي أمين المالية

- المولود الحافظي، الطيب المهاجري، مولاي بن شريف، العيد البحري، حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسي محمد الفضيل اليراتي، أعضاء مستشارون².

وتكاد المصادر تجمع على أن ابن باديس قد تغيب يوم الثلاثاء 5 ماي

1931 وكذلك يوم الأربعاء الموالي لها حيث عقد المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أول اجتماع له في نادي الترقى، وقد ترأس تلك الجلسة البشير الإبراهيمي، وجرى فيها إعادة النظر في القانون الأساسي فأقره

1 أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 108

2 أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 109

بالإجماع، وقرر ترجمته إلى اللغة الفرنسية وتقديمه للحكومة للمصادقة عليه¹، وفي يوم الخميس 7 ماي حضر ابن باديس اجتماع المجلس الإداري وعُرض عليه ما تم الاتفاق حوله في الجلسات السابقة فوافق عليه، ولاحقا فإن ابن باديس أكد تغييره في بداية الجلسات²، فقد خطب أمام الجمعية العامة بعد تأسيسها قائلاً³: "إخواني إنني قد تخلفت عن جمعكم العظيم اليوم الأول والثاني، فحرمتم خيرا كثيرا، وتحملت إثما كبيرا، ولعلكم تعذروني لما لحقت بكم في اليوم الثالث"، وفي خطاب آخر أمام مجلس الإدارة ولجنة العمل الدائمة ذكر ما يلي⁴: "إخواني إنني ما كنت أعد نفسي، أهلا للرئاسة لو كنت حاضرا يوم الاجتماع الأول، فكيف يخطر لي البال وأنا غائب ولكنكم بتواضعكم، وسلامة صدوركم، وسمو أنظاركم، جنتم بخلاف اعتقادي في الأمرين، فانتخبتموني في الرئاسة وأنا غائب".

وبحكم الظروف السكنية لأبرز أعضاء الجمعية المؤسسين الذين كانوا بعيدا عن العاصمة عينت لجنة عمل دائمة يكون أبرز أفرادها من سكان

1 ينظر تفاصيل ذلك في: محمد البشير الإبراهيمي: "الجلسة التمهيدية لجمعية العلماء المسلمين"، مجلة الشهاب، مج7، ج5، ص ص 341-344.

2 لكن توفيق المدني ذكر أن ابن باديس كان حاضرا وأنه-ابن باديس - هو من ألقى خطاب الافتتاح، وزعم المدني أنه هو- توفيق المدني - من كان أعد ذلك الخطاب بطلب والحاح من ابن باديس، ينظر: توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 179-180

3 عبد الحميد بن باديس: "خطبتان لصاحب المجلة"، مجلة الشهاب، مج7، ج6، 7 جوان 1931، ص ص 351-356.

4 عبد الحميد بن باديس: "خطبتان لصاحب المجلة"، المصدر السابق.

العاصمة تتولى المداومة والتنسيق وتصريف الأعمال، وتكون على اتصال دائم برئيس الجمعية في قسنطينة وبقية مسئولى المجلس الإداري¹.
 بقي بعد ذلك أن نشير إلى أن قانون الجمعية الأساسي قد ورد في الفصل الأول منه أنه تأسست في عاصمة الجزائر جمعية إرشادية تهاديبية تحت اسم "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وفي الفصل الثالث ورد: "لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال، أن تخوض أو تتداخل في المسائل السياسية"، وأما الفصل الرابع، فحدد أهداف الجمعية في محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجارية بها العمل².

7- سرعة الاعتماد وأسبابها

بعد أن اجتازت الجمعية مرحلة التأسيس وقبل أن تباشري العمل تقدمت حسب القوانين المعمول بها بطلب الترخيص، وجاءت الموافقة بصورة سريعة من دار عمالة العاصمة (Préfecture d'Alger)، وبتاريخ 31 ماي 1931 أعلن التصريح في الجريدة الرسمية الفرنسية على النحو الآتي³: "بتاريخ 22 ماي جرى التصريح في مركز عمالة الجزائر لجمعية علماء الجزائر التي تهدف إلى محاربة الآفات الاجتماعية، وغيرها وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين والمراسيم الجارية بها العمل، إن مركز الجمعية الاجتماعي في العاصمة هو نادي الترقى، 9 ساحة الجمهورية".

1 أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 111.

2 ينظر النص الكامل للقانون الأساسي الذي صادقت عليه الهيئة العامة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتاريخ 5 ماي 1931 في: أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 265-269.

3 علي مراد، المرجع السابق، ص 155.

ولعل أهم ملاحظة يمكن تسجيلها عند اعتماد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي السرعة التي تجاوزت بها الإدارة الفرنسية مع مطلب الاعتماد الذي قدمه العلماء، خلاف ما اعتادت عليه تلك الإدارة من معارضة أو عرقلة كل عمل إصلاحي يؤدي إلى توعية المجتمع، ويمكن تفسير ذلك بالمناخ العام في الجزائر والذي كان يتميز ذلك الوقت بالانفراج، ففي سنة 1930 احتفل الفرنسيون بمئوية احتلال الجزائر، وتميز المناخ السياسي العام في ذلك الوقت بالانفراج، وقد استمرت الاحتفالات بتلك المناسبة إلى غاية سنة 1931، وقد كان الفرنسيون يعايشون الحدث باحتفالات كبيرة، وكان يحدهم التفاؤل تجاه الأهالي، والإحساس بالأبوية تجاههم وما يترتب عن ذلك من ادعاء الشعور بالرفق عبرت عنه الإدارة الفرنسية بتلبيين موقفها تجاههم.

وانطلاقاً من تلك الظروف لم يواجه إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اعتراضات شديدة من طرف السلطات العمومية، ويمكن أن نفسر بشكل أكثر دقة ذلك التساهل الإداري الذي استفاد منه مؤسسو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوجود "ج. ميرانت" على رأس الشؤون الأهلية في الحكومة العامة، وهو شخص ذو اعتبار، وكونه يعد ماسونياً، وقد سبق له أن أظهر عداء لنظام المرابطين، وقد وصفه عبد الحميد بن باديس بـ¹: "صاحب الأخلاق العالية والآداب اللطيفة... ذلك الرجل الإداري العظيم الذي يعرف أن المسلمين الذين برهنوا على حسن سلوكهم دائماً في جميع المواطن يجب أن يعاملوا اليوم بغير ما كانوا يعاملوا به أمس، وذلك المستشرق العالم بالعربية أنه لاشك أن ذلك يجعل له عطفًا خاصاً على أبنائها"، ومن الممكن نتيجة لذلك

1 عبد الحميد بن باديس: "خطبتان لصاحب المجلة"، المصدر السابق، ص 353.

أن يكون قد أراد أو شجع على الأقل المشروع الإصلاحى منذ البداية، وبقي مراقبا للأوضاع مستعدا للتدخل وفق التطورات القادمة من الحركة الجديدة، وما ستحدثه في نفوس الجماهير الإسلامية¹.

ومن الأسباب التي دفعت الإدارة الفرنسية إلى تيسير عملية اعتماد الجمعية كذلك هو أن هذه الأخيرة بهيئتها العامة والإدارية، قد جمعت كافة القطاعات الدينية الإسلامية المتواجدة على الساحة الجزائرية، فضمت عند تأسيسها المصلحين والطرفيين والموظفين الدينيين في الإدارة الحكومية والعلماء المستقلين، وتلك التركيبة أفقدت الإدارة الاستعمارية كل حجة في رفضها، إذ تضم كل الموالين لها، مما يجعلها تطمح إلى السيطرة عليها².

كما أن مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أبدوا مهارة كبيرة في كسب الإدارة الفرنسية إلى جانبهم قبل التماس الرخص الضرورية لوضع تنظيمهم، ففي شهر مارس 1931 أعلنوا عن طريق الشهاب بأن جمعيتهم هي جمعية دينية صرفة، وتبعا لذلك فهي ترفض أي تدخل في المناقشات أو الشؤون ذات الطابع السياسي، ومما ورد في الفقرات الأساسية لذلك الإعلان ما يأتي³:

"يجب أن نقول من الآن أن الجمعية يجب أن تكون جمعية هداية وإرشاد لترقية الشعب من الجهل والسقوط الأخلاقي إلى أوج العلم ومكارم الأخلاق في نطاق دينها الذهبي وبهداية نبيها الأمي الذي بعث ليتم مكارم الأخلاق... ولا يجوز بحال أن يكون لها بالسياسة وكل ما يتصل بالسياسة أدنى اتصال، بعيدة عن التفريق وأسباب التفريق وهذا ما نقوله، ولا شك أن

1 علي مراد، المرجع السابق، ص155.

2 أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص113.

3 الشهاب: "كيف يجب أن تكون وما ينتظر منها"، مج7، ج3، مارس 1931، ص197.

اخواننا المهيين والمدعويين كلهم على وفاق تام معنا أنهم سيجعلونه في طليعة القانون الأساسي الذي يقدم للحكومة أن نقوله ليكون معلوما عند الجميع بالمكشوف".

ومن الواضح أن موقف الشهاب المعلن عنه في هذا الخطاب هو موقف عبدوي خالص، فهذا الأخير -محمد عبده- كما جاء في تاريخ محمد عبده لتلميذه محمد رشيد رضا قد حسم موقفه من السياسة وحكم عليها بأنها ما دخلت في شيء إلا أفسدته، ومن أقواله المشهورة فيها¹: "فإن شئت أن تقول أن السياسة تضطهد الفكر أو العلم أو الدين فأنا معك من الشاهدين، أعوذ بالله من السياسة ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة ومن كل أرض تذكر فيها السياسة، ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن أو يعقل في السياسة، ومن ساس و وسوس وسائس ومسوس".

خاتمة

ومما سبق سرده ودراسته وتحليله في هذا المقال نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

أن ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر قد ارتبط في سياقه التاريخي بتطور الوعي الوطني الجزائري، خاصة منذ الحرب العالمية الأولى، وارتبط في سياقه التنظيمي بنشأة النوادي والجمعيات الثقافية وتشكيل الأحزاب الوطنية، وأما في سياقه الاجتماعي فتمثل في أن المجتمع الجزائري قد تجاوز الجهود الفردية في العمل الجماعي المنظم.

أن الحركة الإصلاحية في طور النشأة حاولت جهدها أن تكون ممثلة لكل الاتجاهات الدينية في الجزائر، سواء منها الموالية للاستعمار أو المستقلة

عنه أو المعارضة له، واستهدفت من وراء ذلك تجنيد كامل الشعب الجزائري من ورائها، واستغلال كل طاقاتها بتوجيهها نحو خدمة أهداف مشتركة إدراكا منها لأهمية الوحدة سواء في إحداث نهضة أو في كسب احترام المستعمر.

أظهرت الفترة 1925-1931 قدرة ابن باديس خاصة وفريق مجلة "الشهاب" عامة، على سبر أغوار الاتجاه الديني في الجزائر، وإدراك مدى قدرته على التجاوب مع حركته الإصلاحية، وقد أحسن إدارة الحوار من خلال جريدة الشهاب بما أفضى في النهاية إلى اتفاق كل الأطراف على تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولا شك أن ذلك شكل تطبيقا عمليا للشعار الذي رفعه محمد رشيد رضا في مجلة المنار وهو: "نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه".

لقد ساهمت النهضة التي غمرت الاستعمار الفرنسي في الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، وكذلك وجود شخصية فرنسية معتدلة على رأس مصلحة الشؤون الأهلية للحكومة العامة في تسهيل وتسريع اعتماد جمعية العلماء، والتي أحسنت بدورها صناعة بعض الظروف التي تأسست فيها بضمها تيارات الاتجاه الديني المخالفة لها كشيوخ الزوايا استجابة لشروط فرنسية كما سبق الذكر، وتأكيدا حذف النشاط السياسي في قانونها الأساسي، وتظاهرها بالولاء للإدارة الفرنسية.

كانت مشارب مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مشرقية وقد أعانهم على ذلك دراساتهم ورحلاتهم إلى هناك، وعلى أساس تفاعل الأفكار التي حملوها من المشرق، والواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي السائد تمكنوا من تشكيل الفكر الإسلامي الإصلاحي الجزائري.

الانتخابات في الجزائر خلال فترة ما بين الحربين، الانتخابات البلدية في الغرب الوهراني أنموذجا

Elections in Algeria during the period between the two wars: Municipal elections in the Oran West as a model

د/ عبد الرحمن تونسي

جامعة الجبالي بونعامة، خميس مليانة

الملخص

تحاول هذه المساهمة استعراض مظهرا من مظاهر الاستحقاقات الانتخابية في العهد الاستعماري، إذ تم التركيز على الانتخابات البلدية التي تظهر جليا الصراع السياسي الحامي الوطيس بين التيارات السياسية المتنافسة على المقاعد المخصصة لهذا الاستحقاق الانتخابي، ولقد ركزنا على عمالة وهران كونها تمثل جنة المستوطنين الذين غالوا في منع الأهالي المسلمين في الحصول على حقوقهم الشرعية ومنها الحق في الانتخاب.

Abstract

This contribution attempts to review a manifestation of the electoral benefits in the colonial era, as the focus was on the municipal elections, which clearly show the fierce political conflict between the competing political currents for the seats allocated for this electoral benefit. Preventing Muslim peoples from obtaining their legitimate rights, including the right to vote.

مقدمة

تميز إقليم وهران عن إقليمي الجزائر وقسنطينة بشدة الحراك السياسي للمستوطنين بمختلف مذاهبهم السياسية وطوائفهم الدينية، وارتفاع أعدادهم ديمغرافيا، فقد تجاوز عددهم 200.000 نسمة سنة 1936، نصفهم إسبان

وشكل اليهود 20 % من السكان والمسلمون الربع.¹ ومن أهم هذا الحراك السياسي الاستحقاقات الانتخابية بشتى أنواعها، ومن أبرزها إطلاقا للانتخابات البلدية. التي نبقى نتساءل في أبحاثنا التاريخية عن محل الأهالي من الإعراب فيها، أو قل مكانة المسلمين في الانتخابات البلدية بعمالة وهران.

أولا- انتخابات المجالس البلدية

تمثل البلدية الخلية الأساسية في الإستراتيجية الاستعمارية الاستيطانية كما سبق ذكره، فالمناطق التي يكثر فيها العنصر الأوروبي تحولت إلى بلديات ذات صلاحيات كاملة كما ضمت إليها بعض الدواوير للرفع من ميزانيتها، في حين أخضعت المناطق الآهلة بالجزائريين والتي يقل فيها الأوروبيون إلى نظام البلديات المختلطة، يسيرها حاكم إداري فرنسي، له كل الصلاحيات ويخضع للإدارة المركزية.

إنّ قضية الانتخابات البلدية التي نظمها مرسوم 27 ديسمبر 1866 في مادته التاسعة،² لدليل قاطع على سياسة السيطرة والتمييز العنصري بين المسلمين والأوروبيين من طرف السلطات الاستعمارية، وهذا ما تبيّنه طرق التعامل معهم، حيث كانت تمارس عليهم أساليب قمعية من حصار وعزلة، وذلك من أجل إبعادهم عن المناصب السياسية، إلى جانب حرمانهم الكامل من انتخاب من يمثلهم، وفرض مقاييس استعمارية في كلّ المجالس (البلدية،

1 - Jean-Louis Planche. **Model de Souveraineté Français. Incivilité et Violence à Oran et Marseille (1919-1939)**. In: Cahier delà Méditerranés. N° 61; 1, 2000.p 98.

2- Edgard. Rouard de Card, **La Représentation des indigènes musulmans dans les conseils de l'Algérie**, Paris, PEDONE, Editeur 1909. P 34.

المالية، العامّة)¹، كما عملت السلطات الفرنسية على وضع حواجز وعقبات أمام الجزائريين، وذلك بوضع شروط قاسية للمشاركة في الانتخابات، فتمثيلهم من طرف المنتخبين لم يكن حقيقيا إلى جانب عدم الأخذ بعين الاعتبار مشاكلهم و عدم إيصالها.²

1- انتخابات 30 نوفمبر – 04 ديسمبر 1919م

ما إن عاد السلم العالمي اتخذت فرنسا جملة من الإجراءات الاستعجالية كأنها غريق ينجو من الموت ويعود إلى الحياة، إذ نظمت العمالات الثلاث أول انتخابات بلدية في الجزائر المستعمرة.³

وأصبح من حق المسلمين بموجب المرسوم الخاص بهم 1919 التصويت على 12 عضوا بدل ستة أعضاء، لتمثيلهم داخل المجالس البلدية مقابل 36 عضوا أوريبيا يشكلون ثلاثة أرباع المجلس لمدة ست سنوات.⁴ إلا أن أبرز ما ميز حملتها الانتخابية في الغرب الجزائري غياب صحافة الأهالي،

1 - تبني المشرع الفرنسي نظام الانتخاب بالقائمة ابتداء من دستور 1875، وعدل عنه مرة إلى نظام الانتخاب الفردي 1889، ثم عاد إلى نظام الانتخاب بالقائمة سنة 1919 وعُدل عنه مرة أخرى إلى نظام الانتخاب الفردي، 1928 و عاد مرة أخرى إلى نظام الانتخاب بالقائمة. ينظر: زهيرة بن علي، دور النظام الانتخابي في إصلاح النظم السياسية- دراسة مقارنة - أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام، تلمسان 2015، ص 74.

2 - بومدين زاير، "الدوار في المشروع الإداري الاستعماري في الجزائر (من 1863 إلى 1947)، رسالة ماجستير تاريخ حديث ومعاصر، سيدي بلعباس، 2013-2014، ص 85.

3 - CH.R. Agéron, Le premier vote de l'Algérie musulmane, Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, n°8, janvier 1970, pp.97-107.

4- إبراهيم مهيد، الجزائريون في القطاع الوهراني (1900-1940)، الجذور الثقافية، الهوية الوطنية. أطروحة دكتوراه في التاريخ، ج1، جامعة وهران، 2000، ص 234.

بخلاف نظيرتها في عمالة الجزائر للتعبير عن أفكار المترشحين وشرح برامجهم للناخبين¹.

حيث نشر الأمير خالد برنامجه على صحيفته الإقدام في جوان ونوفمبر 1919،² اين طالب بإلغاء القوانين الاستثنائية، وحق الأهالي في التمثيل النيابي، والتعليم الإجباري باللغتين الفرنسية والعربية، وإلغاء البلديات المختلطة، وربط العمالات الجزائرية الثلاث بتلك الموجودة في فرنسا، والحق في الحصول على المواطنة دون شروط مسبقة،³ فاعتبر بذلك واضع الأسس الأولى للهوية الوطنية الجزائرية بل منظرها البيداغوجي⁴.

الأمر الذي أزعج الإدارة الاستعمارية، والتي عملت على إقصائه من الانتخابات البلدية، مما أدى إلى استقالة كل المنتخبين المسلمين في بلديات العمالة⁵.

ففي الوقت الذي سيطرت فيه جماعة الأمير خالد على معظم عمالة الجزائر، اختلف الأمر في عمالة وهران من مدينة إلى أخرى، ولم تتقدم أية

1 - إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 235.

2 - Sadek DENDEN, **Les PROCHAINES ELECTIONS**, In: L'Ikdam. 1919/11/13, P1.

3 - Ahmed Koulakssis, Gilbert Mynier, **l'Emir Khaled: Premier Zaim, Identité Algérienne et Colonialisme Français**, Paris, l'Harmattan, 1987, p124.

4 - H. HADJAMMAR, **Les Jeunes Algériens et Les Elections**, In: L'Ikdam. 1919/11/27, P1.

5 - Ali Merad. **L'émir Khaled (1875-1936) vu par Ibn Badis (1889-1940)**. In : Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°9, 1971. pp. 21-35. et : PIERRE-EDMOND, **FRANCE ET ISLAM ? Les Elections Municipales Indigènes devant le Conseil de Préfecture**, in: L'Echo d'Alger. 1920/02/03, p 04.

قائمة باسم جماعة الأمير خالد في وهران، التي تعد بلديتها أهم بؤرة انتخابية في الغرب الجزائري¹.

قسمت بلدية وهران إلى خمس مقاطعات انتخابية، أربع منها يصوت فيها الفرنسيون ويصوت الجزائريون في مقاطعة واحدة، (الحمري ومديني والمدينة الجديدة)². إذ تقدمت في نوفمبر 1919 قائمتان لتمثيل الأهالي، تزعم الأولى المرشح "شالوم هنري"، أطلق عليها اسم قائمة المصلحة العامة³. ضمت اثني عشر مرشحا مترجم واحد، وموظف بريدي واحد، ومتصدر القائمة "شالوم هنري" صحفي، هؤلاء مثقفين بالفرنسية وصفهم غرمائهم بالبرجوازية الأهلية⁴. كما ضمت القائمة الثانية الحرة 12 مرشحا، سبعة منهم يحسبون على البرجوازية المحافظة، وخمسة مرشحين تمثلوا في ضابط متقاعد، وأستاذ

1 - قدر عدد سكان بلدية وهران من الأهالي خلال سنة 1919 م حوالي 17.737 نسمة، لا يمثل هذا التعداد السكاني سوى 12 مستشارا فقط، وهو ثلث (3/1) المقاعد المتاحة للانتخبين الأهالي في المجلس البلدي، أما النسبة المتبقية (3/2) أي بمعدل 36 مستشارا أوروبيا يمثلون 100.023 نسمة، لأن عدد سكانهم فاق 60.000 نسمة، كما يوضح ذلك قانون 4 فيفري ومرسوم 6 فيفري 1919. ينظر: إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 20.

2 - يستطيع الأهالي المسجلون التصويت على فرنسي أو متجنس ينوب عنهم، في حين لا يستطيع الفرنسيون انتخاب مرشحا أهليا. ينظر: إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 235.

3 - شالوم، هنري، مردوخي، Chalom, Mardochee : مستشار بلدي على لوائح الأهالي منذ 1892، رغم كونه مواطن فرنسي، ينتمي إلى طائفة يهود المغرب الأقصى (من المدافعين عن مصالح الأهالي). ينظر:

Geneviève Dermenjian, **La Crise Anti-juives Oranaise 1895-1905, l'Antisémitisme dans l'Algérie coloniale**. Paris, L'Harmattan 1986, p 158.

4- إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص 235.

ثانوي، ومعلم، ومترجم، ومساعد صيدلي، يسميهم المختصون بالخبذة الفرنكوفونية.

جرت انتخابات الدورة الأولى في 30 نوفمبر 1919م¹، فازت فيها القائمة الأولى بسبعة مقاعد للمجلس البلدي، في حين لم يفز من القائمة الثانية سوى مرشح واحد فقط، ثم جرت الدورة الثانية في 7 ديسمبر 1919، بلغ فيها عدد الناخبين 604 ناخب، وبلغ عدد المصوتين 518 مصوت، تمكن فيها مرشحي القائمة الحرة من انتزاع المقاعد الأربعة الباقية.² وتوضيحا لذلك نورد الجدولين التاليين:

-الفائزون في القائمة "المصلحة العامة" (الدورة الأولى):³

عدد الأصوات	المكانة الاجتماعية	لقب واسم المرشح
360	1- صحفي	1- شالوم هنري
355	2- مترجم	2- محي الدين بومدين
322	3- مستشار بلدي	3- شرفاوي قدور
300	سابق	4- ستامبولي علي
211	4- موظف بريدي	5- براشد محمد
276	5- تاجر	6- بو عياد محمد
264	6- تاجر	7- بن أحمد بلقاسم
	7- ملاك	

1 - Elections Municipales du 30 Novembre 1919, in le courrier de l'Oise ; du 13 Novembre 1919.

2- إبراهيم مهديد، انتخابات الأهالي في وهران (1919-1939)، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ، جامعة وهران، 1979، ص 21.

3 - France. Conseil d'État, **Elections municipales indigènes d'Oran**. In : Recueil des arrêts du Conseil d'État. 1921/01/05-1921/12/30.

عدد الأصوات	المكانة الاجتماعية	لقب واسم المرشح
262 (ال دورة 1)	أستاذ بثانوية وهران	1-بن عبد الرحمن محمد
269 (ال دورة 2)	تاجر الجملة	2-يوناب لخضر
255 /	تاجر الجملة	3-الحاج صالح هواري
254 //	ملاك	4-باي إبراهيم بن سالم
219 //	ملاك	5-قارة محمد

- الفائزون في القائمة الحرة (الدورة الأولى والثانية)¹:

ما نلاحظه عن القائمتين، أن الأولى ضمت مزيجا بين المحافظين والمتفقين بالفرنسية، أما الثانية ضمت في غالبيتها النخبة التقليدية (البورجوازية المحافظة)، كما أن كلا اللائحتين لا يعبر أصحابها بهذا الانفصال، عن معارضة حقيقية، لأن الفترة التي سبقت وأعقبت الحرب العالمية الأولى، لم يتولد عنها أحزاب سياسية، تقتحم الانتخابات ببرامج سياسية، إنما اقتصر ذلك على وجود تباين وليس صراع بين كتلتين:

-النخب التقليدية (البورجوازية المحافظة)

- النخبة المثقفة بالفرنسية (الجديدة)، تشترك جنبا إلى جنب من أجل الدفاع عن مصالح الأهالي².

1- الا إن السلطة الفرنسية أقصت في جانفي 1920 الأستاذ بثانوية وهران محمد بن عبد الرحمن وعامل البريد اسطنبولي علي، بحجة طعن مجموعة من الأهالي في فوزهما بحكم استغلال منصبهما في الحملة الانتخابية. ينظر:

Conseil d'État (1799...). « **Requêtes des sieurs Stambouli Ali et autres contre un arrêté du 30 janv** », in: Recueil des arrêts du Conseil d'État. 1921/01/05-1921/12/30.

2 - إبراهيم مهديد، انتخابات الأهالي في وهران، المرجع السابق، ص 22.

2- انتخابات 03 و 10 ماي 1925

تميزت انتخابات 03 ماي 1925م البلدية بطابعها العدائي بين المترشحين لما تخللها من صراعات سياسية سجلتها لنا تقارير المحاكم الفرنسية،¹ ففي انتخابات وهران قدمت ثلاثة لوائح ، وهي اللائحة الجمهورية للدفاع عن مصالح الأهالي، يقودها "بن ناصف أحمد صغير" (حامل وسام لفيف الشرف)²، ولائحة الاتحاد الجمهوري المسلم يقودها "تامي بن داود" (ملك)³، ولائحة "ستمبولي علي" (موظف بريدي ومستشار سابق)، فإذا بحثنا في التركيبة الاجتماعية للمرشحين في اللوائح الثلاثة، نجد بأن اللائحة الأولى والثانية سيطرت فيها البورجوازية المحافظة، أما اللائحة الثالثة فقد

¹ - ÉLECTIONS MUNICIPALES 1925, in: France. Conseil d'État (1799-...). Recueil des arrêts du Conseil d'État. TOME QUATRE-VINGT-SEIZIÈME, —2e SÉRIE 1926.

2 - بن ناصف أحمد: حسب مصادر الأرشيف الفرنسي ولد احمد الصغير بن قادة بن محمد ولد محمد بن ناصف

Ahmed Serir Ben Kadda Ben Mohammed Ould Mohammed Ben Nacef سنة 1865 بوجدة المغربية، تقلد خلال 25 سنة من الخدمة لصالح فرنسا عدة مناصب كالتعليم والقضاء ليصبح مستشارا بلديا بوهران، مما اهله لتقلد وسام الشرف. ينظر :

Dans La Légions d'Honneur, L'Echo d'Alger, 21/01/1928.

3 - تامي بن داود - TAMI BEN DAOUD : ملك، رئيس جمعية " المولودية "، كما ضمت قائمته كل من:

BENAHMED BELKACEM, HADJ HACENE BACHTERZI BENAOUA, BERRACHED MOHAMED, EL HARRAG BOURASSE, MAZOUNI MOSTEFA, SEBBÀGH MOSTEFA, CHAKOURI HAMMOU, HOCINI BELGACEM SI MOHAMMED, AHMED LATRACH, CHERFAOUI AFFIF, BOUDJELLAL BENYAHIA. ينظر:

L'Egalité oranaise. Elections Municipales du 5 Mai, Liste d'Union
Républicaine Musulmane.

ضمت ثمانية أوروبيين موظفين في البريد، رفقة كما هو معلوم "ستمبولي" و"القايم مسعود" وهما موظفان بريديان كذلك، باستثناء مرشحين من الأهالي واحد جزار وآخر ملاك¹.

وفي جو سياسي هادئ نسبيا في وهران، دخل " تامي بن داود" حملته الانتخابية بالإفصاح عن أفكار ينوي تحقيقها لصالح وهران بالتعاون مع المستشارين الأوروبيين، كما أنه لم يتردد في الإشادة بالدور الحضاري لفرنسا، وختم حملته بأن: " تحيا فرنسا... تحيا الجمهورية... تحيا الجزائر... وتحيا وهران". أما "ابن ناصف" الذي تلقى دعم نائب رئيس البلدية والأستاذ المحنك بيرنغر **Béranger**² فقد دخل الحملة الانتخابية معتمدا على تجربته الطويلة وخبرته بالحملة الانتخابية، لذلك تخلى عن الإشادة بفرنسا وحكومتها، وحرص على التذكير بخدماته للمسلمين في عهده السابقة والتي تعود إلى أواخر القرن 19³، والتي ينوي تقديمها مجددا في حالة انتخاب لائحته، كما انتقد المستشارين السابقين الذين تهاونوا في الدفاع عن مصالح الأهالي، وختم حملته: " إنكم أحرار في اختيار مستشاريكم". فكان أن سحق منافسيه بأغلبية مطلقة كما يوضحه الجدول التالي:⁴

1 - ANOM, Oran, E 234, **Listes électorales**, Elections Municipal 1925.

2 - **Béranger Antoine**-Jean-Claude. — Professeur honoraire. Chevalier du 11 août 1922. Vingt-six années de services dans les Territoires français d'outre- mer. Participation à l'Exposition coloniale de 1931 (Section de l'Algérie). In: LÉGION D'HONNEUR LA PROMOTION DE L'EXPOSITION COLONIALE LES «ALGÉRIENS» (LES ANNALES COLONIALES), 22 OCTOBRE 1932.

3 - ARGUS, **Emploi inutile**, In: L'Impartial oranais. Journal politique, républicain, progressiste. Paraissant les lundi, mercredi et vendredi. 1896/01/24. P 05.

4 - Claire Marynower, Op-Cit, p. 477.

عدد الأصوات	المكانة الاجتماعية	لقب واسم المرشح
623	معلم/ قاضي سابق	1- بن ناصف أحمد صغير
581	تاجر /مستشار سابق	2- بو عياد محمد 1
567	مساعد صيدلي	3- عموري محمد 2
566	ملاك/مستشار سابق	4- بوناب لخضر
556	//	5- باي إبراهيم
538	//	6- الحاج صالح
534	تاجر ملاك	7- بلبريك محمد
513	//	8- شرقي بشير
507	//	9- غزالي بن ذهبية
495	//	10- بوجلال يحي

كما كانت سيدي بلعباس محلا لمنافسة انتخابية شديدة بين التيارات السياسية، حسها اتحاد الجمهوريين لصالحه بفوز ساحق بقيادة رئيس البلدية السابق ليزبون Lisbonne، أما الكلمة بالنسبة للجزائريين فقد كانت لثلاثة نواب كسبوا أصوات الفوز، وهم حميدي ميلود (ملاك) 386 صوت، ومولاي الشيخ (ملاك) 362 صوت، وزواقي عبد القادر 358 صوت، لتبقى تسعة مقاعد يتنافس عليها في الدورة الثانية³.

1 - بو عياد محمد بن مصطفى: 19 ديسمبر 1865 بوهران، أهله مكانته الاجتماعية كتاجر وخدماته للمجندين الجزائريين في الحرب العالمية الأولى للترشح كمستشار بلدي منذ 1920، وعضوية الغرفة التجارية التي سيصبح أمينها العام في الثلاثينات ليحصل على وسام الشرف وقبله وسام الافتخار. ينظر:

http://www.culture.gouv.fr/public/mistral/leonore_fr,Cote/19800035/757/85821_BOUAYAD

2 - عموري محمد: رئيس جمعية التضامن الوهرانية، حصل على عدة ميداليات عن عمله التطوعي. ينظر: Médaille de Vermeil: Amouri Mohamed, In: L'Echo d'Alger, 1924/02/09, p 01.

3 - Le Progrès de Bel-Abbès ["puis" de Sidi-Bel-Abbès]. 05/05/1925 .p 01.

وكما هو معهود جرت الدورة الثانية بعد أسبوع من الأولى، وذلك في 10 ماي 1925، بالهيئة الانتخابية الخاصة بالأهالي المسلمين، وهذا لانتخاب مرشحين للمنصبين المتبقين، بلغ فيها عدد الناخبين 1155 ناخب، وعدد المصوتين بلغ 953 مصوت، عدد الأصوات المعبر عنها بلغ 945 صوت، وقد أسفرت نتائج الفرز عن فوز مرشحين من لائحة "تامي بن داود"، وهما "الحاج حسن بن عودة باشطارزي" (مستشار سابق) جمع 570 صوت، و"الحراق بوراس"¹ الذي جمع 469 صوت، وفي المقابل فشلت لائحة "ستمبولي علي"².

3- الانتخابات البلدية 1929

جرت هذه الانتخابات قاب قوسين أو أدنى من احتفالات فرنسا الاستعمارية بمئوية الاحتلال وفي ظرف كان فيه الاقتصاد العالمي على شفا حفرة من الانهيار، حيث تقدمت لانتخابات 5 ماي بوهران 1929، قائمتان انتخابيتان، وهما: قائمة "الحاج حسن بن عودة باشطارزي، وقائمة "هنري او مردوخي شالوم"(مرشح بصفة أهلي)، بمعدل اثني عشر مرشح لكل منهما، ما يلاحظ عن تركيبة اللائحتين أنهما ضمتا النخب التقليدية (البورجوازية المحافظة)، إضافة إلى قائمة بناصف للمرشحين الأحرار: بن ناصف، بوناب، بوعياد، عموري، بن حمزة، ستمبولي، وسعادة...³.

1-الحراق بوراس-EL HARRAG BOURASSE : ملاك ووكيل شرعي، نائب رئيس جمعية دينية، عضو بالهلال الأحمر، ترشح في انتخابات 1925 البلدية على لائحة تامي بن داود.

ينظر: L'Egalité oranaise, Op.cit. P 5.

2 - ANOM, Oran, E 228, Elections municipales des 03 et 10 mai 1925: Résultats.

3 - إبراهيم مهديد، انتخابات الأهالي في وهران، المرجع السابق، ص 61.

ولقد قدم المرشحون حملة انتخابية شرسة جابت كل أنحاء مدينة وهران، كما وزعت المناشير عبر نوادي ومقاهي المسلمين، كل يدع الى التصويت على لائحته واعداء الجزائريين بالرفاهية في كل أحياء وهران.¹ واشتدت الدعاية عبر صحافة الأحزاب والصحافة الحرة خاصة صحيفة السنجاق (L'étendard) الاتحاد سابقا (l'Union)،² لصحابها بن عودة باش تارزي الذي جعل صوب عينيه الحصول على أكبر نصيب من المقاعد على حساب مردوخي شالوم ولائحته.³

كما كان للمنافس الثالث بناصف وأنصاره ردا قويا على صفحات الجرائد الحزبية والحرة أيضا، وكانت اقوى الردود تلك التي تأت على شكل مناشير تكشف زيف البعض في حملاتهم الانتخابية، إلا أنها هذه المرة لم تمنع قائمة باشطارزي من الفوز على قائمة شالوم.⁴ إذ جرت انتخابات المجلس البلدي لمدينة وهران، لانتخاب اثني عشر عضوا في دورتين، الأولى في 3 ماي 1929م، بلغ فيها عدد الناخبين 1153 ناخب، وعدد المصوتين بلغ 983 مصوت، وبلغ عدد الأصوات المعبر عنها 963 صوت، وعدد أصوات الأغلبية المطلقة 482 صوت، فازت فيها لائحة "باشطارزي" بالأغلبية، أي عشرة مقاعد

1 - ANOM, Oran, E 234, Elections municipales Indigènes d'Oran du 05 mai 1929, Lettre du candidat Chalom aux Musulmans d'Oran, imp. Bensamoun, Oran

2 - ANOM, Oran, E 234, Elections municipales de 1929, Aux Electeurs Musulmans d'Oran, In Es sandjak du 24 mars 1929

3 - سبق وأن حكمت المحكمة الابتدائية بوهران بغرامة مالية قدرها 200 فرنك قديم ضد بن عودة باشطارزي بتهمة التشهير وقذف أحمد الصغير بناصف على صفحات جريدته السنجاق. ينظر:

COUP DE MAITRE, In L'Impartial oranais 1928/07/28. P 04.

4 - ANOM, Oran, E 234, Elections municipales de 1929, Les Mensonges de Bacheterzi.

في المجلس البلدي، من ضمن اثني عشر مرشح، والملاحظ عن اللائحة أنها ضمت مستشارين انتهت عهدتهما¹ وهو ما يؤكد سيطرة التيار المحافظ (النخبة الجزائرية التقليدية) في وهران، والجدول الموالي يوضح نتائج الانتخابات²:

عدد الأصوات	المكانة الاجتماعية	لقب واسم المرشح
657	1- ملاك/ مستشار سابق	1- الحاج حسن باشطارزي
586	2- تاجر /مستشار سابق	2- شرفاوي قدور
665	3- مساعد صيدلي	3- بن مازوني مصطفى
606	4- ملاك/مستشار سابق	4- حاج صالح
524	5- //	5- جامعي العربي
580	6- //	6- بن احمد بلقاسم
530	7- تاجر ملاك	7- مقروس محمد
526	8- //	8- فواتيح محمد
581	9- //	9- براهيم محمد
557	10- //	10- بلقايد عبد القادر
526		11- عزوز بوعامر
547		12- بلقندوز احمد

كما كان الصراع حادا بين المرشحين في دائرة تلمسان حسب صحيفة صدى تلمسان التي تتبعت الحدث ونشرته على صفحتها الأولى نتائج الانتخابات البلدية بتلمسان التي بلغ فيها عدد الناخبين المسجلين 3308 ناخب، وعدد المصوتين بلغ 2991 مصوت، وبلغ عدد الأصوات المعبر عنها

1 - Mardochée Chalom, **Battu, mais non vaincu**, In : L'Impartial oranais. 1929/05/11.

2 - امتدت سيطرة البورجوازية التقليدية على لوائح الترشيح إلى خارج مدن العمالة الوهرانية إلى المراكز السكانية الصغيرة على غرار بلدية "حمام بوججر"، التي جرت بها انتخابات 5 ماي، خلال دورة واحدة فقط. وكان الفوز فيها لتسعة مستشارين أهالي جميعهم ملاكين. ينظر: خالد بوهند، النخب الجزائرية (1892-1942) نسبها، نشأتها وحركتها). المرجع السابق، ص 381.

2943 صوت، وعدد أصوات الأغلبية المطلقة 482 صوت، وجاءت النتائج كما يلي:¹

عدد الأصوات	المكانة الاجتماعية	لقب واسم المرشح
1562	تاجر	1- بن منصور محمد
1549	مستشار سابق	2- لعشعاشي الحاج محمد
1538	محامي	3- فكار بن علي
1535	مستشار سابق	4- مرزوق محمد
1531	//	5- منصوري محمد
1501	ملاك	6- بن منصور بن علي
1500	نائب مالي	7- بن عبد الله محمد
1495	موثق	8- حمدي محمد
1486	ملاك	9- شايب نزار ثاني محمد
1476	//	10- حابي عيسى

كما تابعت الصحف المحلية بمستغانم الانتخابات البلدية، وسجلت لنا على صفحتها الأولى أيضا نتائج المرشحين المسلمين بعد أن أوردت عدد الناخبين المسجلين 1.019 ناخب مسجل، وعدد المصوتين بلغ 1010 مصوت، وبلغ عدد الأصوات المعبر عنها 1001 صوت، وعدد أصوات الأغلبية المطلقة 511 صوت.² وجاءت النتائج كما يلي:

عدد الأصوات	لقب واسم المرشح
711-	1- بلغولة أحمد
676-	2- بن كريتلي محمد
673-	3- بن كريتلي سليمان
671-	4- بن سماعيل مصطفى
668-	5- بن قطاظ حبيب

1- **Résultats des élections municipale du 05 mai 1929**, Candidats Indigènes, In : L'Echo de Tlemcen. Journal républicain de gauche. 07/05/1929, p1. Voir aussi : L'Echo d'Oran (Oran). 1929/05/06.p 01.

2 - **Elections municipale, Scrutin du 05 mai 1929**, In : La Gazette de Mostaganem. Journal littéraire. 1929/05/12. P 01.

649-	6- بنداني محمد
648-	7- بنداني محمد الصغير
645-	8- بن غالي عبد القادر
637-	9- بن هندا صالح
606-	10- بلغري معزوز
598-	11- سي يعقوب برا هيم
596-	12- بلشير مكي

وكانت الانتخابات في سيدي بلعباس أكثر جذبا للصحافة المحلية والاوروبية، بحكم الصراع الشديد بين الكولون والمسلمين، والصراع بين الأوروبين أنفسهم (فرنسيين وأسبان...)، أما اليهود المتجنسين فقد رفعوا كعادتهم سيف معاداة السامية في وجه أعدائهم. عدد الناخبين المسجلين 968 ناخب مسجل، وعدد أصوات الأغلبية المطلقة 440 صوت، وقد اسفرت الانتخابات في بلعباس على النتائج التالية¹:

عدد الاصوات	لقب واسم المرشح
690 -	1- مولاي الشيخ
638 -	2- دواجي عبد القادر
591 -	3- بلاحة حاج حبيب
584 -	4- دريدر هاشمي
544 -	5- حاج علال احمد
530 -	6- طالب عبد الله
527 -	7- أديم محمد
524 -	8- أمير علاي
520 -	9- بو ريشة عبد القادر
506 -	10- لالوت أحمد
481 -	11- لعسولي الحاج احمد
480 -	12- حساني بوزيان

¹ - L'Echo d'Oran (Oran). 1929/05/06. Op-Cit, p 3, et : **Elections Municipales**, in Le Progrès de Bel-Abbés , 14/05/1929, p 01.

في حين انتخب بعين تموشنت ثمانية مستشارين في مقدمتهم شرقي مختار، وجاءت النتائج كما يلي¹:

عدد الأصوات	لقب واسم المرشح
290 -1	شرقي -1
284 -2	حساني -2
298 -3	بن جريد -3
291 -4	حاج قدور -4
279 -5	جريو -5
270 -6	بلهاشمي -6
270 -7	مزوار -7
269 -8	مكروم -8

أما في معسكر فقد سجلنا حسب الصحافة الوهرانية والمحلية 1475 ناخب مسجل، وعدد المصوتين بلغ 1421 مصوت، وبلغ عدد الأصوات المعبر عنها 1401 صوت، وعدد أصوات الأغلبية المطلقة 702 صوت، وكانت النتائج كما يأتي²:

عدد الأصوات	لقب واسم المرشح
890 .1	-1 عدة حنيفي
890 .2	-2 بن عبوة
867 .3	-3 بن ياخو
883 .4	-4 بوعبسة
875 .5	-5 بوطالب
852 .6	-6 بوزيان
905 .7	-7 شكال دحو

1 - La Gazette d'Ain -Témouchent. Organe des intérêts régionaux ["puis" Organe républicain hebdomadaire des intérêts généraux de la région]. 1929/05/09. P 01.

2 - L'Echo d'Oran (Oran). 1929/05/07, p 3.

895	.8	8 - قرمالة
857	.9	9 - قناوي
835	.10	10 - قسوس لزرق
872	.11	11 - ملياني
853	.12	12 - تغفين حاج قدور

4- الانتخابات البلدية 1934-1935

جرت انتخابات المجالس البلدية لسنة 1935م في ظل تنامي نشاط الحركة الوطنية الجزائرية، الذي توزع على أربع تيارات، فمن جهة الشبان الجزائريين واستمرار جدالهم حول المطالبة بالجنسية بالتخلي عن أحوالهم الشخصية، أو بالمحافظة عليها، والعلماء وروحهم الإصلاحية في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931م)، ثم المؤتمر الإسلامي (1936-1938م)، والشيوخيون الجزائريون وبرنامجهم الاجتماعي (1935م)، والاستقاليون وحزبهم الشعبي (1937م)، مما أدى إلى تأزم الوضع السياسي¹. يضاف إلى ذلك تفاقم الوضع الاقتصادي لا سيما بالنسبة للجزائريين، وقد أدى إلى قيام الطبقة الكادحة بإضرابات واسعة لاسيما في القطاع الوهراني². ناهيك عن الظروف الخارجية الحرجة بفعل تنامي الحركات الفاشستية، ونمو الحركات الديمقراطية (اليسارية) كالجبهة الشعبية في اسبانيا وفرنسا، الأمر الذي زاد في تطرف المستوطنين بانخراطهم في صفوف أحزاب اليمين

1 - يوسف دحماني، الحياة الثقافية والاجتماعية إبان فترة الاحتلال الفرنسي - تلمسان أنموذجاً

1900-1954م-، المرجع السابق، ص 15.

2 - خالد بوهند، النخب الجزائرية (1892-1942) نسبها، نشأتها وحركتها). المرجع السابق،

خشية ازدياد المد الشيوعي على الصعيد الداخلي، كما أصبحت النذر في الأفق توحى بقدوم حرب كونية ثانية على الصعيد الخارجي¹.

وقبل التطرق لانتخابات 05 ماي 1935م البلدية، يشير الباحث خالد بوهند في أطروحته² إلى انتخابات "مسبقة"، جرت في وهران سنة 1934م، خلال دورتين انتخابيتين، لتعيين اثني عشر مستشارا أهلي، لتسيير شؤون البلدية مدة سنة فقط، بسبب أزمة بلدية وهران التي لعب فيها القس "لامبير" دورا كبيرا خلال سنة 1933م، وقد شغل فيها السيد "مينودي"³ منصب رئيس البلدية خلفا للدكتور "جول مول" أو "شمول" المتوفى⁴.

مهما يكن من أمر، فقد جرت انتخابات الدورة الأولى بتاريخ 6 ماي 1934م، والتي بلغ عدد ناخبيها 1756، و1402 مصوت، و1362 من عدد الأصوات المعبر عنها، و682 من أصوات الغالبية المطلقة، وحسب محضر الفرز الأول، تم تقديم أربعة لوائح انتخابية، تضم اللوائح الثلاثة الأولى اثني عشر مرشح لكل منها، أما اللائحة الرابعة فهي ناقصة ولا تضم سوى ثمانية

1 - خالد بوهند، النخب الجزائرية (1892-1942)نسبها، نشأتها وحركتها). المرجع السابق، ص 393.

2- المرجع نفسه، ص 394.

3 - بول مينودي: Paul Ménudier, 1931-34: صديق رئيس البلدية جول مول، اتهم بمعاداة السامية رغم أن صديقه مول أشمول من أصول يهودية. ينظر: « On dit que...Molle Paule Ménudier.. », in : L'Egalité oranaise. Organe de défense des intérêts de l'Oranie. 1925/02/27, p 27.

Les ينظر أيضا: - مهديد، انتخابات الأهالي في وهران، المرجع السابق، ص 91. 4
obsèques de M. Le Docteur J. Molle, maire, député et conseiller général de la ville d'Oran, in : L'Afrique du Nord illustrée : journal hebdomadaire d'actualités nord-africaines : Algérie, Tunisie, Maroc. 07/02/1931.p12.

مرشحين¹. يتقدم اللائحة الأولى "شاقور هواري" المدعو بوشاقور (تاجر)، التي ضمت أيضا خمسة أوروبيين، واللائحة الثانية على رأسها "الحاج صالح الحاج" (ملاك/مستشار سابق) بمعية "مكي بزغود أحمد" (صحفي)، واللائحة الثالثة على رأسها "الحاج حسن بن عودة باشطارزي" (مستشار سابق)، أما اللائحة الرابعة الناقصة (08 أعضاء) فيقدمها "راشم جيلالي" رفقة علي ستامبولي...².

لم يتمكن من جمع الأصوات المطلوبة في الانتخاب سوى مرشح واحد هو "باشطارزي" (من اللائحة الثالثة) بـ 707 صوت حسب صحيفة صدى وهران³. أجريت انتخابات الدورة الثانية في 13 ماي من نفس السنة، لانتخاب إحدى عشر مستشار أهلي، حيث سجلنا تغير طفيف في الهيئة الانتخابية: 1756 بالنسبة للناخبين، و1474 بالنسبة لعدد المصوتين، و1427 بالنسبة لعدد الأصوات المعبر عنها مع الغاء 47 صوتا⁴.

وما يلاحظ على الفائزين في هاته اللائحة أنها ضمت تسعة مرشحين من لائحة "الحاج صالح" (اللائحة الثانية)، وهذا يعني فوزها بالأغلبية الساحقة، ولم تتحصل لائحة "باش تارزي" (اللائحة الثالثة) سوى على فائز واحد، وكلاهما من البورجوازية المحافظة (أبناء العائلات الكبيرة-والملاكين-والتجار الكبار-والإقطاعيين)، أما الفائز الأخير وهو "بن قاسمية شادلي بغدادي" لم

1- L'Echo d'Oran, (Année 90, Numéro 23241). **Elus Indigènes**, 1934/05/07, p 3.

2 -A.N.O.M, Série: Oran E.172, **PROCES-VERBAL**, Oran, le 6 mai 1934. Et L'Echo d'Oran, ibid., p 3.

3 - L'Echo d'Oran (Oran). 1934/05/07, Elections Municipales d'Oran, p3.

4 - Ibid. P3.

يرد اسمه في القوائم الأربعة السالفة الذكر، ويبدو أنه مرشح حر.¹ من جهة أخرى نستنتج أن لائحة "الحاج صالح" ضمت عناصر من النخبة المثقفة بالفرنسية (الشبان الجزائريين) بينما غلب على لائحة "باشطارزي" الطابع المحافظ، وربما يكون ذلك سر نجاح الأول وإخفاق الثاني.²

أما علاقة المستشارين الفائزين بالحركة الوطنية الجزائرية، ذكرت المصادر أن "قوديج بلزرق"³ من لائحة "باشطارزي" عين رئيسا (ثانيا) لجمعية الفلاح الوهرانية (الإصلاحية)، وقد يكون الدكتور "سي قارة الشريف" من لائحة "الحاج صالح" عضوا من أعضاء نفس الجمعية، كما أن "قوديج بلزرق" عين أمينا عاما لحزب الاتحاد الشعبي الجزائري فرع وهران الذي أسسه "فرحات عباس" سنة 1938م.⁴

وخلال انتخابات 5 ماي 1935م، رشحت لائحتان، الأولى على رأسها "باشطارزي" الحاج حسن بن عودة، ضمت اثني عشر مرشح، خمسة منهم

1 - سيصبح هذا الأخير نائبا لرئيس بلدية وهران غابريال لامبير، وعضوا في رابطة الدفاع عن المسلمين الجزائريين. ينظر:

Parti communiste français. Auteur du texte. L'Humanité (Paris).14/08/1936.p2.

2- إبراهيم مهديد، انتخابات الأهالي في وهران، المرجع السابق، ص.91.

3 - قوديج بلزرق Godih Bellazreg: سليل عائلة ثرية، تاجر قماش بوهران، عضو في جمعية العلماء المسلمين فرع وهران كما شغل منصب رئيس جمعية الفلاح، كما كان عضوا في لجنة العمل الإسلامي CAMO، ينظر:

Claire Marynower, Être socialiste dans l'Algérie coloniale : pratiques, cultures et identités d'un milieu partisan dans le département d'Oran, 1919-1939.thèse IEP de Paris, 2013.p 257.

4-ينظر خالد بوهند، «جمعية الفلاح لمدينة وهران 1937-1954»، المقال السابق، ص.ص.109-114.

كانوا ضمن اللائحة لانتخابات 1934م، وسبعة مرشحين جدد، أما القائمة الثانية التي يأتي على رأسها "مكي بزغود" فقد ضمت اثني عشر مرشح كذلك، تسعة منهم كانوا مرشحين في نفس اللائحة لانتخابات 1934، واثان منهم كانا في قائمة "باشطارزي"، وواحد كان مرشح حر.¹

جرت الانتخابات بعد الحملة التي قادها المتنافسان، في دورة واحدة، كان الفوز خلالها حاسما لصالح لائحة "بزغود"، حيث تراوحت نتائج التصويت لصالح مرشحي نفس اللائحة ما بين 1372 صوت و 1212 صوت، وبالتالي تراجع البورجوازية المحافظة أمام تصاعد حركة الشبان الجزائريين أو النخبة المثقفة بالفرنسية كما لاحظناه من خلا النتائج التالية:²

لقب واسم المرشح	المكانة الاجتماعية	عدد الأصوات
1- بزغود مكي	مسير جريدة	1372 -
2- حاج صالح	---	1283 -
3- سيد قارة الشريف ³	طبيب	1320 -
4- الزين بن ثابت	مستشار سابق	1322 -
3- شاذلي بغادي	---	1286 -
4- طهراوي هواري	تاجر	1262 -
5- العيمش احمد	---	1287 -
6- عبد الإله ميلود	تاجر	1308 -

1- إبراهيم مهديد، مرجع سابق، ص.ص. 92-96.

2 - L'Echo d'Oran (Oran). 1935/05/06, p3.

3 - سيد قارة الشريف: طبيب أهلي ولد بميلة 1902 وتوفي بقرونوبل 1999. ومارس نشاطه السياسي في وهران.. وصل إلى رتبة وزير سنة 1957 في الحكومة الفرنسية Secrétaire d'état à l'Algérie. ينظر:

La Gazette de Mostaganem. UNE BELLE MANIFESTATION de scouts musulmans, 1939/11/25, p01.

1253 -	ملاك	7- بن احمد محمد
1305 -	---	8- مصراوي عبد القادر
1255 -	---	9- براك حبيب
1212 -	---	10- حلساق عبد القادر

أما على مستوى مدينة تلمسان¹ فقد بلغ عدد الناخبين الأهالي المسجلين 4.029 ناخب، صوت منهم 3.617 مصوت، لصالح لائحتين، الأولى على رأسها "منصوري سي محمد"، والثانية على رأسها "بن عبد الله محمد" بمعية "لعشعاشي الحاج محمد" (تاجر الجملة/مستشار سابق)، بالإضافة إلى مرشح واحد حر وهو "بادسي محمد" (شيوعي)، وقد أسفرت نتائج الانتخابات التي جرت بطبيعة الحال في 5 ماي، عن فوز لائحة "منصوري" بالأغلبية المطلقة أي 10 مقاعد، في حين اجل المرشح لزرق عواد (ملازم أول متقاعد) للدورة الثانية، ولم يحصل صاحب مصنع الزرابي وعضو نادي السعادة الحاج سليمان على مقعد².

1 - عرفت تلمسان قبل هذه الانتخابات بروز مجموعة من الأسماء التي ترشحت لهذه الانتخابات وبرز فيها ما بين (1919-1925) وعلى رأسها طالب عبد السلام من مدينة تلمسان، وامحمد بن رحال من ندرومة اللذين فازا في الانتخابات كنواب عن المسلمين و أثاروا القضايا الوطنية المهمة دفاعا على مصالح الجزائريين مطالبين السلطات الفرنسية بتحسين الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما شكل هؤلاء النواب الطبقة المثقفة للمجتمع اظهر ترشحهم بتلمسان الصراع القديم بين الحضر والكراغله من جهة، ونفوذ الطرفين من جهة أخرى من خلال الدعم الذي سيحظى به كل مرشح. حليلة مولاي، إبراهيم مهديد، النشاط السياسي للنواب الجزائريين بمدينة تلمسان فيما بين 1919 و1925 في ظل إصلاحات فبراير 1919، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية.

Volume 5, Numéro 10, Pages 308-320

2 - A.N.O.M, Série : Oran E.173, Rapport de police, Tlemcen, le 5 mai 1935.

والجدول التالي يوضح ذلك¹:

عدد الأصوات	المكانة الاجتماعية	لقب واسم المرشح
2003 -	مستشار بلدي سابق	1-منصوري سي محمد
1989 -	معلم	2-قاضي سي محمد
1984 -	ملاك	3-بن إسماعيل سيد أحمد
963.1	معلم	4-حميدو سي محمد
960.1	مستشار بلدي سابق	5-مرزوق محمد
940.1	محاسب رئيسي	6-أبي عياد بن عودة
933.1	مدير مدرسة	7-عبورة ثاني الحاج أحمد
929.1	تاجر	8-مولسهول شافعي هبري
850.1	فنان	9-بن منصور سي عبد السلام
833.1	----	10-بن داودي أحمد
762.1(مؤجل)	ضابط عسكري	11-لزرقي عواد

تجدر الإشارة أن هاته اللائحة ، كانت مدعمة من قبل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ممثلة بالخصوص في شخص "البشير الإبراهيمي" عندما كان قائما بأعماله في تلمسان، رفقة أتباعه، وهذا لقطع الطريق أمام لائحة البورجوازيين المحافظين التي مثلتها لائحة "بن عبد الله" و"العشعاشي" (رئيس جمعية تلمسان الدينية)، ولقد تمكنت الجمعية من أن تجلب إليها "الشبان الجزائريين" على غرار ما هو وارد في الجدول : "قاضي"(معلم) و"حميدو"(معلم) وعبوره" (مدير مدرسة) ، و"لزرقي واد"(ضابط عسكري)،

1 - Les Elections :municipales en Oranie, Résultats, in L'Echo d'Oran (Oran). 1935/05/07, p4.

وجلول الحاج سليمان،¹ صاحب مصنع الزرابي النائب الثاني لرئيس نادي السعادة.²

لقد استفادت جمعية العلماء المسلمين من المشاركة غير المباشرة في النشاط السياسي غير المباشر، من خلال التأييد الذي حظيت به سنوات 1937 و1938م من قبل المستشارين الفائزين في انتخابات 1935م، وكذا العون المادي الذي قدمه لها "جلول الحاج سليمان" من أجل بناء "دار الحديث"، إضافة إلى الوظائف التعليمية التي أداها بعض المستشارين في المدرسة الإصلاحية على غرار المستشار "مرزوق محمد"³ وفي نادي السعادة على غرار المستشار "مول سهول" الشافعي الهبري.⁴ وغير بعيد عن تلمسان قد أفرزت نتائج الانتخابات عن فوز قائمة إحدى عشر مستشارا بعين تموشنت، أي بزيادة ثلاثة مرشحين عن انتخابات 1929 البلدية.⁵

1 - Nadi-Essaada, In : L'Echo de Tlemcen, 21/02/1933.

2 - نادي السعادة أدبي، ثقافي تأسس رسميا في 12 ديسمبر 1930 بشارع إدريس تلمسان. ينظر:

Nadi-Essaada Cercle littéraire et artistique, in: Journal officiel de la République française. Lois et décrets ,07/01/1931

3 - مرزوق محمد: ينتمي إلى جماعة الحضرة، فاز في عدة عمليات انتخابية خاصة البلدية في

تلمسان، يقتررب في شخصيته من شخصية المستشار باشطارزي. *أنظر* Claire-

Marynower ;ibid. p 726.

4 - محمد القورصو، تأسيس ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة وهران

(1931 . 1935)، دراسة معمقة في التاريخ، جامعة وهران، جوان 1977، ص.ص.134-

138.

5 - La Gazette d'Ain-Temouchent. Organe républicain hebdomadaire des intérêts généraux de la région. 1935/05/16, p 01.

عدد الأصوات	لقب واسم المرشح
272-	1-عيدون الطاهر
250 -	2-حنصالي محمد
247-	3-خيثر بوسيف
232-	4- تاقري
229 -	5- مسعودي
228 -	6-عبيد
226 -	7- بن ديقلي
199 -	8- حاج قدور
194 -	9-بن ديمراد
199 -	10- مزارى
188 -	11-بن نوار

خاتمة

كانت الانتخابات الأهلية البلدية على مستوى عمالة وهران شبه مغيبية إعلاميا، وعلى عكس عمالة الجزائر التي سلطت عليها الأضواء باعتبار مدينتها الجزائر عاصمة المستعمرة ، ومقرا للحكومة العامة ، وباعتبار أن رواد الحركة الوطنية الجزائرية وغيرهم ن مثل الأمير "خالد" و"ابن التهامي" كانوا ينشطون فيها، وقد شاب انتخابات وهران شيء من الغموض، لا سيما فيما يخص الحملة الانتخابية ، وبرامج المرشحين، والأطراف التي كانت تقف وراء ذلك، وقد يرجع ذلك إلى أن الصحافة الفرنسية المحلية لم تولي اهتماما إلا بالجانب الأوروبي أي البلديات الكاملة الحقوق.

محاولات الحركة الوطنية لاحتواء العمال الجزائريون وفك الارتباط

بالنقابة الفرنسية 1939-1950

Attempts the national movement to contain the Algerian
workers and disengage from the French union

1950-1939

د/ عبد العزيز راجعي

جامعة عباس لغرور - خنشلة

مقدمة

لقد شكلت مجازر 08 ماي 1945م نقطة تحول في الحركة النقابية الجزائرية واهتمام متزايد من طرف الجزائريين بالنشاط النقابي، بسبب ارتباط هذا الأخير بنشاط الحركة الوطنية، الأمر الذي سمح بتبلور فكرة استقلالية العمل النقابي الجزائري والتخلي عن النقابات الفرنسية التي رفضت الاعتراف بجرائم الإدارة الاستعمارية، الأمر الذي دفع بالعمال الجزائريون إلى التفكير في الزامية العمل على إنشاء نقابة جزائرية تضم جميع العمال الجزائريون، وهي القناة ذاتها لدى القادة الوطنيين للحركة العمالية، التي باتت مقتنعة أكثر من أي وقت مضى بضرورة تجسيد فكرة تأسيس نقابة جزائرية مستقلة وهي الفكرة التي لطالما شغلت حزب الشعب الجزائري وسعى إلى تحقيقها. فكيف ذلك؟

أولا/ البوادر الأولى لتأسيس نقابية جزائرية مستقلة

بالعودة إلى الوراء، نجد أن فكرة استقلالية الحركة النقابية بالجزائر تعود إلى فترة العشرينات من القرن 20م، عندما نظمت الكونفدرالية العامة للشغل الموحدة CGTU العمل النقابي في شكل اتحادات جهوية، وجعلت من الاتحاد الجهوي الجزائري الثامن والعشرين، إطارا يعمل على جمع وتأطير وتنظيم

العمل النقابي ككل في الجزائر، وفي هذا دلالة على بادرة سابقة لاستقلالية الحركة النقابية بالجزائر عن مثيلتها بفرنسا، رغم أن هذا التقسيم لا يعدوا أن يكون مجرد تقسيم تنظيمي شامل اتخذته الـCGTU وطبقته في فرنسا كلها. من جهة أخرى كانت هناك دعوة للمؤتمر النقابي العربي الأول المنعقد بالجزائر عام 1930م إلى تأسيس مركزية نقابية جزائرية.

وقبل هذا كانت في عام 1929م؛ عندما قررت إنشاء هيئة تنسيق ما بين الاتحادات الإقليمية الثلاثة، في ندوتها المنعقدة بالجزائر في 20 جانفي 1929م. وعليه فإن فكرة استقلال الحركة النقابية بالجزائر وفك ارتباطها المباشر بالمركزية النقابية الفرنسية ليست بالجديدة، وإنما كانت من اهتمامات الكونفدرالية العامة للشغل الـ (CGT)¹ واهتمامات الكونفدرالية العامة للشغل الموحدة (CGTU) منذ العشرينات القرن الماضي.

عادت فكرة انشاء نقابة جزائرية مستقلة من جديد، بعد الحرب العالمية الثانية بعدما تبناها مناضلو الـ (CGT)، هذه الأخيرة عرفت توسعا في قاعدتها النضالية ولاسيما مع المنخرطين الجزائريين، وهو ما حملها على إيلاء أهمية كبيرة في تأطير النقابيين الجزائريين، من خلال إنشاء لجنة التنسيق ما بين

1 - يرمز للكونفدرالية العامة للعمل بالأحرف CGT وهي عبارة عن تكتل نقابي فرنسي أسس سنة 1895م، غير أنه انقسم سنة 1921م، فنتج عن هذا الانقسام ظهور الكونفدرالية العامة للعمل الموحدة، والتي يرمز لها بـ CGTU واستمر الشقاق بين الكونفدراليتين إلى غاية 1936م. أنظر: عبد حميد زوزو: الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914-1939) ويلييه: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، طخ، مج4، وزارة المجاهدين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م، ص118.

النقابات الكونفدرالية الجزائرية⁽¹⁾ غير أن الفكرة تبقى مجرد استقلال شكلي وتسيير محلي وبعيدة كل البعد عن الوطنية التي لطالما شغلت حزب الشعب الجزائري ذلك أن موقف بعض النقابات قد اتسمت أحيانا بالغموض وأحيانا أخرى بالتناقض، وعلى العكس من هذا فإن الجزائريون هم من كانوا يثيرون المسألة الوطنية بوضوح وضرورة الربط بين النضال العمالي والنضال الوطني، فالعمال الأكثر وعياً هم من يرون بأن النضال من أجل المطالب لا ينفصل عن النضال من أجل الحرية. وهو ما عزز العلاقة بين العمال وحزب الشعب الجزائري ودفع بها نحو تشكيل نقابة جزائرية مستقلة ومواجهة النقابات الفرنسية التي سعت بدورها إلى الحيلولة دون حدوث ذلك من جهة، ومن جهة أخرى جعل العمال الجزائريون ينفرون من النقابات الفرنسية بسبب مواقفها من المسألة الوطنية.

ثانياً/ النقابة الفرنسية والمسألة الوطنية

وستحدث هنا عن موقف الكونفدرالية العامة للشغل CGT كونها المرافق الأول في تكوين وتنظيم وتأطير العامل الجزائري منذ نشأتها. ومن بين المظاهرة المعبرة على مواقف هذه الأخيرة هو ما عبر عنه قادتها ومسؤوليها من خلال مؤتمرات وندوات عدة، مثال ذلك ما جاء على لسان السيد "فروشان" M.franchen في إحدى الندوات الذي صرح قائلاً بخصوص الشعوب المستعمرة: "...بأن على هؤلاء الرجال أن يضعوا ثقتهم في الـ(CGT)

1 - خلوفي بغداد: الحركة العمالية الجزائرية ونشاطها أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، إ: د. د. بن نعيمة عبد المجيد، جامعة وهران، الجزائر، 2014م، ص ص50-54.

للحصول على مطالبهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهذا شرف كبير لمنظمتنا...". أما مسؤول عمالة الجزائر "محمد معروف" ⁽¹⁾، فقد عارض ودافع عن مفهوم الوطنية في نظر الـ (CGT) بقوله: " فيما يخص الجزائر، نحن نقول بأنها أمة في طور التكوين، إنها خليط من عدة أمم لها حضارتها ولها جنسها ولها أخلاقها وعاداتها، ولذلك نحن ضد الإدماج، نحن نريد أن نحافظ على أصالتها وتواصل الحياة والعيش في اتحاد أخوي مع الأمة الفرنسية، بمساعدتكم نستطيع أن نكون جميعا في أحسن حال وتحرير جميع العمال" ⁽²⁾. والملاحظ على تصريح هذا الأخير أنه ثمة خلط في مفهوم الوطنية كما أن توصيات هذا المؤتمر وغيرها، كانت تدعو للمساواة وبعض الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والنقابية للعمال الجزائريون ولا يعترفون بحقوقهم السياسية، الأمر الذي جعلهم -العمال الجزائريون- يعتقدون جزما بأن كفاحهم من أجل المطالب غير مفصول عن الكفاح من أجل الحرية، فكل يوم يأخذ حيزا كبيرا في حركة التحرير الوطني ضد الاستغلال الرأسمالي والنظام الاستعماري الذي يعد شكلا من أشكال الظلم والجور ⁽³⁾.

بعد الحرب العالمية الثانية أعيد تأسيس الحركة النقابية على الأسس التي قامت عليها هياكل الـ (CGT)، بينما بقيت النقابات الجزائرية تابعة لها، حيث

1 محمد معروف: بدأ النضال النقابي في فرنسا وسط المهاجرين، أصبح مسؤولا لفرالية العمال الفلاحين لاتحاد عمال الجزائر عام 1935 و1936م، انتخب أمينا لاتحاد عمالة الجزائر عام 1945م. أنظر:

- Jacques CHOUKROUN : **le syndicalisme en Algérie et la question nationale 1926-1954**, mémoire de DES, histoire, université de Paris, 1972, p52.

2 - Jacques CHOUKROUN : Op-cit, pp51-52.

3 - Ibid.

قامت الـ (CGT) وعملت على أن يكون نشاط هذه النقابات بعيدا عن الأحزاب الوطنية، كما أنها تخلت عن مفهوم الاستقلال واتخذت من النضال المطلبي بديلا عنه، وهو الأمر الذي أضعفها أمام العمال الجزائريين. وفي ظل هذه الظروف كان على الوطنيين النقابيين الجزائريين البحث عن خيارات أخرى تمكنهم من تحقيق مطالبهم الوطنية، فقرر الكثير منهم الانضمام إلى نقابات فرنسية أخرى على غرار نقابة القوة العاملة (Force Force) والكونفدرالية العامة للعمال المسيحيين (CFTC). ونتيجة لهذا انخفض عدد المنخرطين في الـ (CGT) ⁽¹⁾، التي كانت تسعى باستمرار في السيطرة على الساحة النقابية في مستعمراتها، وترفض كل مبادرة تدعو إلى الاستقلالية النقابية من خلال إنشاء مركزيات وطنية مستقلة. وهذا ما نلاحظه من خلال الموقف الذي أبداه "ليون جوهور" الأمين العام لـ (CGT) عام 1947م عندما بلغه خبر إنشاء الاتحاد العام التونسي للشغل، حيث صرح قائلاً: "...قبول الاستقلالية النقابية في تونس يعني الاستباق بالحكم على الحالة السياسية للغد، لأن في ذلك يعني القبول بمبدأ انفصال تونس عن المجتمع الفرنسي...". كما أكد في الوقت نفسه على أن الوضعية النقابية كان عليها المحافظة على توافقها التام مع الحالة السياسية للبلاد ⁽²⁾. ومعنى هذا أن مسألة استقلالية النقابة الجزائرية لم تتعدى مفهوم التنظيم لدى مسؤولي الـ (CGT).

1 - Boualem BOUROUBA : les syndicalisme algériens, leur combat de l'éveil à la libération (1936- 1962), Edition Dahlab, ENEG, Alger, 2001, p p 83- 84.

2 - آيت مدور محمود: الحركة العمالية في الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية 1830-1962 بين النضالات الاجتماعية والكفاح التحرري، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص ص 265-266.

وبالتالي الاستقلالية عندهم، تعني الحديث عن المصالح والتوجهات الإيديولوجية للنقابات الفرنسية، أما فيما يخص مصالح العمال الجزائريون فهي رهينة الوضع الاقتصادي والاجتماعي الصعب وعرضة لانعكاسات الحرب، من نقص في الإمكانيات وارتفاع نسبة البطالة وصعوبة التمويل لاسيما في الأرياف، حيث أضحي الصراع ضد الجوع من المهمات اليومية. بالإضافة إلى صمت الإدارة الفرنسية التي لا تحرك ساكنا، وإذا تحركت فلن يدعو أن يكون ذلك حسنة متأخرة كالتى جاء بها الجنرال "ديغول" عام 1944م. وبهذا لم يبقى للحركة العمالية سند سوى الحركة الوطنية، التي لطالما أكدت على أن الاستقلال هو الكفيل الوحيد والقادر على إنجاز إصلاحات عميقة بغرض تحقيق النمو الاقتصادي والمساواة والعدالة الاجتماعية⁽¹⁾، وبهذا أصبحت منذ ذلك الوقت مسألة تأسيس نقابة جزائرية مستقلة ضمن الأولويات⁽²⁾.

ثالثا/ نحو تشكيل نقابة جزائرية

لقد كان الاختلاف في المصالح العمالية بين الجزائريين الأوروبيين المنتمين إلى نفس التنظيم النقابي، دافعا أساسيا للمحاولة الجادة في البحث عن استقلالية العمل النقابي للجزائريين، لاسيما بعد توفر الوعي العمالي لدى هؤلاء، نتيجة تجاربهم النقابية السابقة، الأمر الذي مكنهم من فهم وضعهم النقابي مقارنة بالعمال الأوروبيين والفرنسيين، حيث ارتبط هذا الوعي العمالي بالمسألة الوطنية.

-
- 1 - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939م، ج2، تر: أحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011م، ص ص 1054-1060.
 - 2 - جغلول عبد القادر: تاريخ الجزائر والمغرب العربي، تر: فضيلة الحكيم وفيصل عباس، مج01، ذاكرة الناس، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013م، ص 312.

من جهة أخرى كان للأوضاع العامة في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية الأثر البين على إبطاء تطور الحركة العمالية الجزائرية، لا سيما بعد صدور مرسوم سبتمبر 1939م، القاضي بحضر النشاط النقابي والسياسي، وتعلق الأمر بكل من الـ(CGT) وحزب الشعب، والحزب الشيوعي الجزائري، وكذا جمعية العلماء المسلمين، كما أن معظم المناضلين النقابيين زج بهم في السجون، ولم تتخطى الحركة النقابية مرحلة الركود هذه إلا بعد نزول الحلفاء عام 1942م بالجزائر، حيث أطلق سراح المعتقلين واستعادوا نشاطهم السياسي والنقابي، وأعادوا تشكيل المنظمات التي حلت من قبل.

وبالتالي، شكلت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية اهتماما متزايدا من طرف الجزائريين بالنشاط النقابي، بسبب ارتباط هذا الأخير بنشاط الحركة الوطنية، الأمر الذي سمح بتبلور فكرة استقلالية العمل النقابي الجزائري والتخلي عن النقابات الفرنسية، من خلال خلق هياكل خاصة تعمل على تحقيق وتجسيد مطالب الطبقة العاملة الجزائرية من جهة، ومن جهة ثانية الاهتمام أكثر بالفلاحين والمزارعين، كون هذه الفئة تشكل الأغلبية من مجموع العمال الجزائريين. كما كانت هناك محاولات لتأطير وتكوين الإطارات من النقابيين الجزائريين الذين تحلوا بالفكر الوطني التحرري⁽¹⁾، على غرار ما ناقشه السيد "علي بن إسماعيل" رئيس الاتحاد الجزائري للمواد الغذائية في مؤتمر الـ(CGT) عام 1948م والأمر نفسه بالنسبة للسيد "دحمان قسوم"، الذي عبر عن هذا الطرح بطريقة أكثر وضوح في مؤتمر السكك الحديدية في الجزائر بتاريخ 19 فيفري 1949م، حيث أكد أو شدد بأن الاتحاد لصيق مع الجماهير

1 - Nasser DJABI : KAI D LAKHDAR - **une histoire du syndicalisme algérien**, Entretiens, éd chihab, septembre, 2005, p115.

الإسلامية من أجل تحرير الشعب الجزائري، وأن دور نقابة الـ (CGT) هو تحرير الشعب من أسياده المستعمرين. كما أنتدب هذا الأخير ليتراًس وفداً جزائرياً مشاركاً في المؤتمر العالمي للسلام، الذي أُنعد في باريس شهر أفريل 1949م، وخلص إلى إدانة الاستعمار وأكد على حق الشعوب في تقرير مصيرها ودعم الكفاح من أجل الاستقلال.

أما مؤتمر جويلية 1949م (FSM) يعيد الإشارة إلى القمع الاستعماري في الجزائر على مستوى كل الأصعدة السياسية والاقتصادية... إلخ، ويعرض مختلف المواقف النقابية المناهضة للإمبريالية مثل: مناهضة مشروع "مارشال" ومشروع إدخال الجزائر في ميثاق الحلف الأطلسي وكذا الموقف من الفيتنام. هذا عن المسؤولين الجزائريين المنضوين في الأحزاب والنقابات الفرنسية الشيوعية، أما بالنسبة للتيار الوطني (PPA) و(MTLD) فالفكرة كانت موجودة خلال سنوات الثلاثينات، وأكثر من عبر عنها هو "مفدي زكرياء" وكله شغفا بالحركة النقابية التونسية، غير أنه يجب التذكير أنه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ولاسيما بعد عام 1948م وجدت الفكرة طريقها نحو التجسيد⁽¹⁾ لدى قادة حزب الشعب الجزائري.

رابعاً/ الحركة الوطنية الجزائرية والمسألة النقابية

كانت المسألة النقابية شغل الشاغل بالنسبة لقادة حزب الشعب الجزائري، حيث كان من الصعب بما كان إنشاء نقابة عمالية وطنية، نظراً لوجود أطراف حالت دون تحقيق ذلك، من بينها السلطات الاستعمارية والنقابات الموجودة وكذلك أرباب العمل. فلم يكن الأمر سهلاً بالمرة، فبغض النظر عن هذه

1 - Noura BENALLEGUE CHAOUIA, l'Algérie, mouvement ouvrier et question national 1919- 1954, O.P.U, Alger, 2005, pp299- 300.

الصعوبات كان لابد على حزب الشعب الجزائري أن يواجه أصحاب المؤسسات الذين لم يترددوا في تسريح العمال الوطنيين الذين كانوا يعلنون عن انتمائهم النقابي. ولأجل هذا اعتمد الحزب على الحرفيين والتجار لكونهم مستقلين اقتصاديا⁽¹⁾، وبادر بإنشاء أولى نقاباته التي كانت تضم حرفيين وتجار مستقلين اقتصاديا، مثال ذلك: نقابات التجار المسلمين ما بين 1943م و1945م⁽²⁾، وبداية من عام 1947م تأسست أولى الاتحاديات: اتحادية الخبازين وأصحاب المطاعم، واتحادية البقالين، وفيدرالية الحلاقين واتحادية تجار الخضر والفواكه. كما أسس الحزب خلايا مؤسساته على مستوى الـ (CGT)، وكان بعضها قويا جدا، مثال ذلك: خلايا عمال المرافق، وشركات النقل الحضري...إلخ.

في هذا الإطار، شكل حزب الشعب - الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية-خلية من المناضلين ذوي الخبرة بالقضايا الاجتماعية، من بين هؤلاء: "عيسات إيدير"⁽³⁾، والعامل بالسكك الحديدية "بورويبة بوعلام"، وعامل

1 - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939م - 1951م، ج2، المرجع السابق، صص 1158-1159.

2 - AOM 40G/104 GGA : Syndicalisme et rébellion, (s.d), p02.

3 عيسات إيدير: من مواليد 1919م بقرية جمعة السريح التي تقع في قلب منطقة القبائل (تيزي وزو)، تلقى تعليمه الأولي بالمؤسسة البلدية وبعدها التحق بالمدرسة الكائنة بنفس المدينة، لينتقل بعدها للجزائر من أجل إكمال دراسته بمدرسة المعلمين ببوزريعة، لينتسب بعدها للمعهد الثانوي بتيزي وزو، استمر به إلى غاية حصوله على شهادة الطور الأول من التعليم الثانوي، وفي عام 1935م التحق بعمه بتونس أين أكمل دراسته العليا في الاقتصاد بالجامعة التونسية إلى غاية عام 1938م، بدأ حياته العملية في أوائل 1944 بالورشات الصناعية التابعة لعمال الملاحة الجوية، بحيث مكنته مؤهلاته المهنية مكانة لا يستهان بها، بحيث سمحت له ليكون مسؤولا عن الرقابة الإدارية والمنازعات، ثم إرساله للمغرب ليقوم بنفس العمل بمطار الدار البيضاء بعدها تم انتخابه

الموانئ "جرمان". وأعطى "مصالي" تعليماته في عام 1947م لمناضليه العمال من أجل الانخراط في الـ (CGT) لهدفين: الهدف الأول إطلاع المنخرطين الجزائريين على منهجية الكفاح المطلي من خلال الممارسة النقابية، والهدف الثاني، محاولة التأثير على النقابيين وجلبهم إلى كنف الحزب. وقد نجح العديد من الوطنيين في تولي مناصب قيادية في الـ (CGT)، أمثال "عيسات إيدير" و"جرمان" (1).

عن هذه الأهداف يقول سيد "علي عبد الحميد"، بأن فكرة الاهتمام بنقابة العمال بدأت تتجسد، لأنه لا يجب أن تبقى الطبقة العاملة حkra على الـ (CGT) التي لها ميولات شيوعية، بل يجب على مناضليها الاهتمام بالعمل النقابي واكتساب تكوين فيه. ولهذا أعطيت هذه التعليمات لكي ينخرطوا في الـ (CGT) بكثافة وتحمل مسؤولياتهم. ونتيجة لكل هذا سيكون في عام 1950م، الكثير من النقابيين موجودين في نقابات مهنية عديدة (الترامواي، السكك الحديدية، المناجم) (2).

من جهة ثانية سارت حركة الانتصار والحريات الديمقراطية في اتجاه آخر، باتخاذها جريدة "الجزائر الحرة" (Algérie libre) كوسيلة إعلامية مضادة، من أجل التنديد وفضح السياسة الفرنسية التي كانت تدافع عنها الـ (CGT) وباقي نقاباتها والتي تركز على التمييز الاجتماعي والمادي، مثال

في اللجنة التنفيذية للعمال ضمن نقابة الـ CGT التي راح من خلالها يدافع وبإلحاح على مصالح العمال الجزائريين.

1 - محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939م - 1951م، ج2، المرجع السابق، صص 1158-1159.

2 - Kamel BOUCHAMA: Le mouvement ouvrier et syndical en algérie 1884-1962, éd el maarifa et juba, 2014, p73.

ذلك عدم المساواة بين العمال الجزائريين والأوروبيين من حيث وحدة المصالح ووحدة الأجور، فقد كانت الأولوية لغير الجزائريين، وتخلي هذه النقابات عن المطالب الوطنية للعمال الجزائريين (1).

من هنا بدأت فكرة تجسيد نقابة جزائرية مستقلة بمبادرة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، من خلال مؤتمرها الأول الذي انعقد في شهر فيفري 1947م أين تم إنشاء لجنة الشؤون الاجتماعية والنقابية (2). كما جاء في البيان الصادر عن هذا المؤتمر، الذي طالب بالعمل على تنظيم الجماهير في إطار هذه اللجنة العمالية تحت إشراف الحركة، على غرار المنظمة الخاصة وتحت قيادة أعضاء بارزين في العمل النقابي داخل النقابات الفرنسية وتابعين لحزب الشعب، تعمل على تنظيم العمل في نقابة جزائرية تكون رافدا من روافد النضال الوطني ضد طغيان النقابات الفرنسية الناشطة لصالح الفرنسيين وعلى حساب العمال الجزائريين.

أسست حركة الانتصار للحريات الديمقراطية "لجنة الشؤون الاجتماعية والنقابية"، في ظل مستجدات تحدثنا عنها سابقا، أهمها انقسام الـ (CGT). بالإضافة إلى موجة الإضرابات التي شهدتها الساحة العمالية في هذا العام

1 - AOM 1F/175: Circulaire confidentielle adressée par le secrétaire confédéral André LAPOND aux sectaires des trois unions départementales d'Alger, 11 février 1954.

2 - فارس محمد: وثائق وشهادات حول الحركة النقابية في الجزائر، تق: محفوظ قداش، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2016م، ص59. ينظر أيضا: حسن السعيد: "الحركة النقابية الجزائرية أثناء الثورة التحريرية (1956-1962م) من خلال الصحافة العمالية"، مجلة المرشد، ع 02، مطبعة الرهان الرياضي الجزائري-الجزائر، 01 أكتوبر إلى 31 ديسمبر 1986م، ص09. أنظر أيضا:

1947م، مسجلة 100 ألف مضرب⁽¹⁾. كما عقدت هذه الأخيرة اجتماعا لوضع تصورها حول المهمة التي أوكلت لها، بقيادة "عيسات إيدير" إطار في ورشات شركة الطيران بالدار البيضاء، وعضو بالفرع النقابي للمؤسسة، بالإضافة إلى ستة أعضاء آخرون ونعني بهم، "جرمان رابح" مسؤول نقابة الموائئ ومستشار بلدي للجزائر العاصمة، وبن "عيسى عطاالله" مسؤول نقابة المستشفيات للجزائر العاصمة ومناضل في المنظمة السرية (OS)، و"بورويبة بوعلام" عضو نقابة السكك الحديدية ومستشار بلدي، و"أوجينة إدريس" عضو دائم في (ح.إ.ح.د) ومسؤول في اللجنة النقابية للتنسيق ما بين النقابات الجزائرية في الـ (CGT)، و"بشير شارف" مناضل في حركة انتصار الحريات الديمقراطية ومسؤول نقابة المستشفيات بالبلدية، و"رمضان محمد" مستشار ببلدية الجزائر العاصمة ومسؤول نقابة النقل الحضري⁽²⁾.

أخذت هذه اللجنة على عاتقها فكرة إنشاء نقابة جزائرية في مؤتمر عام 1947م للحركة، أين كلف "عيسات إيدير" بتأسيس نقابة مركزية وطنية على غرار الاتحاد العام للعمال التونسيين، والذي كان على اتصال بـ "فرحات حشاد" زعيم هذا الاتحاد التونسي.

فكان من بين المهام الأولى التي عني بها "عيسات إيدير"، الاتصال بالقاعدة النقابية من خلال جريدة الجزائر الحرة (L'Algérie libre) التي صدر لها أول عدد في 18 أوت 1949م وقد تعرضت لحملة متابعة ومصادرة

1 - بوزغينة عيسى: مساهمة سوسيولوجيا في تحليل مضمون الخطاب النقابي للاتحاد العام للعمال الجزائريين من خلال مؤتمراته 78-199م، رسالة ماجستير، ج01، / د. د. كمال علي مازيغي، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، الجزائر، 1993م، ص92.

من طرف الشرطة الاستعمارية، أين تم حجز 20.000 نسخة ووقف صدورها، رغم هذا أستأنف طبع وتوزيع الجريدة وبشكل سري في الجزائر. والمتمعن في مجموعة مقالات هذه الجريدة آنذاك يتبين له بأن اللجنة المركزية للشؤون الاجتماعية للحزب، كانت تعمل وكأنها مركزية نقابية حقيقية، تحاور النقابات الفرنسية وتعرض مشاكل العمال الجزائريين، كما كانت تحاور المؤسسات الحكومية والإدارية وتدعو إلى وحدة العمال أثناء الإضرابات العمالية، كما كانت تساعد البطالين وطالبي الشغل. ففي هذا السياق يذكر "بن يوسف بن خدة" عام 1950م أن المقالات الصادرة عن هذه الجريدة الممضاة من طرف "عيسات إيدير"، كانت تؤخذ مأخذ الجد من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الجزائري، كون هذه المقالات تعالج المشاكل الكبرى التي لطالما شغلت اهتمام العمال الجزائريين في الجزائر وفي فرنسا بين عامي 1949م و1954م. ومن بين هذه المقالات نذكر ما يلي:

- قضية الأجور وكفاح العمال من أجلها.
- التعدي على حرية العمل.
- احتقار كل ما ليس فرنسيا.
- الإضرابات.
- مدة العمل في الزراعة.
- أول ماي في الجزائر وفي فرنسا.
- المنح العائلية.
- الكفاحات الاجتماعية وقضية السكن للعمال في الجزائر وفي فرنسا.
- وحدة العمال داخل النقابات.

- دور العمال الجزائريين في النقابات الفرنسية تأييد وتعاضد ضد الرأسمالية الفرنسية والإدارة الاستعمارية.
- الكفاح العمالي ضد الاستعمار والاستغلال.
- مؤتمرات النقابات الدولية.
- النقابة في مصر.
- موقف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من الاستعمار.
- الكشافة الإسلامية (1).

بداية من عام 1947م أصبحت الجزائر ضمن قانون خاص، والذي كان يسمح بمعالجة كل المشاكل ذات الصلة بالنشاط النقابي في الجزائر دون الرجوع إلى فرنسا. غير أن جل المحاولات من أجل إنشاء نقابة مستقلة جزائرية كان مصيرها الفشل، إلا أنه كان يجب الأخذ بعين الاعتبار العناصر الجديدة التي ميزت تلك الفترة، حيث كان من الضروري وجود نقابة تدافع عن العمال الجزائريين دون تمييز عرقي أو ديني، هؤلاء الذين يخضعون للاستغلال بصفة عامة ولا سيما الجزائريون، الذين نالهم الاستغلال أضعافا مضاعفة من طرف الاستعمار.

لقد كان الاتفاق آنذاك حول شيء واحد، وهو تقوية الوحدة داخل النقابات بالنسبة للجزائريين. وعلى غرار هيكله الـ (CGT)؛ تم تقسيم العمل فيما يتعلق بالحركة العمالية في الجزائر وقتها لأجل ضمان تنسيق أكبر وفعالية أكثر، فقد كانت هناك لجنة تنسيقية للنقابات بالجزائر، حيث تحولت اتحادات المقاطعة إلى ثلاث اتحادات: الجزائر، قسنطينة، وهران، وتحولت اتحادات

1 - محمد فارس: وثائق وشهادات حول الحركة النقابية في الجزائر، المرجع السابق، ص 58-64.

المقاطعة إلى ثلاث اتحادات هي: اتحاد نقابات الجزائر، اتحاد نقابات وهران، اتحاد نقابات قسنطينة (1).

خامسا/ نضال العمال الجزائريون من أجل الاستقلالية النقابية والحرية الوطنية 1947-1950م

لقد شكلت معظم الأحداث التي سبق ذكرها دافعا قويا في تزايد حدة الحركات الاحتجاجية والإضرابات من طرف العمال الجزائريون خلال هذه الفترة، سواء تعلق الأمر بتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية أو تلك الانعكاسات الناجمة عن الحرب العالمية الثانية، التي كانت الجزائر مسرحا لها بما في ذلك الصراع بين أكبر النقابات مثلما هو الحال بين نقابة الـ (CGT) ونقابات المستقلة.

في خضم هذه الظروف، لم تكن مطالب الجزائريين بالشيء الجديد، وتعلق الأمر بتدهور القدرة الشرائية واستفحال البطالة وانتشار الفقر بشكل رهيب وسط الأهالي، حيث يؤكد التقرير الذي قدم في الندوة الرابعة للـ (CGT) بأن: "...القدرة الشرائية للجزائريين في عام 1948م كانت أقل بمرتين مما كانت عليه عام 1938م..." (2). إذن كلها عوامل أجبت روح الغضب لدى العمال الجزائريون الذين لم يجدوا غير الاحتجاج والتظاهر والإضراب كوسائل لتحقيق مطالبهم هذه. فهل كان لهم هذا؟

اشتد نضال العمال الجزائريون خلال هذه الفترة من خلال تعدد وتنوع الاحتجاجات والإضرابات التي قاموا بها عبر العمالات الثلاثة، بعدما أصبحت الحركة العمالية الجزائرية قوة اجتماعية مطلية متماسكة في وحدتها ومتعاونة

1 - Nasser DJABI :Op-cit, p116.

2 - Noura BENALLEGUE CHAOUIA : l'Algérie, mouvement ouvrier et question national 1919-1954, Op-cit, p302.

في نضالها ومنتشبة بمبادئها ووطنيتها، فاستغل بذلك هؤلاء العمال الجزائريون في مختلف مواقعهم المهنية؛ عملهم النقابي وأعلنوا إضرابهم من أجل افتكاك حقوقهم المهنية والاجتماعية والسياسية.

لقد راعى العمال الجزائريون أثناء قيامهم بهذه الموجة من الإضرابات عامل الزمن والمكان، ففي فصل الصيف تكون هناك إضرابات عمال الزراعة، وفي فصل الخريف تحدث إضرابات الموانئ، وبالتالي تكون هذه المواقيت حساسة بالنسبة للاقتصاد الاستعماري في تسويق منتوجاته النقدية - التجارية والمواد الأولية باتجاه فرنسا، مستغلا في ذلك اليد العاملة الجزائرية بأثمان بخسة زهيدة، لهذا عملت الحركة العمالية الجزائرية على تبني أنجع السبل للضغط على أرباب العمل وتحصيل حقوقها، حيث تكررت هذه الإضرابات في المجال الزمني المحدد سابقا، لأجل إلحاق خسائر فادحة للمتعاملين⁽¹⁾.

في البداية كانت هناك تظاهرات وهي بمثابة حركة تمهيدية لحركة مطلبية أوسع منها، قام بها اتحاد عمالة الجزائر للـ (CGT)، تمثلت هذه التظاهرات في الحركة الإضرابية التي شارك فيها ما يقرب من 100 ألف عامل، ينتمون للجنة التنسيق للنقابات المتحدة الجزائرية، بينما أشارت تقارير رسمية إلى مشاركة 20 ألف فقط⁽²⁾.

1 - جيلالي تكران: الحركة العمالية الجزائرية في الجزائر وفي فرنسا ودورها في التحرير الوطني 1945-1962م، أطروحة دكتوراه، إ. أ/د بن يوسف تلمساني، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2012-2013م، ص114.

2 - AOM 1K883, Rapport général sur les grève du 28 novembre au 11 décembre 1947 dans le département d'alger adressé au ministre français de l'interieure jules MOCH.

نقلا عن :محمود آيت مدور: الحركة العمالية في الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية 1830-1962 بين النضالات الاجتماعية والكفاح التحرري، المرجع السابق، ص 294.

بدأت الحركة إضراباتها المفتوحة من قبل حمالي الموائى يوم 28 نوفمبر 1947م ليلتحق بهم عمال السكك الحديدية يوم 29 نوفمبر، كما تم الإعلان عن إضراب كل من عمال الترامواي وعمال البريد والمواصلات.

ومع بداية شهر ديسمبر انضم بدورهم عمال مصانع المواد الكيميائية (الكبريت وغيرها...) وكذا عمال البناء والخشب والجلود والتبغ إلى هذه الحركة، بعدها التحق بهم عمال التعدين ليشنوا إضرابهم يوم 30 ديسمبر ومن بعدهم عمال الكهرباء يوم 05 ديسمبر لمدة 24 ساعة.

وفي يوم 08 ديسمبر بدأ إضراب عمال المطابع، وبهذا توسعت الحركة لتشمل ميادين وقطاعات أخرى مثل عمال المتاجر الكبرى في اليوم الموالي. وفي خضم هذه الأحداث دعت الـ (CGT) واللجنة المركزية للإضرابات لتوقيف الحركة الإضرابية في كل القطاعات، وكان هذا يوم 11 ديسمبر 1947م. أين استجاب جل المضربين لهذا النداء باستثناء عمال المطابع الذي واصلوا احتجاجهم إلى غاية 15 ديسمبر (1).

أما فيما يخص الإضرابات المشتركة، فقد تم تنظيم إضراب مشترك من طرف الـ (CGT) والـ (SO) والـ (CFTC) والـ (CGT) شارك فيه غالبية العمال وكان هذا يوم: 24 سبتمبر 1948م، بداية من الساعة الرابعة إلى

1 - AOM 1K883, Rapport général sur les grève du 28 novembre au 11 décembre 1947 dans le département d'alger adressé au ministre français de l'interieure jules MOCH,Op-cit.

نقلا عن:

- محمود آيت مدور: الحركة العمالية في الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية 1830-1962 بين النضالات الاجتماعية والكفاح التحرري، المرجع السابق، ص ص 294-295.

السادسة مساء⁽¹⁾. وإضراب آخر في 30 سبتمبر 1948م، الذي تسبب في إتلاف حوالي 500 طن من بذور البطاطا في ميناء الجزائر، وقد اعتمدت الحركة العمالية الجزائرية على قوة تنظيمها والتعبئة والإرادة الكبيرة من أجل ضرب الاقتصاد الاستعماري الاستيطاني، القائم على حركتي التصدير والاستيراد كنتيجة لنمط الاقتصاد الاستعماري في الجزائر⁽²⁾.
والملاحظ على هذه الإضرابات وغيرها سنتي 1947م و1948م ذات خصوصية لخصها تقرير والي الجزائر الذي قدمه لوزير الداخلية الفرنسي بطله في النقاط التالية:

- الاختلاف في أساليب الإضراب من قطاع لآخر، ففي المصانع وقطاع النقل بالسكك الحديدية نادرا ما كان يتم الاتفاق بين المندوبين على الإضراب دون استشارة العمال، حيث كان الأمر يتم من خلال عقد جمعية عامة يشارك فيها معظم العمال وتقدم فيها عريضة المطالب، بعدها يتم التصويت على خيار الإضراب برفع الأيدي، وفيما يخص ساعة الإضراب فتبقى من اختصاص المسؤولين دون الرجوع للعمال. أما عن قطاع الإدارة والمصالح العمومية، فالأمر يختلف في النقطة المتعلقة بساعة الإضراب، حيث

1 - AOM 1K880, Rapport de commissaire divionnaire chef de district d'alger adressé au préfet d'alger en date du 24 septembre 1948.

نقلا عن:

محمود آيت مدور: الحركة العمالية في الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية 1830-1962 بين النضالات الاجتماعية والكفاح التحرري، المرجع السابق، ص 298.

2 - جيلالي تكران: المرجع السابق، ص114.

كان القرار يخضع للتصويت السري المنظم من طرف المندوبين النقابيين في مختلف المؤسسات باتفاق مع مسؤولي الإدارة⁽¹⁾.

- اتصفت هذه الإضرابات بالطابع السلمي والمنظم، حيث لم تسجل أي عملية احتلال للمصانع من طرف العمال المضربين أو عمل تخريبي في حق المنشآت، ذلك أن الإدارة والعمال المضربين قاموا بترتيبات أمنية من أجل حماية العتاد، وكانت سارية المفعول إلى غاية اليوم الأول والثاني من الإضراب، ليتكفل بعدها رجال الشرطة بالأمر.

- انحصر أمر القيام بالإضرابات على اللجنة التنفيذية للاتحاد العمال، ونقابات الـ (CGT) والأمناء العاميين للنقابات الأساسية، المنتمين للحزب الشيوعي الجزائري، فهم المسؤولين الوحيدين عن ذلك.

- استعانت الإدارة الاستعمارية بعناصر من الجيش الفرنسي لاستتباب الأمن، وتعويض المضربين في عدة مهام، من بينها عمليات الشحن والتفريغ في ميناء الجزائر.

- من جهة أخرى، كان لا بد أن تكون هناك مواقف تجاه هذه الحركة، فعلى سبيل المثال، ندد بها الفرع الفرنسي للدولية العمالية ذات التوجه الاشتراكي، معتبرا دوافعها أنها ذات بعد سياسي بحت، وبالرغم من هذا شارك عمال هذا الفرع في مختلف الإضرابات، من باب التضامن مع زملائهم العمال في مختلف القطاعات. بينما كانت هناك مواقف متباينة للتنظيمات النقابية، مثال ذلك الكونفدرالية العامة للعمال المسيحيين التي عارضت الإضرابات

1 - AOM 1K883, Rapport général sur la grève du 28 novembre au 11 décembre 1947 dans le département d'alger adressé au ministre français de l'intérieure Jules MOCH, Op-cit.

ودعت منخرطيتها لعدم المشاركة فيها، أما النقابات المستقلة فلم تظهر أي موقف (1).

في ذات السياق، كانت هناك إضرابات أخرى تميزت بروح التضامن المادي والمعنوي وهو ما عبرت قطاعات أخرى، مثال ذلك؛ عمال السكك الحديدية الذين نظموا حركة احتجاجية يوم 26 أكتوبر 1948م بداية من الساعة الرابعة والنصف إلى الخامسة مساءً، تضامنا مع إخوانهم العمال المنجمين في كل من فرنسا والجزائر، ومطالبين بتخصيص مبالغ مالية تراوحت قيمتها ما بين 50 و300 فرنك حسب الأجور، حيث بلغ حجم هذه المساعدة المالية بـ10 آلاف فرنك فرنسي (2).

كانت هناك أيضا إضرابات أخرى خلال عام 1949م على مستوى ميناء وهران، أين رفض عمال التعبئة والتفريغ شحن البواخر الحاملة للمعدات الحربية المتجهة للفييتام، وكان لهؤلاء العمال نضال مرير طيلة الفترة ما بين شهر جوان 1949م وشهر جويلية من عام 1954م (3). وفي هذا الشأن صدرت أمرية الحاكم العام في 07 ديسمبر 1949م، حدد فيها الحد الأعلى لعمال الموانئ المهنيين في موانئ الجزائر، وجاءت كالتالي: 1746 عامل بوهران، و250 عامل بميناء نمور، وفي عام 1950م تناقص العدد وأصبح 1117 عامل بميناء وهران، و188 بميناء نمور (4). في السياق نفسه تحدثت الصحافة من خلال جريدة وهران الجمهورية (Oran Républicain) بما يلي: "...شن

1 - AOM 1K883, Rapport général sur les grève du 28 novembre au 11 décembre 1947 dans le département d'alger adressé au ministre français de l'interieure jules MOCH, Op-cit.

2 - Alger Républicain, 27 Octobre 1948.

3 - Exposé de travaux de la chambre de commerce d'oran, 1950, p91.

4 - Ibid, p102.

عمال التعبئة إضرابا آخر يوم 27 جانفي 1950م، لكن الأمور عادت إلى طبيعتها في اليوم الذي بعده، وأنه لا يوجد نشاط في الأرصفة أمس، وإلى حد الساعة والنصف لا يوجد عمال حاضرين في المرسى وحوالي 10 بحارة في الميناء...⁽¹⁾.

لقد تحولت الحركة العمالية الجزائرية إلى قوة ماثرة ببلوغها أعلى قمم الاحتجاج خلال عام 1950م، حيث شهدت 225 إضرابا شارك فيه أكثر من 250 ألف عامل من مختلف القطاعات، من أهمها إضراب مزايطة (MZAITA) عن القطاع الأول خلال 90 يوما، يليه إضراب موظفي البنوك عن القطاع الثالث الذي استمر مدة 53 يوما⁽²⁾.

وهذا ما تجلى من خلال الإضرابات والمظاهرات ضد الاستعمار، والأعمال الإجرامية التي ارتكبتها فرنسا في مستعمراتها، حيث رفض عمال الموانئ عام 1947م إلى غاية عام 1952م شحن وتفريغ البواخر المحملة بالسلاح والمتجهة إلى الفيتنام تعبيرا عن تضامنهم مع الشعوب المكافحة ضد الاستعمار كما أشرنا سابقا⁽³⁾.

لقد عززت موجة الإضرابات والاحتجاجات التي قام بها العمال الجزائريين خلال هذه الفترة موقف قادتهم النقابيين والسياسيين للحركة الداعي إلى فكرة

1 - Ibid, p93.

2 - محمد قنانش: **النقابيون الجزائريون والمسألة الوطنية 1946-1954م**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إ.أ.د/ مهدي إبراهيم، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران-الجزائر، السنة الجامعية 2011-2012م، ص ص 106-107.

3 - ابن التركي: **"المراحل التاريخية لنضال العمال الجزائريين"**، مجلة أول نوفمبر، ع/ 27 أبريل 1978م، الجزائر، ص 10.

استقلال النقابة الجزائرية من جهة، ومن جهة ثانية أضعفت موقف النقابات الفرنسية الراض لهذا الطرح.

خاتمة

لم يكن هناك وجود للجزائريين ضمن الحركة العمالية إلا بعد الحرب العالمية الأولى، لأن الحركة العمالية في بدايتها كانت حركة أوروبية، غير أن نشاطها - الحركة العمالية الجزائرية- خلال الفترة ما بين الحربين؛ هو بمثابة الفترة الذهبية لتطور الحركة النقابية في الجزائر وازدهارها، حيث توسعت قاعدتها مع تطور العمل المأجور بشكل كبير بعد الأربعينات، وهي المرحلة التي كان التركيز فيها على الاستثمار في القطاع الصناعي. لكن التناقضات بين العمال الجزائريين والعمال الأوروبيين ظلت قائمة إلى غاية 08 ماي 1945م.

غير أن الحرب العالمية الثانية وتأثيرها على الجزائريين، من خلال النزج بهم في جبهات القتال ثم الإنزال الأنجلو أمريكي في الجزائر وغيرها من الأحداث، قد ساهم أيضا في نمو الوعي الوطني والانخراط في النقابات بهدف الدفاع عن حقوقهم سواء سياسية كانت أم نقابية. وأمام تزايد عدد المنخرطين في النقابات الفرنسية، تولدت الحاجة إلى تأطير نقابي جزائري. وبدل أن تستجيب الحكومة الفرنسية لمطالب الشعب الجزائري وحركته العمالية واجهت ذلك بالرصاص والاعتقالات وتكثيف الإجراءات القمعية، لترتكب بعدها أكبر مجزرة في جق الشعب الجزائري في الثامن من ماي 1945م، التي خلفت 45 ألف شهيد. فرغم بشاعة هذه المجازر في شقها السلبي؛ كان لها الفضل في إيقاظ الشعور الوطني، كما أدت إلى تفجير الوعي الثوري الذي وجد طريقه

نحو عقول الجزائريين، فتغير بذلك سلوكهم ونشاطهم تغيراً جذرياً تجاه مسألة الحوار مع المحتلين.

أما بالنسبة للحركة العمالية، فإن هذه الظروف وأخرى قد غيرت مجرى الصراع الاجتماعي من السعي إلى رفع الأجور وتحسين مستوى المعيشة إلى الدفاع عن الوجود. كما رفعت الحاجة إلى الأمن مستوى الصراع لينتقل إلى ممارسة العمل السياسي، وبهذا تغير مضمون العمل النقابي في الجزائر وأصبح شبيهاً بعمل الأحزاب السياسية بعد نهاية هذه الحرب.

وبالنظر للقوة التي كان يمثلها العمال، فقد أولت الحركة الوطنية أهمية تأطيرهم وتكوين نقابة جزائرية مستقلة عن أية نقابة أجنبية، وذلك تعبيراً منها وبصورة فعالة عن مطامح وإرادة الشعب الجزائري في التحرير والاستقلال. فطالما شغلت المسألة النقابية قادة حزب الشعب الجزائري بإنشاء نقاباته التي كانت تضم حرفيين وتجار مستقلين اقتصادياً، فقام بإنشاء أولى نقابات التجار والمسلمين ما بين 1943م و1945م.

ومع بداية عام 1947م تأسست أولى الاتحاديات: اتحادية الخبازين وأصحاب المطاعم، واتحادية البقالين، وفيدرالية الحلاقين واتحادية تجار الخضار والفواكه. لتتواصل مساعي حزب الشعب الجزائري - الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية، من أجل إنشاء نقابة وطنية جزائرية مستقلة على غرار الاتحاد العام للعمال التونسيين كلفت بها خلية من المناضلين ذوي الخبرة بالقضايا الاجتماعية في مؤتمر عام 1947م للحركة، لكن ذلك لم يتحقق في ظل الأزمة التي مر بها حزب الشعب إلى غاية 24 فيفري 1956م أين ستجد طريقها من خلال تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريون من طرف جبهة التحرير الوطني.

قائمة المصادر والمراجع:

1. عبد حميد زوزو: الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين (1914-1939) ويلييه: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، طخ، مج04، وزارة المجاهدين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010م.
2. خلوفي بغداد: الحركة العمالية الجزائرية ونشاطها أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، إ: د. بن نعيمة عبد المجيد، جامعة وهران، الجزائر، 2014م.
3. Jacques CHOUKROUN : **le syndicalisme en Algérie et la question nationale 1926-1954**, mémoire de DES, histoire, université de Paris, 1972.
4. Boualem BOUROUBA: **les syndicalisme algériens, leur combat de l'éveil à la libération (1936- 1962)**, Edition Dahlab, ENEG, Alger, 2001.
5. آيت مدور محمود: الحركة العمالية في الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية 1830-1962 بين النضالات الاجتماعية والكفاح التحريري، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2015م.
6. محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939م، ج2، تر: أمحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2011م.
7. جغلول عبد القادر: تاريخ الجزائر والمغرب العربي، تر: فضيلة الحكيم وفيصل عباس، مج01، ذاكرة الناس، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013م.
8. Nasser DJABI: **KAID LAKHDAR - une histoire du syndicalisme algérien**, Entretiens, éd chihab, septembre, 2005.

9. Noura BENALLEGUE CHAOUIA, l'Algérie, mouvement ouvrier et question national 1919- 1954, O.P.U, Alger, 2005.
10. AOM 40G/104 GGA : Syndicalisme et rébellion, (s.d).
11. ذكرى وفاة مؤسس الاتحاد. ع.ع.ج، مجلة الثورة والعمل، ع517 من 01 إلى 15 أوت 1988م.
12. Kamel BOUCHAMA: **Le mouvement ouvrier et syndical en algérie 1884-1962**, éd el maarifa et juba, alger.2014.
13. AOM 1F/175 : Circulaire confidentielle adressée par le secrétaire confédéral André LAPOND aux sectaires des trois unions départementales d'Alger, 11 février 1954.
14. فارس محمد: وثائق وشهادات حول الحركة النقابية في الجزائر، تق: محفوظ قداش، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2016م.
15. حسن السعيد: الحركة النقابية الجزائرية أثناء الثورة التحريرية (1956-1962م) من خلال الصحافة العمالية، مجلة المرشد، ع 02، مطبعة الرهان الرياضي الجزائري-الجزائر، 01 أكتوبر إلى 31 ديسمبر 1986م.
16. بوزغينة عيسى: مساهمة سوسيولوجيا في تحليل مضمون الخطاب النقابي للإتحاد العام للعمال الجزائريين من خلال مؤتمراته 78-199م، رسالة لنيل شهادة ماجستير، ج 01، /د. د. كمال علي مازيغي، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر، الجزائر، 1993م.
17. جيلالي تکران: الحركة العمالية الجزائرية في الجزائر وفي فرنسا ودورها في التحرير الوطني 1945-1962م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث

والمعاصر، إ. أ/د بن يوسف تلمساني، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،
جامعة الجزائر 02، السنة الجامعية 2012-2013م.

18. AOM 1K883, Rapport général sur les grève du 28 novembre
au 11 décembre 1947 dans le département d'alger adressé
au ministre français de l'interieure jules MOCH.

19. AOM 1K880, Rapport de commissaire divionnaire chef de
district d'alger adressé au préfet d'alger en date du 24
septembre 1948.

20. Alger Républcain, 27 Octobre 1948.

21. Exposé de travaux de la chambre de commerce d'oran,
1950.

22. قنانش محمد: النقايبون الجزائريون والمسألة الوطنية 1946-1954م،
أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إ. أ.د/ مهديد إبراهيم، كلية
العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران-الجزائر، السنة الجامعية
2011-2012م.

23. ابن التركي: "المراحل التاريخية لنضال العمال الجزائريين"، مجلة أول نوفمبر،
ع/ 27 أبريل 1978م، الجزائر.

الرحلات العلمية للطلبة الجزائريين إلى تونس ومصر

(زدور إبراهيم القاسم أنموذجا 1946 - 1954)

**Scientific trips of Algerian students to Tunisia and Egypt
and their reality, (Zedour Ibrahim El-Qassem as a model
(1946-1954)**

درة / حورية جيلالي

المركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا، كراسك وهران

المخلص

يهدف هذا العمل إلى تسليط الضوء على الرحلات العلمية للطلبة الجزائريين بتونس ومصر وواقعهم هناك، مع التركيز على زدور إبراهيم القاسم (1923-1954) كنموذج وذلك خلال الفترة الممتدة من 1946 إلى 1954، وهي الفترة التي سبقت اندلاع الثورة المسلحة والتي تميزت بتشبع عدد من الشبان الجزائريين بفكرة مواجهة المستعمر بالقوة، وضرورة مواصلة التعليم ليكون للجزائر فئة مثقفة تتحدث باسمها وتعرف بقضيتها، وكانت الوجهة الأقرب هي تونس الشقيقة التي مثلت مركز إشعاع للعلوم الدينية والعلمية بفضل جامع الزيتونة الذي درس به العديد من الجزائريين، كما كانت مصر هي الأخرى مركز استقطاب لطلبة العلم منذ الاحتلال.

Abstract

This work aims to shed light on the scientific paths of Algerian students in Tunisia and in Egypt and their reality there, with a focus on Zeddour Ibrahim Al-Qassem (1923-1954) as a model between 1946 to 1954, this is the period of before the armed revolution, which was characterized by the saturation of a number of young Algerians with the idea of confronting the colonized by force, and the importance of education, in order to form an elite that can represent Algerians and fight for Algeria. The nearest destination was Tunisia, which represented the Center for Religious and Scientific Sciences thanks to the Zitouna Mosque

in which many Algerians studied, and Egypt was also a center of attraction for science students since the occupation.

مقدمة

بمناسبة الدعوة للمشاركة في الكتاب الجماعي التكريمي للدكتور يحيى بوعزيز رحمته الله ، ولكوني حصلت على شرف القيام بمقابلات شخصية معه في إطار إنجازي لمذكرة الماجستير، جاءتني فكرة إنجاز هذا المقال الذي توجد فيه بعض الإشارات إلى الدكتور يحيى بوعزيز رحمه، من خلال تتبع المسار الدراسي للشهيد زور إبراهيم القاسم المهاجي، الذي كان قد سبق الدكتور يحيى بوعزيز في الدراسة إلى تونس.

فعلى إثر اتصالي بالمرحوم في صائفة 2001 ، تمكنت من الحصول على موعد معه، رغم مرضه، وانشغاله بإنجاز مسكنه بحي جمال الدين بمدينة وهران، وسرعان ما بدأت بعقد اللقاءات معه، وكان نعم المستمع ونعم المضيف، إذ لم يخلف لي موعداً، ولم يبخلني بالمعلومة، وكلما سألته سؤال، توسع في الإجابة، وأمهلني الوقت للكتابة، بحكم ظروف تلك الفترة واعتمادي على كتابة الإجابات، وبعد عودتي إلى المنزل كنت أرتب الأفكار وأتصل به من جديد لسد الثغرات التي أجدتها في مختلف اللقاءات وعلى طول الثلاثة أشهر، أمدني الدكتور بعدة معلومات، ولم يبخلني بالمعلومة والتوثيق في بحثي، وكثيراً ما شجعني على الاستمرار في أخذ الشهادة منه ومن أساتذة آخرين على غرار الدكتور محمد الصم بجامعة وهران، والتركيز على الشهادة الشفوية لمن عاصر الحادثة المدروسة أو اقترب منها كما هو الحال بالنسبة إليه في هذا العمل.

وقد أعجب الدكتور يحيى بوعزيز كثيراً بموضوعي الذي كان حول الشهيد زور إبراهيم القاسم المهاجي (1923-1954)، خصوصاً وأنه كان

يندرج في إطار مشروع أعلام الحركة الوطنية، وكان رحمته الله من مشجعي التعريف بالأعلام والنخب الجزائرية. وكنت اعتمدت على شهادته حول مرحلة دراسته بتونس ومصر كونه درس هناك خلال هذه المرحلة الغنية من حيث نشاطها الثقافي والسياسي، وهو من وجهني للاطلاع على الأوضاع الاجتماعية والثقافية للطلبة هناك خلال هذه الفترة لأنها أثرت على توجهاتهم بشكل كبير. نتيجة للظلم الذي مارسته السلطات الفرنسية بالجزائر، وبسبب شعور العديد من الجزائريين بالعجز على مقاومة هذا البطش من جهة، جاء قرار الهجرة فرارا من سوء الأحوال والظروف والمعاناة التي يعيشها جل الشعب الجزائري. كما كان لسياسة فرنسا في مجال التعليم، دور في دفع العائلات الجزائرية إلى إرسال أبنائها للدراسة خارج الديار، وكانت الوجهة إما أوروبا أو المشرق العربي.

في هذا الإطار جاءت دراستنا للرحلات العلمية للطلبة الجزائريين بتونس ومصر مع التركيز على الشهيد الطالب "زور إبراهيم القاسم المهاجي" كنموذج فيما بين 1946-1954، وهي الفترة التي سبقت اندلاع الثورة المسلحة والتي تميزت بتشبع عدد من الشبان الجزائريين بفكرة مواجهة المستعمر بالقوة، وضرورة مواصلة التعليم ليكون للجزائر فئة مثقفة تتحدث باسمها وتعرف بقضيتها، وكانت الوجهة الأقرب هي تونس الشقيقة التي مثلت مركز إشعاع للعلوم الدينية والعلمية بفضل جامع الزيتونة الذي درس به العديد من الجزائريين، كما كانت مصر هي الأخرى مركز استقطاب لطلبة العلم منذ الاحتلال.

وقد حاولت في هذا العمل المتواضع الإجابة على عدد من الأسئلة التي تتبادر إلى الذهن ومنها كيف كانت ظروف الطلبة الجزائريين بتونس ومصر في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ البلدين؟ ما طبيعة النشاط الثقافي

والسياسي الذي مارسه هناك لخدمة القضية الجزائرية؟ وغيرها من التساؤلات، وللإجابة عنها كان لابد من معرفة الجو الثقافي والسياسي الذي أثر في نموذج دراستنا شأنه في ذلك شأن بقية الطلبة الجزائريين الذين عاصروه.

ولإثراء هذا العمل اعتمدت على عدد من المصادر والمراجع التي خولت لي تتبع أهم نشاطات زور إبراهيم القاسم بتونس ومصر، ومنها الشهادات الشفوية التي تمثلت خاصة في شهادة "زور محمد المهاجي" الشقيق الأكبر "لزور إبراهيم القاسم المهاجي"، وشهادة الدكتور "يحيى بوعزيز" رحمته الله الذي كان قد توجه إلى تونس مباشرة بعد انتقال زور إبراهيم القاسم إلى القاهرة، وقد قدم صورة واضحة عن الأوضاع التي كانت سائدة في جامع الزيتونة آنذاك. أما المصادر المكتوبة فكان أهمها كتاب "أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق في الماضي والحاضر" للشيخ الطيب المهاجي والد زور إبراهيم القاسم المهاجي، إلى جانب عدد من الأطروحات الجامعية التي أفادتني مثل أطروحة "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945" لصاحبها "أبو الصفصاف عبد الكريم" وغيرها.

وكمحاولة للإلمام بالموضوع، حاولت تتبع نشاطات الطلبة الجزائريين بتونس ومصر من خلال مسار زور إبراهيم القاسم ونشاطاته السياسية والأدبية والظروف التي عايشها هناك. وقد قسمت هذا العمل إلى مقدمة، وعنصرين أساسيين، الأول حول رحلة زور إبراهيم القاسم العلمية إلى تونس 1946-1949 ونشاطه بها قدمت فيه نبذة تاريخية عن جامع الزيتونة وأوضاع الطلبة الجزائريين به، والثاني حول رحلة زور إبراهيم القاسم العلمية إلى القاهرة 1949-1954 ونشاطه بها، وخاتمة. أما زور إبراهيم القاسم فهو أحد أوائل شهداء الثورة الجزائرية، من مواليد 02 فبراير 1923 بوهان التحق بتونس ثم

مصر لطلب العلم حصل من مصر على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، تميز بنشاطه السياسي السري، استشهد بعد إلقاء القبض عليه يوم 6 نوفمبر 1954 وتعرضه للتعذيب.

أولاً- رحلته العلمية إلى تونس (1949-1946)

تميزت الفترة التي تواجد فيها زور إبراهيم القاسم المهاجي بتونس بغياب الحبيب بورقيبة الذي كان بمصر، وبتكثيف نشاط الأحزاب السياسية ولو بالطرق التقليدية، هذه الظروف جعلت زور إبراهيم القاسم المهاجي يتأثر بالأوضاع التي يعيشها ويتشبع أكثر فأكثر بأهمية النضال والمثابرة لمواجهة الاستعمار.

1- أهمية جامع الزيتونة 1945-1949 وأوضاع الطلبة الجزائريين بتونس

جامع الزيتونة أحد أقدم المؤسسات التعليمية العربية الإسلامية، واصل دوره التعليمي منذ حوالي ثلاثة عشر قرناً¹، وقد تمتع هذا الجامع حتى أوائل القرن 19م باستقلالية مطلقة لتنظيم تعليمه وضبط برامج دراسته. غير أن الاهتمام بشؤون التعليم فيه لم يظهر إلا منذ 1842 حيث تم تنظيم الدروس فيه. وفي سنة 1876م تم إعطاء دفع جديد للتعليم الديني والقانوني والأدبي الملقى بالجامعة. وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881، سعت السلطات الاستعمارية جاهدة إلى تحويل الجامعة الزيتونية إلى مؤسسة عصرية من مؤسسات التعليم العالي، وإدماجها في أجهزة التعليم الرسمي. غير أن هذه المساعي قد فشلت من جهة بسبب معارضة كبار مشايخها، ومن جهة أخرى

1 الزيدي علي، تاريخ النظام التربوي للشعبة العصرية الزيتونية (1951-1965)، تقديم الأستاذ عبد الجليل التميمي، منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات، العدد 16، تونس 1986، ص 9.

بسبب مناهضة المعمرين لسياسة الإصلاح الهادفة إلى تحسين أوضاع الأهالي
1.

وفي سنة 1933 ظهر قانون جديد للإصلاح، أضاف إلى برنامج التعليم الزيتوني في المرحلة الابتدائية والمتوسطة مواد إجبارية تمثلت في العلوم الرياضية والعصرية، مع تخصيص أكثر الوقت للعلوم الشرعية. وقد تواصل تدريس هذه العلوم حتى سنة 1939، وظل الأمر كذلك إلى غاية ظهور الشعبة العصرية الزيتونية سنة 1951.

وما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن طرق التدريس بهذه الجامعة ظلت قديمة وتقليدية، تهدف أساسا إلى تخريج علماء الشريعة الإسلامية، إلى جانب عدم اعتراف الجامعات الأخرى، ما عدا الأزهر، بالشهادات الزيتونية². وقد انتقد الشيخ عبد الحميد بن باديس أساليب التربية ومناهجها في جامع الزيتونة، وذلك بسبب عنايتها بـ "الفروع وإهمال الأصول". إلى جانب الاهتمام الزائد بتحصيل علوم الوسائل من نحو وصرف وإهمال علوم المقاصد من فقه وحديث.

لعب جامع الزيتونة دورا هاما في الحياة الفكرية للجزائريين، إلى جانب مؤازرتهم ورفع معنوياتهم. ذلك أن الطلبة المتمدرسين بهذا الجامع قد اهتموا بتأسيس الجمعيات وتفعيلها والانخراط في الأندية والعمل في إطارها³. غير أن

1 العياشي مختار، البيئة الزيتونية (1910-1945)، مساهمة في تاريخ الجامعة الإسلامية التونسية، تعريب حمادي الساحلي، دار التركي للنشر، تونس 190، ص ص 23 - 24.

2 المرجع نفسه، ص 46-47.

3 الجابري محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس (1900-1962)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الدار العربية للكتاب، 1983، ص 97.

ما ميز أوضاع التعليم بالزيتونة سواء بالنسبة للجزائريين أو غيرهم، كان سوء الظروف وصعوبة الحياة وقسوتها بشكل عام. وهذا رغم أن السلطات كانت قد وفرت مدرسة خاصة لإقامة الطلبة الجزائريين وهي مدرسة سيدي العجمي. بينما تمتع طلبة بني ميزاب بظروف أحسن لكونهم على المذهب الإباضي الذي ينتسب إليه بعض أبناء جزيرة جربة.

أما عن الحالة المادية للطلبة الزيتونيين، فقد كانت جد سيئة. كما أن معظم مساكنهم كانت تفتقر إلى الماء الصالح للشرب، والكهرباء، لذلك استعمل الطلبة المصابيح البترولية. كما زودت كل مدرسة، تعاني من قلة المياه الصالحة للشرب، ببئر غير نظيفة. كما كانت هذه السكنات قديمة وجدرانها مبقعة، أبوابها متخلخلة، مراحيضها غير نظيفة. وتميزت الغرف بضيقها إذ لم تكن مساحتها تتجاوز أربعة أمتار مربعة، إلى جانب انتشار الرطوبة بها. وبما أنه كان يحق للطلبة المتحصلين على غرفة إحدى المدارس إيواء أحد زملائه، فقد بلغ عدد أفراد الغرفة أحيانا ثلاثة إلى أربعة أشخاص، ينامون أحيانا على الأرض وعلى مصاطب خشبية ملتصقة بالجدران ومليئة بالبق. وقد بلغ عدد المقيمين في تلك المدارس حوالي 1000 طالب سنة 1930 و1500 سنة 1945. كما تقاسم الطلبة أيضا أدوات الطبخ لأنهم كانوا يحضرون طعامهم بأنفسهم¹، أما عدد الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة فقد بلغ 200 طالب في أوائل الثلاثينيات ليصل إلى 250 سنة 1938. بينما بلغ عددهم منذ 1952 حوالي 1500 طالب²، علما أنهم كانوا مرتكزين في الفروع القريبة من الحدود التونسية. كان للطلبة الجزائريون، الذين زولوا دراستهم بتونس دورا هاما من

1 العياشي مختار، المرجع السابق، ص ص 110 - 115.

2 الجابري محمد الصالح، المرجع السابق، ص 149.

خلال النشاطات الطلابية، وتأسيس الجمعيات إلى جانب المشاركة في الأندية الأدبية التونسية. وكان الهدف من هذه الأنشطة هو محاولة إقامة نوع من التقارب بين الطلبة من حيث وجهات النظر، إلى جانب تحسين أوضاعهم المادية والمعنوية، وقد كانت هناك عدة عوامل فرضت أهمية تجمع الطلبة الجزائريين بتونس في شكل جمعيات ثقافية أو سياسية أو غيرها. ولعل أهمها: - تزايد عدد الطلبة الجزائريين بتونس في عقد الثلاثينيات، الأمر الذي تطلب اتحادهم لتكثيف الجهود ومواجهة الصعوبات.

- تشكيل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتكثيف جهودها نحو الإصلاح والتعليم.

- ظهور جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا وعقدتها لعدة مؤتمرات (1931-1932-1933) طرحت فيها عدة قضايا مثل مشاكل طلبة شمال إفريقيا في ظل الاستعمار الفرنسي. وكان دور هذه الجمعية يتمثل في إقامة وتوطيد علاقات المودة والتضامن بين طلبة المغرب العربي سواء منهم التابعين للكليات الفرنسية أو لجامع الزيتونة أو جامع القرويين¹.

في ظل هذه الظروف بدأت تتبادر إلى أذهان الطلبة الجزائريين فكرة تأسيس جمعية تهتم بأوضاعهم الخاصة، لتأتي مبادرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم الطلبة المنتسبين لها في جمعيات خاصة تكون تحت رعايتها بواسطة ممثليها². وكانت زيارة الشيخ البشير الإبراهيمي إلى تونس في

1 العياشي مختار، المرجع السابق ص ص 91-100.

2 أبو الصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، 1931-1945، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة سنة 1978، الطبعة الأولى، 1981، ص 348.

بداية الثلاثينيات الدافع المباشر لذلك، حيث شارك في الاجتماع الذي أقيم بأحد جوامع تونس العاصمة، وألقى كلمة ركز فيها على الوضعية المزرية التي يعيشها الطلبة والعمال الجزائريون بتونس مشيراً إلى أهمية تكتلهم وتوحيد صفوفهم، في سبيل التعريف بقضيتهم ومعاناة شعبهم. وفعلاً، فمنذ 1934 قام الشيخ البشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتأسيس الهيئة الإدارية لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس وذلك بعد عقد الطلبة الجزائريين بتونس اجتماعاً تم فيه انتخاب هيئة للجمعية¹. كان مقرها بنادي الشبيبة المدرسية التابع لجمعية قدامى المدرسة الصادقية²، وقد عين على رأس الجمعية الشيخ المهدي البجائي، في حين أسندت رئاستها الشرفية للشيخ مختار بن محمد أحد كبار علماء الزيتونة والمعروف بصلاته الوطيدة بالطلبة الجزائريين والحركة الإصلاحية الجزائرية. وبعد أشهر قلائل عين الشيخ عبد المجيد حيرش خلفاً للشيخ البجائي لباقي أشهر³ سنة 1934. وقد حاول هذا الأخير التعريف بالجمعية وأهدافها.

في سنة 1935 تم انتخاب الشاذلي مكي⁴ رئيساً للجمعية من خلال المؤتمر الموسع الذي أقيمت فيه انتخابات عامة شارك فيها الطلبة الجزائريون. وتعتبر مدة رئاسة الشاذلي مكي التي دامت أربع سنوات أطول وأهم مرحلة في هذه الجمعية بفضل تكثيف نشاطاتها من لقاءات ومناقشات كانت تهدف إلى

1 أبو الصفصاف عبد الكريم، المرجع السابق، ص 102.

2 العياشي مختار، المرجع السابق، ص 137.

3 أبو الصفصاف عبد الكريم، المرجع السابق، ص 348 - 349.

4 في يوم 1937/11/20 نظم العمال التونسيون إضراباً بدفع من الحزب الدستوري متضامناً مع الجزائريين والأفارقة الشماليين كلهم. ووجه ابن باديس رسالة شكر إلى زعماء الحزب الدستوري على هذه المبادرة، والأهداف القومية الموحدة. أنظر أبو الصفصاف، المرجع السابق، ص 351.

التعريف بالقضية الجزائرية بين الأوساط الطلابية الأخرى. كما ركز الشاذلي مكي خلال هذه المرحلة التي تواجد فيها بتونس، على تكوين الطلبة من الناحيتين الأدبية والخطابية. وسرعان ما بدأ بالاهتمام بالجانب السياسي في تكوين الطلبة. هذا وقد كان للزيارات الثلاث التي قام الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى هذه الجمعية فيما بين 1936-1937 أثر كبير في زيادة حماس الطلبة¹ من خلال إلقاءه المحاضرات كما هو الحال بالنسبة للمحاضرة التي ألقاها بقصر الجمعيات الفرنسية بتونس والتي كان لها تأثير كبير على الطلبة². ومن جهة أخرى، فقد كانت جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين متعاطفة مع الحزب الدستوري الحر³ بشقيه القديم والجديد، وتساهم مساهمة نشيطة في الحياة السياسية والاجتماعية بتونس، إلى جانب إعانة الطلبة الجزائريين وتأطيرهم⁴ ولو بالشيء القليل. ذلك أن هذه الجمعية ظلت تعمل في الإطار الثقافي والتربوي طوال مرحلتها الأولى (1934-1939)، غير أنها لم تستطع تقديم دعم فعال في المجال المالي رغم وجود "الجمعية الودادية" التي تألفت من الجزائريين المقيمين بتونس لمساعدة الطالب الجزائري وإعانتته. ويعود ذلك

1 شهادة الدكتور يحيى بوعزيز بمنزله، بتاريخ 06/12/2001

2 العياشي مختار، المرجع السابق، ص 137.

3 أبو الصفصاف، المرجع السابق، ص 350.

4 الجابري محمد الصالح، المرجع السابق، ص ص 108-109.

إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية التي أدت إلى توقف الجمعيتين عن النشاط كما هو الحال بالنسبة للجمعيات الأخرى¹.

أما نشاطات هذه الجمعية، فلا بد من الإشارة إلى أولى إصدارات الجمعية وهي "الثمرة الأولى" التي صدرت بتونس سنة 1937 عن "مطبعة الشباب شارع الجزائري باب منارة رقم 12". وكان هدف هذا الإصدار التعريف بنواة الفكر الجزائري الشاب. وقد تضمنت الثمرة الأولى مجموعة من المداخلات لكبار أعلام الإصلاح والأدب في الجزائر وتونس، إلى جانب المقالات الأدبية والفكرية التي يتم إلقاؤها في الأمسيات الشعرية والأدبية².

وقد استغل الطلبة الجزائريون بتونس مناسبة تكوين الجمعية في مطلع 1933-1934 لإقامة مجموعة من الاحتفالات، حيث ألقى محمد الحفناوي بن الأخضر السوقي قصيدة شعرية نشرت بجريدة "الصراط" الجزائرية في العدد 1 يناير 1934 بعنوان "احتفال الطلبة الزيتونيين الجزائريين"³. كما استغلت مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لإقامة احتفالات أخرى. وقد اعتذر كل من مفدي زكريا ومبارك الملي عن حضور هذه المناسبة، وبعثا رسالتي اعتذار. في حين شارك أعضاء الهيئة الإدارية للجمعية بعدة كتابات، منهم العربي الصائفي، أحمد بن البشير اليحياوي، الأخضر السائحي، أحمد حماني الملي، عثمان الصائفي، مصطفى الجيجلي، محمد الشبوكي، العربي التبسي وغيرهم⁴. ومن خلال كل هذا نستنتج أن جمعية الطلبة الجزائريين بتونس

1 المرجع نفسه، ص 110، الهامش رقم 1.

2 الجابري محمد الصالح، المرجع السابق، ص 117، الهامش رقم 3.

3 المرجع نفسه، ص 122.

4 نجار عمار، مصالي الحاج، الزعيم المفترى عليه، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص 215.

استطاعت، بقيادة الشاذلي مكي وكاتبها العام أحمد بن أبي زيد الأغواطي، أن تقوم بدور فعال من حيث التعريف بالجمعية وإظهار قوتها وربط صلاتها بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

غير أن اندلاع الحرب العالمية الثانية وهجرة الشاذلي مكي إلى القاهرة، جعل نشاطها يتناقص ليستأنف من جديد بعد نهاية هذه الحرب. ورغم قلتها بالمقارنة مع المرحلة السابقة، إلا أن هذه المرحلة ستعرف فترة من الخصوبة حيث ستعود الجمعية إلى الظهور ابتداءً من 1946¹، وعقد اجتماع حضره الطلبة الجزائريون لإحياء الجمعية، فانتخبوا الهيئة الإدارية تحت إشراف مشيخة الجامع الأعظم ضمت عدة شخصيات أمثال².

وفي نوفمبر 1947، تم تجديد هيئة الجمعية، وكان كل أعضائها ينتمون إلى حزب الشعب³. ولابد أن يكون زور إبراهيم القاسم المهاجي قد انضم إلى هذه الجمعية في هذه المرحلة⁴، لاسيما وأن صديقه ورفيقه نايت بلقاسم كان عضوا فيها.

وقد عين محمد مرارقة رئيسا لها، وعمار نجار⁵ كاتبها عاما. وهنا دخلت الجمعية في طورها الثاني بفضل عودة نشاطاتها، وتزايد عدد الطلبة الجزائريين بالزيتونة. ورغم الظروف الصعبة التي سبق ذكرها، فقد توسعت خصوصا في المجال الثقافي، فقد تم إحداث ثلاث لجان رئيسية لهذا الغرض ومنها اللجنة

1 الجابري محمد الصالح، المرجع السابق، ص ص 123-124.

2 نجار عمار، المرجع السابق، ص 215.

3 أبو الصفصاف، المرجع السابق، ص 351.

4 شهادة الدكتور يحيى بوعزيز بمنزله، بتاريخ 06/12/2001

5 الجابري محمد الصالح، المرجع السابق، ص ص 125-132.

الأدبية، ولجنة الخطابة، ولجنة مراقبة أخلاق الطلبة: اللجنة الأولى: أدبية، تشرف على تنمية قدرات الطلبة، وتدريبهم على تحرير الموضوعات وكتابة المقالات الأدبية ثم تصحيحها. اللجنة الثانية: (لجنة الخطابة)، يتم فيها تنظيم اجتماعات كل ليلة جمعة يلقي فيها الطلبة كلمات ارتجالية لتمرينهم على الحديث باللغة الفصحى. اللجنة الثالثة: مكلفة بمراقبة الطلبة من حيث حركاتهم وأفكارهم. وتهدف إلى توجيههم التوجه السليم (الأخلاق الحميدة والآداب العلمية)¹.

وفي هذه المرحلة، تم إصدار "الثمرة الثانية" التي تضمنت قصائد شعرية، مقالات أدبية وسياسية لبعض الجزائريين والتونسيين. كما تميزت هذه المرحلة أيضا بإقامة مكتبة للطالب الجزائري بمركز الجمعية، ودعوة الحاج مصالي للمشاركة بمقدمة للثمرة الثانية، كان موضوعها "دور الشبيبة المثقفة في تكوين الحركة الوطنية بمغربنا".

ودعا الشباب المثقف إلى الاستعداد لقيادة الجماهير والانتصار على الاستعمار². هذا وقد تكفلت هذه الهيئة الإدارية باحتياجات الطلبة المعوزين، حيث عملت على مساعدتهم، إلى جانب حصولهم على الدعم من الجمعيات الخيرية الأخرى. كما كان لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين دور في نشر مبادئ حزب الشعب بين أوساط الطلبة، وذلك بسبب وجود قلة من الطلبة

1 النجار عمار، المرجع السابق، ص 216.

2 بن العقون عبد الرحمن، الكفاح القومي والسياسي، ج 3، ص 358.

الجزائريين بتونس - بالمقارنة مع بقية الطلبة- والذين كانوا ينتمون إلى هيئات وأحزاب أخرى.

نجد من خلال هذا أن الجمعية أصبحت معروفة في الشرق والغرب خلال الثلاثينيات، وزادت شهرتها بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد هجرة البشير الإبراهيمي إلى المشرق العربي سنة 1951 بهدف الحصول على المساعدة من الحكومات العربية، والحصول على الموافقة لقبول البعثات العلمية التي توفدها الجمعية من طلابها¹. غير أنه وفيما بين سنتي 1948 - 1955، تضاءلت نشاطات الجمعية، حيث ظهر الخلاف بين أعضائها، من الموالين "للخط" الباديسي، والمتشبعين بأراء حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ليتم الانفصال بين كتلة البعثة المؤيدة لمسار جمعية العلماء وبين الطلبة المناصرين لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية².

هذا ما أدى إلى تردي أوضاع الجمعية وتضاؤل نشاطاتها وغيابها عن الساحة لتصحو من جديد سنة 1951 بإقامة حفل بمناسبة تخرج مجموعة من الطلبة الذين تحصلوا على شهادتي الأهلية والتحصيل بتاريخ 31 أكتوبر 1951. كما عرفت نشاطا هاما سنة 1953 أين عقد اجتماع يوم 18 ديسمبر 1953 لتجديد مكتبها الإداري، والنظر في أحوال الطلبة الجزائريين. وواصلت الجمعية نشاطاتها فيما بين 1953-1955، غير أن الانقسام الداخلي شكل نقطة ضعف لها، رغم محاولة أعضائها النهوض بها وتلافي الشقاق. لتبقى أحوالها كذلك حتى سنة 1957 عندما قامت جبهة التحرير الوطني بتجميد

1 الجابري محمد الصالح، النشاط العلمي والفكري، ص ص 134-139

2 شهادة زور محمد بمنزله بتاريخ 2001/07/11.

نشاطاتها ونشاطات كل الجمعيات والفروع الطلابية¹. وهكذا فقد عملت هذه الجمعية طوال فترة وجودها على التعريف بالقضية الجزائرية وأوضاع الشعب الجزائري، إلى جانب نشاطها الثقافي والعلمي الذي استقطب معظم الطلبة الجزائريين بتونس.

2- نشاط زدور إبراهيم القاسم المهاجي في تونس

بعد هذه اللوحة التي تم تقديمها حول أوضاع الطلبة الجزائريين بتونس، وتأسيس جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، يمكننا تصور الأوضاع والظروف التي عاشها زدور إبراهيم القاسم المهاجي في تونس بجامع الزيتونة. فعلى إثر إطلاق سراحه في يناير 1946، فضل الهجرة إلى تونس دأبه في ذلك دأب والده الشيخ الطيب المهاجي، وكان ذلك بتشجيع من هذا الأخير بعدما وجد أنظار المستعمر موجهة ضد ابنه². وفي هذا الصدد يذكر الطيب المهاجي رحمته الله في كتابه أنفس الذخائر: "... ثم سافر إلى حاضرة تونس، فتلقى بالكلية الزيتونية من أساتذة جلة ما وافق مشربه واصطفاه لنفسه من العلوم الراقية..."³ وبوصول زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى تونس كان عليه اجتياز امتحان يفرضه التعليم التونسي على غرار الجامع الأزهر بمصر، والقرويين بفاس، والأمويين بدمشق. وبالفعل فقد نجح هذا الأخير والتحق

1 المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق في الماضي والحاضر، الشركة الوطنية للطبع والأوراق، وهران، ص 105.

2 شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2001/07/11.

3 الزيدي علي، تاريخ النظام التربوي، ص 46.

بالجامعة مباشرة في السنة الثالثة بفضل قدراته العلمية واتساع معارفه ليختصر على نفسه بذلك سنتين من الدراسة.

وببداية الدراسة، عانى زدور إبراهيم القاسم المهاجي شأنه شأن بقية الطلبة بجامع الزيتونة من صعوبة العيش بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. فكانت مساكنهم كما ذكرنا سيئة الحال من رطوبة وحشرات وقلة ماء وغذاء، ورغم حصوله من حين لآخر على المال من والده إلا أنه لم يكن كافيا لسد حاجياته اليومية¹.

أما عن التعليم بجامع الزيتونة بهذه المرحلة، وكما سبق ذكره، فقد أضاف قانون الإصلاح الذي صدر سنة 1933 إلى برنامج التعليم الزيتوني جملة من العلوم الرياضية والعصرية باعتبارها مواد إجبارية، وتواصل تعليم هذه المواد إلى غاية سنة 1939 وحتى بعدها خلال الأربعينيات، إذ كان يشترط حصول التلاميذ على شهادة التحصيل، نجاحهم في هذه المواد العصرية².

وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي قد واصل نشاطه في إطار حزب الشعب الجزائري الذي أصبح باسم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية. وهنا نورد شهادة مولود قاسم نايت بلقاسم التي وردت في مقال نشرته جريدة المساء بتاريخ 13 ديسمبر 1990 حيث ذكر أنه أمضى مع زدور إبراهيم القاسم المهاجي في تونس ثلاث سنوات من 1946

1 نايت بلقاسم مولود قاسم "الشهيد بلقاسم زدور إبراهيم (قاسم زيدون) لم يكن شيوعيا"، في جريدة المساء بتاريخ 1990/12/03. الملحق رقم 09، ص 155.

2 الخطيب أحمد، حزب الشعب الجزائري، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 142.

إلى 1949، تقاسما معا ظروف السكن والنضال والدراسة. ويواصل المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم قائلا إنه كان رفقة القاسم وإخوان آخرون أعزاء، هم المرحومون قاسم رزيق (من المخادمة-طولقة) ومحمد عيساوي (من وادي الزناتي) ومبارك ماضي المعروف آنذاك باسم التركي شباطة وكان أصله من بريكة ومولود بالمحمدية بيلكور، في المكتب التنفيذي لاتحادية الطلبة المناضلين في حزب الشعب الجزائري بتونس¹. ذلك أنه في النظام الأساسي الذي أقرته الجمعية العامة لنجم شمال إفريقيا الشمالية المنعقدة في 20 جوان 1926، وتبين المادة "13" من هذا النظام أن الأعضاء المنتسبين للجمعية يجتمعون في قسامات "Sections" محلية في كافة المدن سواء في فرنسا أو في الجزائر أو في تونس²، باعتبار قسمة في كل مدينة. أما في المدن الكبرى مثل باريس وليون ومرسيليا والجزائر وتونس فيكون هناك قسمة في كل دائرة، أو ضاحية. وعندما يتم تنظيم القسامات تبدأ عملية توزيع المهام، فتختار كل قسمة هيئة مكتب يتألف من ثلاثة أعضاء على الأقل وخمسة أعضاء على الأكثر، يطلق على هذه الهيئة اسم "اللجنة التنفيذية المحلية"³. وتتكون من كاتب وكاتب مساعد وأمين صندوق وعضوين على الأكثر، ويعاد انتخاب هيئة

1 المرجع نفسه، ص 142.

2 مهري عبد الحميد: ولد 1926/04/03 بالخروب (قسنطينة) من عائلة فقيرة، درس الأدب العربي، التحق بحزب الشعب، ونشط في إطاره وهو بتونس. وبعد الاستقلال تقلد عدة مناصب عليا.

3 شهادة الدكتور يحيى بوعزيز بمنزله، بتاريخ 12 / 06 / 2001

المكتب مرة كل عام أو عندما تدعو الضرورة (المادة 14 من النظام الأساسي)¹.

وكان على رأس هذا المكتب بتونس عبد الحميد مهري الذي رغم فقر عائلته فقد تمكن من الالتحاق بجامع الزيتونة لدراسة الأدب العربي، وهناك كثف من نشاطاته في إطار حزب الشعب وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية. ونظم بتونس الهجرة الجزائرية، وأقام عدة علاقات مع أعضاء حزب الدستور الجديد التونسي². كما كانت تربطه علاقة وطيدة بزور إبراهيم القاسم المهاجي الذي كان في الكثير من الأحيان يستقبله في بيته للغذاء أو العشاء³. كما كان عبد الحميد مهري مسؤولاً عن مجموع اتحادية الجزائريين لحزب الشعب الجزائري في تونس من طلبة وتجار أمثال المرحوم مصطفى القاسمي من سطيف، ومحمد دحماني من خنقة سيدي ناجي، ومزارعين ملاك أمثال مسعود المقراني وعبد الرحمن مضوي⁴. وكانت هذه الاتحادية تضم أعضاء حزب الشعب من عمال جزائريين وطلبة منخرطين في الحزب ويزاولون دراستهم في تونس.

ويواصل مولود قاسم نايت بلقاسم حديثه في مقاله حول نشاطهم بتونس، إذ يقول إنه طيلة تلك السنين كان يأتينا من قيادة الحزب في الجزائر العاصمة

1 شهادة زور محمد بمنزله بتاريخ 2001/07/11

2 نايت بلقاسم مولود قاسم، المصدر السابق، في المساء 1990/12/03.

3 بوعزيز يحيى، **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، الجزء 1، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص 268. ذكر نفس المقال في الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم 27-28-29 مارس 2005، الجزء 1، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 2006، ص 94-95.

4 المرجع نفسه، ص 268.

إخوة مسؤولون في القمة أمثال أحمد بودة، محمد خيضر والأمين بلهادي، ويركز صاحب المقال أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي كان من الأعضاء القياديين لاتحادية الطلبة لحزب الشعب الجزائري في تونس. وقد أرفق بالمقال ثلاث صور التقطت لهم بتونس. الأولى في بلفيدار حيث يظهر زدور إبراهيم القاسم المهاجي في أقصى اليسار بالطربوش، وإلى جانبه الشهيد قاسم رزيق وصاحب المقال نايت بلقاسم وهو يحمل جريدة المغرب العربي التي كان محمد العربي دماغ العتروس رئيس تحريرها في تلك الفترة. ويظهر في الصورة أيضا محمد عثمان عيساوي ومحمد بن الأكل¹

هكذا ومن خلال هذا المقال نرى أن زدور إبراهيم القاسم المهاجي قد واصل نشاطه بتونس في إطار هذه الاتحادية، خاصة وأنه كان يتمتع بعلاقات حسنة مع أعضائها، وكانت له سمعة طيبة بتونس حسبما كتبه الدكتور يحيى بوعزيز، حيث ذكر أنه بالتحاقه بالزيتونة بتونس خلال خريف 1949 - وهي السنة التي غادر فيها زدور إبراهيم القاسم المهاجي تونس متوجها إلى القاهرة - وجد سمعة وحديثا بذكر عن قواسم ثلاث، قاسم رزيق، قاسم زيدون - وهو الاسم الذي عرف به زدور إبراهيم القاسم المهاجي في تونس وحتى القاهرة - ومولود قاسم نايت بلقاسم، وكلهم أعضاء مناضلون في إطار حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الواجبة القانونية لحزب الشعب الجزائري المحل، وهم كلهم طلبة في جامع الزيتونة العامر. ويواصل قائلاً: "أما قاسم رزيق فقد تولى رئاسة جمعية الطلبة الجزائريين التي تنتمي سياسيا إلى حزب الشعب الجزائري. وباندلاع الثورة عاد إلى الجزائر² أين استشهد. وأما قاسم زيدون،

1 نايت بلقاسم مولود قاسم، المصدر السابق.

2 شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2002/05/10.

فاسمه الحقيقي قاسم زدور إبراهيم ابن الشيخ المصلح والمربي الطيب المهاجي...".¹ كما ذكر لنا الحاج محمد شقيق زدور إبراهيم القاسم المهاجي أنه كانت تربط هذا الأخير علاقة وطيدة بعبد الحميد مهري الذي كثف نشاطاته بتونس في إطار حزب الشعب الجزائري وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، والذي عاد إلى الجزائر سنة 1951 لينضم إلى اللجنة الإسلامية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وليقوم بتسيير صحافتها العربية. وبعد مؤتمر أبريل 1953 أصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب²، حيث ذكر الحاج زدور محمد أن عبد الحميد مهري الذي كان يأتي إلى وهران لجمع الاشتراكات من التجار والأصدقاء، كان في الكثير من الأحيان يحضر إلى منزل عائلة زدور إبراهيم القاسم المهاجي للغذاء والراحة³. ولعل أهم نشاط قام به زدور إبراهيم القاسم المهاجي في تونس، هو إصداره لمنشور سري عرف باسم الدليل سنة 1947 أثناء مزاولته للدراسة بجامعة⁴.

غير أن المعلومات حول هذا المنشور شبه منعدمة. هذا إلى جانب نشاطه في إطار جمعية الطلبة الجزائريين بتونس، خصوصا وأن أهم رفاقه بتونس كانوا أعضاء نشيطين بها، كما هو الحال بالنسبة لعبد الحميد مهري. وبعد مضي السنوات الثلاث بتونس، حصل زدور إبراهيم القاسم المهاجي على شهادة التحصيل التي تعادل البكالوريا بالتعليم المعاصر، والتي ستؤهله لمزاولة

1 Echo (L') d'Alger, 19 Février 1955.

2 بن العقون عبد الرحمن إبراهيم، المرجع السابق، ج 3، ص 359.

3 الجابري محمد الصالح، المرجع السابق، ص 132.

4 شهادة الدكتور يحيى بوعزيز بمنزله بتاريخ 2001/08/25.

نشاطه بالقاهرة منذ ربيع 1949 لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل نشاطه وحياته التعليمية والنضالية.

ثانيا- رحلة زدور إبراهيم القاسم المهاجي العلمية إلى القاهرة (1949-1954) ونشاطه بها

بعد حصوله على شهادة الأهلية في جوان 1949 بتونس، توجه في سبتمبر من السنة نفسها إلى القاهرة ليلتحق بها، لما كان لها من صدى من حيث مستوى التعليم العالي¹. ولعل أهم الأسباب التي جعلت "الشيخ الطيب المهاجي" يوجه ولده إلى السفر نحو المشرق قصد الدراسة هو سعيه لرفع مستواه التعليمي وحمايته مما قد يلحق به من أذى نتيجة نشاطه السياسي في إطار حزب الشعب الجزائري، خاصة وأنه قد وصلت إلى والده معلومات من بعض أتباعه مفادها أن السلطات الفرنسية بدأت تتتبه إلى نشاط ابنه زدور إبراهيم القاسم المهاجي، والتي كان سببها ملاحظات أساتذته التي كانت تنعته بالفطنة والذكاء وحدة الرأي. ومن ثم كانت أجهزة الأمن السري تستغل هذه المعلومات في تتبع خطوات العناصر الجزائرية اللامعة التي يمكن أن تكون خطرا على الوجود الفرنسي بالجزائر.

إضافة إلى ما كان يقوم به زدور إبراهيم القاسم المهاجي من تجمعات سرية كانت تهدف إلى نشر وترسيخ أفكار الحرية والروح الوطنية والقومية التي كان متشعبا بها. أما بالنسبة إلى هذا الأخير، فقد أصبحت القاهرة مرحلة لا بد منها في مساره التعليمي ونشاطه السياسي، خاصة أن عددا من رفاقه في

الدراسة والنضال في تونس كانوا قد توجهوا إلى القاهرة للنشاط في إطار مكتب المغرب العربي.

وبهذا كان سفر زدور إبراهيم القاسم المهاجي إلى مصر للدراسة خطوة حتمية نتيجة لارتباطه العميق بالمشرق العربي وانتسابه للأمة العربية. وقد حققت له هذه الرحلة آمالا كبيرة بفضل اتصاله واحتكاكه بأهل العلم والثقافة والسياسة، وللتعريف بالقضية الجزائرية ومعاناة الجزائريين.

التحق زدور إبراهيم القاسم المهاجي في سبتمبر 1949 بجامعة "فؤاد الأول" التي أصبحت بعد ثورة جويلية 1952 تحمل اسم "جامعة القاهرة"، حيث سجل بكلية دار العلوم للحصول على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها. ولقد كانت حياة الطلبة أثناء الدراسة صعبة جدا بسبب قلة المال. وقد ذكر لنا الدكتور يحيى بوعزيز بعض المعلومات عن أحوال الطلبة الجزائريين بالقاهرة أثناء فترة دراسته بها وقبيل ذلك بقليل. علما أن زدور إبراهيم القاسم ويحيى بوعزيز لم يدرسا في الفترة نفسها، حيث التحق هذا الأخير بالجامعة بعد زدور إبراهيم القاسم المهاجي. وذكر لنا أن أغلب الطلبة الجزائريين في القاهرة فيما بين 1949-1956 كانوا يسكنون في رواق الأزهر بما يسمى "رواق المغاربة"¹، وهو مجمع سكني خصص للطلبة الذين جاءوا إلى مصر للدراسة. ويذكر أن الطلبة كانوا يحصلون من مؤسسة بمصر كان اسمها "نادي الطلبة الشرقيين" على بعض الإعانات، وكان هذا النادي تحت إشراف مصري. كما أن وزارة التربية والتعليم كانت تصرف عن طريق النادي 2.5 جنيه شهريا لكل طالب

وذلك بمشاركة الجامعة العربية. ويذكر أيضا أن جبهة التحرير الوطني كانت تقدم منحة إلى الطلاب الجزائريين قيمتها 2.5 جنية¹.

وقد أبدى "أحمد توفيق المدني" في مذكراته الملاحظة نفسها حول أوضاع الطلبة الجزائريين بالقاهرة، رغم أن المرحلة التي تطرق لها خارج إطار هذا العمل، غير أن وصفه لأوضاع الطلبة لم يكن يختلف عن وصف الدكتور يحيى بوعزيز، إذ ذكر أن الطلبة الجزائريين المستقرين بالقاهرة كانوا في حالة ضيق شديد، يتقاسمون البأساء والضراء في قوتهم اليومي وملابسهم ومأواهم². ويواصل قائلا إنهم كانوا يتقاضون من الحكومة المصرية خمس جنيهاً كل شهر، ويحصلون من مكتب جمعية العلماء، التي كان أميناً عاماً لها في هذه الفترة، على جنيهين ونصف لكل طالب (2.5 جنية)³.

وذكر أنه تدخل لتحسين أوضاع الطلبة هناك، إذ تمكن، بعد نقاش طويل مع "محمد خيضر" الذي كان قد التحق بالقاهرة يوم 5 جوان 1951 وأصبح ممثلاً لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالقاهرة⁴، من الاتفاق على أن يحصل الطالب الجزائري على 15 جنيهاً شهرياً، حيث يدفع ممثلي جبهة التحرير الوطني عشرة جنيهاً لكل طالب، وتدفع جمعية العلماء الخمسة الباقية، والشيء نفسه بالنسبة لباقي الطلبة إذ حصلوا من الرئيس المصري جمال عبد الناصر على مبلغ مالي قدره 350 جنيهاً ليتم توزيعها على الطلبة⁵.

1 المدني أحمد توفيق، المرجع السابق، ج 3، ص ص 177-178.

2 شهادة الدكتور يحيى بوعزيز بمنزله، بتاريخ 19/06/2001.

3 قصيدة لزور إبراهيم القاسم المهاجي، من أرشيف العائلة، بتاريخ 25/09/1949.

4 لقاء مع الحاج زور محمد بتاريخ 10/05/2001 بمنزله.

5 شهادة الدكتور يحيى بوعزيز بمنزله، بتاريخ 14/07/2001.

أما بالنسبة للكتب المدرسية ونتيجة لعجز الطلبة عن شرائها بسبب سوء أحوالهم المادية، فقد تمكن أيضا من الحصول على مساعدة مالية لهم وزعت على الطلبة مقابل وصول خاصة بكل طالب، هذا إلى جانب إعفاء الطلبة من رسوم الامتحانات بقرار من جمال عبد الناصر¹.

وكانت ظروف الطلبة الجزائريين بمصر صعبة جدا، فقد ذكر زور إبراهيم القاسم المهاجي أنه عانى الجوع والحاجة في السنة الأولى له فيها، حيث ذكر لنا الحاج محمد زور أن القاسم قد أخبره وهو يدرس بالقاهرة أن الغرفة التي يعيش بها هو ورفاقه تعج بالحشرات وخاصة البق. فاقترح عليه شقيقه محمد أن يشتري الدواء الخاص لمقاومتها والقضاء عليها، فأجابه القاسم متهكما "بأنه لا يجد المال ليطعم نفسه، فكيف له أن يطعم البق؟"².

كان من أهم رفاق زور إبراهيم القاسم المهاجي بالقاهرة رفيقه في الدراسة بتونس مولود قاسم نايت بلقاسم، الذي ذكر بأنه التحق بالقاهرة على إثر الأخوين التركي وزيدون (زور إبراهيم القاسم المهاجي)، وأنهم اتصلوا بالمرحوم الشاذلي مكي ممثل حزب الشعب الجزائري في القاهرة في فبراير 1950. وذكر أيضا أنه التحق بكلية الآداب بينما التحق زور إبراهيم القاسم المهاجي بكلية دار العلوم من الجامعة نفسها (فؤاد الأول).

ويواصل الحديث عن الفترة التي درس فيها رفقة زور إبراهيم القاسم المهاجي حيث يقول: "وسكنا معا كلنا الثلاثة (زور إبراهيم القاسم المهاجي،

1 نايت بلقاسم مولود قاسم، الشهيد بلقاسم زور إبراهيم، في المساء 1990/12/03.

2 سجل على بطاقة القارئ الخاصة بزور إبراهيم القاسم المهاجي العنوان تحت رقم 40 شارع الجامع الإسماعيلي. بينما ذكر مولود قاسم في مقاله بجريدة المساء أن العنوان كان 30 شارع الجامع الإسماعيلي.

التركي، مولود قاسم)، مع إخوان آخرين، في مدرسة "أم الغلام". ثم انتقلنا - قاسم وإيبي- إلى 40 شارع الجامع الإسماعيلي، وسكنا معا في غرفة واحدة من جديد. وكان معنا أيضا الأخ عبد السلام بن يحيى الأستاذ حاليا للغة الإنجليزية بجامعة عنابة (وهو صهر الأخ صالح بوبندير صوت العرب)¹. هكذا ومن خلال هذه الشهادة، نستنتج أن زور إبراهيم القاسم المهاجي قد سكن في مدرسة أم الغلام بالقاهرة، ثم انتقل إلى 40 شارع الجامع الإسماعيلي، وكان أهم رفاقه مولود قاسم أحد أهم أضواء الفكر والثقافة بالجزائر.

وكان من قوانين الجامعة أنه عندما يتقدم طالب للدراسة بجامعة فؤاد الأول (دار العلوم) يعرض عليه اختيار لغتين للدراسة، ففضل زور إبراهيم القاسم المهاجي اختيار اللغة الإنجليزية لأنه كان يتقنها. كما اختار الفارسية كلغة أجنبية ثانية يدرسها. ونستند هنا إلى الشهادة التي أدلى بها الدكتور عثمان سعدي رئيس "الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية"، والتي تقدم بها في الملتقى الوطني لتكريم مولود قاسم نايت بلقاسم. إذ ذكر أن هذا الأخير كان يتمتع بمنحة دراسية مجزية من الحكومة المصرية، يعود الفضل في حصوله عليها إلى الشاذلي مكي. وقد يكون زور إبراهيم القاسم المهاجي هو الآخر قد تمتع بمنحة مماثلة بحكم حاجته للمال وعدم تمكن أسرته من دعمه، وعلاقته بالشاذلي مكي. ويواصل قائلا إن مولود قاسم كان يقيم بدار الشرقيين التي يقيم بها الطلبة المسلمون من سائر أنحاء العالم الإسلامي، وتديرها وتتفق عليها

1 سعدي عثمان، مولود قاسم نايت بلقاسم عاشق اللغة العربية، الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم أيام 16-17-18 صفر 1426هـ/27-28-29 مارس 2005م، ج 1، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 2006، ص 23.

وزارة التربية المصرية، وبها مطعم ومكتبة ومرافق عامة. هذا علما أن مولود قاسم قد التحق بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) سنة 1950، بينما التحق عثمان سعدي بها سنة 1952. وكان زور إبراهيم القاسم المهاجي قد سبقهما في ذلك أي سنة 1950¹. هذا من شهادة عثمان سعدي، أما الدكتور الصم منور فقد نفى كلية حصول الطلبة الجزائريين الذين كان هو أحدهم سنة 1950 على أية منحة². كما لم يذكر لنا محمد زور شقيق زور إبراهيم القاسم المهاجي أي شيء عن هذه المنحة. دامت دراسة زور إبراهيم القاسم المهاجي بالقاهرة بكلية العلوم "جامعة فؤاد الأول" أربع سنوات، تحصل في نهايتها على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها³. هذا علما أنه كان من المفروض أن يحصل على شهادته في شهر جوان، لكنه ولظروف نشاطه السياسي ومهامه في القاهرة، رسب في الامتحان، واضطر إلى الاستدراك في سبتمبر. وبدلا من أن يبقى في القاهرة للإعداد لهذا الامتحان النهائي، اضطر إلى أن يأتي إلى الجزائر في العطلة الصيفية لأن عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية وجهه في مهمة إلى الجزائر وفرنسا ودفع له مصاريف الرحلة. ورغم عدم تمكني من الحصول على حيثيات هذه المهمة، إلا أن أهميتها تبدو في ظرفها الزمني، والشخصية التي كلفته بها⁴. وفي هذا الصدد نذكر ما كتبه الشيخ الطيب المهاجي في كتابه "أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق

1 أرشيف العائلة، صورة لكشف النقط خاصة بـ "زور إبراهيم القاسم المهاجي" للدور الأول سنة 1950.

2 أرشيف العائلة، شهادة حصول زور إبراهيم القاسم المهاجي على الليسانس.

3 سعدي عثمان، المرجع السابق، ص 23.

4 شهادة زور محمد بمنزله بتاريخ 2002/07/30

لي في الماضي والحاضر"، حيث ذكر: "... وقد ورد منهومان لا يشبعان منهم بالمال ومنهوم بالعلم فخرج يوم القاهرة برخصة حصل عليها من تونس بعد مشقة، والتحق بكلية العلوم من جامعة فؤاد الأول بعد امتحانات اختبرت بها مقدرته فاستغرقت إقامته بهذه الكلية، وما أدراك ما هذه الكلية، أربع سنوات نال فيها شهادة عالية. وقد شارك في علوم الكلية على اختلاف أنواعها، ثم تخصص في آداب اللغة. وكان بعد تمكنه من إتقان القواعد العربية يتقن خمس لغات أجنبية..."¹. وإلى جانب النشاط الدراسي، فقد تابع زور إبراهيم القاسم المهاجي نشاطه السياسي الذي كان قد بدأه في الجزائر في إطار انضمامه إلى "حزب الشعب الجزائري" الذي أصبح رسمياً "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية" ثم واصله بتونس²، ليجد في القاهرة بعد ذلك المجال فسيحاً لإبراز قدراته وتفجير طاقاته.

خاتمة

لقد كان للتجربة السياسية، التي اكتسبها زور إبراهيم القاسم المهاجي بالجزائر بفضل الوعي السياسي الناتج عن الممارسات في إطار الحركة النضالية في ظل حزب الشعب³ بالإضافة إلى الجو العائلي الذي زاد شحنه ضد الاستعمار وأساليبه القمعية، أثر كبير في نشاطه وتوجهه. وبفضل استعداداته الفكرية والأدبية والسياسية، تم اختياره من طرف القيادة الجزائرية بالقاهرة ليكون عنصراً فعالاً في نشاطاته. ولعل أهم دور قام به زور إبراهيم القاسم المهاجي في مصر هو نشاطه في إطار مكتب المغرب العربي ذلك أن

1 أرشيف العائلة، صورة لكشف النقط للدور الثاني من سنة 1951.

2 شهادة الدكتور يحيى بوعزيز بمنزله، بتاريخ 2001/06/12

3 شهادة زور محمد بمنزله بتاريخ 2001/05/10.

التحاقه بالقاهرة كان سابقا لوصول القيادات الأخرى وساعدتهم علاقاتهم ومعارفه في تسهيل تحركاتهم ونشاطاتهم وهو ما أكده آيت أحمد في كتابه مذكرات مناضل¹، ثم بدأ اتصال زدور إبراهيم فيما بعد بكل من محمد خيضر، آيت أحمد وأحمد بن بلة². كما كان لزدور القاسم دور في الترجمة، وكتابة المقالات والمراسلات إلى جانب مهمة التعريف بالقضية الجزائرية وهذا حسب شهادة شقيقه الحاج محمد زدور³.

مثل زدور إبراهيم القاسم الطالب الجزائري بن الطيب المهاجي نموذجا للطلبة الجزائريين الذين ناضلوا في سبيل قضيتهم الوطنية فكان مثالا للشباب المثقف الواعي الذي شكل خطرا بوجهة النظر الاستعمارية بسبب تشبعه بالثورة ورفضه للاحتلال ونتمنى في الأخير أن نكون قد وفقنا ولو بالقليل في إثراء هذا الموضوع وإعطائه حقه ولإزالة المجال مفتوحا للتوسع والتوضيح أكثر.

أما ما يتعلق بالمرحوم الدكتور يحيى بوعزيز، فقد كانت اللقاءات العلمية التي جمعتني معه في إطار الإعداد لهذا العمل جد هامة ومفيدة، وكانت سنوات نشاطه بمعهد التاريخ بجامعة وهران تمثل المرحلة الذهبية من حياته العلمية من خلال مساهمته في تكوين جيل من المؤرخين الذين لازالوا يشهدون على صرامته وأهمية انجازاته العلمية التي تركها بين أيدي الطلبة، **بِسْمِ اللَّهِ** وأسكنه فسيح جناته.

1 Aït Ahmed Hocine, Mémoires d'un combattant, l'esprit d'indépendance 1942-1952, Ed Bouchene, Paris, 1983, p227

2 المهاجي الطيب، أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ص 105.

3 شهادة زدور محمد بمنزله بتاريخ 2002/07/30.

آليات التعسف السياسي الاستعماري ضد المسلمين الجزائريين

قانون 20 سبتمبر 1947 أنموذجا

Mechanisms of colonial political abuse against Algerian Muslims Law of September 20, 1947 as a model

مقدمة / خميسة مدور

جامعة 08 ماي 1945 قالمة

مقدمة

انصرفت الإدارة الاستعمارية الفرنسية مباشرة بعد حسم إشكالية الضم النهائي للأرض الجزائرية بموجب الأمر الملكي الصادر بتاريخ 22 جويلية 1834م إلى غاية 1848م، - حيث أكدت المادة 109 من دستور 04 نوفمبر 1848م على اعتبار الجزائر أرضا فرنسية- إلى توظيف الممتلكات الجديدة لخدمة مصالحها الاستعمارية. غير أنه وفي مقابل قرار الضم لم يستفد السكان الجزائريون (les autochtones)، من امتيازات صفة "المواطن الفرنسي"¹، واكتفت الإدارة الفرنسية بإدراجهم في خانة "الأهلي"²، طبقا لمنظومة قانونية

1- تقتضي أحكام القانون الدولي الذي يتبناه رجال القانون الفرنسي "إن احتلال بلد ما وممارسة السيادة عليه بواسطة اتفاقية يلحقه مباشرة بدولة الاحتلال، فيصبح الإقليم المحتل تابع للبلد المحتل، وهو ما ينطبق على الاحتلال الفرنسي للجزائر" لتفاصيل أكثر ينظر:

Georges Bensadou, *Nationalité française citoyenneté et indigénat en Algérie de 1830 à 1962*, p.67.

2- الأهلي من الكلمة اللاتينية انديجينا (Indigénat) والتي تعني الساكن الأصلي للبلد، ظهرت لأول مرة سنة 1532 م وقد جاء في القاموس الأكاديمي سنة 1765م تعري الأهلي بأنه "الساكن الطبيعي لبلد ما"، لمزيد من التفاصيل حول أصل المصطلح والأهالي الجزائريين تحديدا ينظر:

-Georges-Henri Bousquet, *Réflexions sur le mot indigène*, in bulletin de l'association guillaume Budé, N°3, année 1961, pp.396-402.

متكاملة، اجتهد في ضبطها خيرة رجال القانون الفرنسي في الجزائر وفرنسا، لتشمل جميع ميادين الحياة السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية تحقيقا لحلم الجزائر الفرنسية.

وانطلاقا من كون الإرادة السياسية الفرنسية التي تعتبر في أغلب الأحيان منبع الإرادة القانونية جاء عموم التشريع الفرنسي المرتبط بالعنصر الأهلي الجزائري تشريعا قمعيا سليطا أساسه العقاب وقمع الحريات الفردية والاجتماعية، وإذلال وحرمان الساكنة الأهلية من كل حقوقها بهدف إبقاء السيطرة وضمان استمرارية الظاهرة الاستعمارية -الجزائر الفرنسية-.

ولإثبات هذه الحقيقة، اخترت أحد القوانين الصادرة خلال النصف الأول من القرن العشرين للتدليل على السياسة الممنهجة ضد العنصر الأهلي انطلاقا من الوثيقة الفرنسية ذاتها - وثائق الأرشيف الفرنسي-وهو القانون العضوي للجزائر الصادر بتاريخ 20 سبتمبر 1947م. وبناء على هذا جاءت الدراسة للإجابة على الإشكال الآتي:

كيف حاولت الإدارة الاستعمارية الفرنسية تضيق الحريات السياسية والنيابية من خلال محتوى (مضامين) هذا القانون؟ وهل أكد هذا الإصلاح السياسي مرة أخرى تمسك فرنسا بسياساتها التعسفية والقمعية ضد الأهلي الجزائري المسلم؟

تتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة أهمها:

- ما هي أهم أسباب وظروف صدور هذا القانون؟
- ما هي أهم مضامينه؟
- ما هي المواقف المختلفة لأطراف القضية الجزائرية من هذا القانون؟

- هل يمكن اعتبار هذا التشريع آلية لتجريد الجزائريين من حقوقهم السياسية والنيابية، ومظهر من مظاهر التعسف والقمع والإرهاب الإداري والسياسي؟

أولا/ الوضع العام في الجزائر قبيل صدور القانون

لقد كانت نتائج أحداث ماي - جوان 1945م وما بعدها قاسية على الحركة الوطنية، فالى جانب القمع الوحشي¹ قامت السلطات الفرنسية بحلّ "حركة أحباب البيان والحرية" بتاريخ 14 ماي 1945م، بعد أن زجّ بزعيمها فرحات عباس في السجن ومعه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، كما تعالت أصوات المستوطنين مطالبة بإلغاء جميع الإصلاحات التي شهدتها الجزائر ومن المحتمل صدورها².

وهو ما دفع اللجنة المركزية لحركة أحباب البيان والحرية المحظورة إلى إصدار بيان بتاريخ 18 ماي 1945م، حيا فيه شهداء المجازر الذين راحوا ضحية اتجاهات معدومة الضمير تتملكها عنصرية متطرفة نشرت الرعب والفرع في قلوب السكان المسلمين، ودعت إلى الوحدة الوطنية بين جميع الأطراف الجزائرية في ظل هذا الظرف التاريخي العصيب بالذات³، والدرس القاسي⁴ الذي كشف زيف الوعود الفرنسية، خاصة لما تعالت أصوات تطالب

1- عمليات قتل خارج سلطة القانون، قنبلة المداشر والقرى بسلاح الجو والبوارج الحربية، والأسلحة الثقيلة، مصادرة الأملاك، اعتقال الآلاف، ومحاكمات عسكرية، ظاهرة المخطوفين الذين لم يعودوا أبدا... إلخ.

2- عبد الرحمن بن العقون، من خلال مذكرات معاصر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 340.

3- Claude Colliot, Henry-jean Robert, **Histoire de nationalisme**, 2ième Edition, office des publications universitaires, Alger, 1981, P.204.

4- Anne Marie Duranton-Crabol, **l'OAS, la peur et la violence**, André Versaille, éditeur, 2012, P 14.

بتأجيل كل إصلاح واستعمال القوة لمواجهة الحركة الانفصالية، كما دلّ على ذلك كتابات جريدة إيكو دالجي (Echo d'Alger)¹.

وفي ظلّ تغييب أقطاب الحركة الوطنية في السجون، وجد الحزب الشيوعي الجزائري فرصة للتّموّج على الساحة السياسية الجزائرية، فحمل من سماها بالقوى الفاشية مسؤولية الأحداث، في إشارة منه إلى غلاة الاستعماريين وعناصر حزب الشعب الجزائري، بمعنى أنّه ساوى بين الضحية والجلاد واستثمر ذلك خلال انتخابات عام 1945م².

فقد حقّق الحزب الشيوعي الجزائري خلال انتخابات المجلس التأسيسي الأولى التي نظمت يوم 21 أكتوبر 1945م نجاحا نسبيا، إذ فاز بمقعدين بعد أن حصل على نسبة 19 بالمائة من الأصوات المعبر عنها بالنسبة للهيئة الانتخابية الأولى و24 بالمائة من أصوات الهيئة الانتخابية الثانية، وهو ما مكّنه من الحصول على 04 مقاعد، لكنّ الحزب الشيوعي الجزائري امتنع عن المشاركة في الانتخابات البلدية³ والانتخابات التشريعية⁴.

1- L'Echo d'Alger, 8 juin 1945.

2- شارك الحزب الشيوعي الجزائري في الانتخابات البلدية بتاريخ 27 جويلية، و05 أوت 1945م، وانتخابات المقاطعات في سبتمبر 1945م حيث حصل على 07 مقاعد من أصل 101 مخصصة للهيئة الانتخابية الأولى، و4 مقاعد من أصل 68 بالنسبة للهيئة الثانية، وأمام المقاطعة المستمرة للانتخابات، قامت الحكومة بإصدار أمر 07 أوت 1945م، قضى بمنح حق تمثيل المسلمين بالمجلس التأسيسي بنسبة مساوية للفرنسيين (أي 13 نائبا).

9- جرت في جويلية 1945م وجاءت نتائجها في 27 جويلية و05 أوت 1945م.

4- الانتخابات التشريعية في 21 أكتوبر 1945م. وقد تمت المشاركة في هذه الانتخابات بموجب أمرية بتاريخ 17 أوت 1945م والتي تمنح الهيئة الناخبة المسلمة عدد من الممثلين مساويا لعدد الهيئة الناخبة الأولى (الأوروبية).

1- قانون العفو العام ونتائجه

في يوم 09 مارس 1946م¹، أصدرت السلطات الفرنسية قانون العفو العام، بعد موجة من الاحتجاجات على التنفيذ الاستعراضي لأحكام الإعدام ضد متهمين مسلمين، وبعد مطالب كثيرة بالعفو رفعتها الحركة الوطنية بمختلف توجّهاتها². وتضمّن قانون العفو إجراءات بالعفو الكامل أو تخفيض العقوبة عن المسلمين المتهمين باقتراف جرائم وجنح خلال اضطراب الفاتح والثامن من ماي 1945م، مع استثناء الأشخاص المتهمين باقتراف جرائم اغتيال وقتل، وأعمال وحشية والاعتصاب والخطف والاحتجاز والضرب، والجرح المؤدي إلى الوفاة أو العجز الدائم، والنهب وحرق المساكن، وتهديم المنشآت الفنية والسرقة³، كما استفاد كل موظف تعرض لعقوبات تأديبية من هذا العفو.

وعلى الرّغم من أنّ هذا القانون لم يحل دون استمرار تنفيذ أحكام الإعدام في حق المتهمين المسلمين وأبقى كثير من المسلمين في السجون، ولم يمهد الطريق لكشف حقيقة المختطفين المفقودين، إلاّ أنّه خلّف استياء كبيرا في أوساط المستوطنين، الذين رأوا أنه سيهدّد أمنهم، وهو ما عبّر عنه الكثير من ممثليهم في المجالس المنتخبة، مثل النائب "كولونا" الذي دعا إلى الضرب بيد من حديد وتسليط أشدّ العقوبات على المتهمين المسلمين، وندّد بمشروع قانون

1.-J.O.R.F, loi N°.46-377, du 10 mars 1946, P.2006.

2- جاءت صيحات المطالبة بالعفو، وإطلاق سراح المساجين على لسان الشيوعيين، فحملات صفحات الجرائد بهذه الدعوة مثل جريدة ليبارتي Liberté بتاريخ 1 ماي 1945م التي أوردت تصريح عمار أوزقان زعيم الحزب الشيوعي لجريدة ليமானيتي L'Humanité الذي طالب فيه

بالتحريير الفوري للمساجين والعفو، ينظر: La Liberté, 01Mai.

3 -J.O.R.F, débats parl. 01 Mars 1945, P.540.

العفو¹ وبسياسة التنازلات التي انتهجها الحاكم العام "شاتينو" والتي أدت إلى مصادقة المجلس التأسيسي على القانون بالأغلبية.

2- انتعاش النشاط السياسي الوطني بعد قانون العفو

لقد كان قانون العفو العام فرصة متجددة للتشكيلات السياسية الوطنية للعودة إلى النشاط من جديد، خاصة بعد الإفراج عن الزعماء الوطنيين، واستفادتهم من هذا العفو. وتبعاً لذلك قام السيد فرحات عباس بتأسيس الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، على أساس مبادئ البيان، وقد أجمل فرحات عباس مبادئه في تصريح طويل نشرته جريدة لوكوري دالجيري "le courrier d'Algérie"، بعنوان اتجاه الجرم الاستعماري وغدر الإدارة، وهو نداء موجه إلى الشباب الجزائري الفرنسي والمسلم ومما جاء فيه: "لا اندماج، ولا أسياذ جدد ولا انفصال، إننا شعب فتى يتولى تثقيف نفسه ديمقراطياً واجتماعياً ويحقق تجهيز الجزائر تجهيزاً صناعياً وعلمياً، ويواصل رسالة بعث شخصيته خلقياً وفكرياً... أعني إقامة ديمقراطية جديدة ناشئة تقودها ديمقراطية كبرى هي الديمقراطية الفرنسية... وإذا لم تتغلب الشبيبة الجزائرية على الفروق العنصرية القائمة بينها، وإذا لم تقض بكل جسارة على أولئك الذين مازالوا يستوحون تصرفاتهم من ظلام تصورات دينية، وإذا لم تتخلص بكل سرعة من البهتان والحقد والاحتقار لهذه الأشياء التي عاشها أبائنا، فإنها ستنتهي بنا دون شك إلى انتحار معنوي ستكون عواقبه وخيمة، إننا نعرف كيف تولد الحضارات كما نعرف كيف تموت". وفي ظل غياب حزب الشعب، سارع فرحات عباس إلى محاولة استقطاب الرأي العام الجزائري حين دعا إلى ضرورة إطلاق

1- شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، تر. الصادق المنجي وآخرون، ط.3، الدار

سراح زعيم حزب الشعب مصالي الحاج¹ رغم عدم التوافق السياسي بينهما، كما دعا إلى ضرورة احترام الدين الإسلامي واللغة العربية في الجزائر.

3- عودة حزب الشعب الجزائري من بوابة حركة انتصار الحريات

كانت عودة عناصر حزب الشعب الجزائري إلى النشاط العلني، بعد فترة طويلة من النشاط الثوري² بالإفراج عن زعيمه مصالي الحاج، الذي تأخر الإفراج عنه إلى غاية يوم 11 أوت 1946م، حيث أصبح بطلا وطنيا وزعيما لم تعرف الحركة الوطنية مثله، نظرا لشعبيته وشعبية حزبه، وهو ما تجلّى في الحشود الجماهيرية المسلمة التي خرجت لاستقباله احتفاءً بخروجه من السجن وذلك ما دفع محافظ الشرطة بقسنطينة في تقريره الذي رفعه إلى مصالح الحكومة العامة الى القول³: "إن مصالي بدا وكأنه رجل زمانه، فبعد محمد الصالح بن جلول كان فرحات عباس، وبعد فرحات عباس كان مصالي الحاج

1- تأخر إطلاق سراح مصالي الحاج إلى 11 أوت 1946م، أين وصل أولا إلى فرنسا حيث اتصل بمناضلين ومتعاطفين، ثم أُنقل إلى الجزائر، وأستقر في 13 أكتوبر 1946م ببوزريعة في الجزائر العاصمة.

2- شكّل النشاط الخفي لحزب الشعب قلعا كبيرا للسلطات الفرنسية، التي كانت تراقب نشاط هذا الحزب، بل وترصدّها وهي تعلم أنه يقوم بعمل ما في الخفاء، ينظر: مراسلات هامة بهذا الصدد في:

Archive Aix- en- Provence, **Boite 81F/4, Affaires Indigènes**, notes pour le ministre 14 Février 1948.

وتوجد وثيقة مهمة جدا في نفس العلبة وهي عبارة عن تقرير يرصد نشاطات حزب الشعب من بداياته في سنة 1937م إلى 1945م بعنوان:

Activités du P.P.A depuis son origine (1937) jusqu'en Mai 1945, A.N.O.M, Op-Cit.

3- محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطني الجزائرية، تر. امحمد بن البار، ج2، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 1011.

"ولقد بادر مصالي الحاج إلى تأسيس حزب جديد تحت اسم "الحركة من أجل الانتصار للحريات الديمقراطية"¹ بتاريخ 02 نوفمبر 1946م ليكون منبرا لمخاطبة الجماهير المسلمة وتأطيرها خدمة للقضية الوطنية، ومواجهة النشاطات السياسية ذات الطابع الإصلاحية التي كان يقوم بها الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري، واستغلال ما تتيحه الديمقراطية الفرنسية من مساحات تعبير لمهاجمة النظام الاستعماري والترويج لمبادئ الحزب في أوساط الجماهير المسلمة.

وفي هذا السياق قرر مصالي الحاج المشاركة في الانتخابات البرلمانية الفرنسية بتاريخ 13 أكتوبر 1946م²، لتكون بذلك أول تجربة برلمانية للحزب، في الوقت الذي قرر فيه الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري مقاطعة الانتخابات، لكنّ النتائج كانت دون تطلّعات الحركة من أجل الانتصار للحريات الديمقراطية، وذلك نتيجة تعسف الإدارة الاستعمارية ومضايقاتها للحزب³، كما تم في نفس الفترة تكوين المنظمة الخاصة (1947) كجناح عسكري للحزب الجديد.

هكذا ففي ظل هذه التطورات المتسارعة على الساحة الجزائرية، قررت السلطات الاستعمارية القيام بإصلاحات سياسية في الجزائر جسّدتها فيما عرف

1- يمكن الاطلاع على كل ما تعلق بالحزب خاصة التأسيس، والأعضاء، برنامج الحزب ومطالبه في:

Bibliothèque ANOM/ B233, le problème Algérien: M.T.L.D, 1951, N°1-4.

2- وكذلك وثيقة سرية (Secret) عن تنظيم (PPA, MTLD) بعنوان: Organisation du PPA, MTLD ANOM, Boite, 93/ 4158.

3- يمكن الاطلاع على التفاصيل (الاستفتاء) ونتائجه في: Jacques Michel Bouvet, Op-Cit, P.201.

بالقانون العضوي الخاص بالجزائر (le statut organique de l'Algérie) وهو ما سأطرق إليه فيما يأتي:

ثانيا/ صدور القانون وأهم مضامينه

1-المشروع الحكومي والطرح الجديد:

جرى الحديث خلال سنتي 1946-1947م¹، عن مشاريع إصلاحات جديدة في الجزائر، وهو الأمر الذي تجسّد في عهد حكومة "جورج بيدو"²، وفي فترة المجلس التأسيسي الثاني³، اقترحت في البداية مشاريع قوانين لإنشاء مجلس جزائري فقط، كان أولها من اقتراح عضو المجلس التأسيسي "بول إيميل فيار" من حزب الحركة الجمهورية الشعبية (MRP) وأستاذ الحقوق بجامعة الجزائر، ومدير جريدة لوجورنال دالجي "Journal d'Alger" وهو المشروع الذي جلب انتباه "إدوارد ديبرو" "E.Dépreux" وزير الداخلية في حكومة "جورج بيدو" ثم حكومة "بول راماديه" فيما بعد، حيث تنبّاه وطوّره وقدمه كمشروع حكومي، وقد كلف السيد "ديبرو" لجنة لوضع مشروع تمهيدي (avant-projet)، حيث عين اثنين من مستشاري مجلس الدولة بغرض متابعة أعمال هذه اللجنة وهما السيدان ماسبيسيول (Maspétiol) مستشار

1- شهدت هاتين السنتين مشاريع واقتراحات كثيرة لوضع قانون الجزائر عرضت على مكتب

المجلس الوطني ومجلس الجمهورية، ينظر:

Ivo Rens, L'Assemblée Algérienne, Editions A. Pedone, Paris, P.29.

2- للاطلاع على مزيد من التفاصيل حول هذه الشخصية، ودورها في السياسة الخارجية في

عهد حكومة الجمهورية الرابعة، ينظر:

Maurice Naisse, Georges Bidault, in Persée N°1, Vol.51,

Année 1986, PP. 75- 83.

3- المجلس التأسيسي الثاني أُنْتُخِبَ في 2 جوان 1945م.

الدولة¹، و"جوردن" نائب المدير في مديرية إفريقيا كممثل لوزارة الشؤون الخارجية².

وفي رسالة سرية مؤرخة يوم 13 سبتمبر 1946م، وجهها العقيد سبيلمان -الأمين العام للجنة شمال إفريقيا إلى وزير الداخلية "دييرو" تحدّث عن بعض التعديلات التي أدخلت على المشروع، وذكر أن لجنة مصغرة ترأسها الحاكم العام للجزائر، السيد "شاتينو" ستضع اللّمسات الأخيرة لهذا النص الذي وضعه "جورج بيدو" وبعض أعضاء اللجنة³، وقد تضمّن هذا المشروع الإصلاحات الآتية:

- تأسيس مجلس جزائري يتكون من 90 عضو، يتساوى فيه السكان المحليون والسكان الفرنسيون.

- تعيين وزير مقيم في الجزائر يكون مسؤولاً أمام البرلمان.

- لا يتمتع المجلس الجزائري بأي سلطة سياسية، ولكن له سلطات مالية واسعة خاضعة للقانون الفرنسي.

ولكنّ هذا المشروع لقي معارضة من الأحزاب المشاركة في الحكومة الائتلافية، بما في ذلك الحزب الرئيسي "الحزب الاشتراكي"، فقد كانت ترى أن نخبة وزارة الداخلية تريد السير بالجزائر في طريق دولة مشاركة (Etat Associé)، في إشارة إلى مضمون المادة 60 من دستور أكتوبر 1946م،

1- Archive, Aix- en- Provence, Boite 81F/1146, le vice-président du conseil d'Etat à Monsieur le ministre de l'intérieur le 21.08.1946.

2- Archive Aix- en- Provence, Boite 81F/1146, le président du conseil d'Etat à monsieur Dépreux au sujet d'étude du statut politique de l'Algérie.

3- Ibid, le Colonel Spillmann, secrétaire général du comité de l'Afrique du Nord à Monsieur le ministère de l'intérieur, le 13.09.1946.

التي نصت على أنّ الإتحاد الفرنسي يتكوّن من الجمهورية الفرنسية التي تضم فرنسا الميتروبولية، والمقاطعات وأقاليم ما وراء البحار، وأقاليم ودول الارتباط (Etat Associe)، وعليه فالجزائر حسب الدستور إقليم من أقاليم ما وراء البحار التي تعتبر جزءا لا يتجزأ من الجمهورية الفرنسية، بقوة المادة 85 من الدستور التي نصت على أن: "الوحدة الفرنسية لا تتجزأ"¹.

أما ممثلو حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري فقد تقدموا يوم 02 أوت 1946م بمشروع قانون إلى المجلس التأسيسي الفرنسي الثاني ليكون دستورا لجمهورية جزائرية متّحدة فدراليا مع فرنسا²، وهو المشروع الذي نال دعما من لجنة الداخلية في المجلس الوطني الفرنسي التي ترأسها مورييس رابيهيه (M. Rabier) -نائب عمالة وهران، كما دَعَمه الاشتراكيون، والنواب المسلمون، حيث حاول "رابيهيه" إدخال تحسينات على المشروع بعد تبنيّه، وجعله أكثر ليبرالية ليتوافق مع قانون 05 أكتوبر 1946م خاصة فيما يخص انتخابات المجلس الجزائري³، كما أراد أن يلغي أغلبية الثلثين (2/3) المطلوبة في التصويت على القرارات الخاصة بالميزانية، وهذا كله لتمكين الأغلبية من اتخاذ القرارات.

أمّا الحزب الاشتراكي في الجزائر، فقد تقدم بمشروع قانون بتاريخ 19 سبتمبر 1946م، ووافقت عليه المجموعة البرلمانية للحزب الاشتراكي، ووقعه

1- Archives, Aix- en- Provence, Boite, 81F/1146, Statut de l'Algérie, proposition de loi, 21 Mai 1946.

2 -Archives, Aix- en- Provence, Boite 81F/1146, Assemblée nationale constituante, proposition de loi, Annexe au procès-verbal de la Zemeséance, le 2 aout 1946.

3- حيث أراد توسيع دائرة الأصناف الاجتماعية المسلمة التي يمكنها الالتحاق بالهيئة الانتخابية الأولى بموجب أمر 07 مارس 1944م.

"بول راماديه"¹ (Paul Ramadier) بذاته، كما أودع النائب فرانسوا "كيليسي" (Quilici) مشروعاً آخر في 24 سبتمبر 1946م، من إعداد وزير الداخلية "إدوارد ديبرو" "E.Dépreux" وقد تم إرجاء كل هذه المقترحات للدورة التشريعية لسنة 1947م. في حين قامت أطراف أخرى بوضع مشاريعها لأول مرة كما حدث مع الحزب الشيوعي الجزائري في مارس 1947م. كما قدمت المجموعة الإسلامية (النواب المسلمون) للدفاع عن الفيدرالية من جهتها في 20 ماي 1947م مشروعاً مماثلاً لمشروع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري. وبدورهم قام مستشارو الجمهورية وهم ابن جلول والسايح وسي قادة، وأورابح بتقديم مقترح يقضي بمنح صلاحية وضع دستور إلى المجلس التأسيسي الجزائري يكون منتخبا بالاقتراع العام، أما الحركة من أجل الانتصار للحريات الديمقراطية (MTLD)، لم تقدم أي مقترح، فنوابها الخمسة رفضوا مبدأ أن يضع المجلس الوطني الفرنسي دستورا خاصا للجزائر، بل وهاجموه بشدة.

2- أهم مضامينه

إن أهمية هذا التشريع، تتطلب إلقاء نظرة مركزة على أهم مواده، حيث تشكل من ثمانية (08) أبواب وستين (60) مادة قانونية²، خاصة تلك المتعلقة

1- بول راماديه: محامي، نائب اشتراكي من مقاطعة (Aveyron) ولد بلاروشال (La Rochelle) في 17 مارس 1888م وتوفي في (Rodez) 14 أكتوبر 1961م، شغل مناصب عديدة منها نائب رئيس المجلس، من الذين صوتوا على دستور الجزائر 1947م، لمزيد من التفاصيل حول هذه الشخصية، ينظر:

Encyclopédie, Larousse, en ligne,
www.larousse.fr/encyclopedie/personnage.

2- احتوى هذا القانون 08 أبواب، و 60 مادة، ينظر:

J.O.R.F, 21 septembre 1947, P.9470.

بالوضعية القانونية للجزائريين المسلمين، وهي: **القسم الأول**: النظام السياسي وتنظيم السلطات العمومية. **القسم الثاني**: النظام التشريعي للجزائر.

<p>- تتكون الجزائر من مجموعها مقاطعات¹ تتمتع بالشخصية المدنية، والاستقلال المالي، وينظام خاص تحده مواد القانون الحالي.</p>	<p>المادة رقم 01</p>	<p>القسم الأول: وجاء تحت عنوان: في النظام السياسي وتنظيم السلطات العمومية.</p>
<p>- المساواة الفعلية والمعلنة بين كل المواطنين الفرنسيين. - كل المواطنين من جنسية فرنسية في مقاطعات الجزائر يتمتعون بحقوق المواطن الفرنسي من دون تمييز بسبب الجنس والعرق واللغة، وعليهم نفس الواجبات ويمارسون كل الحريات الديمقراطية الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يمارسها المواطن في الاتحاد الفرنسي والتي ضمنها ما تقدم، واوردها المادة 81 من دستور الجمهورية الفرنسية، جميع الوظائف العامة² تكون مفتوحة أمامهم.</p>	<p>المادة رقم 02</p>	
<p>- كل المواطنين الذين لم يتنازلوا صراحة عن قانونهم الشخصي، يحكمون بهذا القانون ويعادتهم فيما يخص شؤونهم.</p>		

1- لقد وضّح دستور 27 أكتوبر 1946م، الوضعية القانونية والإدارية للمناطق والأقاليم التابعة

للاتحاد الفرنسي (L'union Française) ينظر هذا التفصيل في:

Robert Aron et Autres, Les Origines de la Guerre d'Algérie, textes et documents contemporains, Fayard, Paris, 1962, P.261.

2- لقد حدد هذا القانون هذه الوظائف وهي كما يلي: الوظائف العسكرية (البرية، البحرية والجوية)

في السلطة القضائية، الإدارات المختلفة، المصالح العامة المختلفة (كالتوظيف، منح التقاعد،

المكافآت...) بلا فرق القانون الشخصي، ينظر:

Amendement de M. Rabier, Bourra et Déferré, Assemblée nationale, 25 Aout 1947, débats parlementaires, PP.4685-4686.

وقد أوضح الجنرال أومران (Aumeran) في جلسة 23 أوت 1947م، أن كل ما جاء في المادة

02 لا يمكن أبدا أن يجرد المسلم من قانونه الشخصي.

المادة رقم 03 ¹	وفيما يخص ملكياتهم العقارية التي لم تنشأ وفقا للقوانين الفرنسية ولا القانون العقاري في الجزائر، يسير من طرف موثق أو كاتب عدل.
المادة رقم 04.	- يحق للمرأة المسلمة الانتخاب، وهو قرار اتخذه المجلس الجزائري (وتحدد المواد 14، 15، 16) من هذا القانون ترتيبات ممارسة هذا الحق ² .
المادة رقم 05.	- يمثل الحاكم العام ³ حكومة الجمهورية الفرنسية في كامل الجزائر ويقوم فيها. كما يمارس السلطات التنظيمية إلا ما أنشأه هذا القانون. - يحق له حضور مداورات مجلس الحكومة وحضور مناقشات الجمعية الجزائرية وهو مسؤول أما حكومة الجمهورية.
المادة رقم 06.	- يؤسس مجلس وطني (assemblée nationale) يدير باتفاق ⁴ مع الحاكم العام مصالح الجزائر. - سيتحدد تكوين ومهام وعمل هذا المجلس في الأقسام 2 و3 و4 من هذا القانون.
المادة رقم 07.	- يؤسس إلى جانب الحاكم العام مجلس للولاية مكلف بتنفيذ قرارات المجلس الجزائري وهو مكون من 06 مستشارين حكوميين ⁵ كما يلي: اثنان يعينهم الحاكم

1- تم تعديل في هذه المادة بإضافة كلمة (Métropolitaine) أي التابعة للدولة الأم من

طرف مجلس الجمهورية، وقد تم طلب هذا التعديل في جلسة 30 أوت 1947م.

2- التحرير النهائي لهذه المادة صيغ من قبل مجلس الجمهورية، ينظر:

J. Off. Déb. Parl. Séance de 30 Aout 1947, P. 1987.

3 -J. Off. Déb. Parl. Séance de 23 Aout 1947, P.4605.

كما أبعثت الجمعية اقتراح السيد فيوليت بتعيين أمناء الدولة لمساعدة الحاكم العام (Secrétaires (d'état).

4- أضيفت هذه الكلمة "باتفاق" (En accord)، بعد تعديل مقترح من طرف السيد رابيي

(Rabier)، ينظر:

J. Off. Déb. Parl. Séance du 24 Aout 1947, PP.4607-4608.

5 -J. Off. Déb. Parl. Séance de 23 Aout 1947, P.4611.

<p>العام، واثنان ينتخبان من طرف الجمعية، واحد من كل هيئة.</p> <p>- رئيس المجلس الجزائري.</p> <p>- نائب رئيس المجلس مختلف عن الهيئة التي ينتمي إليها الرئيس.</p>		
<p>- نظام المراسيم³ الذي أقره تشريع 22 جويلية 1834م، والنصوص اللاحقة ملغاة.</p> <p>- تتولى الحكومة الفرنسية في الجزائر تنفيذ قوانين الجمهورية الفرنسية المطبقة في الوطن الأم.</p>	<p>المادة رقم 08².</p>	<p>القسم الثاني:¹</p> <p>وجاء تحت عنوان: النظام التشريعي للجزائر.</p>
<p>- القوانين والمراسيم المتعلقة بممارسة الحريات الدستورية تطبق في الجزائر، أما القوانين والمراسيم الخاصة بحالة الأشخاص وأهليتهم وممتلكاتهم تطبق تماما بكامل الحقوق على المواطن الذي يتمتع بالقانون الفرنسي في الجزائر.</p>	<p>المادة رقم 09.</p>	
<p>- يستطيع البرلمان أن يعمم كل القوانين غير المعنية في المواد السابقة على الجزائر باقتراح من الجمعية الجزائرية⁴.</p>	<p>المادة رقم 13.</p>	
<p>- القرارات التي تتخذها الجمعية الجزائرية لتكون نافذة يجب المصادقة عليها بمرسوم⁵ وعلى هذا الأساس ترسل من قبل رئيس الجمعية إلى الحكومة عن طريق الحاكم</p>	<p>المادة رقم 15.</p>	

1 -J. Off. Déb. Parl. Assemblée nationale, Séance du 24 Aout 1947.

2- تقدم السيد "مختاري" بتعديل والذي أصبح فيما بعد المادة 08، وذلك في نفس الجلسة السابقة.

3- صرح السيد مختاري في هذه الجلسة بضرورة التخلي عن نظام المراسيم حيث قال: "إنَّ هذه المراسيم التي تعوض القوانين نريدها أن تختفي".

4- طرحت بهذا الشأن عدة اقتراحات، خاصة اقتراح السيد "Viard"، في حين كان اقتراح السيد "Capitant"، الذي يرى بأنه من غير المنطقي ومن المتضادات ربط سلطات الجمعية الوطنية بسلطة تنظيم آخر فقط الدستور يفعل ذلك.

5- جاء في هذا النص بعد الاقتراح الذي قدمه السيد أوقارد (Augarde)، في جلسة 25 أوت 1947م.

J. Off. Déb. Parl. Séance du 25 Aout 1947, P.4632.

<p>العام وله خلال ثمانية أيام بعد تلقيها أن يطلب من الجمعية قراءة ثانية للنص المتبني.</p>		
<p>- في أجل 06 أسابيع¹ إذا لم تقم الحكومة بالمصادقة على المادة 15، فإن القرار يصبح نافذا حتما يصادق عليه في الحين من طرف الحاكم العام وفي حالة رفض المصادقة فإنّ القرار ينقل إلى البرلمان للنظر فيه.</p>	<p>المادة رقم 16.</p>	
<p>- تتكون الجمعية الجزائرية من 120 عضوا²، 60 عضوا من مواطني الهيئة الانتخابية الأولى، و 60 عضوا يمثلون مواطني الهيئة الانتخابية الثانية.</p>	<p>المادة رقم 30.</p>	<p>- القسم الرابع: تكوين الجمعية الجزائرية وتسييرها.</p>
<p>- قرارات الجمعية تتخذ بالأغلبية، غير أنه وبطلب من الحاكم العام أو اللجنة المالية يمكن تغيير القرارات. - التصويت لا يكون إلا بعد أجل 24 ساعة ولا تتخذ الجمعية قرارها الا بأغلبية الثلثين³ من الأعضاء.</p>	<p>المادة رقم 39.</p>	
<p>- استقلال الدين الإسلامي عن الدولة مضمون مثل باقي الأديان وذلك بموجب قانون 09 ديسمبر 1905م ومرسوم 27 سبتمبر 1907م، ويكون تسيير الأوقاف موضوع قرار المجلس الجزائري. - ترسم الأعياد الإسلامية الكبرى (الأضحى، الفطر) المولد وعاشوراء أعياد قانونية للجزائر.</p>	<p>المادة رقم 456.</p>	
<p>- تمثل اللغة العربية، لغة من لغات الاتحاد الفرنسي، فتطبق عليها نفس تدابير (ترتيبات) اللغة الفرنسية في</p>		

1- يرى السيد "Rabier" أن حتى الجمعية الجزائرية لا بد من تحديد آجال لأجل قراراتها، مُرجعا سبب مخاوفه إلى أن تبقى هذه القرارات حبيسة العلب والأدراج فيجب تحديد الآجال

3 -J. Off. Déb. Parl. Séance du 27 Aout 1947, P.4721.

4- المادة 56 كانت نتيجة تعديل مقدم من عرف "تمبل" (Temple) لمقترح راببي أريد له أن يكون وراء المادة 45. تمت مناقشة هذه المادة في جلسة 26 أوت، وقد رأى المتدخلون أن المسلمين منفصلين في الواقع بديانتهم مما تحتم فصل دينهم واعتماد حرياتهم الدينية بعيدا من الحكومة، ينظر هذا الكلام في:

J. Off. Déb. Parl. Assemblée nationale, séance du 26 Aout 1947, P.4685.

المادة رقم ¹ 57.	مجال الصحافة والمنشورات العامة أو الخاصة المنشورة في الجزائر. وتعليم اللغة العربية يكون على كل المستويات.
-----------------------------	--

ثالثا/ قانون 20 سبتمبر 1947م آلية للقمع وتعسف ضد الحريات السياسية للجزائريين

إن الدارس لأغلب مواد هذا القانون يمكن أن يقف على تعسف الإدارة الفرنسية السياسي والقانوني ضد المسلمين الجزائريين، ولا يمكن أبدا أن يلمس العدالة والمساواة التي نصّت عليها المادة الثانية منه، فقد بدت العديد من الأحكام الصادرة غير ليبرالية²، وغير ديمقراطية وهو في ظاهره، أو بعض بنوده يبدو أنه يستجيب للمطالب التي رفعها المسلمون الجزائريون منذ القرن التاسع عشر، إلا أن تحليلا بسيطا، خاصة من قبل القانونيين وأصحاب السياسة العارفين، يقود إلى الوقوف على مدى تعسف هذا القانون، ونقصه، وعدم تلبيةه إلا لقليل من طموحات الجزائريين وهو ما جعل رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يصفه بالقانون الأبتري، لأنه لم يلب كل مطامح الجزائريين رغم إشارة الكثير من المختصين

1- قدم السيد مختاري للجمعية الوطنية تعديلين أما الأول فهو كما يلي: "اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية" و"التعلم باللغة العربية إجباري في الجزائر على كل المستويات".
J. Off. Déb. Parl. Séance du 26 Aout, P.4689.

وقد أحتج بشدة في هذه الجلسة السيد جاك شوفالييه على إجبارية التعليم باللغة العربية، واعتبر تعليم اللغة هو خطأ كبير ما يعطي مجالا للإسلام، فاللغة العربية هي لغة القرآن والقانون الخاص والذي يعد الحاجز الرئيسي أمام الاندماج.

2- ليبرالي: الفكر الليبرالي هو الفكر القائم على صون واحترام الحريات الفردية، والتوجهات الفكرية، إضافة إلى تركيزه على مبدأ المساواة بغض النظر عن اللون والجنس أو العرق أو الدين، وشعار الدولة الدستورية، وحرية الدين والمعتقد.

لبعض بنوده، التي يمكن عدّها لصالح الطرف الجزائري فيقول جمال خرشى: " بالتأكيد حمل قانون 1947م عددا من الأحكام لصالح المسلمين..."¹، في حين رأى أجبيرون² أن القانون لم يأت بجديد فيما عدا إحداث جمعية جزائرية متساوية الأعضاء بين المسلمين والأوروبيين (المساواة في التمثيل).

فمثلا المادة (2) قد أثارت مناقشات حادة تمحورت خصوصا حول الوضع القانوني للمسلم في إطار هذا الدستور وهل يمكن اعتباره مواطنا فرنسيا دون أن يتخلى عن أحواله الشخصية، فهو إذن مسلم فرنسي، وهو ما أثار الكثير من التدخلات والاعتراضات خاصة وأنه يتعارض مع ما جاء في المادة الأولى من دستور الجمهورية الفرنسية العلمانية، مما يستوجب على كل من يريد أن يكون فرنسيا أن يدين بالدين الرسمي للجمهورية الفرنسية، فكان تنفيذ هذه المادة شبه مستحيل.

كما تمثل المادة (04) تكبير واضح للحرية السياسية ورفض تمكين الجزائريين من تسيير شونهم بأنفسهم بالإصرار على تعيين الحاكم العام للجزائر، حيث طالب النواب المسلمون بتعديل الفقرة الأولى من هذه المادة، بتعيين ممثل الحكومة في الجزائر بدل الحاكم العام الذي ترك انطبعا سيئا لدى الجزائريين المسلمين بتعسفه في الإدارة وانعدام الثقة، بينه وبين المسلمين الجزائريين.

المادة 13: فمن غير المنطقي ومن المتضادات ربط سلطات الجمعية الوطنية بسلطة تنظيم آخر فقط الدستور يفعل ذلك.

1- Djamel kharchi, *colonisation et politique d'Assimilation en Algérie 1830-1962*, op-cit, P.437.

2- شارل روبيير أجبيرون، *تاريخ الجزائر المعاصرة*، تر. المعهد العالي للترجمة، ج2، شركة دار الامة للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 965.

المادة 30: تعسف كبير وغير مؤسس بمساواة عدد النواب المسلمين بعدد النواب الأوروبيين 60 نائب لكل هيئة ناخبة مع ان الهيئة الناخبة المسلمة تمثل الأغلبية.

المادة 39: إن تحديد شرط الأغلبية، جعل من تحقيق الأغلبية في الأصوات بالنسبة للأهالي شيئاً يكاد يكون مستحيلاً، فهو شرط تعجيزي، بل ذهب بلوم فيوليت إلى أكثر من ذلك حين أعتبر أنّ هذا شبه حق الفيتو (Le droit de veto)، إنها الأوليغارشية المالية الجزائرية وقد تدخل في هذه النقطة الكثير من النواب إما للموافقة على هذا التعديل أو رفضه كتدخل السيد جاكوبي، والسيد فيار والسيد كيليسي، وكانت كلها تحلل وتدرس إمكانية اعتماد هذا الشرط أو رفضه، ولأن الخوف من كسب صوت أو إثنين من الهيئة الأولى كان هاجساً قد يمكن من الأغلبية، فقد تمت المصادقة على هذه المادة بهذه الطريقة، وهو مسمار آخر يضرب به نعش هذا القانون. هذا وكلما خالفت الجمعية مصالح الأوروبيين وفرنسا وخاصة فيما تعلق بمناقشتها لمواضيع ليست من اختصاصها أو خارج الدورات القانونية، كما لا يمكنها بأي حال من الأحوال عدم التصويت على الميزانية ومخالفة الترتيبات فيمكن حلها وفق مرسوم يناقشه مجلس الوزراء (المادة 46 من القانون). وهو ما يقودنا إلى التساؤل عن الدور الحقيقي لهذا المجلس في ظل هذه المواد المعرّقة لسيره.

خاتمة

لم يترك المشرع الفرنسي مجالاً أبداً للحريات ومارس كل أشكال التعسف الإداري والسياسي والقانوني بإحكام ضبط النصوص التشريعية للتوافق ومصالح السلطة الفرنسية من جهة، ومصالح المستوطنين من جهة أخرى، فكثير من القوانين تغيرت تحت ضغط اللوبيات الأوروبية في الجزائر وفرنسا، وهو ما

وقفنا عليه من خلال المناقشات الطويلة والحادة والتعديلات الكبيرة التي أدخلت على مواد هذا القانون والمثبتة بالوثائق الفرنسية وهو أكبر دليل على تعسف وقمع الإدارة والقانون الفرنسي، والذي أثبت بطلان ادعاءات صناع القرار الفرنسي محاولاتهم حل القضية الجزائرية وتمكين الجزائريين من حقوقهم السياسية والنيابية والقانونية وهي أساليب وممارسات سياسية تضاف الى الأساليب القمعية العسكرية التي طبقها النظام الاستعماري الفرنسي في الجزائر والذي ما زال محفوظا في الذاكرة التاريخية المشتركة.

عبد الحميد مهري وإيديولوجيات الأمير عبد الكريم الخطابي
 Abdelhamid Mehri and the ideologies of Prince
 Abdul Karim Al Khattabi

د/ أكرم بوجمعة

جامعة الحاج لخضر 01- باتنة

مقدمة

عرف تاريخ المغرب العربي خلال الفترة المعاصرة العديد من الشخصيات التاريخية السياسية والعسكرية البارزة، التي ساهمت في نمو وبلورة الوعي السياسي، وتفعيل العمل العسكري على أرض الواقع، ومن بين هذه الشخصيات التي سلطنا عليها الضوء في دراستنا، هي شخصية المجاهد الامير عبد الكريم الخطابي والمجاهد عبد الحميد مهري، وذلك من أجل التعريف بهما وبأعمالهما هذا من جهة، ومن جهة أعمق محاولة فهم العلاقة بين هاتين الشخصيتين، وما مدى توافق إيديولوجيات الأمير الخطابي - مغربة الحرب - مع إيديولوجيات عبد الحميد مهري، وهذا ما سنعالجه في هذه الدراسة.

أولا/ نبذة مختصرة على الشخصيتين

1- عبد الحميد مهري مولده ونشأته

ولد عبد الحميد مهري بمنطقة الخروب قرب مدينة قسنطينة، في 3 أبريل 1926، من أسرة علم ميسورة حال ومحافظة¹، كان والده الشيخ عمار بن احمد العطوي مهري عالما وفقهه وأديب، استقر بهم الحال بمدينة قسنطينة،

1 عبد الله مقلاتي، عبد الحميد مهري حكيم الثورة الجزائرية، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013، ص13.

وهناك التحق والده الشيخ عمار بالشيخ عبد الحميد ابن باديس¹، إلى أن توفي رَحِمَهُ اللهُ يوم 19 أبريل سنة 1933². ورغم وفاة والد هذا الشاب الطموح - عبد الحميد مهري - إلا أن هذا لم يثني من عزيمته في مواصلة مشواره التعليمي، ودراسته اللغة العربية والدين، وحفظه للقران الكريم في الكتاتيب والمساجد، وكان الأخ الاكبر لعبد الحميد مهري وهو المولود مهري الدور الكبير والبارز في استخلاف مكانة والده داخل الاسرة في تربيتهم وتعليمهم، وبث فيهم الروح الوطنية، كما كان له الفضل الكبير في تكوين عبد الحميد مهري، فقد أرسله إلى تونس على نفقاته الخاصة، من أجل اكمال مشواره الدراسي بالزيتونة، وهو ما تشير إليه بعض الرسائل التي كان يرسله إليه في تونس التي اورد منها ابن العقون في مذكراته³، وهناك نال شهادة الاهلية، ثم التحق بالتعليم العالي، فتحصل بعد 03 أعوام على شهادة التطويح⁴.

كما كان عضو مناضل في حزب الشعب الجزائري، وعضو اللجنة المركزية بحركة انتصار الحريات الديمقراطية عام 1953، وتم اعتقاله سنة 1954، بعد عدت أشهر يطلق سراحه ويلتحق بالثورة ويصبح ممثل لجبهة التحرير الوطني في سورية، عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية منذ سنة 1956، وعضو في اللجنة التنسيق والتنفيذ ووزير الشؤون شمال إفريقيا

1 عبد الرحمان بن العقون، مذكراتي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009، ص 125

2 أحمد مسعود سيدي علي: "عبد الحميد مهري رابط الاتصالات بين حركتي التحرر الجزائرية والتونسية"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 07، 2016، ص 255.

3 المرجع نفسه، ص 256، 257.

4 عبد الله مقلاتي، المرجع السابق، ص 19.

بالحكومة المؤقتة 1958، ثم وزير للشؤون الاجتماعية والثقافية في التعديل الحكومي الأول بعد الاستقلال، تقلد عدت مناصب عليا بعدها¹.

2- مولد ونشأة عبد الكريم الخطابي

هناك اختلاف واضح بين المؤرخين والدارسين في تاريخ ازدياد محمد بن عبد الكريم الخطابي في صورة دقيقة، ومن خلال الكورونيل الاسباني روبرويس دي زياس ينضح لنا بأن عمره كان في 1909 حوالي 22 سنة يعني أنه قد ولد سنة 1887م²، أما كل من محمد بن عمر بن علي العزوزي الجرنائي، وولمان، ومحمد اشتاتو، والسعيد زريوح، والجرمان عياش يؤكدن أنه ولد سنة 1882، فيما ذهب ديفيد هارت أنه ولد عام 1881³، ويرى مانويل لاكنيش، والمؤرخة الاسبانية ماريا روسا بأنه ولد سنة 1883⁴.

والعديد من الدراسات الحديثة تجمع على أن محمد بن عبد الكريم الخطابي ولد عام 1882 في مدينة مليلة، وترعرع في حجر والده حيث درس مبادئ العلوم على يد والده وأتم تعليمه الأولى بمدارسها، كما حفظ عن أبيه القرآن الكريم وتعلم مبادئ الكتابة وأحكام العبادات، ثم أرسله والده للدراسة بتطوان، وعندما بلغ محمد بن عبد الكريم سن العشرين أرسله والده مع عمه عبد السلام إلى جامع القرويين بفاس لدراسة الثانوية، ونال من مدارسها إجازة

1 ينظر: رشيد بن يوب: دليل الجزائر السياسي، ط1، مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1999، ص 179.

2 رفائيل كساصي دي لافكا: ستة قواد من الحرب الأهلية الاسبانية، ط1، مطبعة فينيكس، طوليدو، إسبانيا، 1998، ص155.

3 خ.ف. سالا فرنكا: المصدر السابق، ص28.

4 دايفد وولمان: عبد الكريم وحرب الريف، ط1، مطبعة واكوس تاو برشلونة، 1971، ص90.

في العلوم الدينية¹، ثم قفل راجعا إلى مليلة والتحق بمدارسها الاسبانية فظهرت أنذاك بوادر نبوغ الأمير ونجابته وحاز على شهادة من مدارسها الثانوية في مدة قليلة وبرزه عن أقرانه في تحصيل العلوم بكل جد ونشاط، ثم واصل نشاطه العلمي فسافر إلى اسبانيا والتحق بجامعة "شلمنكا" وتحصل منها على شهادة الحقوق والآداب ولقب بالدكتور فيها، وفي أيام العطلة الدراسية انكب على دراسة تاريخ العرب في الأندلس وساح في بلدانها وشاهد آثار أجداده بها التي لا تزال تنطق بعظمتهم وحضارتهم، فتنبهت في نفسه عواطف قومية كانت سبب للانتقام من أعداء أمته فيما بعد واختارته السلطات الاسبانية معلما للمراكشيين بمدرسة صغيرة كان يقيم فيها عام 1907 وبقي معلما إلى سنة 1913 م وهي السنة التي عين فيها قاضيا _ منصب أبيه سابقا _ بمكتب الشؤون الأهالي، ثم قاضي للقضاة وهو المنصب الذي بقي فيه إلى سنة 1918 بمليلة، فكان نعم القاضي العادل وفيصل الحق وله أحكام تشهد له بطول الباع وسمو النفس ورجاحة العقل لكنه هرب إلى أجادير بدعوة من أبيه عبد الكريم، واستمر إلى جانب اشتغاله بتدريس والقضاء بالعمل في الصحافة في جريدة "رسالة الريف" telegrama del rif التي كان يديرها الاسباني كانديدو لوبيرا بمليلة، فحرر الأمير صفحتها العربية سنة 1915 م².

وكان لتقربه من الإسبان تأثيرا بالغا على شخصيته وكيفية نضرتة إلى الأمور من زاوية أخرى وكذا تأصلت في نفسه فكرة تحرير الوطن والجهاد في

1 رشدي الصالح ملحس: سيرة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بطل الريف ورئيس جمهوريتها، ط1، المطبعة السلفية ومكنتبتها، القاهرة، مصر، د.ت، ص 25.

2 جلال يحيى: المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال، ج4، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، ص127، 128.

سبيل استقلاله، و يلاحظ مدى الاختلاف بين المغاربة والإسبان فأراد الوقوف على حقيقة نواياهم وسبب تواجدهم ببلادهم، لذا واصل الخطابي عمله مع الإسبان واستطاع فرض شخصيته بينهم إلى أن تأكد من عزمهم على مواصلة التوسع والسياسة الدنيئة على شعبه، الأمر الذي سيعطي منحى آخر لعلاقة محمد بن عبد الكريم الخطابي مع الإسبان¹، بحيث كان يطرح الأمير فيها أفكاره_ أي الصحافة_ التي كانت غالباً ما تقتصر على دفاع عن العمل الاسباني بالمغرب واعتبرها كوسيلة لإنقاذ المغرب من العلمانية المتخلفة، والرفع من مستواه الاقتصادي والثقافي وتحقيق التنمية المثلى، ويعارض فيها للاستعمار الفرنسي في توسعه بالمغرب الأقصى²، أما فيما يخص أخلاقه فقد كان ضحوك الوجه لين العريكة، يحب المبادرة و يكره التواني، قليل الكلام مع كثير العمل، ويشغل في اليوم أكثر من 16 ساعة دون أن يظهر عليه دلائل الملل أو الكسل، فهو ذو شخصية بارزة وإرادة قوية، كما أن الأمير ابن عبد الكريم الخطابي رجل حر الضمير، نقي الإخلاص وثيق الإيمان، ديمقراطي النزعة مجبول على حب الاستقلال.

وللأمير أيضاً خبرة واسعة في الأحوال العصرية ومعرفة كافية في الأساليب العلمية والفنية تدل على رجحان العقل ونضوج الفكر، هذه الميزات وتلك الصفات هي التي رفعتة إلى درجة الأبطال النوابغ الذين اختارتهم العناية الإلهية بين الحين والآخر لإنقاذ البشرية المتألمة، وقد أظهرت الحوادث والأيام

1 صالح الخزفي: عبد العزيز الثعالبي من أثاره وأخباره في المشرق والمغرب، خمسون صورة ووثيقة تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص155.

2 خ.ف. سالا فرنكا: المصدر السابق، ص30.

اللاحقة أن الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي هو نابغة هذا العصر وبطله العظيم من ظلم فادح وشر مستطير¹.

ولقد تأثر محمد بن عبد الكريم الخطابي أثناء دراسته بجامعة القرويين بفاس بالفكر السلفي الذي كان سائدا في المشرق العربي في الربع الأخير من القرن 19، وكان هدفه هو الدفاع عن الأمة الإسلامية من الأخطار التي كانت تهددها والتي تتجلى في الامبريالية الأوروبية المتغترسة والحركة الاستعمارية، ومن أهم الشخصيات التي تأثر بها هي شخصية جمال الدين الأفغاني وفكر الجامعة الإسلامية، وكذا محمد عبده وفكره الإصلاحية، وشكيب أرسلان... الخ.

وكان يرتكز على عدة مبادئ أساسية أهمها:

_ مواجهة الظلم

_ الدخول في معارك ضد الاستعمار الأوروبي.

_ الرجوع إلى القرآن وسنة رسول الله ﷺ.

_ معارضة المقاومة السلبية².

كل هذه الأفكار المذكورة وغيرها انعكست على شخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي وعمل على تطبيقها على أرض الواقع مباشرة بعد مغادرته لمدينة مليلة في جانفي 1919م، بحيث كانت سببا في تغيير وجهة نظره نحو المستعمر والقيام بالحرب ضده فيما بعد.

1 رشدي الصالح ملحس: المرجع السابق، ص28، 27.

2 هارت دايفد: مقاوماتان بربريتان للاستعمارين الفرنسي والاسباني بالمغرب، ط1، غرناطة، إسبانيا، 1996، ص51.

ثانيا/ تباين الإيديولوجيات بين الكفاح المسلح والعمل السياسي

كانت طموحات وآمال عبد الكريم الخطابي تتجلى في تحقيق وحدة النضال المغربي المشترك تساهم فيه جميع التيارات السياسية والحركات الوطنية المغربية بدون حسابات أو خلفيات أو أندية، ولهذا باشر مكتب المغرب العربي كما رأينا سابقا نشاطه في تنسيق محكم لتجسيد مقررات المؤتمر واعتبر عمله مرحلة متطورة في مسيرة النضال والتنمية المغربي المشترك، وبعد أقل من 7 أشهر من لجوء الخطابي بالقاهرة أنشئت لجنة تحرير المغرب العربي التي أسندت قيادتها لبطل الريف عبد الكريم الخطابي، وقد حدد هذا الأخير أهداف ومبادئ تكوين هذه اللجنة بقوله: "منذ أن من علينا الله بالإطلاق سراخنا... و نحن نواصل السعي لجمع كلمات الزعماء، وتحقيق الائتلاف بين الأحزاب الاستقلالية في كل من مراكش والجزائر وتونس بقصد مواصلة الكفاح في جبهة واحدة لتخليص البلاد من رقبة الاستعمار... ولقد كانت الفترة التي قطعناها في الدعوة لائتلاف خيرا وبركة على البلاد فاتفتت مع الرؤساء ومندوبي الأحزاب الذين خابرتهم على تكوين لجنة تحرير المغرب العربي... وذكر بميثاق اللجنة الذي يؤكد على الانتماء الإسلامي والعربي لأقطار المغرب العربي وأن الاستقلال هو هدفه لا تفاوض مع المستعمر إلا بعد اعترافه بالاستقلال التام، وأن حصول قطر من أقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية"

1.

1 علل الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط1، عبد السلام جسوس، طنجة،

ويبدو أن حماسة اللحظة كانت مغرية فرغم ما حققه مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي من نجاحات على الصعيد التنسيق والتضامن ظلت القطرية حاضرة بقوة وأدت إلى خلافات السياسية بين الشخصيات والاختلافات في تأويل الأهداف والمبادئ إلى ظهور التنازع والتصدد، فقد اختلف في نهاية الأربعينيات حول مبادئ التفاوض القطري في شأن الاستقلال الذي باشر به الحبيب بورقيبة في تونس، واعتبره عبد الكريم الخطابي منافيا للالتزامات المشتركة التي صادقت عليها جميع الأحزاب الاستقلالية المغاربية في ميثاق لجنة تحرير المغرب العربي¹.

هذا يعطينا دلالة قطعية أن اتفاق بعض الزعماء الأحزاب حول عبد الكريم الخطابي في إطار مرحلي منفي يرمي إلى تكوين نفوذ خاص بهم لدى الأوساط العربية الإسلامية وإلى تحسين صورتهم ومراكزهم أمام المواطنين في الداخل باستغلال رصيده التاريخي والأسطوري الذي يحتفظ به الوجدان الشعبي. وكان من الطبيعي أنه بعد تأسيس لجنة التحرير أن تحل محل مكتب المغرب العربي ولا وجوب لبقائه مادام أن اللجنة ستقوم مقامه وفق الصيغة المتفق عليها أعضاء اللجنة الموقعين على الميثاق، ولهذا نجد بعض أعضاء اللجنة قد اقترحوا إيقاف النشاط المكتب المغربي العربي لأنه قائم على الحزبية وذلك يكون حجرة عثرة في طريق اللجنة في أداء مهامها في سبيل توحيد المعركة، لكن توجد أصوات أخرى نادى بضرورة الإبقاء عليها عوناً للجنة

1 أحمد بن عبود: مكتب المغرب العربي في القاهرة أول نواة للوحدة السياسية المغربية، المجلة

وخدمتها¹، وبلغ التثبيت أنصارها بمكتب درجة دفعت أحد الناشطين فيه وهو عبد الكريم غلاب إلى القول بأن لجنة تحرير انبثقت من أجل العمل العسكري ترضية للخطابي لم يكن لها نشاط²، وهذا اعتراف لمجهودات الخطابي العسكرية داخل اللجنة.

ولهذا نجد أن عبد الكريم غلاب قد رسم صورة موحية عن فكرة التحرير وأقطار المغرب العربي كما يراها عبد الكريم الخطابي من جهة وكما يراها الأحزاب السياسية من جهة ثانية حينما قال: " إن الخطابي كان رجلا عسكريا بالممارسة، يؤمن بأن الاستعمار لا يمكن القضاء عليه إلا عن طريق الحرب، وهذه فكرة مخلصمة ولكن الواقع والظروف تغيرت لأن نضاله كان في أوائل العشرينيات، أما نحن في أواخر الأربعينيات والخمسينات، فمن الصعب جدا تحقيق هذه العبارة _ فكرة إعلان الحرب على فرنسا _ والوسائل نفسها أو ما يماثلها التي أعلن بها الحرب على اسبانيا وفرنسا... للعودة للعمل العسكري إذن نحتاج إلى تهيئة الجو السياسي وتوعية الشعب أولا، ولابد من إعداد المناضلين... كنا نقول أن هذه القضية سيأتي وقتها، ولكن الوقت الحاضر ليس بين أيدينا سوى العمل السياسي للتهيئة للعمل العسكري، إلا أن الخطابي كان يقول: إن العمل السياسي ليس سوى مجرد كلام والأعيب"³.

1 محمد اليمني الناصري: تقرير إلى مدير الإدارة السياسية بجامعة الدول العربية عن مكتب المغرب العربي، 4 أكتوبر 1948، ص 2، مجموعة وثائق أمزيان، محمد أمزيان: محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف 1926 - 1963، ط1، منشورات "اختلاف" مطبعة كوثر، الرباط، المغرب، 2002، ص 157.

2 كفاح كاضم عكال الخزعلي: حزب الاستقلال ودوره السياسي في المغرب 1944 - 1956، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1983، ص 148.

3 المرجع نفسه، ص 148.

ولم تكد تمضي الأشهر الثلاثة الأولى حتى استفحل الخلاف وطغى عدم الانسجام بين الزعماء السياسيين الذين أصبحوا يسيرون في طريق معاكس يؤدي إلى فصم عرى الوحدة المغاربية¹، فانقسم الوطنيون المغاربة إلى اتجاهين بارزين الاتجاه الأول تزعمه رئيس اللجنة محمد بن عبد الكريم الخطابي وإتباعه الذي اتخذ الأمور أكثر جدية وكانت اللجنة بالنسبة إليه مجرد وسيلة لتحريك الزعماء والمواطنين المغاربة نحو الكفاح المسلح، الاتجاه الثاني فتزعمه رئيس الحزب الدستوري الجديد والأمين العام للجنة الحبيب بورقيبة².

وهكذا كما ذكرنا سابقا تتنازع النضال المغاربي بدءا من عام 1949 إلى استراحتين أو اتجاهين هما:

1- إستراتيجية تجذير ومغربة الحرب

تزعمها العناصر الثورية المتمسكة بميثاق لجنة تحرير المغرب العربي وعلى رأسها عبد الكريم الخطابي، وثوريو حركة انتصار الحريات الديمقراطية وكانوا يدعون إلى العمل المسلح وإلى ضرورة توحيد بين الأقطار المغاربية الثلاثة، وفي هذا الإطار وضع الخطابي خطة محكمة لتحرير الأقطار المغربية الثلاثة بدت للبعض أنها مثالية وصعبة التجسيد وذلك بالاعتماد على تكوين الضباط وفرق الاتصالات الميدانية والدعاية اللازمة لها³، وقد حققت بعناية وجهوده التنسيقية نتائج مهمة في خيار الكفاح المسلح في تونس وإنشاء قاعدة

1 محمد أمزيان: محمد عبد الكريم آراء ومواقف، المرجع السابق، ص 159.

2 عامر رخيطة: الثورة الجزائرية والمغرب العربي، مجلة المصادر، العدد 1، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، جوان 1999، ص 137، 138.

3 محمد زنير: صفحات مطوية من الوطنية المغربية من الثورة الريفية إلى الحركة الوطنية، دار النشر المغربية، دار البيضاء، 1990، ص 28، 29.

تموين خلفية في طرابلس وإرساء توافق مع المناضلين الجزائريين على مبدأ إعلان الثورة وتعميمها على كامل بلدان المغرب العربي، ولهذا كان موعد انطلاق الثورة التحريرية الجزائرية محفزا لنجاح هذه الإستراتيجية فيما بعد¹، وفي هذا السياق يذهب المؤرخ محمد حربي إلى القول: "إن الوطنيين الجزائريين اتفقوا منذ سنة 1948 على ضرورة الإعلان عن عمل عسكري، ولهذا أوفد الحزب الشعب الجزائري (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) سنة 1949 وفدين إلى تونس والمغرب، فاتجه الوفد الأول إلى طنجة وضم شرشالي وخيضر، أما الوفد الثاني فاتجه صوب تونس وضم كل من دردور، أحمد بن بلة، بوقادوم، وهذا لوضع إستراتيجية مشتركة " لإنشاء تنظيم نسبه عسكري، فالتقى الوفد الأول بزعيم حزب الاستقلال علال الفاسي الذي أبدى تهربا من هذا المشروع، أما الوفد الثاني فاتجه إلى تونس والتقى بالكاتب العام لحزب الدستور الجديد صالح بن يوسف الذي اعتبر المبادرة نوعا ما مجازفة ومغامرة متهورة"².

ومع تطور الأحداث مع مطلع الخمسينيات من القرن العشرين في تونس، كان محفزا لهذا الاتجاه ليحاول مرة ثانية في تجسيد مشروعه على أرض الواقع خصوصا مع انطلاق الحركة المسلحة في تونس التي اتخذت شكل اغتيالات

1 محمد حمادي العزيز: جيوش تحرير المغرب العربي، هكذا كانت قصة في البداية، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2004، ص 128، 129.

2 Mohamed harbi :le F.L.N MIRAGE ET REALITE ORIGNES A LA PRISE DU POUVOIR 1945 -1962 . JEUN AFRIQUE. PARIS .1985. P 54 .55.

فردية ضد المستوطنين¹ متأثرة ببعض أفكار الزعيم عبد الكريم الخطابي، لكن دون أن تخرج نهائيا عن الدائرة الواسعة التي كان يسيطر عليها الحزب الدستوري الجديد ذو التأثير السياسي، وفي هذا الصدد يقول عبد الحميد مهري الداعم لأفكار الأمير عبد الكريم الخطابي في الخلايا الأولى للكفاح المسلح بتونس المتأثرة في بداية الأمر بأفكار الخطابي بقوله: "إن هذه التشكيلة هي التي بدأت المقاومة المسلحة منذ لشهر ديسمبر 1952، لكنها لم تلبث أن التحقت مع التشكيلات الرسمية للحزب"².

كما حاول هذا الاتجاه أيضا من جديد أن يجسد مشروعه في تكوين خلايا تؤمن الكفاح المسلح داخل أقطار المغرب العربي بهدف تحقيق الاستقلال، وفي هذا الطرح يؤكد محمد بوضياف³: "إن بعد إعادة تنظيم المنظمة الخاصة سنة 1952 التي أصبحت في علاقات روابط مع حركات التحرر في تونس

1 صلاح العقاد: السياسة والمجتمع في المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، 1977، ص، 28.

2 عبد الحميد مهري: أحداث مهدت لفتح نوفمبر 1954، الأصالة، العدد 22، 1974، ص12.

3 محمد بوضياف (1919 - 1992)، ولد محمد بوضياف يوم 23 جوان 1919 في المسيلة من عائلة عريقة بعد الحرب العالمية الثانية يترك الوظيفة العمومية ويبلبي نداء الحركة الوطنية، ويناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري ويصبح مسؤولا عن المنظمة الخاصة O.S بناحية قسنطينة، خلال عامي 1953 - 1954 ، وكان العمود الفقري لتجمع أنصار الكفاح المسلح، واختطف مع ابن بلة 22 أكتوبر 1956، وبقي عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية 1956 إلى 1962، وفي عام 1958 يعين وزير للدولة ثم نائب لرئيس الحكومة المؤقتة 1961، وقد عارض فيما بعد هيمنة الجيش وسياسة ابن بلة ، وأسس حزب الثورة الاشتراكية بسبتمبر 1962، ليعتقل بعدها في 21 جوان 1963، عاش في المغرب منفيا، ثم عاد إلى الجزائر لرئاسة المجلس الأعلى للدولة، وتم اغتياله في 29 جوان 1992، ينظر : رشيد يوب : المرجع السابق، ص 135.

والمغرب، حل بالجزائر يومئذ ضابطان من الريف المغربي هما: الهاشمي طود وحمادي الريفي، وكان على اتصال بجهات ثلاثة الأمير الخطابي ومصالح المخابرات المصرية وبعض ممثلي حزب الشعب الجزائري بالقاهرة، كلفهما عبد الكريم الخطابي بالإعداد للعمل الثوري منسق على مستوى الأقطار الثلاثة، وقد اتصل بقيادة الحزب "حركة حريات الديمقراطية"، ولكن لم يجد تجاوب التجاوب المطلوب، ولذلك اتصلا بطريقة غير رسمية بالآخر عبد الحميد مهري عضو اللجنة المركزية للحزب والذي نظم اتصالا بين محمد بوضياف وبين الضابطين المغربيين وبناء على ذلك قمت باستدعاء ديدوش مراد ليحضر لقائه مع الضابطين القادمين من المغرب وبحث عملية تنسيق الكفاح المسلح على مستوى المغرب العربي " ¹.

ويؤكد هذا أيضا أحد مفجري الثورة و مؤيدي للفكر الخطابي وهو عبد الحميد مهري أن من المفروض حسب خطة التي اتفقت عليها هذه الجماعة المذكورة أننا أن يبدأ الكفاح المسلح في خريف 1953، ابتداء من المغرب ثم تونس ثم يلتحق بهم الجزائريين، غير أن انفجار مستودع صنع الذخيرة في الأوراس أجل الأمر إلى غاية نوفمبر 1954² ومع انطلاق الثورة الجزائرية حفزت لنجاح هذه الإستراتيجية وهي الكفاح المسلح عبر كامل أقطار المغرب العربي، وفي هذا الإطار تم الاتفاق مع قادة المقاومة في تونس والمغرب مع مطلع 1955، حول تعميم المقاومة عبر بلدان المغاربية الثلاثة ودعمها للقضية

1 لقاء محمد بوضياف مع جريدة الشعب، العدد 7786، 7787، ليومي 16 - 17 نوفمبر 1988، ص 5.

2 لقاء عبد الحميد مهري مع جريدة الشعب، العدد 8392، ليوم 1 نوفمبر 1990، ص 1، 2، ينظر: عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 350، 351.

الجزائرية، لكن هذا بقي قيد حبر فقط ولم يطبق على ارض الواقع وهذا راجع إلى قبول كل من بورقيبة ومحمد الخامس باستقلال المشروط مع بداية 1956¹.

2- إستراتيجية التفاوض والحل السلمي

برز هذا التوجه المعتدل مع نهاية الأربعينيات من القرن العشرين، تزعمه رئيس حزب الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة وكذا حزب الاستقلال المغربي مع علال الفاسي، ونضرا إلى العمل المسلح هو عمل محدود ولا بد من العمل السياسي السلمي، ولهذا أن بورقيبة قد لجئ إلى التفاوض مع الفرنسيين وصوغ العديد من الاعتبارات والاتجاهات بهدف تتصله من الالتزام بالعمل الوحدوي المشترك، وتأكيد أن وضعية تونس والمغرب تختلف عن وضعية الجزائر وأن التمسك بالحل المشترك يعجل تحرير هذه الأقطار، وأن لكل قطر خصوصياته لا يعرفها إلا أهلها²، وقد كرس التونسيين هذا الطرف في اجتماع لجنة تحرير المغرب العربي في أفريل 1954 غير أن محمد عبد الكريم الخطابي وممثلو الوفد الخارجي الجزائري رفضوا المصادقة على هذا المشروع الذي يكرس القطرية داخل أقطار المغرب العربي³.

ولهذا يعتبر بورقيبة أن حل القضية التونسية يبدأ بمد جسور التفاهم مع الحكومة الفرنسية ورفع القضية إلى هيئة الأمم المتحدة والتلويح بالعمل العسكري دون التعويل عليه في القضاء على العدو عسكريا، وقبل بورقيبة

1 عبد الحميد مهري: أحداث مهدت لفتح نوفمبر 1954، الأصاله، العدد 22، 1974، ص12

2 الرشيد إدريس: بناء المغرب العربي، ملتقى نظمه مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، أكتوبر 1981، المطبعة العصرية، تونس، 1983، ص 30، 31.

3 فتحي الديب: جمال عبد الناصر والثورة الجزائرية، ط3، دار المستقبل العربي، القاهرة، مصر،

التفاوض مع السلطات الفرنسية وبمبدأ وقف المقاومة المسلحة بمجرد أن اصدر مندريس فرانس وعد تونس بمنحها استقلال ذاتيا وتسليم جميع أسلحتها إلى فرنسا، وقوبلت هذه السياسة العديد من الانتقادات وانقسم التونسيون إلى فريقين بين بورقيبة وصالح بن يوسف، واعتبر الخطابى سياسة بورقيبة التفاوضية خيانة وطعنا بميثاق لجنة التحرير المغرب العربى .

هذا ما نجده أيضا من جانب المغرب مع محمد الخامس بحب لجاى إلى الحل السلمى وهو التفاوض مع السلطات الفرنسية خصوصا بعد أن وعدته بمنح الاستقلال ذاتيا ورفضه لأي عمل وحدوى مسلح ودخول حزب الاستقلال فى مفاوضات رسمية اكس لبيان مع القوات الفرنسية جعلت من الخطابى يرى بأن حزب الاستقلال قد خان الوعود والمواثيق التى وقع عليها فى ميثاق لجنة تحرير المغرب العربى، ونتيجة لهذه المعطيات سبب هناك شرخا فى صفوف لجنة تحرير المغرب العربى بين أنصار الحل السلمى وأولئك المعوليين على الحل العسكري الشمولى¹، ونجد أن الخطابى قد عبر عن هذه الخلافات بقوله: "لقد كان الخلاف بين الإخوة دائما هو السبب فى القضاء على كل آمالنا"². ولو نلاحظ هذه الجملة على وجه تدقيق لوجدنا أنه فى قلب الاختلاف والصراع الفكرى والإيديولوجى بين أعضاء وقادة الحزب الوطنى المغاربية، إلا أنه لم يعتبرهم أعداء له بل إخوة وأشقاء وعدوه الحقيقى هو المستعمر هذا دليل على تواضع وصبر وحلم هذا الرجل.

1محمد زنير: صفحات مطوية من الوطنىة المغربية من الثورة الريفية إلى الحركة الوطنىة، دار النشر المغربية، دار البيضاء، 1990، ص 34 - 37.

2روملاندو: تاريخ المغرب فى القرن العشرين، دار الكتاب، دار البيضاء، المغرب، 1963، ص

في هذا الصدد نفسه يؤكد الخطابي أن العمل من داخل اللجنة أضحى عديم الفائدة فأثر لانسحاب منها كي يستعيد حريته في العمل على طريقته ويقول: " هذه اللجنة قد انتهت منها لأني رأيت أن لا فائدة من وجوده وقد حاولت في كثير من الفرص أن أصلح شأنها وأجعلها آلة فعالة لصالح المغرب ففشلت في مساعي وذلك بسبب الغايات المختلفة التي تتنازع الأحزاب والحزبية وهي عناصر متوفرة في هذه اللجنة ... على أن هذه الأحزاب ما هي إلا جزء ضئيل من الشعب المغربي كله" ¹.

رغم مساعي عبد الكريم الخطابي من جديد في إعادة توحيد الصف ولم شمل الأحزاب السياسية إلا أنه فشل من جديد وصادر على إثر ذلك تصريحات حول فشله في المساعي الوحدوية وواقع الأحزاب السياسية بقوله: " من سوء حظي أنني لست لأرى أفكارى هذه تتشتت ولأشهد مصرعها واحدة إثر الأخرى، وقد دخلت الانتهازية وحمى المتاجرة في قضيتنا الوطنية ...، ووجد من بين أعضاء هذه اللجنة من يسعى لتفتيت وحدة قضيتنا وتجزئتها في الوقت الذي كنت أفكر فيه بإدماج بلدان المغرب العربي في مشكلة واحدة، _ و لا أدري كيف _ اتجاه لتقسيم هذه البلدان إلى وحدات منفصلة ... قد تعذبت كثيرا و أنا أرى أنني عاجز عن مقاومة هذا الفساد الطاغى عندما ظهر تماما أنني لا أستطيع المضي في هذا الطريق الملتوي انسحبت وقطعت كل علاقاتي بإخواني الموجودين في مصر ولكنني على صلة بشعبي الموجود في المغرب العربي" ².

1 " البلاغ " صحيفة مصرية، 14 / 7 / 1952.

2 " آخر الساعة " مجلة مصرية، 18 / 7 / 1952.

وإذا كان عبد الكريم قد قطع علاقته مع أعضاء لجنة تحرير المغرب هذا لا يعني هروبه من مسؤولية الدفاع عن الأقطار المغاربية، بل انصرف إلى التوجيه المباشر للشعب عن طريق المنشورات السرية والنداءات عبر المذيع وإلى تنظيم الوفود من المتطوعين بالقاهرة بهدف إعدادهم للكفاح المسلح وفق آلية جديدة وهي جيش تحرير المغرب العربي.

ثالثاً/ عبد الحميد مهري واتصالاته بعناصر الخطابى

بعد أن أسس الامير عبد الكريم الخطابى العناصر الاولى لجيش تحرير المغرب العربي¹، أرسل الأمير كلا من الهاشمى طود والحمادى العزيز إلى الجزائر بهدف إجراء اتصالات سرية بقيادات الحركة الوطنية في مدة لا تتعدى 3 أشهر قام فيها الضابطان من إجراء الاتصالات الضرورية مكنتهم من الاطلاع على مواقف الأحزاب السياسية، وتوطيد الصلة النضالية والجهادية ببعض العناصر الوطنية في الجزائر وتزويد اللجنة بتقارير سياسية وعسكرية ترفع إلى عبد الكريم الخطابى مباشرة².

وقابل في الجزائر عبد الحميد مهري بناء على توصيات الطاهر قيقة³، يؤكد عبد الحميد مهري بقوله: "جاء ذات يوم شابان وطلبا رؤيتي ... إنهما

1 للمزيد من الاطلاع ينظر: أكرم بوجمعة: محمد بن عبد الكريم الخطابى ودوره في تحرير أقطار المغرب العربي (تونس- الجزائر- المغرب الأقصى)، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم التاريخ وعلم الآثار، 2016-2017، ص 36-376

2 زكي مبارك: محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابى وإشكالية استقلال المغرب، ط1، منشورات فيديبرانت، الرباط، المغرب، 2003، ص 78.

3 الطاهر قيقة: هو كاتب ومتقف ومناضل تونسي، عضو في حزب الشعب والحزب الدستوري، من دعاة وحدة المغرب العربي.

الضابطان عبد السلام الطود والحمادي العزيز جاءا من طرف الطاهر قيققة، مناضل مؤمن بقضية وحدة المغرب العربي ...، فاتحاني الإخوان بأنهما يحملان رسالة هامة من عبد الكريم الخطابي تحث على الشروع في الكفاح المسلح في كامل أقطار المغرب العربي والاتصال بالعناصر القادرة على الاضطلاع بهذه المهمة"¹. ويضيف عبد الحميد مهري قائلاً: "أنهم طلبوا منه الاتصال بالأخ أحمد مزغنة فقال لهم عبد الحميد مهري إذ كانت رغبتكم هي الاتصال بأحمد مزغنة أو غيره فأنا مستعد لأوصلكم إليه وأما إذا أردتم البحث في التحضير للكفاح المسلح فعندي اقتراح آخر فوافقا ... وعندما ذهبت إلى الأخ بوضياف وأطلعت على القضية وافق على الاتصال بالأخوين... وأبلغنا الإخوة إننا مستعدون وسنكون في الموعد في حالة تحرك تونس والمغرب"².

بعد مشاورات طويلة قدم أعضاء مكتب لحركة انتصار من أجل الحريات شروط تمثلت في ثلاث نقاط وهي:

- مشاركتنا في القيادة السياسية.
 - مشاركتنا في القيادة العسكرية.
 - يمثلنا في القاهرة محمد خيضر وحسين آيت احمد وفرحي السعيد³.
- يذكر محمد بوضياف في أحد حواراته مع جريدة الشعب بقول: "نظم اتصالات بين محمد بوضياف وبين الضابطين المغربيين وبذلك قمنا

1 عبد الحميد مهري: مسألة الانتقال إلى الكفاح المسلح، جيوش تحرير المغاربي 1948 -

1956، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2001، ص 62.

2 محمد حمادي العزيز: المصدر السابق، ص 31.

3 المصدر نفسه، ص 57.

باستدعاء ديدوش مراد ليحضر اللقاء مع الضابطين القادمين من المغرب، وبحث عملية التنسيق للكفاح المسلح على مستوى المغرب العربي¹. ويؤكد عبد الحميد المهري ومحمد بوضياف أنه كان من المفروض حسب خطة هذه المجموعة أن يبدأ الكفاح المسلح في خريف 1953 ابتداء من تونس والمغرب ثم تلتحق بهم غير أن انفجار مستودع صنع الذخيرة في الأوراس أجل الثورة إلى غاية نوفمبر 1954². ويؤكد الضابطان المغربيان أنهما وجدا مساندة كبيرة ودعما كبيرا من طرف الثوار الجزائريين العربي بن مهدي، ديدوش مراد، محمد بوضياف، عبد الحميد مهري وأحمد بن بلة في مغربة الحرب داخل المغرب العربي³.

وعن هذه الاتصالات كتب حمادي العزيز: "...قابلنا السيد عبد الحميد مهري بناء على توصية من السيد قيقة التونسي اخبر السيد مهري أعضاء المكتب الإداري لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (حزب الشعب الجزائري) بقدمونا ومهمتنا، كان مقر هذا الحزب في ذلك الوقت يوجد في ساحة شارتر... قرر أعضاء المكتب الإداري الاجتماع بنا والاستماع إلينا فورا يوم وصولنا قبيل الغروب، كان المتحدث معنا هو السيد احمد بودا وإلى جانبه احمد مزغنة، وحولهما عدد من المسؤولين ... ومن الواقفين السيد عبد الحميد مهري طرحنا عليهم السؤال الآتي: إذا قامت حركة تحريرية موحدة

1 معمر العايب: مؤتمر طنجة المغاربي، دراسة تحليلية تقييميه، ط1، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010، ص 58، 59.

2 المرجع نفسه، ص 59.

3 عبد السلام الهاشمي الطود: جذور التنسيق، شهادة مؤسس، ملتقى حول: جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955، نظمته مؤسسة محمد بوضياف، تحت إشراف دحو، جريال الجزائر، 11 - 12 ماي 2001، منشورات مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004، ص 20.

في بلاد المغرب العربي فما موقفكم منها؟ وهل تنظمون إليها؟ وإذا قررتم الانضمام إليها فما هي شروطكم السياسية والعسكرية والإدارية (اللوجستكية)؟... أجابنا السيد احمد بودا قائلا " هذا الموضوع مهم جدا " يخصنا، وهو يحتاج إلى دراسة ومشاورة واتفاق جماعي لاتخاذ القرار في شأنه. لذلك لا أستطيع إجابتم عليه وسنجيبكم فيما بعد"¹.

وهكذا نجد أن عبد الحميد مهري قد كان له الدور الكبير والبارز في ربط العديد من الاتصالات بين الامير عبد الكريم الخطابي والعناصر الثورية بالجزائر، ولم يكتفي عند هذا الحد فقط بل كان من المؤيدين للإيديولوجيات الخطابي في فكرة مغربة الحرب وجيش تحرير المغرب العربي، بحيث عمد على دعم الامير عبد الكريم الخطابي في مشروعه الكفاحي داخل بلدان المغاربية في العديد من الاحداث والمؤتمرات ولقاءات.

1-زكي مبارك: المرجع السابق، ص 236، 237.

عيسى حميطوش البنداوي ودوره في الثورة التحريرية

1962.1954

Issa Hamitoush Al-Bandawi and his role in the liberation
revolution 1962 - 1954

د/ محمدي محمد

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الملخص

تستهدف هذه الدراسة التاريخية المتواضعة؛ إمطة اللثام عن الأدوار الريادية التي نهض بها المجاهدون الجزائريون من أبناء الجزائر بشرقها وغربها وشمالها وجنوبها، وذلك في سبيل التصدي للواقع الاستعماري الفرنسي وتحقيق الحرية والاستقلال لأبناء هذه البلاد، والذين ضاقت بهم السبل في التصدي للممارسات الاستعمارية الفرنسية بالجزائر طيلة المرحلة الاستيطانية الممتدة من سنة 1830 وإلى غاية 1954، تاريخ الاعلان الرسمي عن اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية والاقرار ببداية النهاية لهذا الوجود اللاشعري للاستعمار الفرنسي على الأرض الجزائرية، وهو ما نهض من أجل تجسيده في أرض الواقع العديد من المناضلين الجزائريين المخلصين والأوفياء لهذا البلد، والذين نعتبر أن المناضل "عيسى حميطوش" المدعو البنداوي أحد النماذج الحية عن هؤلاء بمنطقة برج بوعريريج.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، الاستعمار الفرنسي، برج بوعريريج، عيسى حميطوش، المسيرة النضالية، البنداوي.

مقدمة

منذ أول أيام الاحتلال الفرنسي بالجزائر في ال05 جويلية 1830م، والجزائريون يعبرون وبأشكال مختلفة عن رفضهم اللامحدود لهذا الاعتداء الخارجي الفرنسي على بلد الجزائر ذو السيادة الدولية والاقليمية خلال مرحلة

الوجود العثماني بالجزائر 1516-1830م، وقد تجلت ملامح هذا الرفض للواقع الاستعماري الفرنسي في أنماط دفاعية مختلفة ومتباينة، كانت بداياتها الأولى في أشكال متعددة من المقاومات الشعبية المسلحة التي خاض غمارها العديد من أقطاب وأعلام البلاد خلال القرن التاسع عشر عبر كافة أنحاء البلاد وربوعها، ليظل علينا القرن العشرين بأشكال جديدة من النضالات السلمية والكفاح المطلبي بالطرق والوسائل السلمية والسياسية الحديثة، وبخاصة بعد أن تأكد عمق الأشكال الكفاحية السابقة وتقرر مواكبة ومسايرة الأحداث العالمية المحيطة بما تعيشه البلاد من أوضاع، إلى اللحظة التي كان فيها الاعلان التاريخي عن اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954، بفضل من جهود أبناء الجزائر المخلصين للقضية الوطنية الجزائرية، إيماناً منهم بعدالة القضية وإنسانية أهدافها.

ومن دون أدنى شك؛ في أن أعداد هؤلاء المناضلين الجزائريين كبيرة ومتزايدة مع التنامي المطرد لهذه الثورة وانتصاراتها السياسية والعسكرية، بل ولقد توزع هؤلاء المناضلون عبر كافة أنحاء البلاد ومناطقها المختلفة (شرقاً، غرباً، شمالاً، جنوباً)، ومن هذا المنطلق فقد حاولت دراستنا هذه إمطة اللثام عن واحدة من أهم الشخصيات الثورية، والتي حملت على عاتقها جهود النهوض بالعمل النضالي والثوري في أحد المناطق الهامة في هذه البلاد، ويتعلق الأمر بشخصية "سي عيسى حميطوش المدعو البنداوي" وأهم الجهود النضالية والثورية التي نهض بها في منطقة برج بوعريريج خلال مرحلة الثورة التحريرية، ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف فقد كانت منهجيتنا في هذه الدراسة تقسيمها إلى العناصر الآتي ذكرها:

-التعريف بشخصية المناضل "عيسى حميطوش" المدعو "البنداوي".

- أهم الجهود النضالية والاصلاحية ل: "عيسى حميطوش" قبل اندلاع الثورة التحريرية.

- تجليات أدواره النضالية والثورية بعد اندلاع الثورة التحريرية 1954/11/01.

أولاً/ التعريف بشخصية المناضل عيسى حميطوش "البنداوي"

"عيسى حميطوش" المدعو "البنداوي"؛ هو من مواليد 12 أكتوبر (1) سنة 1917 بقرية "بوندة" الواقعة بمنطقة "جعافرة" في الجهة الشمالية من ولاية "برج بوعريج" (2)، نشأ هذا الأخير وسط بيئة ريفية جبلية وبين أسرة فقيرة الحال لا تكاد تحصل قوت يومها إلا من خلال مهنتي الفلاحة ورعي الماشية، وكغيره من أبناء الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية (3)، فقد أدخل عيسى إلى كتاب القرية من أجل تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم، والتي حفظ

(1) يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج01، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1995، ص 214.

(2) تقع منطقة برج بوعريج بالهضاب العليا الشرقية، كما أن هذه المدينة تتوسط المسافة الفاصلة بين الجزائر العاصمة وقسنطينة، حيث تبعد عن الجزائر العاصمة بـ230 كلم، وتبعد عن مدينة قسنطينة بـ200 كلم، وهذا ما أهلها لأن تكون حلقة وصل بين المدينتين، وتقدر مساحة الولاية بـ3920.42 كلم²، كما يبلغ عدد سكانها حوالي 632211 نسمة، وهي مقسمة إدارياً إلى 10 دوائر و34 بلدية في الفترة المعاصرة، كما تزخر المنطقة بالعديد من المعالم والمناطق الأثرية والتاريخية، من أبرزها "برج المقراني" بعاصمة الولاية الذي بناه الباي حسن باشا بن خير الدين سنة 1552 ليكون حاميته العسكرية في المنطقة، وقد أعيد ترميمه من قبل الجهات الوصية سنة 2008، ليصنف من قبل الجهات الوصية ضمن أهم المتاحف الوطنية الكبرى بالجزائر؛ المصدر: جدارية تعريفية بالمعالم الرئيسية في ولاية برج بوعريج: مديرية الثقافة، ولاية برج بوعريج، الجزائر.

(3) رابح توكي عمامرة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية 1931-1956، موفم

للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 44.

القرآن بها وهو لم يتجاوز العقد الأول من عمره أي في سنة 1927، وبعد هذا النبوغ الذي أظهره عيسى في التعلم والتحصيل المعرفي قررت العائلة السماح له بمواصلة الدراسة في إحدى زوايا منطقة القبائل، وكان ذلك في زاوية "أولخير" أو "أولخظير" ⁽¹⁾ إلا أن المؤرخ "يحيى بوعزيز" قد أورد لنا في كتابه بأن "عيسى البنداوي" قد أدخل للدراسة بزواوية بوداود ⁽²⁾ في جرجرة، وبعد أن درس وتعلم هذا الأخير بهذه الزاوية العلوم الدينية والشرعية لمدة ليست بالقصيرة، قرر السفر إلى تونس من أجل الالتحاق بجامعة الزيتونة لمواصلة الدراسة هناك مثله مثل باقي الجزائريين المتميزين في المجال التربوي والعلمي النقلي والعقلي على حد سواء، غير أن الظروف حالت دون طموحاته في مواصلة دراسته بجامعة الزيتونة ليقدر الانقطاع عن الدراسة والعودة إلى مسقط رأسه بقرية بوندة سنة 1931 ⁽³⁾.

وبعد عودة "عيسى البنداوي" إلى أرض الوطن، أوكلت لهذا الأخير مهمة تدريس القرآن وتعليمه للناشئة في بلدة اليشير الصغيرة ⁽⁴⁾، هذه الأخيرة

(1) عبلة حوامد: دور سي عيسى حميطوش المدعو البنداوي في الثورة التحريرية، رسالة ماستر، إ: عبد الله مقلاتي، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2016/2015، ص 08.

(2) يحيى بوعزيز: المصدر السابق، ص 214.

(3) عبد الله مقلاتي: قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، دار بلوتو، الجزائر، 2009، ص 236.

(4) منطقة اليشير هي إحدى بلديات ولاية برج بوعريش الحالية؛ وهي منطقة معروفة من الناحية التاريخية إذ تتميز بعمقها وامتداداتها التاريخية وخصائصها الطبيعية والبشرية المتميزة، فقد تعاقبت على عمارة هذه المنطقة العديد من التجمعات البشرية والسكانية طيلة الحقب الزمنية السابقة، مثل: فترة ما قبل التاريخ، الفترة الرومانية، المرحلة الإسلامية... وغيرها من المراحل التاريخية المختلفة،

التي كانت المحطة الأولى لبداية النشاط النضالي لشخص البنداوي، حيث كان الانضمام الفعلي لهذا الأخير ضمن الصفوف النضالية لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من هذه البلدة، والتي منها كان انتقال العمل النضالي التحرري إلى مسقط رأس هذا الأخير ببلدة بوندة، أين تجلت ملامح الجهود النضالية لشخصية عيسى حميطوش في تأسيس أول مدرسة حرة تابعة للحركة الإصلاحية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) بالمنطقة⁽¹⁾، وبخاصة بعدما كانت منطقة برج بوعريريج عموماً محجاً لرجالات الفكر والسياسة من أمثال: الشيخ البشير الابراهيمي، العربي التبسي، فرحات عباس، الأمين دباغين... وغيرهم من المناضلين والسياسيين الجزائريين الذين بذلوا جهوداً كبيرة في التعريف بالقضية الجزائرية لدى أبناء الجزائر العميقة⁽²⁾.

ثانياً/ الجهود النضالية لشخصية "عيسى البنداوي" قبل اندلاع الثورة التحريرية

تكاد تجمع الكتابات التاريخية على قلتها، حول شخصية عيسى حميطوش البنداوي بأن الطموحات النضالية والكفاحية لهذا الأخير إنما تعود عواملها إلى سببين اثنين، أحدهما هو ملازمة عيسى حميطوش لوالده الذي

إلا أن المتعارف عليه أن أشهر ساكني المنطقة هم من بني العباس الذين اشتهرت منهم عائلة المقراني، العائلة الأرسقراطية التي أعلنت الثورة ضد النظام الاستعماري في سنة 1871؛ ينظر. الموقع الإلكتروني: <https://ar.wikipedia.org>، التاريخ: 27 جوان 2019، التوقيت: 09 و43 دقيقة.

(1) عبد الله مقلاتي: أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، الكتاب الخامس، دار شمس الزيبان للنشر، الجزائر، 2013، ص 164.

(2) الصالح بن أحمد: قرية العناصر المجاهدة برج بوعريريج 1830-1962، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 41.

كان يمتن مهنة الصيد⁽¹⁾، الأمر الذي جعل من ابنه يأخذ عنه هذه الهواية والحرفة حتى غدى هذا الأخير من أشهر الصيادين في المنطقة، السبب الذي كان وراء احتكاك هذا الأخير بالعديد من الصيادين من مختلف المشارب الوطنية، كما تذكر الدراسات أيضاً بأن هذا الأخير قد ورث عن والده خصال الشجاعة والمسؤولية الأمنية عن العرش، وبخاصة في ما تعلق في المشاكل الداخلية والأمنية التي عادة ما تظهر بين سكان هذه القرية⁽²⁾.

وفي ذات السياق المتعلق بالطموحات النضالية لشخصية "عيسى حميطوش"، فتذكر الروايات التاريخية بأن هذا الأخير قد كان انساناً اجتماعياً يسعى إلى توطيد علاقاته مع غيره من أجل خدمة القضية الوطنية والمركزية بالنسبة لعامة هؤلاء الجزائريين، إذ أنه ومنذ إلتحاقه ببلدة اليشير لتعليم القرآن قد كان مبادراً إلى ربط العديد من العلاقات الوطنية والنضالية مع الكثير من أعضاء حزب الشعب الجزائري، والأمر ذاته بالنسبة لأعضاء الحركة الإصلاحية الجزائرية (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي يعتبر المناضل "عيسى حميطوش" أحد الأعضاء الفاعلين ضمن صفوفها، مما كان سبباً وجيهاً لتأسيسه أول مدرسة إصلاحية حرة في مسقط رأسه ببوندة بعد أن حول أحد مساجد القرية إلى مدرسة حرة، في ظل معارضة كبيرة من كبراء

(1) يحيى بوعزيز: دائرة الجغرافة تاريخ وحضارة وجهاد، طبعة خاصة، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 161.

(2) عائشة رميلي وأخريات: أعلام منطقة برج بوعريبرج ودورهم في الحركة الوطنية والثورة التحريرية 1900-1962، رسالة ماستر، إ: عبد الله مقلاتي، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2015/2014، ص 61.

القرية وأعيانها أو "المزاور" بحسب ما كانوا يلقبون في المجتمع الجزائري العميق بحسب ما كتب المؤرخ يحيى بوعزيز في أبحاثه (1).

وفي سنة 1939 استدعي عيسى حميطوش البنداوي من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية، من أجل عمليات الكشوفات الطبية الخاصة بأداء الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، غير أنه تجليات المرض والاعتلالات الصحية والبدنية التي كان يعاني منها البنداوي كانت سبباً في إعفائه من أداء هذا الواجب الألزامي المفروض على الشباب الجزائري، ليتفرغ بعدها العمل النضالي والكفاحي رفقة أبناء عشيرته من الوطنيين، الأمر الذي كان حجة لاعتقاله من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية لمدة أسبوع كامل بعد المجازر الوحشية ضد الجزائريين في 08 ماي 1945، ليتم إطلاق سراحه بعد أسبوع من اعتقاله في منطقة مجانة (2).

ومباشرة بعد أن أطلق سراح عيسى البنداوي من السجن، فإن دوره النضالي لم يتقهقر أو يتراجع بل إننا قد وقفنا على نمو وزيادة في جهوده النضالية والكفاحية التي ما فتئت تتزايد من يوم لآخر من قبل هذا الأخير، سيما في ظل نشاطه الدائم في صفوف الحركة الوطنية الجزائرية والحركة الإصلاحية بصفة كبيرة، وقد تجلى ذلك في تأسيسه لثاني مدرسة حرة تابعة للحركة الإصلاحية بمسقط رأسه في سنة 1952، وهي التي حملت إسم العلامة "عبد الرحمن ابن خلدون" وكانت المدرسة على غير العادة، فضاءً مفتوحاً لتدريس العديد من العلوم المختلفة مثل: اللغة العربية، التاريخ، الجغرافيا،

(1) يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة، المصدر السابق، ص 162.

(2) يحيى بوعزيز: دائرة جعافرة، المصدر السابق، ص 162.

الفقه...، وذلك بعد أن باتت المدرسة الأولى بالمنطقة عاجزة على احتواء الأعداد الكبيرة من الطلبة والمريدين⁽¹⁾.

وعليه نستطيع القول، بأن الواقع الاستعماري الفرنسي القائم على القمع والاستبداد قد ساهم في اقتناع العديد من الوطنيين الجزائريين (نخبويين أو عامة) بضرورة التصدي والمجابهة لهذا الواقع اللإنساني للاستعمار الفرنسي، وقد كان ذلك من خلال الجهود المبذولة في تنوير العقول وتعريفها بحقيقة القضية الجزائرية من أجل المرور إلى الجهاد الأكبر ضد الاستعمار الفرنسي، ومن هؤلاء نجد: شخصية المناضل "سي عيسى حميطوش المدعو البنداوي".
ثالثا/ الأدوار الجهادية والثورية للمناضل "عيسى البنداوي" بعد اندلاع الثورة التحريرية في 01 نوفمبر 1954م

تذكر الدراسات والأبحاث ذات الاهتمام بتاريخ الرجل والمنطقة على حد سواء، بأن الأصول والجذور التاريخية للانضمام الفعلي والعملي للمناضل "عيسى حميطوش" إلى صفوف العمل الثوري والاندماج في صفوف العمل المسلح المعلن عنه سنة 1954، إنما يعود في جذوره إلى الممارسات التعسفية واللإنسانية للاستعمار الفرنسي ضد الأهالي والمدنيين الجزائريين من جهة، كما تشير الدراسات بالمقابل بأن أصول قرار الانضمام العملي لصفوف العمل المسلح ضد الاستعمار الفرنسي إنما يعود إلى مسألة اكتشاف المنظمة الخاصة O.S (الجناح العسكري ل: ح.إ.ح.د) من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية بعد حادثة المدعو "خياري رحيم" في تبسة شهر مارس 1950⁽²⁾، وعلى إثر

(1) عائشة رميلي وأخريات: المرجع السابق، ص 62.

(2) عبد القادر جيلالي بلوفة: رأي المؤرخ يحيى بوعزيز في قضية اكتشاف المنظمة الخاصة،

هذه فقد تم اعتقال العديد من المناضلين الجزائريين كما مورست ضدهم أشكال مختلفة من التعذيب والتعسف لاستنتاجهم، ومن بين هؤلاء فقد كان المناضل "عيسى حميطوش" أحد المعتقلين بعد الحادثة، غير أن صديقه المقرب "الظاهر بن أخروف" قد كلف مهمة الدفاع عنه للمحامي محمد "الصالح بن مصباح" الذي تمكن بفضل من جهوده وحكته القانونية من إطلاق سراح "البنداوي" أياماً قليلة بعد اعتقاله (1)، في حين أشارت بعض الأبحاث أن لتحريره علاقة بجهود غير معن عنها من قبل المناضل والسياسي الجزائري الكبير فرحات عباس (2).

كما تضيف الروايات التاريخية؛ أنه وبمجرد خروج "عيسى البنداوي" من السجن فقد تزايدت العيون والجواسيس الفرنسية الاستعمارية تجاهه، لذلك فقد قرر هذا الأخير مقاطعة وظيفته في التعليم ببلدة اليشير، ليرجع إلى الاستقرار بمسقط رأسه في بلدة بوندة بمنطقة جعافرة أين عرض عليه منصب الإمامة في البلدة بعدما تقرر توقيف الامام السابق بالبلدة، فرفض البنداوي طلبهم في بداية الأمر غير أنه سرعان ما قبل بعد كثرة إلحاحهم، وبعد مدة ليست بالطويلة أحس المناضل عيسى البنداوي بتزايد الرقابة والأعين الاستعمارية تجاهه، الأمر الذي جعله يتخذ قراراً بالسفر إلى فرنسا ومغادرة البلاد، وبعد أن مكث في فرنسا ما يقارب السنة رجع إلى الجزائر لمواصلة المسيرة النضالية والكفاحية مع أبناء وطنه من الجزائريين (3)، كما تذكر الرواية كذلك أنه وفي خلال هذه المرحلة كانت قد دبرت للمناضل البنداوي مكيده

(1) يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة، المصدر السابق، ص 215.

(2) يحيى بوعزيز: دائرة الجعافرة، المصدر السابق، ص 162.

(3) عبلة حوامد: المرجع السابق، ص 22.

اغتيال فاشلة، وذلك من قبل المناوئين المناهضين لأساليبه في مجابهة النظام الاستعماري الفرنسي بالمنطقة، حتى وصل بهم الحال إلى شراء سلاح (مسدس) وتأجير شخص يدعى "سليمان قيسوس" من أجل اغتيال "عيسى البنداوي" مقابل مبلغ من المال، إلا أن هذا الأجير رفض القيام بهذه المهمة وقرر الاعتراف بما أسند له من مهمة، وسلم المال والسلاح للمناضل "عيسى البنداوي" الذي وجه هذه الأموال لأجل بناء مدرسة لتعليم أبناء القرية المحرومين⁽¹⁾.

وفي إطار مواصلة هذا الأخير؛ لجهوده النضالية الرامية إلى محاولات تقويض الوجود الاستعماري بالبلاد وتجفيف منابع قوته وديمومته، فقد عمل "عيسى البنداوي" على التصدي لجميع الجزائريين المتعاونين مع السلطات الاستعمارية ضد أبناء جلدته من سكان القرى والأرياف الجزائرية العميقة، سيما بعد أن جعل الاستعمار من هؤلاء المتعاونين أداة طيعة له من أجل تحقيق مآربه الاستيطانية والتسلطية بالبلاد، والدليل على ذلك هو إقدامه سنة 1948 (أي بعد انتخابات المجالس الجزائرية المزورة)، بالدعوة إلى انتهاج أسلوب المقاطعة ضد حافلات "بلخير العياشي" المتعاون مع الفرنسيين، فكان أن حققت الدعوة إلى المقاطعة من قبل البنداوي نجاحاً كبيراً، وبخاصة بعد أن تمت الاستجابة لهذه المقاطعة مدة أسبوع كامل مما سبب خسائر فادحة في مداخيل الحافلات الخاصة بالمتعاون مع الفرنسيين "بلخير العياشي"، وبعد أن ظهرت إلى السطح نجاعة النضالات التي تبناها المناضل "عيسى البنداوي" بالمنطقة، فقد صار محل ملاحقة ومتابعة دائمة من قبل السلطات الاستعمارية التي ما فتئت تترصد تحركاته في مسقط رأسه في كل وقت وحين، الأمر الذي

(1) يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة، المصدر السابق، ص-ص، 215-216.

جعله مجبراً على التنقل الدائم بين أصدقائه من القرى والدواوير المجاورة لبلدته، ومن بين هؤلاء نذكر على سبيل المثال: المولود البلعالي، سليمان العشابو، أحمد علوش، عمر بوشيحة، البومسعاوي... الخ⁽¹⁾.

ومع اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954؛ كان المناضل "عيسى حميطوش" المدعو "البنداوي" واحداً من المناضلين المسؤولين بعرض الجعافرة التابع بناء على التقسيم الثوري بالمنطقة، إلى القسمة الرابعة التي تضم كل من: (الجعافرة، الماين، تفرق)، من الناحية الخامسة التابعة للمنطقة الأولى والتي تتبع إدارياً وثورياً إلى الولاية الثالثة التاريخية (القبائل)، وذلك حسب التقسيم الإداري المنبثق عن ميثاق مؤتمر الصومام الصادر في 20 أوت 1956⁽²⁾.

وفي إطار التعريف بالجهود النضالية والثورية المبذولة من قبل البنداوي فقد تواترت الروايات التاريخية كذلك؛ أن هذا الأخير كان من بين المناضلين الأوائل الذين سارعوا لاحتواء العمل العسكري الثوري وتنشيطه في منطقة القبائل (الصغرى والكبرى)، حتى أن جهوده قد كلفت بالتعرف على المناضل الكبير العقيد عميروش الذي توسم في هذا الأخير المقدرة والحنكة في العمل الثوري، فكان أن كلفه بقيادة الثورة في منطقة بني عباس وما جاورها من مناطق القبائل الكبرى في جبال البيان وجرجرة، حتى أن بعض الدارسين قد ذكر بأن بلدة عيسى حميطوش "بوندة" قد أضحت معقلاً للثوار والمجاهدين من عديد المناطق المجاورة لمنطقة جعافرة من مثل قرى: أوشانن، أورير، ثنية الخميس،

(1) يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة، المصدر السابق، ص 216.

(2) يحيى بوعزيز: دائرة الجعافرة، المصدر السابق، ص 178.

تفرق، بني عباس، بني لعلام، أولاد خليفة... الخ⁽¹⁾. كما ذكرت الدراسات بأن عيسى حميطوش؛ قد أسس نظاما ثوريا متجانسا في منطقة القبائل عامة والقبائل السفلى بصفة خاصة، أين خاض العديد من المعارك البطولية ضد الاستعمار الفرنسي بهذه المناطق، الأمر الذي دفع بالعقيد عميروش إلى ترفيته إلى رتبة نقيب بعد مؤتمر الصومام، كما أسند له العديد من المهام الثورية والعسكرية الكبرى بالمنطقة بعد انتصاراته المحققة ضد السلطات الاستعمارية الفرنسية بمنطقة القبائل⁽²⁾، في حين تقول رواية أخرى أنه كان مجاهداً متقلداً في جبال المناطق الشرقية (البيبان، جرجرة)، وبعد انعقاد مؤتمر الصومام في الولاية الثالثة عاد إلى مسقط رأسه في بلدة "بوندة" رفقة عدد من الضباط الكبار في جيش التحرير الوطني من أمثال زيغود يوسف، عمر أوعمران... الخ، لتحاك ضده مؤامرة من طرف بعض الحاقدين ليمثل أمام لجنة للتأديب التي جردته من رتبته العسكرية ونقله إلى القبائل الكبرى، وبها واصل جهوده النضالية إلى غاية استشهاده في بني دوالة شهر جويلية 1958⁽³⁾.

ويذكر المؤرخ "يحيى بوعزيز" أنه قد أقيم لـ: "عيسى حميطوش البنداوي" رفقة زملائه في الشهادة نصب تذكاري في مكان استشهادهم في ربوة "سيدي المسعود" سنة 1987، ومما كتب على هذا النصب التذكاري ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

بني دولة في: 05 جويلية 1987

(1) عبلة حوامد: المرجع السابق، ص-ص، 26-27.

(2) عبد الله مقلاتي: أعلام وأبطال الثورة، المرجع السابق، ص-ص، 164-165.

(3) يحيى بوعزيز: دائرة الجعافرة، المصدر السابق، ص 164.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران

الآية 169.

صدق الله العظيم

"في هذه الربوة من روابي بلدية بني دواله، والتي تدعى سيدي مسعود، وقعت معركة حاسمة بين الاستعمار البغيض، وجيش التحرير الوطني في شهر جويلية 1958 بقيادة النقيب سي عيسى، وفيها بلي جيش التحرير الوطني بلاء حسناً وكبد العدو خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وعلى إثرها سقط 34 شهيداً في ميدان الشرف.

رحم الله الشهداء وأسكنهم فسيح جنانه

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار⁽¹⁾.

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة نستطيع القول أن:

التنشئة العربية الاسلامية للجزائريين قد ساهمت في تكوينهم لشخصية جزائرية مطعمة بالروح الهوياتية العربية المسلمة، التي وقفت سداً منيعاً في وجه الحملات التنصيرية التي قادتها المدرسة الاستعمارية ضد الأهالي الجزائريين.

الوقوف على الشجاعة الفكرية والأدبية لدى المناضل "عيسى حيطوش البنداوي" نظراً إلى مسيرته التكوينية والتعليمية في رحاب المدارس الحرة للحركة الاصلاحية الجزائرية، وهي التي صقل من خلالها مواهبه في الدفاع عن أبناء البلاد مع الدعوة إلى الحفاظ على مقوماتهم الدينية والحضارية التي تميزهم عن غيرهم من المستوطنين الأوروبيين.

(1) يحيى بوعزيز: دائرة الجعافرة، المصدر السابق، ص 165.

الإقرار بالمهام الثورية الكبرى التي اضطلع بها البنداوي تصدياً ومجابهة للواقع الاستعماري والمتواطئين معه، الأمر الذي سبب له الكثير من المشاكل والعراقيل إلا أن المجاهد "عيسى حميطوش البنداوي" ظل صامداً مجاهداً في وجه النظام الاستعماري الفرنسي حتى حقق الشهادة في سبيل الله سنة 1958 أملاً منه في أن يستكمل أبناء وطنه باقي المسيرة التحررية حتى استكمال معالم الاستقلال والحرية.

من شهداء الثورة التحريرية العربي عباسي المدعو التبسي
 One of the martyrs of the Liberation Revolution, the Arab
 Abbasi, also known as Al-Tebssi

د / سمير بن سعدي
 جامعة أكلي محند أولحاج البويرة

مقدمة

رغم مرور أكثر من ستين سنة على الاستقلال إلا أن الدراسات التاريخية الخاصة بترجمة سيرة الشهداء ماتزال محتشمة وقليلة، حيث تركزت على القادة البارزين من خلال تخصيص دراسات أكاديمية كثيرة وصلت إلى حد التشبع في حين هنالك الكثير من الشهداء والمجاهدين كان لهم بطولات ومواقف مشرفة خلال الثورة التحريرية كما شاركوا في العشرات من المعارك، وأصيبوا في عشرات المرات، وسكنت رصاصات العدو أجسامهم في عشرات المرات، إلا أن عدم الاهتمام بهذا النوع من الدراسات من طرف الطلبة والباحثين، قد فوت الكثير من الحقائق التي كان يمكن لها أن تقدم بالإضافة لكتابة تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية، وإيماننا منا بقيمة هذه الدراسات، حاولنا في هذه الدراسة تخصيص سيرة بعض الشهداء الذين قدموا تضحيات في الجهاد بمنطقة برج بوعرييج وهو الشهيد العربي عباسي المدعو التبسي.

لماذا يدعى التبسي؟

حسب شهادة المجاهد فرحات زيداني⁽¹⁾ فإن سبب التسمية يعود بالأساس أن العربي عباسي لما كان بالمهجر في أوائل 1954 إلى 1955

(1) فرحات زيداني: من مواليد 04 مارس 1939م منطقة عين تاغروت تربي وترعرع بها، في سن الخامسة من عمره التحق بالمسجد في القرية فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ بن طالبي

الصديق الفرحاوي وفي مرحلة الشباب وبالضبط سنة 1952 انتقل إلى زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي "الإيلولي" (1952-1955) حيث كان الأستاذ محمد الصالح الصديق أستاذا بها الذي يعد من قدماء المناضلين في حزب الشعب، وفي سنة 1955 كان القائد المجاهد كريم بلقاسم يزور الزاوية بين الفينة والأخرى وقد كان يقوم بتوعية طلبة الزاوية بمدى قدرة المجاهدين على الانتصار وطرد المستعمر الفرنسي وكان يقول لهم-حسب شهادات المجاهد - أنهم لن يعتمدوا عليهم في التجنيد بل يقومون بإرسالهم إلى الخارج لإكمال دراستهم في القاهرة وسوريا. ومع هذه المجريات حدث احتكاك بين طلبة الزاوية والثوار المجاهدين فزاد من حماسهم الثوري ووعيهم الوطني، وفي سنة 1955 وقع القايد العربي والشانبيط في كمين فقتلتهما المجاهدون وعلى إثر ذلك قام أحد أبناء القايد العربي بتبليغ الحاكم الفرنسي في المنطقة بأن والده قُتل من طرف أعضاء الزاوية ففر أعضاء الزاوية والطلبة، وقد التحق زيداني كمسبل سنة 1956 وفي 22 جانفي 1957 انظم كعضو جيش (جيش التحرير الوطني) وقد كان برتبة عريف تحت قيادة ابراهيم موحلي الذي عينه في فوج الكموندوس للناحية الرابعة وقد كان هذا الفوج يقوم بجميع الأعمال في القسمة الثالثة، وقد شارك في العديد من المعارك والمهمات، حيث تكفل بدوريتين من الولاية الثالثة إلى الولاية الأولى نحو تونس أما المعارك التي شارك فيها فهي عديدة نذكر منها: معركة شعبة لقصير، معركة جبل زمورة، معركة عقار 10 ماي 1959 وفي هذه المعركة أصيب المجاهد فرحات زيداني ...، بعد معركة أولاد حناش في 01 جويلية 1959 ألقى عليه القبض في اليوم العاشر من نفس الشهر، حيث نقل إلى سجن مجانة، ثم إلى معتقل قصر الطير إلى غاية إطلاق سراحه في 02 ديسمبر 1961، حيث اتصل بالمجاهد امر الحافظي الذي كان مسؤولا عنه في الكتيبة بالناحية، فقام بتعيينه مسؤولا في القضاء بالناحية الرابعة، بعد الاستقلال بقي المجاهد في خدمة الوطن وعمل في وظائف عديدة منها مسؤولا في الحرس البلدي مدة 22 سنة من سنة 1962 إلى غاية 1984، كما كان مسؤولا لقسمة المنظمة الوطنية للمجاهدين بقسمة عين تاغروت مدة خمس سنوات من 1963 إلى غاية 1967، كما عمل مسؤولا عن حزب جبهة التحرير الوطني بعين تاغروت، أُحيل على التقاعد سنة 1984، وخلال العشرية السوداء لبي النداء وحمل السلاح للدفاع عن الوطن، وفي سنة 1996 انتخب المجاهد عضوا في المجلس الوطني للمجاهدين، وهو الآن عضو في المنظمة الوطنية للمجاهدين (متحف المجاهد برج بوعريريج) مكلف بكتابة تاريخ الثورة التحريرية بالمنطقة، أدامه الله في خدمة الوطن. مقابلات شخصية مع المجاهد: في فترات متباعدة من سنة 2008 إلى سنة 2018م.

ومع اندلاع الثورة التحريرية، انتقل من فرنسا إلى ألمانيا، ومن هناك سافر وحط الرحال بتونس ولدى وصوله اشترى بندقية "عشاري"، والتحق بالجبل على الحدود التونسية نواحي سوق أهراس وتبسة، وبقي هناك مكافحا مدة سنة 1956 ولما انتقل وحوّل إلى الولاية الثالثة في جانفي 1957 انظم لكتيبة الناحية الرابعة بقيادة السعيد أعراب (شهيد)، كنا ندعوه التبسي نسبة إلى المنطقة التي أتى منها، لكنه كثيرا ما كان يصرح لنا أن أصله من المنطقة، من سيدي مبارك ووالداه من سيدي مبارك⁽¹⁾.

من هو العربي "التبسي" عباسي؟

هو العربي عباسي بن مبروك، من مواليد سنة 1932 بسيدي مبارك، نشأ وترعرع في أسرة متواضعة، التحق بالمدرسة القرآنية حيث حفظ ما تيسر من القرآن، ولما شب هاجر إلى فرنسا، بعد اندلاع الثورة التحريرية رجع إلى أرض الوطن عابرا الحدود التونسية، ليلتحق بجيش لتحرير الوطني، خاض العديد من المعارك في الناحية الرابعة المنطقة الأولى من الولاية الثالثة، تعرض للاعتقال بعدما أصيب في إحدى العمليات على منزل القايد مداني في قلب قرية زمورة، تم إيداعه في سجن ببجاية ولكنه نجح في الهروب ليرجع لصفوف جيش التحرير الوطني، استشهد في معركة بذراع الرهايل، استعملت خلالها قوات العدو الفرنسي الدبابات والطائرات المقتبلة للقضاء على المجاهدين وكان ذلك في شهر أوت سنة 1961⁽²⁾.

(1) فرحات زيداني: مقابلة شخصية مسجلة بالصوت والصورة ، متحف المجاهد ببرج بوعريريج، على الساعة العاشرة صباحا ، يوم 25-07-2018.

(2) أنظر المنظمة الوطنية للمجاهدين (ولاية برج بوعريريج): قاموس الشهيد، ج 2، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2002م، ص 334، وأيضا المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية برج بوعريريج: التقرير السياسي والعسكري 56-57-1958.

العربي عباسي يتدرج في المسؤوليات

حسب شهادات المجاهد فرحات زيداني الذي كان صديقا للعربي يقول:

" أن صديقنا العربي كان جندي عادي حينما انظم لكتيبة الناحية، لكنه كان معروف بالشجاعة والإقدام أما عن تدرجه في الرتبة كانت بعد معركة 22 فيفري 1957 بعقار كنا هناك في فصيلة من حوالي خمسة وأربعون مجاهد تحت قيادة المجاهد سي بلقاسم المدعو لاندوشين (شهيد)، وكان خلالها معنا أحد القادة الضابط صالح نزار من الولاية الأولى كان مكلفا بتكوين وتشكيل الفيالق والكتائب والفرق، حيث أنه بعد رجوعه من منطقة القبائل الكبرى إلى القبائل الصغرى انتهى به المطاف في كتيبتنا المتمركزة في عقار⁽¹⁾، وقد تمت الوشاية بنا بوجودنا في المنطقة، فانتقلت فرق الحركة ب: بني وسين حيث كانت حركة بني موحلي متواجدة هناك، وتمت محاصرتنا في الصباح، فاندلعت المعركة وكانت من أكبر المعارك، حيث لم يتمكن الطيران من التدخل فقد كنا وجها لوجه مع قوات العدو حيث استشهد القائد المسؤول علينا " سي بلقاسم " المدعو لاندوشين، بعد نهاية المعركة قدم الجنرال ديفور من سطيف وقام بقطع رأس الشهيد سي بلقاسم وبندقيته وأخذهما معه، نظرا للمكانة التي كان يتميز بها سي بلقاسم وماضيه حيث كان من بين الذين شاركوا في المعركة الفاصلة في الهند الصينية، فكان يتمتع بمكانة خاصة واحترام لدى جنود جيش التحرير، كما أنه كان يعرف أحد القادة العسكريين الفرنسيين في الهند الصينية، وأصبح هذا القائد الفرنسي مسؤولا في زمورة أما هو فأصبح مسؤولا في جيش التحرير بالمنطقة، وكان سي بلقاسم يرأسل

(1) عقار: منطقة تابعة لبلدية خليل شهدت العديد من المعارك الطاحنة تقع أقصى شمال بلدية خليل حتى أصبح الناس يقولون " النار ولا عقار".

ذلك القائد برسائل ليحظ من معنوياته، والعكس من طرف ذلك القائد، ولذلك فإن الجنرال ديفور حاول بهذا العمل تحطيم معنويات جنود جيش التحرير بالمنطقة، خلال تلك المعركة التي بدأت صباح الثاني والعشرون فيفري وانتهت على الرابعة مساءً، وقد أصيب المجاهد صالح نزار في عينه حيث ساعده العربي التبسي فلم يلتحق بنا إلى الجبل ولكنه أنزله إلى الوادي واختفى معه بين أشجار الدفلى إلى غاية هدوء الأوضاع، أما صالح نزار فقد توجه إلى تونس للمعالجة وبقي هناك إلى غاية تماثله للشفاء، وبعد رجوعه إلى الولاية الأولى، ناحية أولاد تبان، وفي تلك الأثناء أرسل الرتبة سارجان (عريف) للمجاهد العربي التبسي وتم تقلده مسؤولية فوج من بينها أنا [فرحات زيداني] كنت ضمن الفوج الذي كان مسؤولاً عنه " ... وقد تدرج العربي التبسي في المسؤوليات إلى أن تقلد مسؤولية أجودان (مساعد) . كانت خسائر جيش التحرير في هذه المعركة حوالي 16 شهيدا⁽¹⁾.

العربي عباسي "التبسي" واستهداف الخونة والعملاء

حوالي 35 عملية اختطاف العملاء وحوالي 30 عملية تصفية الخونة الذين كانوا يشكلون خطراً على الثورة التحريرية بالمنطقة.

العربي عباسي واستهداف مركز الجيني " المدافع "

تعود الواقعة حسب شهادات المجاهد فرحات: "أننا قمنا باستهداف هذا المركز لما يمثله من خطر على فرق جيش التحرير، فقمنا بالاشتباك مع عساكر ذلك المركز وأحرقنا لهم الشاحنات التي كانت مركونة وألحقنا بهم خسائر فادحة، ما اضطرهم للفرار ومغادرة المركز إلى مركز زمورة"⁽²⁾.

(1) فرحات زيداني: المصدر السابق، 25-07-2018.

(2) المصدر نفسه.

شهامته وإقدامه

شارك الشهيد العربي عباسي في العشرات من العمليات الفدائية والمعارك الطاحنة في الناحية، وكان لا يخشى مجابهة جنود العدو الفرنسي، ومن بين تلك المواقف يروي بلحاج النذير المدعو الشريف: "أنه في أحد الأيام ذهب للجبل ليحتطب ولدى رجوعه التقى بالمجاهد العربي التبسي، فطلب منه العربي أن يركب معه على الحمار ليوصله إلى أولاد عثمان، فنبهه الشريف بأن جنود العدو في مدخل القرية، فلم يكثرث لما قاله له، ورد عليه بعدم الاكتراث لذلك، وكان خلالها المجاهد العربي التبسي يلبس قشابية، وكأنه شخص عادي، ولما وصلا بالقرب من مركز المراقبة، أمره بالتوقف في منطقة لا يرى من خلالها، واتجه في ناحية أخرى ليسلك طريقا مختصرة للقرية (1)، كما سنذكر البعض من المعارك والاشتباكات، والعمليات الفدائية التي قام بها. معركة "عين أم شعيب، موشعيب 02"، ديسمبر 1957 (2)

كانت قوات العدو متواجدة بالمكان المسمى "الوطية" قرب أولاد جلال (3) تُقدر بحوالي 4000 عسكري قصد نصب كمين لدورية جيش التحرير الوطني التي كانت قادمة من تونس تحمل السلاح بقيادة البغدادي (4)، وقد

(1) بلحاج النذير " الشريف": مقابلة شخصية مسجلة، بمنزله في أولاد عثمان، 08 ماي 2013.
 (2) تجدر الإشارة أن بالتقرير السياسي والعسكري فيه المعركة الأولى والثانية ونقلناهما مثلما تم تسجيلهما. أنظر المنظمة الوطنية للمجاهدين (برج بوعريرج): التقرير السياسي والعسكري الشامل لأحداث الثورة للسنوات الثلاث 1956-1957-1958، اللجنة الولائية، د.ت.
 (3) أولاد جلال: منطقة تابعة حاليا لبلدية برج زمورة، تقع في منطقة جبلية غابية، شهدت العديد من المعارك الطاحنة، تقع هذه المنطقة في أقصى شمال شرق بلدية برج زمورة.

(4) سي بغدادي: اسمه الحقيقي "أحمد علي" ولد في 18 ماي 1925 بعين الدفلى بدوار بني غومريان، استقرت عائلته في بوفاريك حيث ترعرع سي بغدادي علي، بعد دراسته في الابتدائية

رابطت قوات العدو بعين المكان لمدة أسبوع في انتظار الدورية، وفي تلك الأثناء انتقلت خلالها كتيبة بقيادة عبد الرحمن الدلسي ومساعدته امير الحافظي⁽¹⁾ من قرية سومار⁽²⁾ إلى أولاد جلال لحماية الدورية القادمة من تونس، وتم إرسال فوج من الكتيبة بقيادة العربي عباسي "التبسي" لإطلاق النار على سيارة عسكرية ودبابية، دمرت السيارة بجميع ركابها أما الدبابية فانسحبت لاطلاع

والاكاديمية، انتقل إلى معهد باج حيث زاول تكويننا مهنيا في تخصص نجارة الأثاث الفاخر، التحق بحزب الشعب الجزائري وهو في العشرين من عمره، بعدها التحق بالمنظمة السرية، ألقى عليه القبض سنة 1950 خلال اكتشاف المنظمة الخاصة، انتقل إلى القليعة بعد خروجه من السجن حيث عمل كنجار في ورشة عائلة "عاشور" وربط علاقة صداقة مع ابنها "بغداد" الذي اغتيل ببرودة أمامه من قبل الجيش الفرنسي، وكان ذلك الاسم الثوري الذي اختاره أي "بغداد" تكريما لذاكرة صديقه، كان زميلا لسويداني بوجمعة وأحمد بوشعيب، التحق بالثورة فور انطلاقها في ناحية البليدة وبعدها في مدينة الشلف، كلف عدة مرات بدوريات لنقل السلاح، دخل في احدى المرات بدورية سلاح رفقة 170 مجاهد قادمين من تونس، رقي إلى رتبة رائد، استشهد في اشتباك بالقرب من الحدود المغربية سنة 1958 أنظر عاشور شرفي : قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، ترجمة: عالم مختار، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2007م، ص ص 198-199.

(1) جناد امير (الحافظي): من مواليد بني ورثيلان بسطيف سنة 1934، درس الكتاب والمدرسة الفرنسية بمسقط رأسه، ولدى اندلاع الثورة التحريرية التحق بصفوف الثورة التحريرية سنة 1955، عمل مع الشهيد عبد الرحمن ميرة مسؤول المنطقة، شارك في العشرات من المعارك والكمائن، من بينها: معركة 01 ماي 1958 بزمورة، رقي إلى رتبة ملازم ثان، بعد الاستقلال واصل مع صفوف الجيش الشعبي الوطني، عضو في المجلس الوطني للمنظمة الوطنية للمجاهدين، أنظر علي العياشي: " ندوة مدينة سطيف. ملتقى الولايات"، مجلة أول نوفمبر، ع 88-89، الجزائر، جانفي-فيفري 1988 الموافق لـ جمادى الثانية - رجب 1408هـ، ص 24، أيضا عبد الله مقلاتي: قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط1، منشورات بلوتو، الجزائر، 2009م، ص ص 214-215. فرحات زيداني : مقابلات عديدة.

(2) قرية سومار: تقع حاليا في بلدية قنزات ولاية سطيف.

العدو عن تواجد جيش التحرير بالمنطقة، وعلى اثر ذلك اندلعت المعركة بين الطرفين، وتوالى إمدادات العدو إلى أن بلغ عدد قواتها في المعركة 4000 عسكري زيادة على مختلف الطائرات وقد أُضطر الطرفان عند حلول الظلام إلى استعمال السلاح الأبيض، كانت نتائج المعركة، استشهاد العريف الأول سي لحو، ومجاهد آخر اسمه **الزرندي مقوس** ⁽¹⁾ وجرح ثلاثة مجاهدين، أما في صفوف العدو فقُدرت خسائرها 300 قتيل و100 جريح من بينهم ضابط برتبة نقيب، وتجدر الإشارة إلى أن قوات العدو نقلت جنث جنودها وتركت جثة قتيل واحد لكونه ذو بشرة سوداء، تم دفنه من طرف جيش التحرير ⁽²⁾.

قيامه بعملية فدائية وسط مركز زمورة

عملية فدائية وسط قرية زمورة جانفي 1958 ⁽³⁾

ترجع تفاصيل خطة هذه العملية التي تبناها فريق الكموندو بقيادة العربي عباسي "التبسي" الذي قرر تنفيذ عملية حرق منزل القايد مداني الذي حولته السلطات الفرنسية لمركز المكتب الثاني، لكن قوات العدو تتبعت فوج

(1) حسب شهادة فرحات زيداني استشهد في صفوف جيش التحرير 4 مجاهدين من بينهم طرارية الزايدي، عبد العزيز السطايفي، محمد أطيح.

(2) المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية برج بوعرييج: **التقرير السياسي والعسكري 56-57-1958**، المصدر السابق، أيضا فرحات زيداني: "أحداث ووقائع بزمورة أثناء الثورة كما عشتها..."، الذكرى الثامنة والخمسون لاندلاع الثورة التحريرية، شريط مسجل، المركز الثقافي شيباني صالح، برج زمورة، 31-10-2012.

(3) مؤرخة في 29 نوفمبر 1958 كتاب من تأليف جمعية أول نوفمبر لحماية وتخليد مآثر الثورة التحريرية، تحت إشراف المنظمة الوطنية للمجاهدين، أنظر ج.أ.ن. ح.ت.م.ث.ت تحت إشراف المنظمة الوطنية للمجاهدين: **التنظيم الثوري والأحداث العسكرية الكبرى بولاية برج بوعرييج أثناء الثورة التحريرية الكبرى**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص292.

الكموندى وعلى إثر ذلك حدث اشتباك بين الطرفين ابتداء من الساعة الثانية زولا إلى نزول الليل، أصيب خلالها قائد الفوج بجراح بليغة، وتم إلقاء القبض عليه، نقل إلى سجن بجاية، إلا أنه تمكن من الفرار سنة 1959، أما في صفوف العدو فقد قتل خمسة من رجال الحركة وأصيب قائدهم بجراح بليغة (1).

التبسي يهرب من السجن ويلتحق مجددا بالجبل ورفض إعادة تجنيده من أحد الضباط : بعد فرار العربي التبسي التحق بالجبل، لكن أحد القادة في جيش التحرير بالمنطقة رفض تجنيده لشكوكه أنه انظم لصفوف العدو بعد اعتقاله، لكن العربي توسل له أن يجنده وأوضح له أنه هرب ولا علاقة له بالعدو الفرنسي، إلا أن ذلك القائد رفض رفضا قاطعا، فانصرف العربي من المكان واتجه نحو الدوار في المكان المسمى الخربة حيث استقر هناك ثلاثة أيام كاملة، وفي اليوم الرابع وصل فوج قادم من لعيني (2) حيث كانوا من الجنود الذين كان مسؤولا عنهم سابقا، حيث روى لهم قصته كاملة، وسألهم عن مقصدهم، فأعلموه أنهم قاصدين بني عباس، فمنعهم وقال لهم أن هناك عملية يجب القيام بها، وهي استهداف مجموعة من حركة الشفاء وبعض العساكر الفرنسيين الذين يقصدون القرية ويعيثون فيها فساداً وتنكيلا بالسكان، ومع مغيب الشمس وصلت سيارة جيب jeep المقصودة، هناك تأهب فوج المجاهدين وفتحوا نيرانهم على السيارة حيث قتل أربعة عساكر والخائن وأحرقت السيارة وغنموا أسلحتهم، وخلالها غنم العربي التبسي بندقية من تلك البنادق

(1) المنظمة الوطنية للمجاهدين لولاية برج بوعرييج: التقرير السياسي والعسكري 56-57-1958، المصدر السابق.

(2) لعيني: تقع حاليا في ولاية سطيف.

ولما التحقوا بالمنطقة المسماة أولاد جلال وجد الكتبية التي كان فيها فاستقر معنا أما فوج المجاهدين الآخر فأكمل مهمته لبني عباس، وبعد ذلك قام القائد المجاهد سي احيمي⁽¹⁾ بتجنيدِه وتقليده رتبة أجودان (مساعد)⁽²⁾.

معركة 18 أوت 1960⁽³⁾: تمركز فوج من المجاهدين بقيادة عباسي

العربي "التبسي" بقرية ذراع الرحايل بمركز صالحى محمد، وعلى اثر وشاية

(1) **فضال أحمد (سي حميمي):** من مواليد عام 1923 بقرية أقمونات خيار بصدوق بجاية، من أسرة ريفية بسيطة، لم يسعفه الحظ من مواصلة تعليمه، عمل في الفلاحة والتجارة، انضم إلى حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1947، عشية اندلاع الثورة التحريرية كان تابعا للعربي أولبصير الذي كان مواليا له فطلب منه التريث والانتظار، وبذلك لم يجند إلا في مارس 1955، أشرف أولا على تنظيم الفداء بمنطقة صدوق، ثم عمل مع القائدين علي ملاح وعميروش آيت حمودة، وأظهر إقداما وشجاعة في المعارك التي خاضها، وقد شارك في ملاحقة المصاليين المتمركزين في غابة تيلة، كلف بحراسة المؤتمرين في وادي الصومام، تولى عدة مسؤوليات منها مسؤول منطقة وعضوا في قيادة مجلس الولاية الثالثة منذ جوان 1958، وعندما قرر العقيد عميروش الخروج إلى تونس في مارس 1959 عينه عضوا في قيادة الولاية ونائبا لمحمد أولحاج الذي تولى مسؤولية الولاية، واصل جهاده ونضاله في قيادة الولاية الثالثة إلى غاية وقف إطلاق النار، وتألّم كثيرا لأحداث صائفة 1962، عين نائبا بالمجلس التأسيسي 1962، وعضوا في اللجنة المركزية للحزب، ثم ما لبث أن ابتعد عن الحياة السياسية، توفي في 27 مارس 2003. أنظر جودي أتومي: **العقيد عميروش أمام مفترق الطرق**، ريمة أتومي للنشر، ترجمة: موسى أشرشور، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص ص 61-62. وأيضا عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص ص 406-407.

(2) فرحات زيداني: **مقابلة شخصية**، 25-07-2018.

(3) مسجلة بتاريخ 18 جويلية 1960 في تقرير كتابة التاريخ للفترة 1959-1960، وتم تصحيحها في مؤلف جديد صادر عن المنظمة الوطنية للمجاهدين. أنظر المنظمة الوطنية للمجاهدين (برج بوعريبيج): **تقرير كتابة التاريخ للفترة ما بين (1959-1960) الأحداث العسكرية والفدائية**، الندوة الولاية، 26 أوت 1986م.

تنقل جيش العدو بسيارتين من نوع Jeep ومصفحة، وعند وصولهم بادرهم المجاهدون بإطلاق النار سقط خلالها ثمانية عساكر قتلى من بينهم ضابط برتبة ملازم وفر الباقون واستتجدوا بقوات أخرى من مركز أولاد تاير⁽¹⁾ خليل⁽²⁾، سيدي مبارك⁽³⁾، عين تاغروت⁽⁴⁾، وتكررت المعركة ثانية من الساعة الثانية عشر إلى الساعة الواحدة ليلا، حيث تدخل سرب من الطائرات لقنبلة المكان ودمره عن آخره، ومن نتائج المعركة استشهاد القائد عباسي العربي،

(1) أولاد تاير: دوار يحمل اسم قبيلة قديمة، ينقسم هذا الدوار إلى أربعة أقسام هي: أولاد رياح، وأولاد مبارك وأولاد سيدي عطلة وأولاد سيدي سعيد، تم إدراجه كدوار بلدية بموجب المرسوم المؤرخ في 24 جويلية 1867 (ج.ر.ص 1033) يقع على بعد 30 كلم شمال شرق برج بوعريريج، يشكل أولاد تاير جزء من قيادة زمورة، كما يحتوي هذا الدوار على الآثار الرومانية المعروفة باسم خربة قيبرة ذات مساحة قُدرت بـ 54 هكتار و 29 آر.. أنظر

F.ACCARDO :Répertoire Alphabétique Des Tribus et Douars de L'Algérie ,2ème partie, sous la défection de : M.LE MYRE DE VILERS , Alger ,1879, p55.

(2) خليل: بلدية من بلديات ولاية برج بوعريريج وفق التقسيم الادارية 1984، تضم المناطق التالية: الشفا، الخربة، أولاد عبد الله، رأس العين، أولاد رايح، بوزقرة، عين المخ، البسباسة، مسلمات، الوطية، لوسعات، عقار / أنظر ج.ر.ج.د.ش، السنة الواحدة والعشرون، عدد 67، مرسوم رقم 365-84، ص2296.

(3) سيدي مبارك: بلدية من بلديات ولاية برج بوعريريج وفق التقسيم الإداري لسنة 1984، تضم المناطق التالية: عين التراب، وادي الشعير، أولاد سيدي اممر، زواوشة، بولحاف، أوضفان، سيدي مبارك / أنظر ج.ر.ج.د.ش المصدر نفسه، ص 2297.

(4) عين تاغروت: بلدية من بلديات ولاية برج بوعريريج وفق التقسيم الاداري 1984، تضم المناطق التالية: أولاد بوناب، العواشيرية، لعوينات، القاعة، عين تاغروت، لحويسي، عين زادة ... / أنظر ج.ر.ج.د.ش، المصدر نفسه، ص2295

والمجاهد لحسن والحسين وإصابة بلعزوق عبد الرشيد⁽¹⁾، وأصيبت صاحبة المركز صالحى الطاوس بجروح خطيرة نقلت على اثرها إلى مستشفى برج بوعريريج، في حين تمكن المجاهد البشير بوقرة من الفرار ونزل إلى الوادي ، وصولا إلى أولاد تاير " أولاد حمزة "، لكنه قبض عليه من طرف الحركة وزج به في السجن، وخلال تلك المعركة أقدم العدو على حرق المزرعة وما تم

(1) **بلعزوق عبد الرشيد** بن حمادة وأمه بوزيد تسعديت، من مواليد سنة 1922 ببني لعلام تسامرت، نشأ وسط عائلة فقيرة تعتمد على الفلاحة، في سنة 1946 هاجر إلى فرنسا بحثا عن العمل وهناك شارك إخوانه الجزائريين في النضال حيث انخرط في صفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالمهجر، عاد إلى أرض الوطن سنة 1955 حيث التحق بصفوف الثورة كمسبل، أوائل سنة 1956 التحق بصفوف جيش التحرير الوطني بالولاية الثالثة، المنطقة الأولى، الناحية الرابعة، أين شارك في العديد من العمليات والمعارك من أشهرها معركة بني لعلام 12 فيفري 1956، والتي غنم فيها جيش التحرير الوطني كمية معتبرة من السلاح، كما شارك المجاهد في دورية للتسليح نحو تونس نهاية سنة 1957، وعاد سنة 1958، ترقى إلى رتبة عريف أول وتم تحويله إلى المنطقة الثانية، وفي سنة 1960 عاد إلى المنطقة الأولى، الناحية الرابعة، أين ألقى عليه القبض خلال معركة بذراع الرحايل، بعد إصابته بجروح بليغة، نقل إلى سجن برج بوعريريج ثم إلى سطيف، ليتم تسريحه بعد وقف إطلاق النار، أكمل نضاله في قسمة المجاهدين وشارك في العديد من المحاضرات والمناسبات الوطنية ببلدية تسامرت، توفي في 28 جانفي 2014، تم إطلاق تسمية العيادة المتعددة الخدمات لبلدية تسامرت باسمه. أنظر العيادة المتعددة الخدمات تسامرت: **نبذة تاريخية " المجاهد بلعزوق رشيد"**، د.ت. وأيضا عبد الرشيد بلعزوق: **برنامج الوجه الآخر**، لقاء مع المجاهد، إعداد وتقديم: عبد المجيد خيناش، إذاعة برج بوعريريج الجهوية، برج بوعريريج، 10-12-2012. وأيضا لخضر بلعزوق: **مقابلة شخصية**، الجمعة 06-03-2015.

حصاده منها، أما خسائر العدو فأحرقت سيارة جيب وعدد كبير من القتلى والجرحى (1).

العربي التبسي يوصي بدفن رشاشته معه

على إثر مدهامة فرقة الحركة والعساكر الفرنسيين للمجاهدين الذين كانوا متمركزين بقرية ذراع الرحايل أصيب القائد العربي عباسي بوابل من رصاص العدو أسقطته أرضا وهو في غمرات الموت أوصى بدفن رشاشته بجانبه، وبالفعل طبق رفاقه وصيته الأخيرة ولم يعثر على قبره إلا بعد استرجاع السيادة الوطنية (2).

رحلة البحث عن رفاة الشهيد

يقول المجاهد فرحات زيداني في شهادته: "أنه بعد استرجاع الجزائر لسيادتها الوطنية قضينا مدة زمنية نبحت عن معلومات تخص العربي عباسي المدعو التبسي ولم نصل لنتيجة، هل اعتقل أم استشهد في المعركة، وهل فر من المعركة متأثرا بجراحه وتساؤلات كثيرة، وفي يوم من الأيام عرفت بأحد قادة الحركة من أولاد رابح كان حاضرا في المعركة، فاستدعيته وسألته عن مصير العربي التبسي هل قبض عليه حيا أم استشهد، فكان رده أنهم لم يقبضوا عليه، ولم يروا جثته بعد المعركة"، يواصل المجاهد فرحات زيداني في سرد شهادته فيقول: "اتصلت بـ لاجودان (المساعد حمو) من البويرة، فأجابني بالنفي عن مصيره، لم أياس في محاولة معرفة مصير العربي

(1) المنظمة الوطنية للمجاهدين (برج بوعرييج): تقرير كتابة التاريخ للفترة ما بين (1959-

1960)، المصدر السابق. وأيضا بلقاسم بن طالبي: مقابلة شخصية مسجلة، مقر المنظمة

الوطنية للمجاهدين "قسمة برج بوعرييج"، على الساعة العاشرة برج بوعرييج، 25-10-2018.

(2) فرحات زيداني: مقابلة شخصية، 25-07-2018.

التبسي، فاتصلت مجددا بالرشييد بلعزوق الذي كان من ضمن المصابين في المعركة وسألته نفس السؤال فأجابني بالنفي ثم وجهني إلى مجاهد آخر كان من بين المشاركين في المعركة وهو المجاهد البشير بوقرة، فنزلت عند بيته والتقيته وسألته عن القضية، فأجابني أن العربي عباسي المدعو التبسي قد استشهد في المعركة، وقمنا بدفنه في مكان المعركة بالقرب من أحد الغرف التي كان ينزل عندها المجاهدون، مباشرة انتقلنا إلى موقع الحادثة بعدما رتبنا أمورنا، ولما وصلنا إلى الموقع استدعينا شخصا كان يعمل في مزرعة عائلة صالح، وبعد الاستقلال أصبح يفلحها، ولما سألته عن البنايات التي كانت بالمزرعة التي كانت قبل الاستقلال ومصيرها صرح لي بأن الفرنسيين قاموا بنقل الحجارة قصد البناء بها، كما رد بالنفي عن مكان قبر العربي التبسي، وما إذا أخذ الجيش الفرنسي جثته، كنا خلالها أمام خيار واحد وهو إعادة رسم مخطط للمنازل التي كانت متواجدة أثناء المعركة فطلبت منه ذلك في الحين فعين لي مكان تواجد مطامر القمح، والمنزل العائلي ثم الكوخ الذي كنا ننزل عنده نحن المجاهدين، ولما تكونت لنا الصورة جيدا سألته عن مكان النافذة فقام بتعيينها، فبدأت بالحفر بواسطة فأس ومن الضربة الأولى علقت رشاشة الشهيد العربي التبسي في الفأس الذي أحمله فقمنا بإخراج جثته بعد 18 سنة من الاستقلال، ونقلنا رفاته إلى قسمة المجاهدين بعين تاغروت، وبعد شهرين تم تنظيم مراسيم دفن رفاة الشهيد العربي عباسي بمناسبة 20 أوت 1981، حضر خلالها المجاهد يوسف يعلاوي⁽¹⁾، ووزير

(1) يوسف يعلاوي: من مواليد 1918 ببني يعلى ولاية سطيف نشأ في أسرة محافظة، درس على يد عبد الحميد بن باديس، ونال ثقافة دينية ولغوية أهلته للتدريس بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث عينته الجمعية مديرا لمدرسة عين أزال الحرة، ومع اندلاع الثورة

الأشغال يومها ابن الشيخ مبارك الميلي، وبعد دفن الرفاة أكلنا في بلدية أولاد براهيم الاحتفالية⁽¹⁾.

خاتمة

إنها لمحات مختصرة عن واحد من آلاف الأبطال الذين جرعوا جنود الاحتلال صنوف الخوف والرعب، فكان صابرا ومحتسبا من تلك الفئة التي قال فيهم سبحانه وتعالى فما وهنوا وما استكانوا، ورغم محنته في رفض تجنيده بعد الإلقاء القبض عليه ثم تسريحه من طرف العدو الفرنسي، قصدا منه زرع الفتنة بين صفوف المجاهدين، إلا أنه عرف كيف يخرج من هذه المحنة ولم ينضم لصفوف العدو في لحظة غضب بل وصمم أن يثبت أنه ما يزال يؤمن بقيمة ورسالة الثورة التحريرية، واستغل الفرصة، مع أفراد فوج كان مسؤولا عنهم، وقام معهم بعملية نوعية غنموا خلالها أسلحة، هذا ما جعل القائد جناد الحافظي يقوم بإعادة تجنيده، ويقوم بترقيته إلى رتبة مساعد، بقي العربي التبسي على العهد والوعد، إلى أن وصل قدره وأكرمه الله بالشهادة، وآخر طلب في حياته أن طلب من رفقاء دربه، دفن رشاشته معه، رحمته الله وأسكنه فسيح جنانه.

التحريرية انتقل يوسف إلى الأوراس وربط الاتصال بمصطفى بن بوالعيد، حيث كلفه بمهمة ربط الاتصال بقيادة القبائل، تقلد العديد من المسؤوليات وتدرج في الرتب، حيث قرر الحاج لخضر استخلافه على قيادة الولاية الأولى إثر خروجه لتونس، كما طلبه العقيد عميروش للعمل معه في الولاية الثالثة، حيث عينه عضوا في قيادة المنطقة الأولى مكلف بالجانب السياسي، عين بعد الاستقلال عضوا في البرلمان التأسيسي، ثم عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، انتخب أمينا عاما للمنظمة الوطنية للمجاهدين من 1980 إلى 1990، توفي يوم 23 نوفمبر 1994. / عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص ص 548-549.

(1) فرحات زيداني: مقابلة شخصية، 25-07-2018.



من اقص اليمين المجاهد اوسليمان عبد المجيد
من اليسار شهيد عباسي العربي المدعو تبسي

منحنا هذه الصورة المجاهد: بن العربي عبد الرحمن مسؤول القسم الرابع الناحية الرابعة المنطقة الأولى الولاية الثالثة في أواخر سنة 1961، وقد منحنا الصورة شهر جانفي 2018، بمقر المنظمة الوطنية للمجاهدين بقتزات.

عبد الرحمان اليوسفي وجسور الارتباط بالثورة الجزائرية

Abd al-Rahman al-Yousfi and bridges link to the Algerian revolution

د. عبد الله مقلاتي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الملخص

يتناول هذا المقال دور ومساهمة المناضل المغربي في دعم الثورة الجزائرية، بدء بدوره في إرساء التحالف المغاربي عام 1955، ومرورا بأدواره في مساعدة الثورة الجزائرية، وانتهاء بمواقفه المشرفة من الجزائر وثورتها ورجالها، ونهدف إلى التعرف بجهود هذه الشخصية، وإبراز لحمة التضامن المغاربية وكشف جوانب خفية من مواقف الرجل، وقد توصلنا إلى نتائج مهمة تتعلق أولاً بأهمية الدور الذي لعبه اليوسفي في مد الجسور التعاونية بين المناضلين الجزائريين والمغربيين، وثانياً إلى أهمية المساهمة التي قدمها اليوسفي لصالح الثورة الجزائرية طوال سنواتها المتعاقبة، وهي مواقف تزيد في قيمة الرجل الوطني والمغاربي والقومي والعالمي، الذي كرس حياته للدفاع عن قيم الحرية والعدالة وحقوق الإنسان والدعوة لوحدة المغرب العربي.

الكلمات المفتاحية: عبد الرحمان اليوسفي، المغرب، الثورة الجزائرية.

Abstract

This article deals with the role and contribution of the Moroccan fighter in supporting the Algerian revolution, starting with his role in establishing the Maghreb alliance in 1955, passing through his roles in assisting the Algerian revolution, and ending with his honorable positions on Algeria, its revolution and its men, and we aim to introduce the efforts of this character, highlight the cohesion of Maghreb solidarity and uncover hidden aspects From the man's positions, and we have reached important results related, first, to the importance of the role played by Yousoufi in extending cooperative bridges between the Algerian and Moroccan

militants, and secondly to the importance of the contribution that Youssefi made in favor of the Algerian revolution throughout its successive years, which are positions that increase the value of the patriotic, Maghreb, national and global man. Who devoted his life to defending the values of freedom, justice and human rights and calling for the unity of the Maghreb.

Key words: Abd al-Rahman al-Yousfi, Morocco, the Algerian revolution

مقدمة

ارتبط رئيس الحكومة المغربية الأسبق عبد الرحمان اليوسفي بالثورة الجزائرية في مرحلة تأجج المقاومة المغربية في الريف عام 1955، حيث تقرر في القاهرة وفي مدريد والريف المغربي توحيد المقاومتين الجزائرية والمغربية، فكان أحد صناع هذه الملحمة الخالدة بصفته عضوا في مجلس قيادة حركة المقاومة المغربية مكلفا بالعلاقات الخارجية، تعاون رفقة ابن بلة وبوضياف وابن مهيدي من أجل تجسيد حلم الوحدة المغاربية في ميدان المعركة التحريرية، وظل بعد استقلال المغرب مرتبطا بالثورة الجزائرية، حيث عين محاميا للمعتقلين الخمسة وارتبط بعلاقات وثيقة مع قيادة الثورة التحريرية، وقدمها بكل إخلاص وتفان، وقد عبر في مناسبات مختلفة عن حبه العميق للجزائر، وقد سجلت في وثائقي شذرات من إسهاماته في دعم الثورة الجزائرية، ومع صدور مذكراته رأيت أن المادة العلمية تسمح بالكتابة عن دوره ومساهمته في نصره الثورة الجزائرية، ومع ذلك لم يسمح الوقت بخروج هذا العمل، واثر وفاته في 29 ماي 2020 رأيت أن الواجب يقتضي إخراج بحثي للتذكير والإشادة بخدمات ومواقف أحد أبرز المناصرين للثورة والمحبين للجزائر.

أولا/ اليوسفي وجسور الارتباط بين القضيتين المراكشية والجزائرية

عبد الرحمان اليوسفي مناضل في الحركة الوطنية والمقاومة المغربية، تمرس في النضال الوطني وانفتح على الوطنية المغاربية، فأمن بوحدة المغرب العربي

وتشبع بفكرة القومية، وهو رجل الدولة والمعارض الديمقراطي والمدافع عن حقوق الإنسان، وهو النقابي والصحفي والمحامي الذي ذاع صيته مثل ابن بركة كمعارض يساري عالمي معروف، ولكن للأسف لا يعرف الجزائريون أنه كان من أكبر مناصري ثورتهم التحريرية.

ولد اليوسفي في طنجة عام 1924، ونشأ في عائلة فلاحية فقيرة، تحصل على الشهادة الابتدائية عام 1936 وانتقل إلى مراكش لمواصلة الدراسة الثانوية، وعاد إلى الرباط للتحضير لنيل شهادة البكالوريا، تعرف على أستاذه وملهمه ابن بركة في ثانوية مولاي يوسف، وقد استغل الأخير ظروف الحرب العالمية الثانية لتجسيد مشروعه السياسي ونشر الوعي بين طلابه، وأعجب به اليوسفي كثيرا وبمنهجه التشييط في العمل وقدرته على التنظيم والتأطير⁽¹⁾.

انخرط اليوسفي في العمل الوطني مع بداية عام 1944، وخاصة مع أجواء إعلان وثيقة الاستقلال، وتعرض بسبب نشاطه في توزيع المنشورات للمضايقة والطرده من الثانوية، فانغمس في نشاط حزب الاستقلال في مدينة الدار البيضاء، وأسهم بشكل فاعل في تجنيد وتنظيم الحركة العمالية للنضال الوطني، وفي الوقت ذاته واصل دراسته وحاز على شهادة البكالوريا ودخل معهد الحقوق، وبعد سنتين تعرض لمضايقات جمة وقرر السفر إلى فرنسا لمواصلة الدراسة، وهناك عمل مع المناضل عبد الرحيم بوعبيد الذي ترك فيه أعظم الأثر في مساره النضالي الوطني⁽²⁾.

1 عبد الرحمان اليوسفي، أحاديث في ما جرى شذرات من سيرتي كما رويتها لبودرفة، إعداد مبارك درقة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2018، ص 25 وما بعدها.

2 المصدر نفسه، ص. ص 41. 57.

كلف اليوسفي بمهمة التعريف بالقضية المراكشية في الأوساط السياسية والإعلامية الفرنسية وتأطير الجالية المراكشية، وكان بوعبيد مسؤولاً عن التنظيم يساعده عبد اللطيف بن جلون ومولاي احمد العلوي وبلمهدي، وقد استغل حزب الاستقلال فرصة انعقاد اجتماعات جمعية الأمم المتحدة بباريس لتكثيف نشاطاته وطرح القضية المراكشية لأول مرة عام 1951⁽¹⁾.

وكانت تجربة العمل المشترك والتنسيق مثمرة، حيث حرص ممثلو الأحزاب المغاربية على التعاون وتوحيد المواقف في المطالبة باستقلال الشمال الإفريقي، حيث أكد احمد ابن صالح أن تجربة العمل المشترك في فرنسا أفادت كثيرا في التقارب بين الحركات السياسية والعمالية الشمال إفريقية، "وفي هذه الأجواء تعمقت وشائج الأخوة واستحكمت روابط الصداقة مع الإخوان الجزائريين"⁽²⁾، وقد تعزز التعاون مع حزب الاستقلال المغربي بشكل واضح، فأرسيت العلاقة مع عبدالرحيم بوعبيد ممثل الحزب في فرنسا، وقد عزز الوضع في المغرب بعد نفي الملك التحالف مع الجبهة المغربية كما دلت على ذلك مباحثات علال الفاسي مع بولحروف في جنيف⁽³⁾، ويذكر محمد بوضياف ممثل حركة الانتصار في فرنسا في بداية عام 1951 أنه ربط الاتصال مع ابن هيمة الذي خلف بوعبيد في مسؤولية الحزب بفرنسا، وبعض المناضلين

1 عبد الرحمان اليوسفي، المصدر السابق، ص . ص 57 . 59.

2 أنظر، عبد الجليل التيمي وآخرون: شهادة احمد بن صالح السياسية، إضاءات حول نضاله الوطني والدولي، منشورات مؤسسة التيمي، زغوان، 2002، ص . ص، 90 . 96.

3 أنظر حديث محمد حربي عن العلاقات الجزائرية المغربية، جريدة الاتحاد الاشتراكي، المغرب، عدد يوم 20 أوت 1985.

مثل عبدالرحمان اليوسفي، وذلك بهدف التنسيق وبلورة مواقف نضالية مشتركة⁽¹⁾.

ولعل من أهم ثمار التنسيق السياسي التي لم تحض بالإشادة دائما الاجتماع التنسيقي الذي جمع الأحزاب الوطنية المغاربية في مقر إقامة مصالي الحاج بباريس في 28 جانفي 1952، والذي قررت فيه الأحزاب المغاربية⁽²⁾، بعد مناقشتها للتطورات المستجدة في المغرب العربي إنشاء جبهة للاتحاد والعمل المغربية⁽³⁾.

وفي هذا الظرف تعرف اليوسفي على عدد من المناضلين الجزائريين وتعاون معهم لتوحيد الجهود وتكريس وحدة المغرب العربي، حيث تحدث اليوسفي عن تنسيقه مع المناضلين الجزائريين بالقول: " كان العمل الذي قمت به داخل كواليس الجمعية العامة للأمم المتحدة تحت حماية الجامعة العربية ورعاية رئيسها السيد عبد الرحمان عزام باشا عملا لم تنظر إليه السلطات الفرنسية بعين الرضا... في الحقيقة لم يكن لي مسكن قار في باريس، وكنت أتناوب مع بعض الإخوان العمال يشتغلون بالليل وينامون بالنهار، للمبيت والنوم في غرفهم، ولقد عرض علي كل من السيد محمد يزيد (احد مناضلي

1 أنظر حوار محمد بوضياف مع جبرو عبد اللطيف: ثلاثون عاما مرت على اندلاع الثورة الجزائرية، الاتحاد الاشتراكي، عدد 1 نوفمبر 1984.

2 الأحزاب المصادقة على الميثاق هي الأحزاب الجزائرية: (حركة انتصار الحريات الديمقراطية، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) والأحزاب المغربية: (حزب الاستقلال، حزب الإصلاح الوطني، حزب الوحدة، حزب الثورة والاستقلال) والأحزاب التونسية: (الحزب الدستوري الحر، الحزب الدستوري القديم، الجبهة الوطنية التونسية).

3 أنظر جريدة المنار، السنة 1، العدد 16 (15 فيفري 1952).

جبهة التحرير الجزائرية، الذي سيصبح فيما بعد وزير الأخبار والناطق الرسمي للحكومة المؤقتة...)، والسيد بشير بومعزة (احد قادة جبهة التحرير الجزائرية الذي سيتقلد عدة مناصب وزارية في عهد احمد ابن بلة...)، عرضا علي مشكورين أن يوفرا لي إقامة بضواحي باريس حيث توجد أحياء خاصة للمناضلين المبحوث عنهم، ولا يمكن أن تهتدي إليهم السلطات الأمنية، وقد شكرتهم على هذه الالتفاتة وفضلت النفي إلى مدينة بواتي حيث أنهيت دراستي الجامعية" (1).

في نوفمبر 1952 عاد اليوسفي إلى المغرب واستقر بمدينة طنجة مواصلا نضاله، وبعد خطوة نفي الملك محمد الخامس انخرط في قيادة الخلايا الأولى للمقاومة التي تشكلت في منطقة الريف الخاضعة للنفوذ الاسباني، وبدعم من هذه الأخيرة التي دخلت في خلافات مع فرنسا، ويذكر اليوسفي أنه تم تكوين شبكات متخصصة في تهريب المقاومين للإفلات من الاعتقال وكذا تزويد المقاومة بالسلاح انطلاقا من المنطقة الخاضعة للإسبان، ويذكر بالمناسبة أن هذه المنطقة استفادت منها الثورة الجزائرية بدورها، "عندما اندلعت الثورة الجزائرية في فاتح نوفمبر 1954 استفاد قادة هذه الثورة من هذا الفضاء الذي دبرته المقاومة المغربية بشمال المغرب، كما استفادت الثورة الجزائرية من العلاقات التي ربطتها الحركة الوطنية مع السلطات الاسبانية التي كانت تغض الطرف عن تحركات قيادة المقاومة والحركة الوطنية على أراضيها" (2).

1 عبد الرحمان اليوسفي: المصدر السابق، ص. ص 59 60.

2 المصدر نفسه، ص 65.

وقد كلت حركة المقاومة المغربية اليوسفي والمهدي بن عبود بمهمة التنسيق مع قيادة الأحزاب في الداخل والخارج نصرة للمقاومة المغربية، وفي هذا الإطار وانطلاقاً من مكان استقراره بمدريد تعرف على المناضلين الجزائريين في باريس والقاهرة وكذا ممثلي السلطات المصرية، حيث تعرف اليوسفي على رفيق نضاله احمد بن بلة، والذي كان في بداية الثورة يتردد على مدريد وشمال المغرب بهدف توحيد المقاومة المغاربية، وبمساعدة من فتحي الديب وعلال الفاسي أحياناً تم تبني مشروع وحدة المقاومتين في بداية عام 1955 وتم الاتفاق على تهيئة الظروف لإنزال السفن المحملة بالسلاح في موانئ شمال المغرب الخاضعة للإسبان وبطريقة سرية.

وأول مشكلة واجهت الرجلين وعملاً على حلها قضية مسؤول المقاومة احمد زياد الذي لم تكن علاقته برجال المقاومة جيدة وكان يتدخل في كل صغيرة وكبيرة، وتقرر إبعاده إلى القاهرة، حيث يذكر اليوسفي ما يلي: " ومن حسن الحظ أنه تم طرح مسألة التصفية الجسدية أثناء إحدى الاجتماعات، وكنت قد حضرته أنا والأخ ابن بلة، واعترضنا بشدة على هذا السلوك، مقترحين حلاً آخر وهو أن يرافق الأخ احمد بن بلة الأستاذ زياد إلى مصر، بحجة حضور اجتماع تنسيقي مع بعض القيادات في القاهرة، وهناك يتم وضعه تحت الإقامة الجبرية، بمساعدة إخواننا المصريين، مع العناية به وتوفير كل حاجياته، وفي نفس الوقت نحصر على عدم انتشار أخبار الخلاف الذي من شأنه الإساءة إلى العمل الوطني، وهذا ما تم فعلاً"⁽¹⁾.

وقد تم اختيار خليفة زياد بعناية، كونه يتولى منصباً حساساً ويتولى الاتصال بالحاكم الاسباني، ومن الصدفة العجيبة أن يجد اليوسفي ورفاقه

أنفسهم تحت مسؤولية مناضل جزائري . مغربي لعب دورا مهما في تاريخ المقاومة المغربية والثورة الجزائرية وهو عبدالكريم الخطيب⁽¹⁾، يقول اليوسفي: "ورشح أحد المقاومين الدكتور عبدالكريم الخطيب، هذا الطبيب الجزائري آنذاك، الذي قدم خدمات للمقاومة في مدينة الدار البيضاء، حيث قام بعلاج بعض المقاومين داخل عيادته عند تعرضهم للإصابة، وعند اكتشاف أمره غادر المغرب إلى فرنسا، وباعتباره جزائري فقد رحب الإخوة الجزائريون بدورهم بهذا الاقتراح"⁽²⁾، ويذكر رفيقه في القيادة الحسين برادة أن مسألة استبدال زياد بالدكتور عبد الكريم الخطيب تم باقتراح من القادة الجزائريين⁽³⁾. وفي بداية عام 1955 استكمل الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني اتفاهه مع حزب الاستقلال المغربي بزعامة علال الفاسي من أجل توحيد المقاومة في البلدين، وتم الاتفاق مع السلطات المصرية مباشرة إرسال سفن السلاح إلى موانئ المغرب الشمالية وفق تنسيق محكم، تولى أمره ابن بلة الذي كان ينتقل باستمرار بين مدريد وتطوان للقاء رفاق اليوسفي، وكذا

1 نشرنا حوله مقالا، عبد الكريم الخطيب ومهمة دعم الثورة الجزائرية، مجلة المواقف، جامعة معسكر، عدد 11، ديسمبر 2016، ص ص 245 .265.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/5572>

2 عبد الرحمان اليوسفي: المصدر السابق، ص 69

3 عبد الكريم الخطيب أصله من مدينة معسكر، نشأ في المغرب، ودرس الطب في فرنسا وهناك ارتبط بالمناضلين الجزائريين، ناضل في حزب الاستقلال وكان مقربا من الفاسي، وأفاد أحد المقربين منه انه اختير لقيادة جيش التحرير المغربي باقتراح من الجزائريين الذين تعرفوا عليه في فرنسا، انظر، شهادة الحسين برادة، خليدي امحمد وحמיד خباش: جيش التحرير المغربي، مجلس القيادة (حوارات)، منشورات افريقيا، الرباط، 1995، ص 57 .58.

بوضياف وابن مهدي اللذين باشرا التنسيق الميداني للمقاومة المشتركة انطلاقاً من الريف المغربي.

وكانت إستراتيجية الثورة الجزائرية تقوم على مغربة الحرب، وأفضت المباحثات بين قادة الكفاح الجزائري والمغربي إلى الاتفاق على مبدأ الثورة المشتركة، لكنهم اختلفوا حول موعدها، فقد حدد تاريخ 20 أوت 1955 ثم أرجأ إلى شهر سبتمبر 1955، وإثر تعطل وصول شحنة اليخت انتصار إلى السواحل المغربية طلبت حركة المقاومة المغربية تحديد تاريخ جديد لبدء الكفاح⁽¹⁾، وسيولد جيش تحرير المغرب العربي في أكتوبر 1955 وذلك في ظروف مشجعة على إشعال الثورة في كامل المغرب العربي.

وكانت الوحدة السياسية هدفاً أساسياً سعى الطرف الجزائري لتحقيقه ولم يكن ذلك بدافع التخوف من المواجهة المنفردة للاستعمار فحسب، وإنما تجسيدا لطموح النضال المغاربي المشترك⁽²⁾، ويبدو واضحاً أن جبهة التحرير الوطني أرادت أن تطرح مشروعاً متكاملًا لوحدة المغرب العربي سياسياً وعسكرياً، ولم توفق في إقناع الفاسي به في القاهرة، ولكن قادة حزب الاستقلال وحركة المقاومة أصروا على البدء بتجسيد الوحدة العسكرية وبعدها تحضر الأجواء لتجسيد الوحدة السياسية، وقد تواصلت المباحثات في تيطوان ومدريد والقاهرة،

1 شهادة الغالي العراقي، مقابلة مع الباحث الدار البيضاء، 26 ديسمبر 2004.

2 أنظر شهادة أحمد بن بلة في الملتقى الدولي، وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات المقاومة وجيش التحرير، الرباط، 24 . 26 جانفي 2002، الذاكرة الوطنية، عدد خاص، منشورات م س ق م، اج ت الرباط، 2002، ص 34.

وأفادت في تحضير عمليات فاتح أكتوبر 1955 وفي تنسيق العمل المشترك، ولكنها لم تتوصل إلى اتفاق بخصوص الوحدة السياسية⁽¹⁾.

وقد أرخ اليوسفي لمرحلة التأسيس هذه والتي كان أحد صناعاتها وهو عضو في حركة المقاومة بقوله: " في هذه المرحلة عقد اجتماع تنسيقي مع مسؤولي المقاومة الجزائرية، حيث حضر عنهم الإخوة محمد بوضياف ومحمد العربي بن مهيدي الذي جاء مباشرة من وهران إلى شمال المغرب، وطرح خلال هذا اللقاء وبالاح أنه أصبح من الضروري البحث عن أسلحة غير التي كانت تستعملها المقاومة داخل المدن لتسليح عناصر جيش التحرير، الذي يستعد لمواجهة جيش يستعمل أنواع متطورة من الأسلحة، فكان أن ألح القادة المغاربيون على الرئيس جمال عبدالناصر للإسراع في تزويدهم بجيل جديد من الأسلحة، لمواجهة ما يتوفر عليه جيش المستعمر من عتاد وأسلحة متطورة"⁽²⁾.

وعندما كلف بوضياف بمسؤولية التسليح على الجبهة الغربية كان قد استفاد من زيارته للمغرب في أوت 1954 في التعرف على الأرض والتعاون مع المناضلين المغربيين، وكسب ثقة رجل من قبيلة كيدانة اسمه حمدان شوراق عاد ليزوره في بداية عام 1955 ويطلب منه اختيار مكان مناسب لرسو باخرة سلاح مصرية، واتصل خلال أيام قلائل بقيادة المقاومة في تطوان وبالمبعوثين الجزائريين الذين طلب لهم اللجوء السياسي، وكلف عبد الوهاب بومدين "شيبان عمرو" الاتصال بشوراق، وأوضح بوضياف أهداف مهمته بالقول: "فكانت جل

1 Zaki M'barek : *résistance et armée de libération ; partie politique liquidation 1953-1958*, tanger 1987; p 86.

2 عبد الرحمان اليوسفي: المصدر السابق، ص70.

التحركات تهدف إلى تقوية الصلة بين الإخوان المغاربة والجزائريين، وربط الاتصال بداخل الجزائر والبحث عن الإمكانيات أي السلاح⁽¹⁾. وطلب ابن مهدي وبوضياف من عبد الوهاب بومدين وحسين قاديبي التنسيق مع قادة المقاومة، وإشراك العناصر الموثوق بها في إنزال الأسلحة فوق الاختيار أولاً على اسعيد بونعيلات ليشارك في إنزال واقتسام حمولة السفينة حسب الاتفاق المبرم بين احمد بن بلة وعلال الفاسي في القاهرة، ويذكر بوضياف أن أول لقاء انتظم بين الطرفين عقد بشاطئ مارتيل قرب تطوان في مارس 1955، وذلك قبل إنزال سفينة دينا، وقال عنه أنه كان حاسماً في إرساء العلاقة مع المقاومين المغربيين⁽²⁾، واعتبر الصنهاجي مجيء بوضياف في هذه الفترة "فتحا من الله"، لأنه خلص المقاومين من احمد زياد، ودفع بمشروع الثورة المشتركة للتجسيد⁽³⁾، ويشدد محمد بن سعيد آيت ايدر على اعتبار اللقاء الذي جمع بوضياف مع قادة المقاومة المغربية بتطوان " لحظة تاريخية ساهمت في توسيع جبهات النضال المسلح ضد الجيوش الفرنسية في كل من الجزائر والمغرب، إلى جانب الفلاحة بتونس الشقيقة، الشيء الذي أعطى نفساً جديداً وحيوياً لوحدة فصائل الثورة في بلداننا"⁽⁴⁾.

1 أنظر رسالة بوضياف لحمدان شوراق بخصوص دوره في إنزال الأسلحة، وثائق المتحف الوطني للجهاد، الرباط، وكذا شهادة حمدان شوراق المحفوظة بالمتحف الوطني للجهاد.

2 أنظر شهادة محمد بوضياف، جريدة الاتحاد الاشتراكي، عدد يوم 1 نوفمبر 1984.

3 أنظر، عبد الله الصنهاجي: مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1986، مطبعة فضالة، المحمدية، 1986، ص 142.

4 أنظر شهادة المقاوم محمد بنسعيد: بداية الوعي بضرورة الكفاح المسلح، جيش التحرير المغربي 1948-1955- ملتقى نظمه مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، "11_12ماي

2001، منشورات مؤسسة بوضياف، الجزائر، 2004، ص 41.

ويبدو واضحا أن اليوسفي كان مقربا من احمد بن بلة وأحد مساعديه الذين فتحوا له الطريق في الريف لتوحيد المقاومة، حيث كانت إستراتيجية ابن بلة وفتحي الديب تقوم على مغربة الحرب وضرب فرنسا في الصميم من أجل استقلال كامل الشمال الإفريقي، وكان اليوسفي شاهدا على نجاح مشروع توحيد الكفاح المغاربي الذي انخرط فيه بكل صدق وإيمان رغم تحفظ بعض رفاقه، والمؤسف أن شهادة اليوسفي المطلع على الأحداث لم تورد لنا كامل التفاصيل السرية لمشروع الوحدة وأول إنزال للسلح في الريف نهاية فيفري 1955، حيث أرسى سفينة دينا بنجاح وتم تقاسم شحنتها بين المقاومين المغربيين والجزائريين، وفي هذا الشأن يقول اليوسفي: " تولى احمد بن بلة مرفوقا بعدد من أطر قيادة المخابرات المصرية، نقل الشحنة الأولى للأسلحة إلى جيش التحرير المغربي والجزائري، على أساس أن تتم العملية في منتهى السرية ودون أن يتسرب عنها ما يفيد كشف أنها تتم تحت إشراف الدولة المصرية، كانت المهمة الأولى في مرحلة أولى البحث عن باخرة خاصة غير تابعة للدولة المصرية أو لأي مؤسسة أخرى، ثم في مرحلة موائية الاستعلاء عليها وكأنها سرقت، وذلك تباديا للإدلاء بوجهتها، وبعد البحث والتنقيب وقع الاختيار على الباخرة دينا"⁽¹⁾.

ويذكر اليوسفي ان الباخرة المحملة بواحد وعشرين طنا من السلاح واجهتها عدة صعوبات قبل ان ترسو بميناء رأس الماء بالناظور، وان رحلتها المقررة في عشرة أيام استغرقت شهرا بعد أن أرسى بليبيا، ويفيدنا اليوسفي بتفاصيل مهمة عن إنزال الشحنة وتوزيعها ونقل جزئها الأكبر إلى الجزائر، " وقد أشرف على إفراغ الحمولة من الأسلحة سعيد بونعيلات مع حمدون شوراق وحوالي

60 شخصا من رجال القبائل الريفية، رفقة عدد من المناضلين الجزائريين، كان قد بعثهم العربي بن مهدي من الجزائر، بعد إفراغ الباخرة تم نقل حمولة 21 طنا من السلاح إلى منزل حمدون الذي يبعد عن الشاطئ بحوالي 3 كلمترات⁽¹⁾. ويؤكد اليوسفي أن محو آثار العملية على الشاطئ جعل السلطات الفرنسية لا تتقطن لها إلا بعد مرور أيام، حيث نقلت الأسلحة إلى مخابئ بعيدة، وأنه تم تقسيم الحمولة، الثلث للمقاومة المغربية والثلثين للمقاومة الجزائرية، وذلك بحكم الحاجة الماسة للثورة الجزائرية للسلاح وفي إطار التضامن المغاربي الذي آمن به هو ورفاقه، ويفيدنا اليوسفي بتفاصيل مهمة عن أول باخرة نقلت السلاح لثوار المغرب العربي بقوله أن الأميرة دينا التي لم تبد انزعاجا عندما أبلغتها السلطات المصرية بالمهمة السرية وباعتقال ريان الباخرة إبراهيم النيلي، وتدخلت لدى الملك فرانكو لإطلاق سراح النيلي⁽²⁾.

وقد بدأ حرص قيادة الثورة واضحا على فتح جبهات الكفاح في المغرب الشرقي ووهران لفك الخناق على الثورة، وبدورها كانت القيادة المصرية تجتهد في تنفيذ مشروع الكفاح الموحد في المغرب العربي، وخاصة بعد نجاح إنزال باخرتين في النصف الثاني من سنة 1955، وتوالي إلحاح الجزائريين والمصريين على إعلان الثورة في المغرب، وقد انتزع بوضياف من قادة المقاومة في اجتماع تطوان السالف موعدا لبدأ الكفاح المشترك يوم 18 جوان 1955 المصادف لاستشهاد محمد الزرقطوني، لكن الموعد تأجل من جديد، وخلال اجتماع بمديرد تم للاتفاق على تاريخ آخر هو ذكرى خلع السلطان يوم 20 أوت 1955، لإعطاء الثورة دلالة مغاربية، وأكد المجتمعون (ابن بلة،

1 عبد الرحمان اليوسفي: المصدر السابق، ص71.

2 المصدر نفسه، ص71.74.

بوضياف، عبد الكبير الفاسي، عبد الرحمان اليوسفي) على تأسيس قيادة تنسيقية للمقاومتين، وعدم توقيف الكفاح إلا بعد استقلال المغرب العربي كله⁽¹⁾، وعلى الرغم من توفر السلاح فإن القرار السياسي ظل مترددا في تبني مشروع الكفاح الثوري الموحد، وأظهرت اجتماعات تطوان ومدريد والقاهرة أن حزب الاستقلال الوصي على حركة المقاومة كان ما يزال يظهر تردده بخصوص موضوع الوحدة بين المقاومتين، وطلب من بعض عناصر القيادة العامة لحركة المقاومة عدم التسرع في تبني مشروع وحدة المقاومة، وبالمقابل لقيت أفكار بوضياف وبن مهدي قبولا لدى عدد من قادة المقاومة الثوريين وخاصة بالناظور.

وقد نجح حسين برادة وبونعيلات في تجنيد رجال قبائل الريف وتدريب فرق الجيش، ووافق القائدين الصنهاجي والمسعيدي أخيرا على مشروع الوحدة العسكرية، وأعلن في الناظور عن تأسيس "لجنة التنسيق لجيش تحرير المغرب العربي" في 15 جويلية 1955، وذلك بقيادة ابن مهدي وبوضياف وعبد الله الصنهاجي وعباس المسعيدي، وقد جسدت بنود اللجنة وحدة الجيش ومبادئ واطر التنسيق المشترك لكن بعض القادة المسيرين اتهموا الصنهاجي والمسعيدي بالارتجالية والاندفاع وامتعضوا من المشروع بتوجيه من حزب الاستقلال⁽²⁾، ويحاول الغالي العراقي تبرير هذا الرفض بالقول: "تعددت وتوالت الاجتماعات بتطوان ومدريد ولم يعدم السي محمد بوضياف إيجاد مداخل

1 أنظر، روني غاليسو: تهميش النخبوية الثورية، مشروع جيش التحرير المغاربي والتخلي عنه، جيش التحرير المغاربي 1948-1955، المرجع السابق، ص73.

2 أنظر شهادة الطيب الثعالبي، مقابلة مع الباحث، الجزائر، 2006. وعبد الله الصنهاجي: المصدر نفسه، ص196.

ومبررات للضغط في كل معاملاته حيث تمكن من إقناع الأخوين بالقيادة الميدانية بأهمية إعلان وحدة المغرب العربي، واستنجد بعبد المنعم النجار ليكون الضغط متنوعا ومن الجهات التي نحن في أشد الحاجة إليها حيث سيكون من الصعب رفض اقتراحاتها ومواقفها، وهذا موضوع أساسي ومهم جدا يستلزم تفكيراً مستقبلياً سليماً لأنه يخص منطقة أساسية متعرضة لكل المطامح الاستعمارية المختلفة وإثارته في الظروف التي كنا نعيشها كانت تتطلب مدة كافية لدراسة عميقة لما كان يكتنف هذا الموضوع وما يحيط به من تصرفات لم تكن كلها تتسم بالبراءة وبالوضوحية⁽¹⁾، وقد انتقل الاختلاف حول المشروع الثوري إلى قيادة حركة المقاومة، فطالب السياسيون بعدم رهن مصير المغرب بمصير الجزائر، أما العناصر الثورية فكانت الأحداث تدفع بها أكثر لقبول الاستراتيجية المغاربية في الكفاح التي كان يحرص عليها الجزائريون.

أعدت لجنة التنسيق لجيش تحرير المغرب العربي بنجاح هجومات 2 أكتوبر 1955 على الجبهتين الجزائرية والمغربية، وحقق جيش التحرير الجزائري وجيش التحرير المغربي نجاحات عسكرية باهرة في الأيام الأولى، فقد بعث النشاط العسكري في منطقة وهران لتعم الثورة بذلك كامل التراب الجزائري، وخاضت فرق جيش التحرير المغربي المعارك والاشتباكات ووجهت ضرباتها القوية للقوات الفرنسية، وألحقت العمليات التي طالت تيزي وسلي وبورد واكنول خسائر فادحة بقوات الفرنسيين، وقد نعتت الصحافة الفرنسية مناطقها بمثلث

1 أنظر الغالي العراقي: ذاكرة نضال وجهاد، حديث عن سنوات التحرير والجمر والخيار، حوار أجره أحمد نشاطي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002 ص141.

الموت⁽¹⁾، وبهذه العمليات الناجحة للجنة تنسيق جيش تحرير المغرب العربي دخلت الحركة التحريرية المغاربية مرحلة حاسمة في تاريخها، وأصبح جيش التحرير المغرب العربي حقيقة مجسدة في الميدان.

وبعد شعور فرنسا بخطورة الموقف ومباشرتها للمفاوضات مع قادة حزب الاستقلال فقد سعى الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني إلى تثمين النجاح المحقق عسكريا ومواصلة المعركة، وتفعيل دور الهيئة السياسية العليا لجيش التحرير المغرب العربي التي ضمت ابن بلة وبوضياف وخيضر وايت احمد وابن امهيدي من الجانب الجزائري، والدكتور عبد الكريم الخطيب وعبد الرحمان اليوسفي وحسين صفي الدين وسعيد بونعيلات وحسين برادة والغالي العراقي من الجانب المغربي⁽²⁾، ولا نعرف ما إذا كانت لهذه الهيئة السياسية العليا ضوابط واضحة تحدد علاقاتهما أم أنها كانت هيئة صورية، وما إذا كانت لها اجتماعات دورية، وإن كانت بعض المصادر تشير إلى أن اجتماعا عقد في تيطوان يوم عودة الملك محمد الخامس إلى المغرب حضره بن المهدي وبوضياف وعباس المسعيدي والخطيب وحافظ إبراهيم، وإن جدول أعماله تضمن بحث وضعية المقاومة بعد عودة الملك، وتم التأكيد على استمرارها في المقاومة ودعمها للثورة الجزائرية⁽³⁾.

1 أنظر صدى هذه الهجومات في الصحافة الفرنسية. LE MONDE; du 4 octobre 1955.

2 أنظر شهادة الدكتور عبد الكريم الخطيب، خليدي امحمد وحמיד خباش: جهاد من أجل التحرير،

(شهادة الخطيب وحافظ إبراهيم)، ط1، منشورات افريقيا، الرباط، 1999، ص 13.

3 Mohammed L'BJAOUI; Verité sur le révolution Algerienne, ed; Gallimar, Paris, 1970. op cit p- p 132- 133.

كما يذكر فتحي الديب أن لجنة تنسيقية أوجدت في القاهرة لتوجيه ودعم جيش تحرير المغرب العربي والتنسيق مع المسؤولين المصريين تضم أحمد بن بلة والدكتور المهدي بن عبود، وفتحي الديب وعزت إسماعيل عن القيادة المصرية⁽¹⁾، ومن أجل تفعيل نشاط جيش تحرير المغرب العربي وتوسعة تمثيله ليشمل كامل أقطار المغرب العربي انتظمت العديد من الاجتماعات التقييمية والتوجيهية، أهمها تلك التي التأمّت في القاهرة برعاية مصرية، ففي منتصف شهر جانفي 1956 التقت القيادتان الجزائرية والمغربية في القاهرة لدراسة الأوضاع وترتيب خطة العمل المستقبلية، حضر عن القيادة الجزائرية أحمد بن بلة ومحمد بوضياف والعربي بن المهدي وعن قيادة جيش التحرير المغربي المهدي بن عبود وعباس المسعدي، وبعد تدارس الأوضاع العامة للمقاومة في القطرين الشقيقين رسموا خطة عمليات مستقبلية، وخلصوا إلى تأكيد عزمهم على "مواصلة الكفاح حتى يتم حصول أقطار المغرب العربي على الاستقلال التام، كما تقرر عدم التقييد بأية اتفاقات عقدت أو تعقد مستقبلاً لا تحقق أمانى شعوبنا في الاستقلال التام والوحدة" وأعربوا عن معارضتهم لسياسة فرنسا الرامية إلى تجزئة قضايا المغرب العربي، وإلى ربط دول شمال إفريقيا بالاتحاد الفرنسي⁽²⁾، ولكن تدخل حزب الاستقلال كان حاسماً في قبول الاستقلال والتخلي عن المقاومة وفك الارتباط مع الجزائريين.

1 أنظر، فتحي الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص 123.

2 المصدر نفسه، ص 162.

ثانيا/ اليوسفي ودعم الثورة الجزائرية في مرحلة استقلال المغرب

إن قيادة حزب الاستقلال لم تتبنى الخيار العسكري الثوري رغم المخاطر التي تعرض لها المغرب إلا باللاح من الثورة الجزائرية، ويبدو أن اعتماد الخيار العسكري عاملا مساعدا للحل السياسي لم يكن خيار قيادة الداخل فقط، إذ اظهر الفاسي فتور عزيمة ولا مبالاة أثناء زيارته لتطوان في الأسبوع الثاني من اندلاع معارك جيش تحرير المغرب العربي، ولم يسأل حتى عن أحوال الجيش والمجاهدين⁽¹⁾، ولم يكن تمسكه بالمقاومة وهو بعيدا في القاهرة إلا مزايدة سياسية على خصومه في الداخل، ولهذا ما لبث أن تخلى عن مبادئه المغاربية بمجرد ما أقنعه بوعبيد في اجتماع مدريد بجدية الحكومة الفرنسية في منح الاستقلال للمغرب⁽²⁾.

وحفاظا على سلامة المفاوضات نزل المهدي بن يركة وعمر بن عبد الجليل بتطوان ليطلبوا توقيف المقاومة حتى لا تتخذها فرنسا حجة في عرقلة المفاوضات، وبعد نقاش طويل وموسع أصرت حركة المقاومة على موقفها، وعندما جاءت فرنسا بمحمد الخامس إلى فرنسا ذكر الخطيب أن حركة المقاومة بعثت إليه ثلاث رسل تطلب منه عدم الدخول إلى المغرب، " لأننا أردنا أن يستمر الكفاح مع الإخوان الجزائريين...مع الأسف لما بدأ جيش التحرير خاف السياسيون الذين تفاوضوا في اكس لبيان خافوا على مناصبهم، وخافوا على مستقبلهم، وفرضوا عليه الدخول بل وهددوه وقالوا له إذا لم تأت إلى

1 عبد الله الصنهاجي: المصدر السابق، ص. 202 . 203.

2 أنظر، جبرو عبد اللطيف: اكس لبيان، ملفات وحقائق، مطبعة إكسيل برنت، الرباط، 2002،

المغرب فإن جيش التحرير سيبقى مع الجزائريين وتكون نهايتك...⁽¹⁾. وأما قيادة الناظور فأبدت امتعاضها من قيام وفد المفاوضات بزيارة تطوان وتجاهله للناظور حيث ميدان المعارك، وأبدت تصميمها واضحا على تمسكها بمبادئ جيش تحرير المغرب العربي، وتنسيقها مع القيادة الجزائرية، وترحيبها بالمساعدات المصرية، وأمام تمسك الصنهاجي والمسعيدى بهذا الخط الثوري تجلى الخلاف داخل قيادة لجنة تطوان حول كثير من القضايا المصرية، ومنها مسألة الخضوع لمقررات الحزب ووقف القتال، ومصير الالتزام المغاربي والعلاقة مع الجزائريين، ويبدو على ضوء مواقف الصنهاجي ورسائل عباس المسعيدى أن قيادة الناظور أكدت على استمرارها في المقاومة حتى بعد رجوع الملك محمد الخامس، وتمسكها بمبدأ الكفاح إلى أن يتحقق استقلال المغرب العربي⁽²⁾، ويتضح أن الدكتور الخطيب ويتأثر من القاهرة وصدافته لابن بلة وحافظ ابراهيم ساير هذا الخيار المغاربي، وأعرب عن وفائه بالالتزامات المبرمة مع الجزائريين⁽³⁾، وأما أعضاء لجنة قيادة تطوان المتحزبين فكانوا مساندين لموقف الفاسي، واستجابوا لمطلب وقف القتال ولو بشكل مؤقت⁽⁴⁾، خاصة

1 أنظر، شهادة الدكتور الخطيب في ندوة، وحدة المغرب العربي في ذاكرة حركات المقاومة وجيش التحرير، الذاكرة الوطنية، المرجع السابق، ص 379.

2 نظر عبد الله الصنهاجي: المصدر السابق، ص، ص 202، 203، ورسالة عباس المسعيدى إلى لجنة تطوان بتاريخ 23 نوفمبر 1955، محمد حمو الإدريسي: الحركة الوطنية في الشمال ودورها في استقلال المغرب والجزائر، ط1، مطابع البوغاز، طنجة، (د ت)، ص 116.

3 صدر تأكيد الخطيب والمسعيدى لموقفهما خلال اجتماع قادة جيوش تحرير المغرب العربي في القاهرة فيفري 1956، وقبل أيام من التوصل إلى اتفاقية استقلال المغرب.

4 أنظر، غلاب عبد الكريم: تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، من نهاية الحرب الريفية حتى استرجاع الصحراء، ج2، ط3 مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص292.

بعد أن اقنع بوعبيد علال الفاسي بأن المفاوضات مع الحكومة الفرنسية ستؤدي إلى الاستقلال التام والحقيقي، ويمكننا التأكد أن اجتماع حزب الاستقلال في مارس 1956 بمدير مثل التراجع الرسمي للفاسي عن الالتزامات المغاربية والدعوة لوقف المقاومة، حيث اهتم بالبحث عن موضع قدم له في المغرب المستقل⁽¹⁾.

في أول اجتماع لقيادة الحزب وحركة المقاومة بمدير لدراسة الموقف من الاستقلال تم التداول مطولا في الموقف من المقاومة الجزائرية، خاصة وان حركة المقاومة المغربية متعهدة بعدم التخلي عن القتال إلى غاية استقلال البلدين، وكان تدخل اليوسفي حاسما، مقابل التخلي عن المقاومة ضمن استمرار الدعم للثورة الجزائرية، وهو ما تمت المصادقة عليه⁽²⁾. وقد أبلغ اليوسفي هذه الموقف إلى أحمد بن بلة وأقنعه بانتهاج هذا الخيار الذي يخدم الثورة الجزائرية، وهو ما يفسر دعم ابن بلة ورفاقه المبكر لشرعية محمد الخامس وتأخره عن دعم شرعية بورقيبة، حيث عبر في لقاءه بمحمد الخامس عن ترحيبه بدعم الثورة الجزائرية مقابل وقف مهمة جيش التحرير المغاربي.

وغداة استقلال المغرب واصل دعم الثورة الجزائرية على صعد مختلفة، فبصفته عضوا في المجلس الوطني للمقاومة كان يؤكد دائما على مسألة التضامن مع الجزائر، ووقف مع عبد الكريم الخطيب وحافظ إبراهيم على تقديم مساعدات مهمة للثورة الجزائرية، تمثلت في تحويل فرق لجيش التحرير المغاربي إلى الجزائر لدعم ثورتها، وتحويل أموال لصالح جبهة التحرير

1 أنظر، جبرو عبد اللطيف: المرجع السابق، ص. 36 . 91.

2 المرجع نفسه.

الوطني، والعمل على إيجاد موطئ قدم للثورة الجزائرية في المغرب بإعطائها شرعية التمثيل السياسي والقواعد الخلفية والتسهيلات اللازمة⁽¹⁾.

وفي نهاية أكتوبر 1956 كان اليوسفي من المرشحين بقيادة جبهة التحرير الجزائرية في تطوان والرباط، يشجعهم في مسعى التضامن المغاربي الذي آمن به، ووثق اليوسفي ذلك بقوله: "كان القادة الخمسة قد قضوا يومي 20. 21 أكتوبر في المغرب، وقد رافقتهم شخصيا لعقد لقاء مع الملك محمد الخامس الذي رحب بهم كالعادة، وأكد لهم دعم المغرب للثورة الجزائرية حتى النصر، وقد التحق بنا المناضل التونسي الكبير حافظ إبراهيم، وقد نصحتهم ونحن على مائدة العشاء أن الرحلة الأسلم إلى تونس هي عبر مدريد ثم روما، ليبتعدوا كلية عن أجواء الجزائر المراقبة من طرف فرنسا"⁽²⁾. وقع ما لم يكن في الحسبان حين اختطفت الطائرة واعتقل الزعماء، وكان التنديد الرسمي والشعبي في المغرب كبيرا، تأثر اليوسفي وندد بهذه القرصنة التي اعتبرها بصفته محاميا ومناضلا أول قرصنة جوية في التاريخ⁽³⁾.

ويذكر اليوسفي أن الحكومة الجزائرية المؤقتة انتدبته ليكون محاميا للدفاع عن المختطفين، كما كلفه الإخوة في الحزب وقادة المقاومة وجيش التحرير بالمهمة ذاتها، "هكذا أصبحت أزور القادة الخمسة من حين لآخر، وفي نفس الوقت كنت أنقل إليهم الآراء والقرارات التي ينوي إخوانهم في قيادة الثورة الجزائرية اتخاذها لإبداء آرائهم وإعطاء توجيهاتهم في كل ما يتعلق بقضايا

1 أنظر عبد الله مقلاتي: عبد الكريم الخطيب ومهمة دعم الثورة الجزائرية، مجلة المواقف،

جامعة معسكر، عدد 11، ديسمبر 2016، ص ص 245. 265.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/5572>

2 عبد الرحمان اليوسفي: المصدر السابق، ص 85.

3 المصدر نفسه، ص 84.

الثورة، ومواقف جبهة التحرير وخطط جيش التحرير الجزائري"، وكان اليوسفي ينتقل باستمرار بين باريس وتونس للقاء قادة الثورة ونقل رسائلهم إلى السجناء أو العكس، وربط الاتصال هذا جعله يحثك بقادة الحكومة المؤقتة ويطلع على أسرار الثورة ويقدم المشورة القانونية والسياسية لها، وكل هذا يجعله في الحقيقة فردا من الثورة وصديقا مخلصا لها، نسينا للأسف أن نكرمها، والأهم من ذلك أنه كان يقوم بدور تنسيقي فعال بين القادة المعتقلين وإطارات الثورة، وأحيانا يتدخل للوساطة في حالة حصول الاختلافات والنزاعات، وهو ما جعله يحظى بمكانة متميزة لدى أطراف القيادة الجزائرية بكل مستوياتها في عهد الاستقلال. ويتذكر اليوسفي قصة محاولة تهريب الزعماء الخمسة من السجن التي خطط لها السفير المصري بسويسرا فتحي الديب، حيث أبلغه الخبير السويسري "جونو" بالأمر، لكنه طلب التريث إلى غاية استشارة المعنيين، حيث اجتمع معهم وأمهلهم أسبوعا للتفكير، واستقر رأيهم بإبلاغ المصريين العدول عن هذه المحاولة⁽¹⁾.

وقد ظل اليوسفي وفيا لوحدة المغرب العربي، حيث شجع مبادرة اتحاد النقابات العمالية المغاربية في نهاية عام 1957 خلال اجتماعها بالمغرب، وفي الثاني مارس 1958 اجتمعت اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، ودرست مشروع وحدة سياسية بين الأحزاب المغاربية الثلاث، وكان اليوسفي من دعاة تجسيد المشروع وتفعيله، حيث عين من قبل الحزب في لجنة مصغرة لدراسة المقترح من جوانبه المختلفة، وكلف مع المحجوب بن الصديق بمهمة الاتصال بقيادة جبهة التحرير الوطني في القاهرة لبحث الموضوع وإقناعه بالحضور للمؤتمر، وأرسل أبو بكر القادري ومحمد بناني إلى تونس للتباحث مع

المسؤولين التونسيين⁽¹⁾، وكان انعقاد مؤتمر طنجة 27 أبريل 1958 فرصة سانحة لتحقيق طموحات البناء المغربي كما حلم بها المناضلون المغاربة، وحرص خلالها اليوسفي أن يتحقق الدعم اللازم للثورة الجزائرية وهو العضو البارز في الوفد المغربي، وفعلا حققت الثورة الجزائرية مكاسب مهمة في المؤتمر، ولكن وخلال انعقاد مؤتمر المهديّة بتونس في جوان سجل بعض التراجع عن هذه الالتزامات، ومع ذلك ظل اليوسفي يحث رفيقه بوعبيد على الوفاء بالالتزامات المطوَّحة للقادة الجزائرية، وبحكمته وتدخلاته كان يطمئن المسؤولين الجزائريين بضرورة الحفاظ على جسور العلاقات الوثيقة مع المغرب⁽²⁾، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهت مشروع طنجة الودودي فقد ظل اليوسفي وفيما لمبادرات التضامن التي تجمع الشعوب المغربية وتوحد أقطاره، وهو ما عبر عنه في مناسبات مختلفة من خلال خطبه وكتاباته الصحفية ومبادراته⁽³⁾.

ونلاحظ جليا بداية تبلور الانقسام داخل حزب الاستقلال حول مشروع الوحدة والعلاقة مع الثورة الجزائرية، فقد كان ابن بركة ومحمد البصري وعبد الرحمان اليوسفي يمثلون التوجه الثوري في الحزب وبراھنون على العلاقة الإستراتيجية مع الثورة الجزائرية ووحدة المغرب العربي، وعندما طرحت فرنسا مشكلة الصحراء عبر هذا الجناح عن طموحه في استغلال ثروات الصحراء

1 شهادة ابو بكر القادري، *جريدة العلم السياسي*، العدد 4، (أكتوبر 1982)، ص 4، 5.

2 أنظر عن مؤتمر طنجة والمهديّة مقالتي عبد الله: *العلاقات الجزائرية المغربية ابان الثورة الجزائرية*، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 204 وما بعدها.

3 يتجلى ذلك واضحا في مواقفه وكتاباته في *جريدة العلم*.

في إطار الشراكة والوحدة المغربية⁽¹⁾، ولكن الفاسي وجناحه أصروا على استكمال استرجاع السيادة وطالبوا من جبهة التحرير الوطني الاعتراف للمغرب بسيادته على منطقة تندوف وأثاروا قلقا للثورة في معابر الحدود الإستراتيجية جهة بشار، ما أدخل العلاقات الجزائرية المغربية في أزمة حقيقية، وطلبت جبهة التحرير الوطني من اليوسفي التدخل لحل المشكلة، فبذل جهودا كبرى لإقناع جماعة الحزب بتأجيل مسألة الحدود إلى ما بعد استقلال الجزائر، ووضع حد لإزعاجات جيش التحرير المغربي بالصحراء لنشاط الثورة الجزائرية في جهة بشار، وفي هذا الإطار عقدت قيادة الثورة عدة اجتماعات مع مسؤولي حزب الاستقلال، منها اجتماع يوم 8 أبريل 1958 مع ابن بركة ومحمد البصري، ولم يخرج الطرفين بأي نتيجة، وعقد اجتماع آخر يوم 6 ماي من نفس السنة بين مسؤولي جبهة التحرير الوطني والسلطات المغربية، وتطرق لمشكلة الحدود وعرقلة نشاط جيش التحرير الوطني، وأظهرت السلطات المغربية تمسكها بمواقفها⁽²⁾، وتطورت الأزمة اثر حوادث الاعتداء والعرقلة التي تفاقمت في الجنوب ونسبت لجيش التحرير المغربي، وتشير بعض المصادر إلى أن القصر المغربي أو أيادي فرنسية خططت لاختراق وتلغيم جيش التحرير المغربي، وأن المضايقات التي واجهت الجزائريين كانت نتاج هذه السياسة، والتي هدفت إلى تشويه سمعة هذا الجيش وقطع الطريق أمام إمكانية التحامه

1 محمد البصري: كتاب العبرة والوفاء، حوار سيرة ذاتية مع حسن نجمي، ط1، مؤسسة محمد

الزرقطوني، الدار البيضاء، 2002، ص 178.

2 محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل داغر، ط1 مؤسسة

الأبحاث العربية - دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص 178.

بالثورة الجزائرية⁽¹⁾، وهذا التوجه أكده قائد جيش التحرير المغربي محمد البصري في شهادته بالقول: "...أما الحكم في المغرب آنذاك فكان لديه هاجس مقلق، وهو أن التحالف بيننا وبين جبهة التحرير، إذا ظل متوصلا فان العواقب ستكون وخيمة، ولذلك اتجهت النية الرسمية إلى بث الشك بيننا وبين الجزائريين، ومن ثمة كانت عدة مناوشات في الحدود المغربية الجزائرية وبعض الاحتكاكات في الجنوب الشرقي ناحية كولومب بشار..."⁽²⁾.

لقد انشغلت قيادة الثورة الجزائرية مطولا بهذه المشكلة التي تسببت لها في مشكلات عويصة، واستعانت بخدمات عبدالرحمان اليوسفي لاكتشاف حقيقة ما يجري في الجنوب والسعي لوضع حد أمام تنقل المجاهدين والسلاح إلى داخل التراب الجزائري، ويكون اليوسفي والبصري قد أرشدها لمحاورة المسؤولين عن الأزمة ونصحاها بالتدخل لدى الملك مباشرة، وفي صيف عام 1960 طالبت هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة من الملك محمد الخامس التدخل شخصيا لإنهاء هذه الأزمة، فأمر جلالته بمعالجة القضية وتدخل القوات المسلحة الملكية لوضع حد لنشاط جيش التحرير المغربي المسلح، ثم تقرر أخيرا حل هذا الجيش وضم أفراده إلى القوات الملكية، فأغري بعض القادة وعوقب البعض الآخر على ما اقترفوه من مخالفات⁽³⁾.

1 محمد الميلي: المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامح الشعوب، ط1، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص. ص 87-89.

2 أنظر، محمد البصري: المصدر السابق، ص. 103.

3 أنظر، عبد الله رشيد: كفاح المغاربة في سبيل الاستقلال والديمقراطية، المرجع السابق، ص.

وفي سبتمبر 1959 وقع تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بقيادة المهدي بن بركة، فوقف اليوسفي إلى صف رفيقه ابن بركة، وعبر عن مواقف ثورية وتقدمية رفقة محمد البصري وبوعبيد تقترب من أفكار جبهة التحرير الجزائرية، وقد تولى رئاسة تحرير جريدة "التحرير" لسان حال الحزب الجديد، فكان يحرص على رسم مواقف التضامن والإعجاب بالثورة الجزائرية، وهو ما وقفنا عليه من خلال تصفح أرشيف الجريدة بالمكتبة الوطنية المغربية عام 2006⁽¹⁾.

وبعد استقلال الجزائر اعتبر اليوسفي ذلك انجازا مهما لبناء المغرب العربي، خاصة وأن جزائر ابن بركة تبنت الخيار الاشتراكي المتقاطع مع حزب اليوسفي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، حيث عقد الأخير مؤتمره في ماي 1962 وتبنى أرضية تقوم على وحدة المغرب العربي، واستبشر اليوسفي ورفاقه خيرا بأرضية مؤتمر الجزائر عام 1963 وبالقيادة التي تسير الثورة، وذلك بحكم التقاطع في المشارب والرؤى السياسية، وقد حضى اليوسفي وابن بركة بمباركة رسمية وشعبية في الجزائر في اول احتفال للجزائر بذكرى اندلاع ثورتها⁽²⁾. وفي ديسمبر 1962 وقف الحزب معارضا لسياسة الملك في إجراء استفتاء الدستور، وهو ما سبب للحزب المعارض مضايقات ومتاعب، تطورت خلال الانتخابات التشريعية في مارس 1963، والانتخابات المحلية في جويلية

1 جريدة التحرير، أعداد متفرقة لسنتي: 1959. 1960.

2 أنظر حوار اليوسفي مع صحيفة العربي الجديد، عبد الرحمان اليوسفي للعربي الجديد انتظرت الربيع العربي مطولا، عدد 11 افريل 2015، وكذا بن بركة المهدي: الاختيار الثوري في المغرب، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1966.

1963، وتعرض اليوسفي الذي انتخب نائبا في البرلمان ورفاقه للاعتقال والمحاكمة في إطار ما عرف "بالمؤامرة".

وفي هذه الظروف وقعت حرب الرمال بين المغرب والجزائر في أكتوبر 1963، وعبر اليوسفي عن أسفه لوقوعها في الوقت الذي كان يؤمل أن تتجسد فيه الوحدة ويسود التضامن، " مع الأسف جاءت هذه الحرب بين الجزائر والمغرب عكس ما دعت إليه ندوة المغرب العربي في أبريل 1958، التي كانت بمثابة النواة الأولى لبناء أسس المغرب العربي الكبير، وجاءت أيضا هذه الحرب عكس ما رسخه القياديون في الحركات الوطنية المغاربية من ممارسات..."⁽¹⁾.

انشغل اليوسفي بالمشهد السياسي المضطرب في المغرب وخاصة بعد اغتيال ابن بركة، حيث شارك في المحاكمة التي أدانت اولفقيير في جوان 1967، وقرر البقاء في الخارج خوفا على حياته، فكان ينتقل بين باريس والجزائر، ولم يتخلى عن النضال الديمقراطي من أجل الحريات وحقوق الإنسان، والذي بدأه الزعيمين التونسي احمد التليلي والجزائري محمد بوضياف في باريس، وكان يلتقي بهم ويتقاسم معهم الأفكار والرؤى الديمقراطية ومشروع بناء المغرب العربي، وعمل اليوسفي في هذا السياق على تبني المشروع القومي الديمقراطي، حيث عمل على تأسيس اتحاد المحامين العرب، والمنظمة العربية لحقوق الإنسان، وقد ربط اتصالات مع السلطات الجزائرية لتسهيل لجوء رفاقه المضطهدين من قبل السلطات المغربية، فوجد كل التجاوب والترحيب من السلطة الجزائرية في عهد هواري بومدين، واستقر هو وبنسعيد ايت ايدر ومحمد البصري ورفاقهما في الجزائر وباريس إلى غاية بداية

1 عبد الرحمان اليوسفي: المصدر السابق، ص96.

الثمانينات، حيث صدر العفو وعاد اليوسفي ورفاقه لمواصلة مشوارهم النضالي في المغرب، واثر وفاة عبد الرحيم بوعبيد خلفه في قيادة أكبر الأحزاب المغربية الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية في جانفي 1992، وحقق الحزب في عهده نتائج متقدمة أهلته لتولي رئاسة الحكومة في 1998، وذلك باعتبار حزبه من أبرز أحزاب التكتل الديموقراطي، واستمر في قيادة الحكومة إلى غاية عام 2002، وخلال هذه المرحلة عرفت العلاقات الجزائرية المغربية تحسنا ملحوظا بحكم مكانته وحكمته ومسايعه المبذولة في تقريب وجهات النظر⁽¹⁾.

وبعد سنوات طويلة من النضال والعمل السياسي قرر اليوسفي الاستقالة من العمل السياسي والتفرغ لشؤونه الخاصة، وحرص على كتابة مذكراته، وكانت فرصة للتواصل مع رفاقه، ومنهم المناضل الكبير حافظ إبراهيم الذي توفي يوم 11 يوليوز 2010 وحرص على حضور جنازته، والتقى بابن بلة وعادت بهما الذاكرة إلى أيام النضال المشترك الأولى في مدريد والريف، وقصة المناضل التونسي الذي تجند لصناعة المتفجرات والبحث عن السلاح لصالح المقاومين المغربية والجزائرية، وأبدى اليوسفي حصرته عن هذا المناضل المغاربي المخلص والوفي والذي توفي في صمت من دون أن تسمى شوارع مغربية باسمه على الأقل⁽²⁾. كما كان اليوسفي وفيما لرفيق الدرب احمد ابن بلة، وحرص اثر وفاته في 11 أبريل 2012 على حضور جنازته، وقام بعدها وخلال أربعينية وفاته بتحرير وإلقاء كلمة تأبينية في مسرح محمد الخامس

1 العبسي: عبد الرحمان اليوسفي المغاربي (شهادة) جريدة أنفاس، المغرب، عدد 17 جوان 2020.

2 عبد الرحمان اليوسفي: المصدر السابق، ص 234. 235.

بالرباط أشاد فيها بدوره في دعم المقاومة المغربية وتحرير المغرب⁽¹⁾، وحرص اليوسفي رغم مرضه على حضور جنازة رفيق الدرب حسين آيت أحمد في الجزائر عام 2016، وقد تقاسم معه هم النضال الديمقراطي في الغربية لسنوات، كما كان وفيًا لعائلة المرحوم محمد خيضر التي اختارت الإقامة في المغرب، وكان آخر ظهور إعلامي للراحل بمناسبة تنظيم حزب الاتحاد الديمقراط للقوات الشعبية لندوة الجزائر المغرب قاطرة الوحدة المغربية عام 2018، حيث وجه اليوسفي رسالة للجيل الجديد في البلدين يدعوهم إلى تجسيد حلم البناء المغربي وتحقيق أمن وازدهار البلدين⁽²⁾.

وبدورها لم تنسى الجزائر فضل هذا المناضل المغربي، فأثرت وفاة اليوسفي عن عمر ناهز الستة والتسعون سنة استذكرت الجزائر أفضاله، وأرسل رئيس الجمهورية عبدالمجيد تبون بريقة تعزية لعائلته، تضمنت ثناء على خصاله واستذكارا لأدواره في دعم القضية الجزائرية، منوها إلى أن الجزائريين اكتشفوا فيه من خلال إقامته في الجزائر تقانيه في العمل على مد جسور الأخوة بين الشعوب المغربية، ومما جاء فيها: "إن الجزائريين ما زالوا يتذكرون ان الزعيم المغربي الراحل الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي كان من الأوائل الذين ساندوا ثورة التحرير المباركة منذ اندلاعها، وتعاون مع قادتها، إذ كان على تواصل دائم معهم لتخليص المنطقة من الاحتلال الفرنسي البغيض"⁽³⁾.

1 عبد الرحمان اليوسفي: المصدر السابق، ص 337-340.

2 العيسى: عبد الرحمان اليوسفي المغربي (شهادة) جريدة أنفاس، المغرب، عدد 17 جوان

2020

3 جريدة الشروق، الجزائر، عدد يوم 29 ماي 2020.

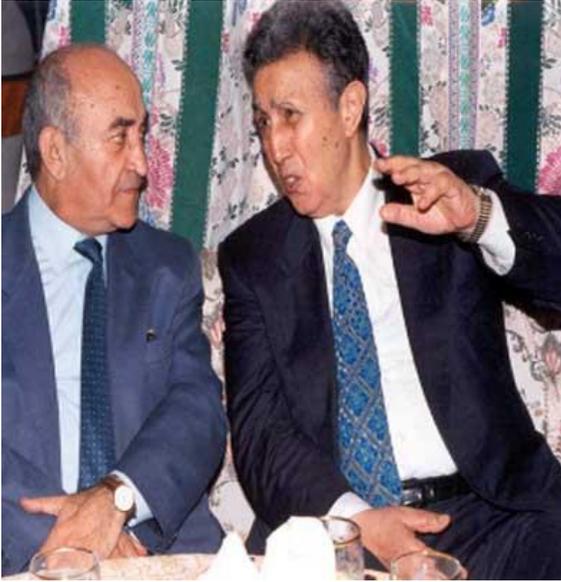
خاتمة

ومن خلال ما تناولناه من مسيرة ومواقف اليوسفي وعلاقته بالثورة الجزائرية نخلص للتأكيد على ما يلي:

إن اليوسفي المناضل المغاربي بدأ مسيرته السياسية مكافحا في حركة المقاومة المقاومة المغربية والثورة الجزائرية، وانتهى به الأمر معارضا ثم رئيسا للحكومة في المغرب المستقل، سجل خلالها مواقف ثابتة في الدعوة لوحدة المغرب العربي ومد جسور التعاون بين الشعوب المغاربية.

لقد ارتبط اليوسفي بصداقة وطيدة مع الجزائر، دعم ثورتها وتعاون مع قادتها، ورافع عن المعتقلين الخمسة بصفته محاميا وصديقا لهم، وطوال سنوات الثورة كان بحق الخادم والصديق الوفي سواء في كسب الدعم الرسمي أو التضامن الشعبي، حيث سخر موقعه وعلاقاته وصحيفته وحزبه لخدمة الثورة الجزائرية، وخاصة في مجال التسليح والحصول على القواعد الخلفية والدعم الإعلامي والدبلوماسي.

لقد تقاسم اليوسفي مع الثورة الجزائرية . أعظم ثورات القرن العشرين . قيم الحرية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية وهو اليساري والنقابي المؤمن بحرية الشعوب والمدافع عن حقوق الإنسان، وهي الأفكار التي حملها إلى الجزائر وهو معارضا وتمنى تحقيقها وهو رئيسا للحكومة المغربية، مثلما آمن بحتمية الوحدة المغاربية وتضامن الشعوب المغاربية.



اليوسفي حاضر في استقبال المغفور له محمد الخامس لقادة الثورة الجزائرية بالرباط



صورة لليوسفي بمطار الجزائر خلال حضوره جنازة حسين آيت أحمد

محمد العربي بن مهدي من خلال شهادة عيسى كشيدة
ولخضر بورقعة

Muhammad Larbi Ben Mhidi through the testimony of
Issa Kashida and Lakhdar Bouregaa

كهد/د/موسى لوصيف

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 02

المخلص

تعد الشهادات الشفوية - وخاصة المنشورة منها - واحدة من أهم مصادر كتابة تاريخ الثورة الجزائرية، فمن خلالها نستطيع الوصول إلى عديد الحقائق الهامة، وإبراز الكثير من الجوانب النضالية والإنسانية في مسيرة مناضلي الثورة الجزائرية، على غرار الشهيد محمد العربي بن مهدي، الذي وبالرغم من الكتابات العديدة التي أشارت إلى مسيرته، تبقى عديد الشهادات على غرار شهادة رفيقيه عيسى كشيدة ولخضر بورقعة واحدة من أهم المصادر التي حاولت أن تضيء جانب من حياة الشهيد في الكفاح ضد الاستعمار. يهدف هذا البحث إلى محاولة إمطة اللثام عن جانب مهم من حياة المناضل محمد العربي بن مهدي على الصعيدين الشخصي الإنساني في تعامله مع الغير، والوطني النضالي قبل وأثناء الثورة التحريرية إلى غاية اعتقاله سنة 1957، وذلك من خلال أهم مصدر تاريخي شهد على أهم محطات حياته، ونقصد بذلك ما ذكره المناضل عيسى كشيدة في كتابه "مهندسو الثورة" ولخضر بورقعة في مذكراته "شاهد على اغتيال الثورة".

Abstract

Oral testimonies - especially published ones - are one of the most important sources for writing the history of the Algerian Revolution, through which we can access many important facts, and highlight many of the struggles and humanitarian aspects in the march of the fighters of the Algerian Revolution, similar to the martyr Mohamed Larbi Ben Mhidi, who despite the writings of many testimonies that referred to his career, the testimony of his two companions Issa Kashida and Lakhdar Bouregaa,

remain one of the most important sources that tried to illuminate an aspect of the martyr's life in the struggle against colonialism. This research aims to unveil an important aspect of the life of the fighter, Mohamed larbi Ben Mhidi on the personal and humanitarian levels in his dealings with others, and the patriotic struggle before and during the liberation revolution until his arrest in 1957, and also through the most important historical source that witnessed the most important stages of his life. By this, we mean what the fighters Aissa Keshida mentioned in his book *Engineers of the Revolution* and Lakhdar Bouregaa in his memoirs "Witness to the Assassination of the Revolution."

مقدمة

نسعى من خلال هذه الورقة، إلى إبراز العديد من الجوانب النضالية والإنسانية، في مسيرة الشهيد محمد العربي بن مهيدي، قبل وأثناء الثورة التحريرية، الواردة في شهادة رفيقه المناضل عيسى كشيدة، الذي عرف الشهيد منذ فترة الصبا، وأقام عنده هذا الأخير فترة لا بأس بها، في محله للخياطة بأعالي حي القصبة، التي تضمنها كتابه: "مهندسو الثورة" الصادر سنة 2010م، عن منشورات الشهاب، الطبعة الثانية، بعض تلك الجوانب، سبق وأن اطلعنا عليها في مذكرات أخرى، ودراسات أكاديمية تاريخية على قلتها، والبعض الآخر منها يشكل بالنسبة إلينا، معطيات ومعلومات جديدة، من شأنها تنوير الباحثين والطلبة، وجمهور القراء الشغوف بتاريخ الثورة التحريرية، بحقائق في غاية الأهمية، اكتشفناها لأول مرة، مثل محاولته إدماج وتأطير زعماء عصابات اللصوص والمنحرفين في القصبة خاصة، لاستثمار شجاعتهم وطاقاتهم ضد السلطة الاستعمارية، التي همشتهم ودفعت بهم إلى مستنقع الانحراف والتشرد، فضلا عن أدواقه الفنية وهواياته الرياضية، وغيرها، مع تضمين كل ذلك، بما نراه من ملاحظات، ونتوصل إليه من استنتاجات، في

نهاية المطاف. أما مذكرات لخضر بورقعة¹ فهي بعنوان "شاهد على اغتيال الثورة" الصادرة عن منشورات دار الأمة للطباعة والنشر في ماي سنة 2000 الطبعة الثانية ومن تحرير صادق بخوش.

أولا/ مذكرات عيسى كشيده

تطرق المناضل عيسى كشيده في مذكرات إلى نقاط عدة في مسيرة الشهيد محمد العربي بن مهدي نوجزها فيما يلي:

1- بن مهدي بعد حل المنظمة الخاصة

يخبرنا عيسى كشيده، أن محمد العربي بن مهدي، كان من أوائل المناضلين الذين أرسلوا إليه، من قبل قيادة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية لإيوائهم، بعد حل المنظمة الخاصة²، حيث استقبله في محله للخياطة، الواقع في أعالي العاصمة، المؤمن بشكل جيد، حيث أقام فيه الشهيد بكل أريحية، وبأشر عمله بكل سكينة واطمئنان، واندماجا بسرعة، بفضل علاقاتهما القديمة التي تعود إلى مرحلة الدراسة، لما كان بن مهدي تلميذا بالمدرسة الابتدائية الثانوية بباتنة، حيث لعبا مع كرة القدم، وقد سمح له هذا الجو الهادئ والأمن،

1 بورقعة لخضر: من مواليد 15 مارس 1933م بالعمرية ولاية المدية، التحق بالثورة التحريرية سنة 1956، تولى قيادة كتبية الزبيرية بالولاية الرابعة ثم عين على رأس قيادة المنطقة، عين في 1961 عضوا في مجلس قيادة الولاية الرابعة وعضوا بالمجلس الوطني للثورة، اختار نهج المعارضة بعد الاستقلال، توفي في 2021. عبد الله مقلاتي: قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، ط 1، منشورات بلوتو، الجزائر، د ت.

2 كان محمد العربي بن مهدي من المناضلين الذين نجوا من القمع الشرس وموجة الاعتقال بعد اكتشاف المنظمة الخاصة من قبل شرطة الاحتلال التي كانت تبحث عنهم في كل مكان. محمد بوضياف: التحضير لأول نوفمبر 1954، تقديم عيسى بوضياف، ط 2، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2011، ص 23، 24، 25.

بالإضافة إلى تراجع وتيرة القمع، باستعادة نشاطه النضالي، والاتصال بزملائه المناضلين، لدراسة وتقييم الأوضاع، فأوكلت له مسؤولية المداومة في منصب رئيس دائرة بالمدينة ووهران ومستغانم ثم بعين تموشنت، وقد تم توقيفه في هذه الأخيرة رفقة رايح بيطاط، وتمكنا من التحايل على رجال الشرطة، باستظهار بطاقات هوية حقيقية لكنها مزورة، أصدرتها المصالح المتخصصة للحزب، ولم تكتشف الحقيقة إلا بعد فوات الأوان، ليعود إثرها إلى مدينة الجزائر ويبقى دون تكليف بمهمة، إلى أن جاءت حركة التغييرات التي مست قادة الدوائر، فوجد نفسه في سيدي بلعباس، في حين أرسل زملائه محمد بوضياف ومراد ديدوش وعبد الرحمان غراس وعبد السلام حباشي إلى فيدرالية فرنسا¹، سعيًا من المنظمة السياسية للحزب، لاحتواء تداعيات تلك المرحلة العصبية، وقد تمكن بن مهدي رفقة مصطفى بن بولعيد، من ملأ الفراغ الذي خلفه غياب بوضياف، والقيام بمهامهما على أحسن ما يرام.

2- اهتمامه بفئة المنحرفين والمشردين في حي القصبية

يكشف لنا الشاهد عيسى كشيدة، عن معلومة في غاية الأهمية، تتمثل في اهتمام الشهيد محمد العربي بن مهدي، بفئة المنحرفين والمشردين بالقصبية، في سياق سعيه لمعرفة ذهنية وطباع سكان حي القصبية بجميع فئاتهم، فقد دأب على التحدث مع عناصر تلك العصابات وخاصة قياداتها، التي احترفت الجريمة مجبرة، بسبب الحرمان والتهميش، ففكر في الاستفادة من ما يتمتعون به من شجاعة ومروءة، بتأطيرهم من قبل منظري الحزب، واستثمارها في تهديم

1 فسر محمد بوضياف تعيينه كمسؤول لمنظمة اتحادية الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية في فرنسا رفقة مراد ديدوش وعبد الرحمان غراس وعبد السلام حباشي بخطة قيادة الحزب في إبعاد العناصر التي تحدث لها مشاكل. محمد بوضياف، المصدر السابق، ص 33.

المنظومة الاستدمارية الفرنسية التي جعلت منهم حثالة المجتمع، فعكف على التفكير في طريقة إدماجهم، واستخدامهم في عمليات استعراضية، تهدف إلى خلق جو من اللأمن، وإدخال الرعب في المجموعة الفرنسية ككل، وقد اهتدى إلى تقسيم العناصر المختارة إلى فئتين: فئة تتكون من مجموعات ردة تقوم بتنفيذ المهام دون نقاش، وفئة تتشكل من عناصر تتميز بقدرتها على التفكير واتخاذ القرار وبالتالي تساهم في تأطير الجهاز السياسي وتجنيذ مناضلين جدد. ولا شك أن تلك الخطوة هي في غاية الأهمية، حاول من خلالها بن مهدي إصلاح تلك الفئة التي ينظر إليها عادة بنظرة سلبية، بإعطائها قيمة في المجتمع وجعلها مسؤولة وفاعلة فيه¹.

3- بن مهدي المناضل والإنسان

تحدث عيسى كشيدة، عن صفات محمد العربي بن مهدي، فوصفه بالرجل الحكيم، الحذر جدا في التواصل مع الناس، الذي يفضل أسلوب الإقناع مع أي كان على أسلوب الاصطدام المباشر، فجعلته موهبة الاتصال تلك مطلوب ومحبيب الصحبة، علاوة على بشاشته تواضعه وقدرته على التكيف مع جميع الظروف، وتسامحه، وحرصه على الانضباط والاستقامة في شخصه وفي غيره من المناضلين، يستمتع بسماع الموسيقى الأندلسية مفضلا أغاني فضيلة الدزيرية، من أجل إزالة التوتر الناجم عن مشاكل الحزب الكثيرة، يرتاد في بعض الأحيان قاعات السينما، أو يلعب لعبة البيّار إذا سمحت الفرصة بذلك، وممارسة السباحة في بعض الأحيان في راس المول بميناء الجزائر مع صديقه عيسى، غير أكل لكنه ميّال للأطباق التقليدية، شره لشرب القهوة أو

1 للمزيد حول الموضوع أنظر: معمر داود: مقارنة ثقافية للمجتمع الجزائري-دراسة لبعض الملامح السوسيو ثقافية والاقتصادية، ط 1، دار طليطلة، الجزائر، 2009.

الشاي خاصة عند تحضيره لتقاريره الشهرية، يقطع جزءا من مرتبه الشهري المقدر بـ12000 فرنك، و يرسله إلى أخيه الأصغر محمد الطاهر المحبوب جدا لديه، يحب الخروج في المساء للتجول.

4- بن مهدي وعبان رمضان

بفيدنا عيسى كشيدة، بأن بن مهدي، كان خلال جولتهما المسائية بمدينة الجزائر، يقص عليه كثيرا ذكريات لقاءاته مع عبّان رمضان سنة 1949م، لما كان هذا الأخير مسؤولا سياسيا بمنطقة سطيف، حيث أصبحا صديقان حميمان، كان بن مهدي يكن كل الاحترام لصديقه عبّان، و يطلق عليه لقب "هانسن" باللغة الألمانية بالنظر إلى تسريحة شعره، يصفه بالرجل الشجاع والصريح وصاحب الشخصية القوية، كما أخبره أيضا بأنه يتفق معه في الرأي بخصوص العديد من القضايا، ويرى فيه ذو ثقافة سياسية جيدة، وأمنيته الكبيرة أن يخرج من السجن قبل اندلاع الثورة ليشارك في التحضير لها.

5- دوره في التعجيل والتحضير للثورة

يذكر عيسى كشيدة، أن محمد العربي بن مهدي، لعب دورا كبيرا، في حث مناضلي القاعدة على الضغط على قيادة الحزب، لإجبارها على انتهاج النهج الثوري، فكان له ما أراد، فقرر في مارس 1954م، بمعية بوضياف العائد من فرنسا، وبن بوالعيد وبيطاط، إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل، بتأييد من ديدوش بعد عودته فيما بعد من فرنسا، حيث قررت المجموعة عقد اجتماع المدنية في بيت الياس درّيش، بعد استخلاصها للنتائج من الوضع العام، وحالة الارتباك السياسي السائدة، وبعد الاجتماع أبدى بن مهدي نشاطا لا مثيل له، إذ قام بحملة تحسيس وشرح للأوضاع داخل الحزب في تجمعات للمناضلين، في مختلف أنحاء وضواحي مدينة الجزائر، كشف فيها عن مواهبه

الخطابية، وأفكاره الواضحة التي يعبر عنها بصوت عال، مهيباً إياهم للثورة القريبة، التي ينتظرونها هم بدورهم، ولما أحس بتسارع الأحداث وازدياد ثقل عبء المسؤولية، قام بزيارات عائلية لعائلته وبعض أصدقائه، فقد كان يتمتع بحس التضامن العائلي والصدقة.

يذهب عيسى كشيدة، إلى أن مسألة الثقة، كانت أساسية بالنسبة لبن مهدي، إذ قال للمناضلين في إحدى المناسبات: " لقد عشت طويلاً بينكم، أنتم تعرفوني وأنتم تروني ألبس بطريقة ما وإذا رأيتموني غدا ببذلة من حقكم أن تطالبوني بتوضيحات لتعرفوا أي الوسائل تمكنت من الحصول على هذا الهدام الجديد".

وحسب كشيدة، فإن بن مهدي، قد بذل جهوداً جبارة رفقة زملائه للمصالحة بين الإخوة الأعداء (المصاليين والمركزيين) ولأنه كان يؤمن بضرورة الانفتاح على كل الحساسيات والفعاليات، مهما كانت انتماءاتها، فقد أشرك عبان رمضان، مباشرة بعد خروجه من السجن، بشرط واحد هو الإيمان بالحرية والعدالة، والانصهار في بوتقة واحدة، في سبيل استرجاع الجزائر لسيادتها.

6- دوره في الثورة إلى غاية اعتقاله سنة 1957م

سرد عيسى كشيدة بإيجاز، مختلف الأدوار التي قام بها محمد العربي بن مهدي، منذ تعيينه على رأس المنطقة الوهرانية، التي كان يعرفها بشكل جيد، وإلى غاية اعتقاله في فيفري 1957م¹، حيث عمل على إرساء هيكلية

1 ما زالت ظروف عملية إلقاء القبض على بن مهدي محل تضارب ويكتنفها الكثير من الغموض بالرغم من الشهادات العديدة التي أدلى بها زملاءه أو جلاؤه في هذا الصدد ومنها شهادة إبراهيم شرقي. أنظر إبراهيم شرقي: في قلب معركة مدينة الجزائر -اضراب ثمانية أيام واعتقال العربي بن مهدي، تقديم زهير إحدادن، د ط، منشورات دحلبل، الجزائر، 2014. وأنظر أيضاً:

قوية بها، تسمح بجعلها منطقة عبور واستراحة للمجاهدين، ومن جهة أخرى استهدف ممتلكات المستوطنين على نطاق واسع، بحرق مزارعهم، الأمر الذي تحدثت عنه الصحافة كثيرا، كما سافر إلى المغرب ومصر، بغرض إنشاء قاعدة لوجستية، ومصلحة للاتصالات كلف مساعده عبد الحفيظ بوصوف بها، وبالنظر إلى مؤهلاته فقد ترأس مؤتمر الصومام في 20 أوت 1955م، وانتخب عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ، وتولى قيادتها السياسية والعسكرية، بمساعدة كل من عبّان رمضان، وبين يوسف بن خدة وسعد دحلب في المجال السياسي، وكريم بلقاسم في المجال العسكري.

7-أكذوبة الانتحار شنقا بالقميص

يفند عيسى كشيدة، الرواية الرسمية الفرنسية حول استشهاد محمد العربي بن مهيدي، والتي ذهبت إلى أنه انتحر بشنق نفسه بقميصه، ويؤكد أن قاتل بن مهيدي، هو قائد المخابرات العسكرية، الضابط بول أوساريس، وبتواطؤ من الجنرال ماسو¹، وبتغطية من المسؤولين السياسيين، وقد ظل الكذب والإنكار سيذا الموقف لمدة 45 سنة، إلى أن قام الجنرال بول أوساريس نفسه، بالاعتراف بالجريمة بالتفصيل، ودون أدنى شعور بالذنب، وقد أورد كشيدة ذلك الاعتراف كاملا، وختم شهادته بالقول: "ويبقى بن مهيدي بالنسبة للشباب مثالا في

Paul Aussaresses :je n’ais pas tout dit ,entretiens avec Jean –Charles Deniau, éditions du Rocher, France ,2008.

وكتابه أيضا:

Services spéciaux, Algérie 1955-1957, éditions Perrin, Paris, 2002.

1 حول دور الجنرال جاك ماسي في القمع والتعذيب وفي معركة الجزائر أنظر: زهرة ظريف مذكرات مجاهدة من جيش التحرير الوطني-منطقة الجزائر المستقلة، ترجمة محمد صاري، د ط، منشورات الشهاب، الجزائر، 2014.

التفاني والشجاعة وتعد تضحيته رسالة للأجيال القادمة لكي تعي بضرورة الكفاح من أجل شرف البلاد والعدالة الاجتماعية واحترام الذات الإنسانية في جزائر سيده".

ثانيا/ مذكرات لخضر بورقعة¹

قال المناضل لخضر بورقعة بخصوص لقائه الأول بالشهيد محمد العربي بن مهدي أنه سمع كثيرا عن بعض قادة الثورة التحريرية ومن هؤلاء الشهيد محمد العربي بن مهدي الذي التقاه لأول مرة في غابه الشريعة وذلك قبل انعقاد مؤتمر الصومام، فتحدث عن خصاله وأطنب فيها، حيث وصفه بالحكيم وأنه كان يتميز بصفات القائد الفذ، متوسط القامة، هادئ الطبع يهمس حين يتكلم، له بريق في عينيه تمنع عن الناظر التحديق فيه، في وجهه بقايا الطفولة البريئة فيخيل لك أنك تعرفه من زمان، كان بسيطا في سلوكه ومعاملاته وفي هندامه حيث كان يرتدي الزي العسكري ويضع برنوسا على كتفيه، ويواصل حديثه مبينا مدى تأثيره ببساطة وهدوء الشهيد العربي بن مهدي وكاشفا عن ايمان الشهيد بالوحدة الوطنية من خلال تحديد كلمه السر التي أعطاها لمجموعه من المجاهدين في دوريه استطلاعيه تلقي فيها مجموعه أخرى من الغرب الجزائري في نواحي تيارت بين افلو وفرندة وتكون كلمه السر لمجموعة الوسط تابلاط ومجموعة الغرب تيموشنت على أن تقوم الدوريتان بعمليات عسكريه مشتركه رمزيه بينهما وهنا نستشف أن كلمه السر هي لمدينتين جزائريتين وهذا من أجل ترسيخ مفهوم الوحدة الوطنية عند أفراد الجيش التحرير الوطني.

1 بورقعة لخضر: شاهد على اغتيال الثورة، دار الأمة، 2000، الجزائر.

وفي شهادة نقلها الكاتب محمد عباس عن كشيدة جاء فيها أن بن مهدي قال لهم ذات مرة: "أن زمن المناضل الذي لا ينبغي أن يفهم كثيرا قد أدير، لأن المرحلة القادمة بحاجة إلى المناضل الواعي المقتنع الذي لا خوف منه ولا عليه، فعليكم من الآن فصاعدا باليقظة والحذر، والاستفسار عن كل صغيرة وكبيرة، فلو رأيتموني بلباس ثم عدت إليكم بآخر، لا تردوا في مساءلتي: من أين لك هذا"¹.

وهي لا شك خصال إنسان قبل كل شيء من جهة وقائد صاحب فكر عميق وشخصية مدركة لأعباء وتحديات القائد الثوري لإنجاح مشروع تحرير البلاد من نير الاستعمار من جهة ثانية، وقد اعترف له بذلك حتى جلادوه.

خاتمة

بناء على ما تقدم في هذا البحث حول شخصية العربي بن مهدي من خلال شهادة رفيقيه عيسى كشيدة ولخضر بورقعة نستخلص لمجموعة من النتائج نعرضها كالآتي:

لم يثني حل المنظمة الخاصة المناضلين الجزائريين على التراجع عن فكرة العمل الوطني، فسعى العديد منهم على غرار محمد العربي بن مهدي إلى العودة شيئا فشيئا للعمل على استعادة النشاط النضالي بغرب الوطن والاتصال برفاق النضال من أجل توحيد الجهود لتحقيق الهدف المنشود.

على مستوى القصة بالعاصمة استطاع بن مهدي أن يكون للفئات المهمشة دورا هاما في النضال ضد الاستعمار، من خلال تأطير فئة المنحرفين والمشردين، وهدفه من ذلك نشر الرعب في نفوس الفرنسيين، وما كان لذلك أن يكون لولا صفاته الإنسانية التي تميز بها وانضباطه الشديد، وهي الصفات

1 محمد عباس: فصول من ملحمة التحرير، دار هومة، د ط، الجزائر، د ت.

التي أكسبته العديد من الصداقات المهمة أثناء مسيرته النضالية على غرار المناضل عبان رمضان.

لعب محمد العربي بن مهدي قبيل الثورة دورا كبيرا نحو اتجاه النهج المسلح من خلال تغليب فكرة العمل الثوري والحث عليه، فاستطاع برفقة ثلة من المناضلين إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل، ويعد الثورة سعى ما أمكن لإظهار مدى قوة الثورة الجزائرية وحضورها بكافة ربوع الوطن، من خلال استهداف ممتلكات المستوطنين، وقد أهله دوره القيادي إلى المساهمة والتأثير في أغلب محطات الثورة إلى غاية اعتقاله ووفاته سنة 1957.

وعليه تبقى شهادة عيسى كشيدة ولخضر بورقعة في شخص محمد العربي بن مهدي، من أبرز ما قيل في المسيرة النضالية لهذا الأخير، لكن تبقى من ناحية أخرى مقتصرة نوعا منا في الكثير من الجوانب المخفية في حياة الشهيد العربي بن مهدي، وهذا لا ينطبق حسب اطلاعنا على شهادة عيسى كشيدة ولخضر بورقعة فحسب بل تعداه إلى العديد من شهادات من عاشوا الثورة وشهدوا أغلب أحداثها، والتي أهملت عن قصد أو غير قصد للتعريف بأبطال هذا الوطن، والكثير منهم الآن ماتوا وذهبت معهم الحقائق والأحداث المهمة في ثورتنا المجيدة دون أن تدون.

نشاط مكتب جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالقاهرة
(1957-1959)

The activity of the Algerian National Liberation Front
office in Cairo (1957-1959)

✍️ أ.د/ عمر بوضربة

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة

ارتأت قيادة الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني منذ فترة مبكرة بأن مصلحة الثورة تتطلب حضورا دائما لممثليها في بعض البلدان العربية والبلدان الإسلامية والآسيوية الهامة بالنسبة لتطوير الحركة الدبلوماسية والدفع بالقضية الجزائرية في اتجاه التدويل ومن أجل الحصول على الدعم المادي اللازم، ولهذا الغرض أسست المكاتب الأولى لجبهة التحرير الوطني منذ سنة 1955، وبعد تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تمّ استكمال هذا التمثيل ببعثات دائمة في كل من بيروت وعُين عليها مولود بوقرموح¹ ثم مسعود شعلال اللذان عوّضا على التوالي إبراهيم كابويا، وأحمد بودة في طرابلس، ومحمد

1- مولود بوقرموح: كان تعليمه الجامعي في الطب وعمل طبيبا بالمغرب حيث استقرت أسرته، طلبت ج.ت. وخدماته فالتحق بصفوف الثورة سنة 1955 وأشرف على تأسيس جمعية الهلال الأحمر الجزائري في ديسمبر 1956، وبذل جهودا كبرى لتفعيل هذه المنظمة الإنسانية انطلاقا من المغرب، أُنْتُخِبَ في سبتمبر 1957 نائبا ثانيا لرئيس الهلال الأحمر الجزائري، عُيِنَ في مارس 1959 مسؤولا عن مكتب بيروت، عد ينظر: عبد الله مقلاتي: قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية: ط1، منشورات بلوتو، الجزائر، 2009، ص ص: 179، 178، و:

-ANA : CNRA, b2, dos15, MAE "Rapport d'activité du Ministère des Affaires Extérieures, Le Caire 5/1/1960, p 52, Voir Annexe N15, p411.

الغسيري الذي عوّض عبد الحميد مهري في دمشق بعد تعيين الأخير وزيراً لشؤون شمال إفريقيا، وعبد الرحمن بن العقون في بغداد، وعبّاس بن الشيخ الحسين في جدّة¹.

بلغ عدد المكاتب الخارجية في الدول العربية إلى غاية ديسمبر 1959 سبعة (7) مكاتب تابعة لتنظيمياً لوزارة الخارجية بما فيها مكتب القاهرة، يضاف إليها فيدراليتي جبهة التحرير الوطني في كل من تونس والمغرب الأقصى، وهما تابعتان لوزارة الداخلية، وسنتناول من خلال هذه الدراسة نشاط مكتب جبهة التحرير بالقاهرة منذ تأسيسه سنة 1957 إلى بداية سنة 1960 أي من قبيل تأسيس ح.م.ج.ج إلى نهاية الحكومة المؤقتة الأولى (19/09/1958-1960).
جانفي 1960).

أولاً/ تنظيم مكتب القاهرة

احتضنت القاهرة مكتب الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني قبيل انطلاق الثورة في نوفمبر 1954، وهو استمرار لمكتب الوفد الخارجي للحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية الذي أسّسه الشاذلي المكي منذ 1945، إضافة إلى ذلك فقد قامت قيادة الثورة سنة 1957 بتأسيس مكتب القاهرة والذي ترأسه أحمد توفيق المدني واضطلع بتمثيل الثورة لدى سلطات الجمهورية العربية المتحدة ولدى جامعة الدول العربية²، وبعد تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تحوّل هذا المكتب إلى مقر لوزارة الشؤون الخارجية وسمّي كذلك بالمقر المركزي للوزارة.

1-Idem.

2- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، الجزء الثالث، م وك، الجزائر، 1984، ص ص: 286-

في 8 مارس 1957 استحدث الوفد الخارجي هيكله أسماها المكتب الخاص لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة وتكوّن من: أحمد توفيق المدني رئيساً، وأحمد فرنسيس أمينا عاما له مكلف بالتنسيق، وعضوية كل من: عبد الرحمن كيوان، عباس بن الشيخ الحسين، حامد روابحية، والمساعدون: عثمان سعدي، مصطفى بن با أحمد، والحاج بوسعادي.

وأوكلت لرئيس المكتب وأمينه العام صلاحيات هامة هي:

- الإشراف على ملف العلاقات مع الحكومة المصرية حسب تعليمات لجنة التنسيق والتنفيذ.

- الإشراف على ملف العلاقات مع جامعة الدول العربية.

- الاتصالات بالسفارات العربية وغير العربية المعتمدة بمصر.

- الاتصال بالشخصيات والمنظمات المصرية والعربية.

- متابعة ما تنشره وسائل الإعلام من صحف وإذاعة وكل ما ينشر بشأن القضية الجزائرية والرد على ما ينبغي تصحيحه وتصويبه.

- القيام بالنشاط الدعائي بإصدار نشرتين رسميتين واحدة أسبوعية والأخرى نصف شهرية تقدم أخبارا عن الثورة الجزائرية ووجهة نظر الوفد الخارجي في المسائل المتعلقة بالقضية الجزائرية.

- إذاعة حديثين إذاعيين يوميين في صوت العرب أحدهما باللغة العربية ويتكفل به أحمد توفيق المدني وحامد روابحية وعبّاس بن الشيخ الحسين¹،

1- منذ التحاق أحمد توفيق المدني بالوفد الخارجي في القاهرة تكفل أحمد توفيق المدني بكتابة الحديث اليومي في إذاعة "صوت العرب" بالقاهرة، ينظر: عبد القادر خليفي: أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899-1983، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري، كلية

والثاني باللغة الفرنسية ويتكفل به كل من عبد الرحمن كيوان وأحمد فرنسيس.
 - القيام بالأعمال الإدارية والترتيبات اللازمة لأعضاء الوفد من إقامة وسكن وتأشيرات الخروج وغيرها ويشرف عليها الحاج بوسعادي.
 - يُعيّن بالمكتب ملحق ثقافي مهمته العناية بشؤون الطلبة الجزائريين المقيمين بمصر ويشرف عليه العباس بن الشيخ الحسين¹.
 - لا يتم توزيع أو إذاعة أيّة وثيقة باسم ج.ت. وإلا بعد أن يؤشّر عليها أحمد توفيق المدني وأحمد فرنسيس.

وفي يوم 1957/03/09 حضر كل من أحمد توفيق المدني وأحمد فرنسيس لأول مرة اجتماع أشغال اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وذلك بصفة ملاحظين، وقرأ المدني في الاجتماع تصريحاً باسم وفد جبهة التحرير الوطني².

ورثت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بعد تأسيسها مكاتب وبعثات خارجية، كانت قد أسست في فترات مختلفة بعد اندلاع الثورة التحريرية بدءاً بسنة 1955، وكانت تسمى ب: مكاتب جبهة التحرير الوطني أو المكاتب الخارجية لجبهة التحرير أو بعثات ج.ت.و، كما قامت ح.م.ج.ج ذاتها بتأسيس بعض منها.

العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، السنة الجامعية 2006-2007، ص 194.

1- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، ط.ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص ص: 286-288.

2 -Abdellah Righi: **Ahmed Francis (1910-1968) Le docteur en politique**, Edition ANEP, Rouiba, 2007, p:102.

شمل نشاط وانتشار هذه المكاتب والبعثات الخارجية القارات الأربع: آسيا، إفريقيا، أوروبا وأمريكا¹، وبلغ عددها في شهر ديسمبر 1959 ثمانية عشر (18) مكتبا وبعثة تابعة من الناحية التنظيمية إلى وزارة الخارجية، يضاف إليها مكنتي تونس والمغرب الأقصى التابعين تنظيميا لوزارة الداخلية.

انتشرت المكاتب الخارجية في الدول التي اعترفت بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وكان يرأس كل مكتب أو بعثة مسؤول (رئيس) يُعيّن من طرف مجلس الوزراء، ويمارس مهامه في البلد المعيّن فيه وقد يتجاوز إلى دول مجاورة التي لا تملك فيها الحكومة المؤقتة مكاتب تمثلها، مثلا تجاوز نشاط محمد يزيد وعبد القادر شندرلي الولايات المتحدة الأمريكية إلى بلدان أمريكا اللاتينية وكندا، كذلك الحال بالنسبة للخضر إبراهيمي الذي تجاوز نشاطه أندونيسيا ليشمل ماليزيا²، ويساعد المسؤول الأول نائب في مهامه المختلفة، وفي عهد الحكومة المؤقتة الثانية والثالثة أصبح يساعد رئيس المكتب مستشار عسكري وآخر سياسي³، وتتمثل أهم أنشطة ومهام المكاتب الخارجية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المتواجدة بالبلدان العربية في:

- تعتبر بمثابة سفارات للحكومة. م. ج. ج. والناطق باسمها والمدافع عن المصالح الجزائرية لدى الحكومات والسلطات الرسمية للدول المعترفة بالحكومة

1- قسّمها تقرير وزارة الخارجية إلى أربعة أقسام: -القسم الأفروآسيوي- قسم أمريكا(نيويورك)-

قسم أوروبا- وقسم العالم العربي، للمزيد يُنظر:

ANA: CNRA, b2, dos15, MAE "Rapport d'activité du Ministère des Affaires Extérieures, Le caire 5/1/1960.

2 -ANA:Ibid, p6.

3-C.A.D:S.E.A.A(1959-1967),b:3, dos:2(FLN), doc:3 "Representation exterieure" Presidence du conseil,08/09/1960, p2.

الجزائرية¹، حيث تقوم بمعالجة أو بحث كل ما له علاقة بالجزائر والأفراد الجزائريين مع سلطات البلد المستضيف².

- وتعمل هذه المكاتب عموما على تمثيل الثورة الجزائرية وجهازها التنفيذي -الحكومة المؤقتة. ج. ج- لدى حكومات الدول المعترفة بالحكومة المؤقتة، وتعترف الحكومة الفرنسية بما وصلت إليه هذه المكاتب من قيمة تمثيلية للجزائر لما أصبحت تتمتع به من دور رسمي وقر لها امتيازات فقد أصبحت بمثابة سفارات³.

- الإعلام والدعاية لفائدة القضية الجزائرية بتوزيع صحيفة المجاهد والمطبوعات والنشرات وإعداد برامج إذاعية حول الثورة الجزائرية وعرض الأفلام الوثائقية حول اللاجئين الجزائريين في كل من تونس والمغرب الأقصى.

- السعي لتحصيل المساعدات المختلفة للاجئين والطلبة المدنيين والعسكريين ويتامى الحرب، بما في ذلك تنظيم حملات جمع الإعانات مع سلطات وجمعيات ونقابات وأحزاب البلد المستضيف.

1-ANA:GPRA,b:5,dos8,doc9,MAE "Rapport à Monsieur Le president et Ministres sur L'oganisation à l'exterieur", p4.

2-C.A.D:S.E.A.A,b:3, dos:2(FLN), doc:3 "Representation exterieure",op.cit, p2.

3-ANA:GPRA,Op.Cit, MAE "Rapport à Monsieur Le president et Ministres sur L'oganisation à l'exterieur", p5. وينظر كذلك:

C.A.D:S.E.A.A,boite 7,Presidence du conseil,Notice d'information "Le F.L.N et le mythe de l'etat Algérien ",11/08/1958, P12. et voir aussi: C.A.D:S.E.A.A (1959-1967), b:3, dos:2(FLN), doc:3 "Representation exterieure", 08/09/1960, p2.

و: أحمد بن فليس: السياسة الدولية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، رسالة ماجستير، فرع العلوم السياسية، (إشراف د. سليمان الشيخ) جامعة الجزائر 1985، ص 101.

- القيام بالأنشطة الدبلوماسية المختلفة: مثل تقديم طلبات الاعتراف بالحكومة الجزائرية، وعقد اللقاءات مع سفراء وممثلي الدول من اجل دعم القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة، والمشاركة في الندوات الدولية المختلفة لتمثيل الحكومة الجزائرية، والتحضير لزيارات وفود ح. م. ج. ج. للبلدان المقيمة بها¹.

- القيام بأنشطة قنصلية مختلفة: كالسعي للحصول على رخص الدخول والخروج، جوازات السفر والتأشيرات وغيرها من الإجراءات الإدارية الضرورية لإقامة مسؤولي جبهة التحرير الوطني والطلبة واللاجئين الجزائريين وجرى جيش التحرير الوطني.

ثانيا/ نشاط المقر المركزي لوزارة الشؤون الخارجية - مكتب القاهرة -

تطور نشاط مكتب القاهرة في ظل الحكومة المؤقتة حيث أصح بمثابة المقر المركزي لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة المؤقتة، وقد تنوّعت أنشطة المكتب فمن الأنشطة التنظيمية المختلفة إلى الأنشطة القنصلية إلى الأنشطة الدبلوماسية، والتي يمكننا استعراضها كما يلي:

1- الأنشطة التنظيمية

وتتمثل في الإشراف على إدارة ستة عشر (16) مكتبا وبعثة خارجية تابعة لوزارة الشؤون الخارجية، باعتبار أنّ مكتب القاهرة يُعدّ بمثابة المقر المركزي لإدارة وزارة الخارجية، من حيث الإشراف على الجانبين: المالي والموظفين، وكذلك من حيث التوجيه السياسي المنسجم مع الاختيارات السياسية للعلاقات

-1 ANA:CNRA,Op.cit, MAE "Rapport d'activité du Ministère des Affaires Extérieures, 5/1/1960, pp:57-60. ANA: Ibid,p57, et voir aussi: C.A.D:S.E.A.A,boite 7, doc: Representation exterieure, Op. Cit, p11.

يُنظر: الفصل السادس من أطروحتنا "تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية 1954-1960"، قسم التاريخ كلية العلوم الانسانية، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس 2011/2010

الخارجية التي ترسمها الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. وفي إطار متابعة أنشطة وتنظيم المكاتب والبعثات الخارجية خصّ مسئولو المكتب المركزي بعض المكاتب الخارجية بزيارات مراقبة، مثل تلك التي خصّ بها مكتب نيويورك في شهر ديسمبر 1958، كما خصّ مكاتب الدول العربية بمهامّ مماثلة في عدّة مناسبات في الفترة الممتدة ما بين 19 سبتمبر 1958 إلى جانفي 1960، إضافة إلى تنظيم ندوات وأيام دراسية تكوينية، مثل ندوة بون التي خصّصت لمسؤولي بعثات ح. م. ج. ب أوروبا وندوة دمشق التي ضمّت مسؤولي المكاتب الخارجية في البلدان العربية¹.

2- الأنشطة القنصلية

وتتمثّل الوظيفة الأساسية لهذه المصلحة في إعداد جوازات السفر²، ورخص المرور، وإعداد التأشيرات، وغيرها من وثائق السفر الضرورية لتنقل الجزائريين القادمين إلى مصر، أو المغادرين لها وكذلك وثائق أو رخص الإقامة³.

1- نفس المصدر، وكذلك:

CAN : CNRA, Op. Cit, "Rapport d'activité du Ministère des Affaires Extérieures, p :57-58.

2- لم تكن تصدر هذه الجوازات ورخص المرور باسم الحكومة المؤقتة وإنما باسم الجمهورية العربية المتحدة، كما أنّ مسؤولين في ح.م.ج. كانوا يحملون جوازات سفر ورخص مرور صادرة عن دول عربية أخرى مثل: سوريا، وتونس، والمغرب الأقصى.

3- تنظيم البعثة الجزائرية بالقاهرة يشبه إلى حد بعيد التنظيم المعتمد من قبل البعثات الدبلوماسية الحديثة للدول ذات السيادة الكاملة والمتمتعة بعلاقات رسمية مع الدولة المستضيفة، وتعترف بهذه الحقيقة التقارير السرية الصادرة عن الحكومة الفرنسية، للمزيد عن البعثات الدبلوماسية وتمثيلها يرجى الاطلاع على: هاني الرضا: الدبلوماسية - تاريخها قوانينها وأصولها - دار المنهل اللبناني، ط الأولى، 1997، لبنان، ص ص: 52-54، وأيضا:

كما قامت المصلحة القنصلية بربط مختلف وزارات الحكومة. م. ج. ج. ج. إداريا بالسلطات المصرية، مثل الإشراف على جمركة التجهيزات والوسائل التي تجلبها الحكومة من خارج مصر، وكذلك تعمل على تسوية وضعية بعض اللاجئين القادمين إلى مصر، إضافة إلى قضايا إدارية وإجرائية أخرى. وإجمالاً فإنّ المصلحة القنصلية كانت تقوم بتسوية وضعية كل الجزائريين المتواجدين على التراب المصري، ونظراً لحجم الحضور الجزائري الهام بمصر والمتمثّل في المصالح الحكومية ولعدد الجزائريين

المتوافدين على الجمهورية العربية المتحدة فقد شهد نشاط هذه المصلحة تطوراً كبيراً مع مرور الوقت، وقد أبلت القنصلية الجزائرية بلاءً حسناً ونجحت إلى حد كبير في مهامها، خصوصاً بفضل التسهيلات التي كانت تقدّمها السلطات المصرية وتعاونها مع المكتب بصفة عامّة¹.

3- الأنشطة الدبلوماسية

أشار تقرير وزارة الشؤون الخارجية الذي أعده مسعود بوقادوم أمين عام الوزارة إلى المجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورة طرابلس -ديسمبر 1959 جانفي 1960- بأنّ خلافات حادّة وقعت بين مسؤولي الوزارة وبين بقية الوزارات الأخرى، حول مسألة أحقية الوزارة المعنية بالتكفل بملف العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة وجامعة الدول العربية التي يتواجد مقرها بالقاهرة، حيث رأى مسؤولو وزارة الخارجية بأنّ هذا الملف من اختصاص وزارتهم، بينما رأى الفريق الثاني بأن الحكومة المؤقتة برمتها مسؤولة عن تسيير العلاقات مع

C.A.D: S.E.A.A,boite 7, "Le F.L.N et le mythe de l'etat Algérien",Op.Cit,p11,et voir aussi:C.A.D: S.E.A.A,b:3,dos: 2(FLN),doc:3"Representation exterieure",Op.Cit, p2.

1-ANA: CNRA, Ibid, Rapport d'activité du Ministère des Affaires Extérieures, pp: 58-59.

الجمهورية العربية المتحدة وجامعة الدول العربية، وبالتالي فقد شكّلت المهمة الدبلوماسية لمكتب القاهرة ووزارة الخارجية نقطة خلاف كبيرة بين وزارة الخارجية وبقية أعضاء الحكومة المؤقتة¹.

شهدت أنشطة وزارة الخارجية اضطرابا منذ استقالة لمين دباغين في 15 مارس 1959، على إثر مقتل الغامض لأحد معاونيه المدعو علاوة عميرة بمقر الحكومة المؤقتة بالقاهرة، مما أدى إلى تكهرب الجو وانتفاء الثقة بين وزير الخارجية والحكومة خاصة بعد الحفيظ بوصوف، الذي حمّله دباغين مسؤولية حادث "الاغتيال"، إضافة إلى من تضامن معه وعلى رأسهم الرئيس فرحات عباس وكريم بلقاسم ولخضر بن طوبال².

وإذا كان هذا هو السبب الأول للخلاف بين وزارة الخارجية ومن ورائها لمين دباغين وفرحات عباس والباءات الثلاثة، فإنّ السبب الثاني يكمن في حساسية وأهمية ملف العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة، وما يمكن أن يعود على المشرف عليه من وزن وامتيازات من خلال التقرب من الرئيس جمال عبد الناصر، وهو ما يفسّر هذا الصراع، بالإضافة إلى عدم الثقة فيمن تولّوا إدارة الشؤون الخارجية بعد استقالة دباغين بحكم أنّهم رجال الوزير المستقيل - وعلى رأسهم مسعود بوقادوم-، وهو برأينا ما يفسّر تهميش الوزارة بعد ذلك³، رغم أنّ دباغين واصل تأدية مهامه في انتظار الفصل في استقالته من طرف

1-Ibid, pp:60-61, et voir aussi: Redha Malek: L'Algérie à Evian, Op. Cit ,pp:41-44.

Ibid, P: 41. 2-

3- وذكر لنا محمد يزيد عاملا آخر هو طبيعة شخصية وزير الخارجية محمد لمين دباغين، الذي كان يشك كثيرا فيمن حوله، خصوصا في الباءات الثلاثة، واعتداده بنفسه، محمد يزيد: مقابلة، مقابلة شخصية، 1998/12/24 بالجزائر العاصمة.

قادة الثورة في اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية¹.

لم تمنع هذه الوضعية مكتب القاهرة وخصوصا الوزير وديوانه من توطيد علاقات ودية مع سلطات الجمهورية العربية المتحدة، وبدرجة أخص مع أبرز مسؤولي وزارة الشؤون الخارجية للجمهورية العربية المتحدة، مثل فريد زين الدين نائب وزير الخارجية، وذو الفقار صبري وفتحي رضوان مسؤول قسم العلاقات العربية².

لذا فقد حرصت وزارة الخارجية بالقاهرة على التواصل مع وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة لتنسيق المواقف واستغلال بعض المناسبات للتدخل لفائدة القضية الجزائرية والمواطنين الجزائريين في بعض البلدان، من ذلك مثلا تقديمها لتقرير حول موقف إسبانيا وإيطاليا من الجزائريين، وهذا بمناسبة زيارة مسؤولين إيطاليين وإسبان إلى القاهرة في جانفي 1959، كما قدمت الوزارة مذكرات إلى ذات الوزارة المصرية في شهر ماي 1959 حول قضية المعتقلين الجزائريين في إسبانيا، وهو أمر تعذر على الحكومة الجزائرية التدخل فيه بصورة سريعة، والهدف من ذلك إثارة هذه المسألة من طرف السلطات المصرية مع هؤلاء المسؤولين الأجانب لإيجاد حل لها.

فبالإضافة إلى هذه الأنشطة القنصلية والإجرائية-الإدارية- التي كان يؤدّيها المكتب فقد قام كذلك بأنشطة أخرى ذات طابع دبلوماسي محض، وذلك بقصد التعريف بالقضية الجزائرية وتذكير المجموعة الدولية بمواقف الجزائر، وأيضا لمعرفة حركية العلاقات الدولية من خلال الاتصال الدائم بالسفارات

1-ANA:GPRA,"Rapport Messieurs le Président.." Docteur Lamine Mohamed,Tunis, 02/10/1959.

2- ANA:CNRA,Op.Cit,"Rapport d'activité du Ministère des Affaires Extérieures, p62.

المتواجدة بالقاهرة، وتقديم طلبات الدعم والمساندة لفائدة الثورة الجزائرية، وفي هذا المسعى تتدرج اتصالات مكتب وزارة الخارجية بسفارات كل من: الصين الشعبية، الاتحاد السوفيتي، يوغسلافيا، أندونيسيا، كوبا، البرازيل بولونيا، فنزويلا، ألبانيا، وإثيوبيا، بالإضافة إلى كل السفارات العربية، وألمانيا الديمقراطية والبعثة الفيتنامية.

وَرُغِمَ عدم اعتراف الاتحاد السوفيتي بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لحسابات متعلقة بإستراتيجية سوفيائية، الهدف منها جر فرنسا للخروج من المعسكر الغربي الأمريكي، إلا أن ذلك لم يمنع وزير الخارجية من أن يولي هذه القوة العالمية ما تستحقه من اهتمام وعناية، للاستفادة من دعمها المادي ولم لا تغيير موقفها باتجاه الدعم الدبلوماسي والاعتراف بالحكومة المؤقتة، وتؤكد ذلك من خلال عقد لقاءين هامين مع السيد: فينوغرادوف VINOGRADOV مستشار سفارة الاتحاد السوفيتي بالقاهرة، وذلك في جانفي 1959، تمحور حول مسألة دعم اللاجئين الجزائريين وبتترول الصحراء الجزائرية، أما اللقاء الثاني فكان في شهر ديسمبر 1959 وتمحور حول الموقف العام للاتحاد السوفيتي من القضية الجزائرية.

ودائما في اتجاه الدول الاشتراكية ربط مكتب وزارة الخارجية بالقاهرة علاقات جدّ متينة مع النظام الشيوعي الجديد في كوبا، ممثلا في شخص الرئيس فيدال كاسترو، وهذا منذ جانفي 1959، فقد قام المكتب بتسليم رسالة رسمية من وزارة الخارجية إلى السيد ريفيرا ممثل كوبا بالقاهرة، كما سلم فيدال كاسترو ميدالية ذهبية، وهي النقطة هامة ومثمرة، أكسبت الجزائر محاميا قويا إلى جانبها في دورة سبتمبر 1959 والدورات الموالية للجمعية العامة للأمم المتحدة.

ومن ضمن أهم الأنشطة التي قام بها مكتب وزارة الخارجية ربط الصلات وإجراء الاتصالات المستمرة مع مسؤولي السفارات الأجنبية المعتمدة في القاهرة، خاصة مع ممثلي سفارة ألمانيا الديمقراطية والفيتنام وجمهورية يوغسلافيا، إضافة إلى عقد عدة لقاءات مع السكرتير الدائم للتضامن الأفروآسيوي للحصول على مزيد من الدعم المادي والمعنوي للثورة، وكذلك التنسيق والتشاور مع العديد من الحركات الوطنية التحريرية الإفريقية المتواجدة بالقاهرة¹.

وإضافة إلى الاتصال بالسفارات الثماني والأربعين (48)، والبعثات الدبلوماسية المتواجدة بالقاهرة، قام مكتب القاهرة بمهام أخرى كالربط بين الوزارات والمصالح المختلفة للحكومة المؤقتة من جهة وبين التمثيليات الدبلوماسية المتواجدة بالقاهرة من جهة أخرى، هذا ويشير تقرير الوزارة السابق إلى التجاوزات الإجرائية التي قامت بها بعض وزارات الحكومة. م.ج.ج. من خلال اتصالها مباشرة بالسفارات الأجنبية دون اللجوء إلى مكتب وزارة الخارجية، وهو ما أثار تعاليق هذه السفارات، لكون أن هذا العمل يتنافى والتقاليد الدبلوماسية. ومن ضمن القضايا التي تدخّل لأجلها مكتب القاهرة لدى السفارات الأجنبية بالقاهرة: الطلبة، الجرحى واللاجئون الجزائريون، وإدخال العتاد إلى مصر، وتنظيم الزيارات الرسمية مثل زيارة البعثة العسكرية ووفد النساء الجزائريات إلى الصين الشعبية وجمهورية الفيتنام².

إن الخلافات التي شهدتها الحكومة المؤقتة عرقلت نشاط وزارة الخارجية والحركة الدبلوماسية للحكومة. م. ج. ج. عامّة، والتي كان بالإمكان أن تكون حصيلتها أوفر من هذه التي تناولناها.

1-ANA:Ibid, pp: 60-61.

2-ANA:CNRA,Op.Cit,"Rapport d'activité du Ministère des Affaires-Extérieures, p62.

والواقع أن التمثيل الخارجي لجبهة التحرير والعمل الدبلوماسي لم يكونا محصورين على وزارة الشؤون الخارجية، حتى وإن كانت تحمل على كاهلها عبأهما الأكبر، فإنّ هناك وزارة الإعلام التي تدعمها من خلال إشرافها على الاتصالات بالصحافة العالمية لاطلاعها بمواقف الحكومة. م. ج. ج وجبهة. ت. و، إضافة إلى الدور الهام الذي كان يلعبه رئيس الحكومة المؤقتة من خلال زيارته لمختلف العواصم ومشاركاته في المؤتمرات الدولية والإقليمية والعربية ولقاءاته الصحفية والإذاعية، يضاف إلى كل هذا مشاركة جل الوزراء الآخرين في النشاطات الدبلوماسية من خلال تكليفهم بمهام تصنف ضمن هذا الإطار مثل المشاركة في وفود لزيارات رسمية وغير رسمية¹.

خاتمة

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الحركة الدبلوماسية لجبهة التحرير شكلت مظاهر قوتها بالقاهرة، وقد تمظهرت هذه الحركة في البداية من خلال الوفد الخارجي بالقاهرة باعتباره قمة تنظيمها، والذي عمل على توسيع تمثيل الثورة بداية من بلدان المشرق العربي سنة 1955، ثم نوع هذا التمثيل ليشمل بلدان آسيا وأوروبا وإفريقيا، ويعتبر مكتب القاهرة الذي تأسس سنة 1957 مهما جدا في العمل الدبلوماسي للثورة الجزائرية وهو ما تجلّى في المهام المتنوعة التي كان يؤديها، وخلال منذ عام 1957 وإلى غاية عام 1960.

1- سليمان الشيخ: الجزائر تحمل السلاح-دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة، ترجمة محمد حافظ الجمالي، وزارة المجاهدين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر، 2002، ص434.

مشروع الحمامات أو برنامج طرابلس الأخير 27 ماي 05 جوان 1962 بين
سندان هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة

**The Hammamet project or the last Tripoli program, May
27, June 5, 1962, between the General Staff and the
Interim Government**

✍️ أ.د./أحمد مسعود سيد علي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

مقدمة

تمثل دورة المجلس الوطني للثورة الجزائرية الأخيرة في جوان 1962 حدثا بارزا في تاريخ الثورة الجزائرية، باعتبارها الدورة الأخيرة التي تقرر مصير الجزائر المستقلة، نظامها السياسي وقيادتها، ومشروعها السياسي والاقتصادي، سادتها ملابسات كثيرة وظروف متداخلة أفضت إلى عدم الاتفاق على القيادة والمشروع السياسي، مما خلف أثرا كبيرا على استقرار الجزائر وعرقلة مسيرة ثورتها الكبرى، فما ظروف انعقاد الدورة وكيف سارت نقاشاتها، وما هي نتائجها وانعكاساتها؟ هذا ما نحاول تحليله معتمدين على الوثائق الأرشيفية للدورة بالمركز الوطني للأرشيف.

أولا/ الظروف والملابسات

لقد اجتمع المجلس الوطني للثورة الجزائرية لأول مرة منذ إنشائه بجل أعضائه بعد أن اكتمل نصابه من حيث التمثيل، فممثلو الولاية السادسة غير المعترف بهم¹ حضروا كما حضر الزعماء الخمس الذين كانوا معتقلين ليصبح

1- حضر عن الولاية السادسة محمد رويينة وسي الحسين هكذا ورد اسمه في المحاضر، لكن الغريب أن المجلس الوطني كان قد أصدر في دورة أوت 1961، في جلسته الأخيرة بتاريخ 1961/08/27، توصية أقر فيها إعادة بعث الولاية السادسة التي ظلت معلقة تنظيميا منذ

عدد المشاركين في الدورة¹ 52 عضواً، وبحساب عدد الوكالات كما كان يقر النظام الداخلي للمجلس فإن عدد الأصوات كان 67 صوتاً، بما أن كل ولاية كانت تمتلك خمسة أصوات بناء على قرار المجلس الوطني في دورة ديسمبر 1959/جانفي 1960، علاوة على فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا التي غدت تشكل الولاية السابعة بناء على توصية المجلس الوطني للثورة في آخر جلساته بتاريخ 27/أوت 1961².

وخلال الجلسة الثانية³ بتاريخ الثامن والعشرين من شهر ماي 1962، أعلن المكتب الموروث عن دورة أوت 1961، برئاسة السيد محمد بن يحيى رفقة

اغتيال قائدها طيب الجغلاي في 29/07/1959، لكن المجلس الوطني لم يعين إذاك قيادة عينية للولاية السادسة، وعلى فرض أن الحكومة المؤقتة هي التي كانت مخولة وفقاً للقوانين الأساسية الخاصة بالمؤسسات الانتقالية بتنفيذ توصيات المجلس، فإننا في حدود اطلاعنا على وثائق الحكومة المؤقتة لم نعث على قرار تعيين خاص بمجلس الولاية السادسة، إلى آخر دورة عقدها المجلس في ماي/جوان 1962. أنظر: م.و. للأرشيف. م.م.ث. ج. دورة أوت 1961، علبة مصورة رقم C043، وأنظر أيضاً: م. و. للأرشيف: م.م.و.ث. ج. دورة 27/ماي/05/جوان 1962، جلسة يوم 28/ماي 1962، مداخلة محمد رويبة. علبة رقم 12ملف 01.

1 - أنظر قائمة المشاركين في دورة طرابلس 27/ماي/05/جوان 1962، اوردها

ALI HAROUN: L'été de La discorde ALGERIE 1962; ED: cabah; ALGER 2000; P: 18/19

م.و. للأرشيف. و.م.و.ث. ج. دورة أوت 1961، جلسة يوم 27/أوت 1961، علبة : C024

2- مصورة رقم

3- لم تشر محاضر الجلسات المكتوبة أو المصورة للمجلس الوطني للثورة في دورته الأخيرة بطرابلس 27-05-1962/05-06-1962 الموجودة في المركز الوطني للأرشيف إلى الجلسة الأولى التي كانت بتاريخ 27/05/1962 بل أشارت إلى الجلسة الثانية بتاريخ 28/05/1962، ويبدو أن أشغال المجلس انطلقت في جلسته الأولى واعتمدت نظام التسجيل الصوتي للمناقشات، لكن في اليوم الثاني أي الجلسة الثانية اقترح العقيد بوصوف باعتباره مكلف بالإشراف أمنياً وتقنياً

العقيد علي كافي وعمر بوداود عن اقتراحات قدمها المؤتمرين خصت إضافات إلى جدول أعمال الدورة، لكن قبل انطلاق الأشغال أثار الرائد علي منجلي قضية استبدال مكتب الدورة، غير أن المؤتمرين صوتوا لصالح تثبيت ذات المكتب¹.

من جهة أخرى اقترح تحالف بن بلة هيئة الأركان العامة إضافات إلى جدول أعمال الدورة²، تتعلق بخلفيات شلل أجهزة الثورة والصراعات الشخصية التي ظلت تبدد في قواه بحجة اطلاق الوافدين الجدد على المجلس الوطني للثورة³، وهو ما اعتبره فريق الحكومة المؤقتة أمر لا يتماشى مع الأساس الذي

على أشغال الدورة، اقترح تكليف أمين وزارته السيد خليفة لعروسي-سي عبد الحفيظ- بتحرير المناقشات والمداولات بصفة رسمية. أنظر:

ALI HAROUN: L'été de La discorde ALGERIE1962; ED: cabah;ALGER2000;P:18/19

1- اقترح الرائد علي منجلي وسليمان في الجلسة الثانية من أشغال المؤتمر استبدال المكتب، فقام محمد بن يحيى على إثر ذلك بدعوة مقرر الجلسات السيد فرحات عباس بادرة الجلسة لكن هذا الأخير أعلن تفويض خيضر في هذه المسألة ثم عرض رئيس الجلسة السيد محمد بن يحيى الاقتراح السري لأجل الإبقاء أو استبدال مكتب الدورة وجاءت نتائج التصويت لصالح تثبيته ب:38صوت بنعم و 29 ضد. . أنظر م.و. للأرشيف: م.و.ث.ج. دورة27/ماي/05/جوان1962، جلسة يوم28/ماي1962، مداخلة: علي منجلي وقايد أحمد ومحمد بن يحيى، علبه رقم12ملف01

2- م.و. للأرشيف: م.و.ث.ج. دورة27/ماي/05/جوان1962، جلسة يوم28/ماي1962، مداخلة الرائد علي منجلي، نفسه.

3- أشار علي منجلي وسليمان بطريقة مباشرة إلى الوافدين الجدد في المجلس الوطني للثورة سواء المساجين الخمس أو ممثلو الولايات الذين حضروا لأول مرة لأشغال المجلس كي يتسنى لهم الحكم، وهي مناورة من هيئة الأركان العامة لاستقطاب واحتواء بقية المؤتمرين غير المحسوبين على الحكومة المؤقتة.

قامت عليه الدورة باعتبارها دورة استثنائية¹. لكن الاقتراح في حد ذاته أحدث لغطا داخل قاعة أشغال الدورة وعمق من حدة السجال بين المؤتمرين، حينما اقتنع بعض قادة الولايات بطرح هيئة الأركان العامة، اقتناعا بدا منطقيا حينها بالنسبة لأولئك الذين كانوا بالداخل ولم يدركوا حقيقة الأزمة التي انتهت إليها مؤسسات الثورة، ذلك أنه لم يكن بالسهولة على القادة الميدانيين للثورة استساغ جوهر الخلاف بين هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة وخلفياته الحقيقية فضلا عن المشاكل الموروثة خلال سبع سنوات ونصف من الكفاح المسلح، وفي هذا السياق أوضح قائد الولاية الأولى العقيد طاهر زبيري رغبة هذه الفئة لمعرفة كنه الشلل الذي آلت إليه مؤسسات الثورة وخلفيات المسائل المعقدة بالرغم من وجود تعليمات تؤكد على حلها وأشار على سبيل المثال لا الحصر أن الحكومة المؤقتة اتخذت قرارا بعودة منطقة² كانت محل نزاع بين الولايتين السادسة والأولى قررت إعادة إدماجها لهاته الأخيرة لكن القرار لم يدخل حيز

1- م. و. للأرشيف: و.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/28/ماي/1962، مداخلة عبد الحميد مهري، علبه رقم12ملف01.

2- ظلت أراضي الولاية السادسة عرضة لوصاية الولايات الأولى والرابعة والخامسة منذ اغتيال قائدها الأول علي ملاح في مارس/1957، إلى أوت/1961، حيث قرر المجلس الوطني إعادة بعث الولاية السادسة، لكن العقيد طاهر زبيري. لم يحدد المنطقة المتنازع عنها مع الولاية السادسة، وهي المنطقة الثالثة جنوب الأوراس. أنظر: محمد صابكي: شهادة تائر، من قلب الجزائر دار الأمة الجزائر 2000ص:86، عباس محمد: نصر بلا ثمن الثورة الجزائرية 1954/1962، دار القصبه للنشر الجزائر 2008 ص:532، و

التطبيق¹. من جهة أخرى دعا حسين آيت أحمد إلى التأسيس لنقاش برلماني داخل المجلس الوطني واحترام سيادة المجلس بما يتماشى مع مشروع الثورة والتحديات التي غدت تواجهها، وأوضح بأن انعقاد المؤتمر جاء في إطار دورة استثنائية للمجلس، وبالتالي لا يمكن إدراج نقاط جديدة لجدول أعمال كان قد حدد سلفا تجنباً لتبديد الوقت، كما دعا إلى ضرورة مناقشة وضع الجزائر بالداخل وهي تهدد من طرف منظمة الجيش السري والمجاعة والإسراع في إيجاد قيادة كفيلة بتحمل مسؤولياتها خلال المرحلة الانتقالية التي ستمر بها الجزائر في انتظار انعقاد المؤتمر الوطني بالداخل².

وفي ذات الإطار جاء عرض حاج بن علا بطريفة تتم عن خطاب برلماني راق، أسس لنقاش عميق حول تداعيات الصراع بين هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة على القاعدة النضالية لجبهة التحرير الوطني، وأعرب عن تأسفه لما آلت إليه مؤسسات الثورة وندد بالمحاباة الموجودة في انتقاء الإطارات، فالكل في نظره كان يعمل على تنصيب ذويه في الهيئات القيادية دون اعتماد التأهيل والكفاءة كمقياسين موضوعيين، شجب بن علا أيضا النظام العصبي الذي تشكل داخل مؤسسات الثورة، وحذر في ذات السياق من مغبة تحول الصراع بين العصب إلى صراع في القاعدة قد ينسف لا محالة المشروع الثوري ويهدده بحرب أهلية، كما اعتبر وضع جبهة التحرير الوطني لا يؤهلها البتة إلى قيادة شؤون الجزائر المستقلة، لأجل ذلك اقترح أن تتكفل دورة المجلس

1- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/28/ماي/1962، مداخلة العقيد طاهر زبييري، علبة رقم 12 ملف 01.

2- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/28/ماي/1962، مداخلة حسين آيت أحمد، نفس المصدر السابق.

الوطني بالمهام العاجلة وتجنب النقاش القائم على خلفيات شخصية ودعا إلى رص الصفوف تحسبا لانعقاد المؤتمر الوطني، والانشغال بمواجهة تحديات المرحلة والتحضير لاستفتاء تقرير المصير، كما اقترح إعادة هيكلة جبهة التحرير الوطني وإرساء هياكل مؤقتة للدولة الجزائرية المستقلة تجنباً للفوضى ومجابهة مخلفات الاستعمار على جميع الأصعدة¹.

وعلى الرغم من محاولات الحكومة المؤقتة على لسان رئيسها السيد بن يوسف بن خدة المتكررة والداعية الى تفادي إدراج نقاط جديدة تخص جدول أعمال الدورة، قضايا قد تعقد الوضع، كما ذكر بن خدة المؤتمرين بأن دورة المجلس هي استثنائية وهي بالتالي مخولة لمناقشة المسائل المستعجلة، بالرغم من كل ذلك فإن بعض المؤتمرين أكدوا على ضرورة إضافة مسائل جديدة إلى جدول أعمال دورة المجلس الوطني، والغريب في هذه الواقعة داخل قاعة المجلس أن العناصر التي طالبت بإدراج مسائل جديدة إلى أشغال الدورة لم تقتصر على فريق هيئة الأركان العامة ومن تبعها، بل ضمت حتى عناصر من الحكومة المؤقتة الذين كانوا ضمن أعلى مستوياتها، مثل فرحات عباس الذي كان رئيساً لعهد تين وأحمد بو منجل وزيرا²، فهل يعقل أن هذين الإطارين كان يريدان معرفة حقيقة الصراع الذي جمع بين هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة والعلل الحقيقية التي أدت إلى شلل مؤسسات الثورة وهي الذرائع التي من خلالها طالب بعض المؤتمرين لإحداث تغييرات على جدول أعمال الدورة،

1- م. و. للأرشيف : م. م. و. ث. ج. دورة 27/ماي/05/جوان 1962، جلسة يوم 28/ماي 1962، مداخلة

حاج بن علا ، نفسه

2- م. و. للأرشيف : م. م. و. ث. ج. دورة 27/ماي/05/جوان 1962، جلسة يوم 28/ماي 1962،

مداخلة فرحات عباس وأحمد بومنجل، نفس المصدر السابق.

أما أن القضية كانت متعلقة بتصفية حسابات وبداية حرب التموقع داخل المجلس الوطني للتشهير بالخصم وإبراز أدائه السلبي؟
 إن الشواهد في هذا الباب كثيرة ويمكن تجليها من المناقشات ذاتها، فبعد أن قرر مكتب دورة المجلس الوطني إجراء تصويت لصالح أو ضد إدراج قضايا أخرى تضاف إلى جدول أعمال الدورة، قاطع الرائد علي منجلي رئيس المكتب السيد محمد بن يحيى ودعاه إلى ضرورة استبدال مكتب الدورة ولقد رأينا سابقا كيف تم تثبيت المكتب القديم الموروث عن دورة أوت 1961، عن طريق التصويت، وفي ذات السياق قرر مكتب الدورة فض مسألة إدراج مسائل جديدة في جدول أعمال الدورة عن طريق التصويت وكانت النتيجة لصالح الإبقاء على جدول الأعمال الذي اعتمده الحكومة المؤقتة بـ39 صوتا ضد إضافة نقاط جديدة في جدول الأعمال و28 صوتا بنعم¹.

لقد ظلت أجواء دورة ماي جوان 1962، للمجلس الوطني للثورة منذ انطلاقتها تنذر بانفلاق جبهة التحرير الوطني وتصدع مؤسسة المجلس الوطني، فهاجس الأصوات والوكالات ظل يخيم على عقول المؤتمرين² بفعل التكتلات وهو ما

1- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة 27/ماي/05/جوان 1962، جلسة يوم 28/ماي/1962، مداخلة رئيس المكتب محمد بن يحيى، نفسه.

2- لقد طرح محمد رويبة ممثل الولاية السادسة غداة التصويت لصالح الإبقاء على جدول الأعمال الذي دعت إليه الحكومة المؤقتة أو ضده، طرح مسألة توضيح حول عدد الوكالات التي كانت بحوزة الولاية السادسة، وهو أمر يبدو غريب لأن كافي عضو مكتب المجلس الوطني أكد أن الولاية السادسة قدمت أربعة وكالات باسم محمد رويبة، مما يوحي أن هذا الأخير كان يتوجس من قضية عدم الاعتراف بالوكالات التي قدمها لمكتب المجلس وعبر بطريقة غير مباشرة عن تخوفاته من مناورات الحكومة المؤقتة التي قد تنتهي بإقصائه، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإذا كان الحال كذلك فإن رويبة كان محسوبا على هيئة الأركان العامة، لكن الغريب أيضا أن هذا

سجلناه من خلال القراءة المتأنية للمحاضر، نكتلات أخذت تتشكل بشكل غريب كلما اعتزم مكتب الدورة تنظيم عملية تصويت ولو كانت تخص النظام العام للمجلس، والحالة هذه فإن مسألة توسيع العضوية داخل المجلس الوطني للثورة لم تكن هي أيضا بعيدة عن توجسات هؤلاء وأولئك على حد سواء تحضيرا للفوز بغالبية الأصوات، فالمجلس الوطني بهذه الحالة غدا حلبة صراع حقيقية لأجل إقصاء الخصم، ولم تقتصر هذه الظاهرة على دورة طرابلس الأخيرة بل إن المجلس ظل في جميع دوراته يشكل ميدان منافسة للتموقع داخل أعلى سلطة في هيئات الثورة، ففي دورة أوت 1961، وفي الجلسة الأخيرة من أشغال المجلس اقترح الرائد عزا لدين بعد أن أقر المجلس بتوسيع عضويته لمسئولي فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا التي غدت ولاية سابعة، ضم المناضل فارنتز فانون إلى المجلس الوطني بالنظر لما قدمه من خدمات جليلة للثورة التحريرية¹، واقترح أيضا العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الأولى حينها دمج أعضاء آخرين من الداخل لإعطاء المجلس شرعية قوية للتمثيل²، لكن معارضة

الأخير لم نجد له أثرا يقر بتعيينه كقائد عن الولاية السادسة، ومن خوله حق حضور أشغال دورة طرابلس الأخيرة، وهل كان ذلك إقرار من الحكومة المؤقتة بسياسة الأمر الواقع التي فرضتها عليها هيئة الأركان العامة بخصوص ممثلي الولاية السادسة التي أعيد بعثها منذ دورة طرابلس الثانية للمجلس الوطني للثورة في أوت 1961، دون قيادة. أنظر م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة 27/ماي/05 جوان 1962، جلسة يوم 28/ماي 1962، مداخلة محمد رويينة، علبة رقم 12ملف 01.

1- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة 27/09/أوت 1961، جلسة 27/08/1961، مداخلة الرائد عزالدين، علبة مصورة رقم: C024 .

2- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة 27/09/أوت 1961، جلسة 27/08/1961، مداخلة العقيد حاج لخضر، نفسه.

الحكومة المؤقتة تمكنت أنذاك من المصادرة على المطلوب وإرجاء النظر في قضايا توسيع العضوية داخل المجلس الوطني لدورات لاحقة¹، وفي دورة فيفري 1962، وخلال الجلسات الأولى أثارت هيئة الأركان العامة مسألة تضاعف عدد أعضاء المجلس الوطني واعتبرت الأمر سابقة خطيرة في المسيرة التي قادها المجلس الوطني بصفته أعلى هيئة في الثورة، بل واعتبرت مكتب المجلس الوطني بين الدورتين- أي دورة أوت 1961، وفيفري 1962- مسئول عن هذا الخرق لأنه لم يشهر به، وحملة الحكومة المؤقتة تبعات انتهاك سيادة المجلس بشكل ينم عن رغبة في التكتل لأنها سمحت لبعض أعضاء مجالس الولايات الالتحاق بالمجلس الوطني دون استشارة هذا الأخير².

والظاهر أن أوضاع تلك الفترة لم تكن تسمح لأي كان داخل المجلس، أو حتى طرفا الصراع الحكومة المؤقتة وهيئة الأركان العامة اللجوء إلى نقطة اللارجوع، فعلى الرغم من الملاحظات الدقيقة التي قدمها أعضاء الهيئة والتي من خلالها بينوا كيف اخترقت سيادة المجلس حينما التحق به عناصر بين الدورتين لكن الحكومة المؤقتة تمكنت من المناورة واعتبرت الأمر متعلقا بأعضاء مجالس الولايات الذين كانوا بدورهم أعضاء كاملي الحقوق وفقا لما أقرته دورة طرابلس الأول للمجلس الوطني للثور في

1- طرحت قضية توسيع العضوية للمجلس الوطني في الجلسة الأخيرة من دورة أوت 1961، أي بتاريخ السابع والعشرين ويبدو أن الحكومة المؤقتة استفادة من مغادرة هيئة الأركان العامة لأشغال الدورة قبل اختتامها بيومين مما سمح لها بهامش من المناورة وإرجاء النظر في المسألة. أنظر: م.و.و. للأرشيف: م.و.و.ث.ج. دورة 09/27/أوت 1961، جلسة 27/08/1961، مداخلة رئيس الحكومة المؤقتة السيد بن يوسف بن خدة، نفسه

2- م.و.و. للأرشيف، م.و.و.ث.ج. دورة، 22-27/02/1962، جلسة يوم 22/02/1962، تدخل

ديسمبر 1959/جانفي 1960، لأجل ذلك أقدم المجلس الوطني في دورة فيفري 1962 مثلما فعل بخصوص العديد من القضايا، حفاظا على وحدة الصف أقدم على إصدار لائحة أرجأ فيها مناقشة مسألة تضاعف أعضاء المجلس الوطني للثورة إلى الدورة اللاحقة¹.

كان طبيعيا إذا وتبعنا لما آلت إليه أوضاع مؤسسات الثورة في الدورة الأخيرة للمجلس الوطني للثورة، أن يلعب كل فريق من رفاق السلاح أوراقه الأخيرة داخل حلبة المجلس الوطني والتعويل على تحقيق الأغلبية أثناء التصويت، لأجل ذلك طرحت بشدة مسألة فتح عضوية المجلس الوطني لبعض الإطارات التي همشت منذ مدة من برلمان الثورة أو كانت في السجون الفرنسية.

وفي هذا الصدد قام بعض المؤتمرين² بتقديم لائحة إلى مكتب الدورة حملت توقيع أكثر من عشرين عضوا من المجلس دعت فيه هذا الأخير لتوسيع عضوية المجلس الوطني وذلك بضم السادة عبد المالك تمام، محمد بجاوي، صالح لونيشي، على اعتبار أنهم كانوا أعضاء في المجلس التأسيسي الأول للمجلس الوطني خلال انعقاد مؤتمر الصومام ثم تم إقصاءهم في اجتماع العقءاء أوت/ديسمبر 1959.

لم يقتصر اقتراح ضم الإطارات الثلاث السابق ذكرهم لعضوية المجلس الوطني فقط، بل فتح الاقتراح ذاته باب المنافسة والسجال بين العصب المتشكلة داخل المجلس لضم أتباعها، وكان طبيعيا آنذاك أن يسارع قادة الداخل إلى

1- م. و. للأرشيف، م.م.و.ث.ج، دورة 22-27/02/1962، جلسة يوم 22/02/1962، مداخلة رئيس المكتب محمد بن يحيى علبة رقم 11، ملف رقم 02.

2- م. و. للأرشيف : م.م.و.ث.ج. دورة 27/ماي/05/1962، جلسة يوم 28/ماي/1962، مداخلة أحمد بن شريف علبة رقم 12-ملف 01.

تعزيز تواجدهم داخل مجلس الثورة فقادة الولاية الأولى كانوا متذمرين من تمثيل المجلس الوطني لإطاراتهم منذ 1956، وفي دورة فيفري 1962 التي عقدها المجلس الوطني طرح حاج لخضر كما أشرنا آنفا قضية إدراج عناصر من مجلس الولاية الأولى إلى المجلس الوطني، ولتأكيد قبضته على الولاية الأولى طرح أيضا العقيد طاهر زبيري في الدورة الأخيرة للمجلس مسألة ضم إطارات مجلس هذه الأخيرة لمجلس الثورة ورفض أن يقتصر الضم على أفراد دون غيرهم¹، وفي ذات السياق اقترح العقيد صادق دهيلس فتح المجال بالإضافة إلى السادة لونيثي، بجاوي وعبد المالك تمام أضاف إليهم ستة عناصر دون تعيينهم بالاسم²، أما العقيد أوعمران فقد اقترح إعادة ضم السيد مصطفى لشرف

1- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة 27/ماي/05/جوان 1962، جلسة يوم 28/ماي 1962 علبة رقم 12-ملف 01.

مداخلة العقيد طاهر زبيري، نفسه، ظلت قضية تمثيل الولاية الأولى في المجلس الوطني للثورة طيلة الدورات التي عقدها محل حراك بين العصب المشكل لمجلسها وتطرح في كل مرة مسألة شرعية التمثيل داخل برلمان الثورة، الأمر الذي كان يجعل من مصالح هذا الأخير أي مكتب المجلس أو مصالح الشفرة التي كانت تابعة لوزارة التسليح والاتصالات والعامّة وتتسق مع مكتب المجلس، تكلف نفسها عناء التحقيق في أحقية التمثيل لمجلس الولاية الأولى وهو ما يبرز حدة الغموض الذي كان يحيط بالهيئات القيادية للثورة، فمجلس الولاية كان في العادة ووفق للقوانين الأساسية لجبهة التحرير الوطني يعين من طرف المجلس الوطني ويأخذ تركيته من طرف الحكومة المؤقتة، لكن خلال المناقشات كانت تثار دائما قضية تمثيل الولاية من طرف عناصر إما أنها كانت غير معينة من طرف المجلس أو أنها كانت ترى في نفسها الأحق بتمثيل الولاية، وهو ما حدث في دورتي أوت 1961، وماي جوان 1962.

2- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة 27/ماي/05/جوان 1962، جلسة يوم 28/ماي 1962، مداخلة العقيد-صادق- دهيلس سليمان علبة رقم 12-ملف 01.

الذي كان ضحية الإقصاء¹، بالرغم من أن المجلس الوطني في دورته الأخيرة في فيفري 1962، كان قد أوصى بإعادة إدماجه، لكن برأي الحكومة المؤقتة على لسان عبد الحفيظ بوصوف فإن الطرف الحالي للثورة إذاك لم يكن يسمح بفتح مجال عضوية المجلس الوطني بما أن الكل يريد الانضمام²، وهو أمر اعتبرته الحكومة المؤقتة غير معقول كما أكدت أن رفضها هذا لا يعني البتة تصفية حسابات مع أي كان من أولئك الذين يرغبون في اكتساب العضوية داخل المجلس الوطني فطبيعة المرحلة تقتضي الإسراع في رصّ الصفوف ومواجهة المشاكل العاجلة³، ومنه دعت الحكومة المؤقتة الالتزام بجدول الأعمال المخصص للمؤتمر بغية حسم القضايا الأساسية العالقة والتحصير للمرحلة الانتقالية⁴.

لم يحسم المجلس الوطني في مسألة توسيع عضويته إلى الإطارات التي همشت ولا لمسئولي مجالس الولايات كما دعا إلى ذلك بعض قادة الداخل، بل راح كعادته يناور ويرجأ في حل القضايا عن طريق التصويت، مما جعل أعلى هيئة للثورة تفقد الكثير من بريقها الشرعي وتدفع بالكثير من المؤتمرين لمغادرة

1- م. و. للأرشيف: م. م. و. ث. ج. دورة 27/ماي/05 جوان 1962، جلسة يوم 28/ماي 1962، مداخلة العقيد أو عمران، نفسه

2- م. و. للأرشيف: م. م. و. ث. ج. دورة 27/ماي/05 جوان 1962، جلسة يوم 28/ماي 1962، مداخلة العقيد عبد الحفيظ بوصوف، نفسه

3- م. و. للأرشيف: م. م. و. ث. ج. دورة 27/ماي/05 جوان 1962، جلسة يوم 28/ماي 1962، مداخلة السيد بن يوسف بن خدة نفسه.

4- م. و. للأرشيف: م. م. و. ث. ج. دورة 27/ماي/05 جوان 1962، جلسة يوم 28/ماي 1962، مداخلة حسين آيت أحمد، نفسه.

أشغال الدورة بطريقة غير نظامية كانت تنذر لدى البعض بالكولسة خارج أروقة المجلس¹.

ثانيا/ مناقشة مشروع الحمامات

شكلت العشرية الأولى من شهر ماي 1962، كما رأينا سابقا قمة الضغط الذي مارسه تحالف بن بلة هيئة الأركان العامة على الحكومة المؤقتة بغية دعوة المجلس الوطني للثورة للاجتماع، وبعد أن أذعنّت الحكومة المؤقتة لمطلب بن بلة سارعت إلى استحداث لجنة وزارية تشكلت من السادة أحمد بن بلة ومحمد يزيد، ومحمد بن يحيى ومصطفى الأشرف وكذا السادة: رضا مالك مدير جريدة المجاهد، محمد حربي مسئول ديوان وزارة الخارجية في الحكومة المؤقتة وعبد المالك تمام عضو سابق في المجلس الوطني منذ أوت 1956².

اجتمعت هذه اللجنة بمدينة الحمامات في تونس وعكفت خلال الأسبوع الأول من شهر ماي لتحرير مشروع برنامج جبهة التحرير الوطني، حيث كلف رضا مالك ومصطفى الأشرف بتحديد طبيعة الثورة التحريرية ومحمد بن يحيى ومحمد حربي برسم الملامح الكبرى للسياسة الاقتصادية والاجتماعية وللسياسة الخارجية، أما العمل بصدد بناء الحزب فوقع على عاتق عبد المالك تمام، كما اعتمدت اللجنة على وثيقة عمل كان قد قدمها بن بلة، خيضر وبيطاط، من جهة أخرى تقدمت فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا أيضا بمشروع برنامج

1- أشار إلى ذلك العقيد أحمد بن شريف حينما استفسر عن سبب مغادرة بعض المؤتمرين لأشغال الدورة بطريقة غير نظامية، أنظر: م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان 1962، جلسة يوم/28/ماي/1962، مداخلة العقيد أحمد بن شريف، علبة

كان بوضياف قد باركه لكنه لم ينل نفس الحظوة التي نالها المشروع الأول خلال المناقشات¹ في مؤتمر طرابلس الأخير للمجلس الوطني، على الرغم من محاولات بعض المؤتمرين في جلسة 29 ماي 1962، للمجلس الوطني إدراج مشروع الفيدرالية ضمن المشروع الذي حضرته الحكومة المؤقتة ومناقشتها معا قصد إحداث مقارنة بين المشروعين².

أكد بن بلة من جهته أن المشروع على الرغم من أنه شارك في وضع بعض معالمه، فإنه لم يرق إلى مستوى برنامج يجعل منه ميثاقا لجبهة التحرير الوطني، فعمل من هذا القبيل كان في تقديره يتطلب تضافر جهود ثلة لا بأس بها من الإطارات، ووقت كبير لأجل ذلك اعتبره بمثابة مشروع مؤقت ركزت فيه اللجنة على ترتيبات انتقال السلطة وإعادة بعث الدولة الجزائرية³.

خلافًا لما ذهب إليه الكثيرون بأن مؤتمر طرابلس الأخير للمجلس الوطني للثورة لم يخصص إلا حيز ضيق من الوقت لمناقشة مشروع برنامج جبهة التحرير الوطني، فقد دامت المناقشات ثلاثة أيام من جلسة 29-30 ماي و03 جوان 1962، كما أن المناقشات لم ترق إلى كل القضايا التي طرحتها لجنة صياغة المشروع، ليس فقط بسبب محدودية الفهم لدى الكثير من

عمر بوداود: المصدر السابق: ص: 231، ومحمد عباس: الثورة الجزائرية نصرا بلا ثمن، المرجع السابق: ص: 736، و1-

MOHMMED HARBI : Le F.L.N.OPCIT; P : 324

2- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة 27/ماي/05 جوان 1962، جلسة يوم 29/ماي 1962، مداخلة محمد بوضياف، أحمد فرنسيس واحمد بومنجل، عبد الكريم سويس، علي هارون والعقيد أوعمران علبة رقم 12، ملف رقم 02.

3- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة 27/ماي/05 جوان 1962، جلسة يوم 29/ماي 1962، مداخلة أحمد بن بلة ، نفسه.

المؤتمرين كما زعم علي هارون¹ بل لأن البعض كان يريد الخوض في المسائل المتعلقة بالسلطة²، والبعض الآخر كان يريد إرجاء المناقشات الدقيقة إلى مرحلة ما بعد الاستقلال في حين انعقاد المؤتمر الوطني لجبهة التحرير الوطني³.

لقد بدأ المؤتمرين في مناقشة برنامج لجنة الحمامات بطريقة انتقائية كانت تتم في تقديرنا عن توجه لأطراف الصراع داخل المجلس، فتحالف بن بلة هيئة الأركان العامة أثار مسألة مستقبل جبهة التحرير الوطني في مرحلة ما بعد الاستقلال، ذلك أن التعريف الذي حدده البرنامج جاء غامضا وغير معبر عن المضمون الإيديولوجي، بحيث اعتبر الجبهة لم تحضر إيديولوجيا لمرحلة ما بعد الاستقلال بل ظلت منشغلة بحرب التحرير، من جهة أخرى فإن لجنة تحرير المشروع طرحت صيغتين بخصوص مستقبل الجبهة، صيغة جعلت من ج.ت.و حزبا طلائعيا لا يضم سوى العناصر الواعية المؤمنة بمهام الثورة الديمقراطية الشعبية ومحاورها الكبرى وأساليب انجازها، وأخرى جعلت منها منظمة جماهيرية تتشكل من الفلاحين والعمال، الطلبة، الشباب والمتقنين الثوريين⁴. كما أثارت الصيغة الأولى لمشروع البرنامج مسألة مبدأ المركزية

1- علي هارون : خيبة الانطلاق فتنة أو صيف 1962، دار القصة للنشر، الجزائر 2003، ص 25:

2- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة 27/ماي/05/جوان 1962، جلسة يوم 29/ماي/1962، مداخلة أحمد بن بلة وبومدين وسليمان علية رقم 12 ملف رقم 020

3- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة 27/ماي/05/جوان 1962، جلسة يوم 29/ماي/1962، مداخلة بن خدة، نفسه.

4- م. و. للأرشيف، م.م.و.ث.ج. دورة 27/ماي-05/جوان 1962، مشروع برنامج جبهة التحرير الوطني، لأجل تحقيق ثورة ديمقراطية شعبية، علة مصورة رقم: C053

الديمقراطية في تسيير شؤون الحزب، وأولوية الهيئات العليا على الهيئات الدنيا، وخضوع الأقلية للأغلبية.

أما الصيغة الثانية فقد نفت أي وفاق إيديولوجي داخل الحزب، كما أكدت على سياسة الانتقاء في اختيار المناضلين واعتبرت العبرة في نوعية وليس في الكم، من جهة أخرى جانب البرنامج مسألة تحديد دور جيش التحرير الوطني وعلاقته بالحزب، وترك الأمر غامضا أيضا فيما يتعلق بإرساء الديمقراطية¹.
لقد جاء في الملحق الخاص بالحزب بأن جبهة التحرير الوطني ولدت في خضم معركة الكفاح المسلح، وهي ليس تجمعا ولكن تنظيم يضم كل الجزائريين المدركين بضرورة النضال لأجل ثورة ديمقراطية شعبية تقودها طليعة ثورية، هذه الأخيرة أقر المشروع أنها تعمل على إقصاء كل القوى التي تخالفها إيديولوجيا، كان هذا التوجه دعوة ضمنية إلى إقصاء كل الكوادر التي نهلت من الحركة الوطنية الجزائرية وتشبعت من أديباتها واستبدالها بإطارات متشعبة بالفكر الماركسي².

أشار ملحق الحزب أيضا بطريقة غامضة محاولة الفريق الذي صاغ المشروع تطعيم جبهة التحرير الوطني بأفكار غريبة عن خصوصية المجتمع الجزائري، بحيث أكد على أن التركيبة الاجتماعية المكونة للحزب تتشكل من الفلاحين والعمال والشباب والمتقنين الثوريين، وبما أن الأغلبية الساحقة من هذه الشريحة كانت تحت رحمة الجهل والامية، فإنه لا يمكن التعويل عليها لتجسيد مشروع برنامج الحزب لأنها لم تستسغه البتة، أكد المشروع أيضا أن

1- نفسه.

2- محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، 1992/1942، ج:02، دار هومة الجزائر، 2000، ص:258.

الحزب مطالب بتفعيل تواجده عبر إنشائه للمنظمات الجماهيرية التي ستكون المعين الأساسي للتعبئة الجماهيرية¹.

إن الغموض الذي أثاره المشروع بخصوص طبيعة جبهة التحرير الوطني ومكوناتها الاجتماعية كان يراد منه إرجاء الأمر إلى فترة ما بعد الاستقلال تحضيراً للسيطرة على الهيئات الخاصة بالتكوين والإعلام². وقد لاحظ المؤتمرون هذا الغموض وأثاروا تساؤلاتهم بخصوصه، كما عبروا عن توجساتهم من تحويل جبهة التحرير إلى حزب جماهيري يضم في صفوفه كل فئات المجتمع الجزائري التي كانت موحدة بفعل الاستعمار خلال ثورة التحرير وفي حال زوال هذا الأخير فإن التعويل على الحفاظ على هذا الانسجام بدا لهم أمراً لا يمكن التنبؤ بمخاطره³.

كما أعاب بن بلة في ذات السياق على مشروع البرنامج، الغموض الذي أحاط عملية تحديد التركيبة الاجتماعية للحزب، واعتبره مشروع خالياً من التعبير عن طموحات الفئات الساحقة من الشعب الجزائري بل عبر عن الفئة التي التحقت بجبهة التحرير الوطني بعد أن انطلق قطار الثورة⁴.

شكلت أيضاً اتفاقية أيفيان الحصة الكبرى في المناقشات المخصصة لمشروع برنامج الجبهة، فعلاوة على أن نصوص الاتفاقية شكلت ذريعة من

1- م. و. للأرشيف، م.م.و.ث.ج، دورة 27/ماي-05/جوان 1962، مشروع برنامج جبهة التحرير الوطني، لأجل تحقيق ثورة ديمقراطية شعبية، نفسه

2- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص: 259.

3- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة 27/ماي/05/جوان 1962، جلسة يوم 29/ماي 1962، مداخلة الرائد سليمان علية رقم 12-ملف 02

4- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة 27/ماي/05/جوان 1962، جلسة يوم 29/ماي 1962، مداخلة أحمد بن بلة، نفسه.

الذرائع القوية التي استندت عليها هيئة الأركان العامة في صراعها مع الحكومة المؤقتة، فإن ظروف انعقاد دورة طرابلس الأخيرة وسعت من دائرة المعارضين لنهج الحكومة المؤقتة وقلبت نظام التحالفات والولاءات. واعتبر باب الشراكة والتعاون المنصوص عليه في بنود الاتفاقية حجرة عثر وذريعة قوية سلها خصوم الحكومة المؤقتة للتشهير بأدائها السلبي في هذا الصدد ونعتها بالتواطؤ مع المشاريع الاستعمارية الجديدة، ذلك أن التعاون الثقافي والاقتصادي المنصوص عليه يكرس سياسة التبعية.

إن هذا الطرح روجت له هيئة الأركان العامة كثيرا كما رأينا سابقا وقد تمكنت من جر إطارات لا بأس بها من جيش التحرير الوطني لرؤاها، ثم عززته بعقد تحالف مع بن بلة وبيطاط وخيضر، لأجل ذلك فلا غرابة أن نجد عناصر من المجلس الوطني في الدورة الأخيرة بطرابلس يعلنون امتعاضهم من بنود الاتفاقية بعد أن كانوا قد صادقوا عليها في دورة فيفري 1962، للمجلس الوطني. كما أعرب بعض المؤتمرين عن قلقهم اتجاه الضمانات التي قدمت إلى فئة المستوطنين وجعلت منهم أقلية محظوظة يتوجب على الدولة الجزائرية الفتية تمكينهم من المشاركة في الحياة السياسية في جميع المستويات¹، كما توقف المؤتمرين عند التهديدات التي كانت تشكلها القوات الفرنسية المتبقية والمنتشرة في بعض القواعد، واعتبروا ذلك تكريسا لسياسة الاحتلال وتجريدا للسيادة العسكرية للدولة الجزائرية المستقلة²، كما أثاروا التحديات التي أخذت

1- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/29/ماي/1962، مداخلة العقيد محمدي سعيد علبة نفس المصدر السابق.

2- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/29/ماي/1962، مداخلة عبد المجيد كحل الرأس، نفسه.

تفرضها اتفاقية أفيان، تحديات شكلت بدورها تداعيات خطيرة على القضايا المستعجلة للجزائر المستقلة خصوصا ما تعلق منها بسياسة الإصلاح الزراعي لما لهذا القطاع من أهمية إستراتيجية¹. المؤتمرون ناقشوا أيضا مخلفات حرب التحرير وأوصوا ب:²

- العمل على رعاية فئة المعطوبين، الأرامل واليتامى.
- الإسراع لإعادة إدماج جموع اللاجئين والآلاف من المسرحين من السجون والمحتشدات.
- إعادة إعمار الريف الجزائري الذي أفرغ من العنصر البشري طيلة سنوات الثورة.
- النظر بعناية فائقة إلى المناطق الحدودية التي شكلت مجالا عسكريا خطيرا خلال سنوات الحرب بعد أحيطت بأسلاك مكهربة وحقول ألغام واسعة النطاق ستضاعف من عدد ضحايا إن لم تتخذ الإجراءات الكفيلة بمسح تلك المناطق وتطهيرها.
- الإسراع في التحضير للموسمين الدراسي والزراعي للحد من البطالة وتوفير الأمن الغذائي والعمل على تلمس الطفل الجزائري.
- العمل على تطهير الإدارة الجزائرية من أذيال الاستعمار للحيلولة دون قيام قوة ثالثة تخدم المشروع الاستعماري.

1- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/29/ماي/1962، مداخلة العقيد هواري بومدين، نفسه.

2- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/29/ماي/1962، مداخلة، العقيد هواري بومدين، أحمد بن بلة، والرائدان منجلي وسليمان، والعقيد طاهر زبيري، وعبد الحميد مهري، نفسه.

وعلى الرغم من السجال العقيم الذي كان يميز المناقشات التي كان ينظمها المجلس الوطني للثورة، فإن مناقشات مؤتمر طرابلس الأخير فيما يخص القضايا التي طرحتها لجنة صياغة برنامج جبهة التحرير اكتست في الكثير من الجلسات طابع العقلانية والواقعية، بالرغم من أن محركها الأساسي كان سياسة التشهير بالخصم وفضح أدائه السلبي، وهو الأسلوب الذي انتهجه تحالف بن بلة هيئة الأركان العامة في مداخلتهما لأجل مناقشة ميثاق طرابلس، ويكفي الإشارة هنا إلى تدخل قائد هيئة الأركان العامة في هذا الصدد حينما أثار محدودية الثورة بعيد الاستقلال في مواجهة القضايا العاجلة للدولة الجزائرية الفتية، والحالة هذه فإن بومدين تساءل عن إمكانية اللجوء للاستعانة بخدمات دول صديقة للثورة أو الاقتصار على الدعم الفرنسي كما أفرت بذلك اتفاقية أيفيان؟ وهي إشارة من جهة لقائد الهيئة للقيود التي كانت تفرضها الاتفاقية ومن جهة أخرى كانت وخزت سياسية للحكومة المؤقتة التي ورطت الثورة في اتفاقية نيوكولونيالية عقدتها مع سلطات الاحتلال¹.

وفي ذات السياق تساءل المؤتمرون عن الدور الغامض الذي كانت تقوم به اللجنة المؤقتة خلال الفترة الانتقالية وعبروا عن توجساتهم من حضور شخصيات فرنسية إلى جانب اللجنة وهي شخصيات كان لها باع كبير في محاولات إيجاد قوة ثالثة من أمثال برنار تريكو المستشار السياسي للجنرال ديغول وبيار مونتاي المستشار سابق لجاك سوستال². الحكومة المؤقتة في

1- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/31/ماي/1962،

مداخلة العقيد هواري بومدين علبة رقم 12-ملف 04

2- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/31/ماي/1962، مداخلة

العقيد عمر أو عمران والرائد رابح بلوصيف، نفسه.

هذا المجال أكدت أن الجانب الفرنسي لا يمكنه أن يتخلى بسهولة عن أهدافه الإستراتيجية لأجل إيجاد قوة ثالثة وهو لا يعمل البتة لصالح جبهة التحرير الوطني وما على هذه الأخيرة إلا شجب هذه السياسة والاستعداد لمواجهةها¹. وأثيرت أيضا القضايا المستعجلة والحساسة التي كانت تخص الأمن الغذائي للجماهير الشعبية التي كان قد عصف بها الحرمان والضيم طيلة فترة الاحتلال، أمن تعلق بضرورة التحضير لانطلاق الموسم الفلاحي في خريف 1962، والموسم الدراسي الذي سيتعطل بما يسهم في القضاء على البقية الباقية من وضعية التمدرس بالجزائر المستقلة، فضلا عن التدايعات السلبية التي ستخلفها التحويلات الكبرى لرؤوس الأموال من طرف المعمرين الذين سيؤثرون مغادرة الجزائر²، بخصوص هذه القضايا أعلنت الحكومة المؤقتة على لسان الناطق الرسمي للجنة صياغة برنامج جبهة التحرير الوطني في هذا الميدان عجزها الكلي لاستشراق أية حلول ممكنة للقضايا المستعجلة التي طرحها المؤتمر³.

خاتمة

من خلال ما سبق وعلى الرغم من الملاحظات التي سجلت بخصوص برنامج جبهة التحرير الوطني والانتقادات التي وجهها المؤتمر، فإن مشروع البرنامج حقق الإجماع حينما عرض على التصويت من طرف المجلس

1- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/31/ماي/1962، مداخلة محمد يزيد، نفس المصدر السابق.

2- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/31/ماي/1962، مداخلة الرائد سليمان والسيد أحمد بو منجل، نفسه.

3- م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/31/ماي/1962، مداخلة محمد يزيد، نفسه.

الوطني¹. لينتقل إلى المناقشات العامة حول طبيعة القيادة المراد استحداثها وعلاقتها بالحكومة المؤقتة وبالولايات في الداخل، وهو ما أثار خلافا حادا، تسبب في تعطل نشاط الدورة وجعلها معلقة إلى اشعار آخر.

م. و. للأرشيف: م.م.و.ث.ج. دورة/27/ماي/05/جوان/1962، جلسة يوم/02/جوان/1962، علبة

في رحاب مدرسة التاريخ الوطنية، صراع السلطة وميثاق

الجزائر عام 1964

Within the framework of the National School of History,
the struggle of power and the pact Algeria in 1964

أ.د/ محمد العربي الزبيري

جامعة الجزائر 02

مقدمة

كل الخلافات التي عرفتها الجزائر المستقلة حتى نهاية الفصل الأول من سنة 1963 كانت سياسة ومن أجل الصدارة في مجالات السلطة فقط، وحتى تلك الخلافات التي قادت إلى أزمات دامية فإنها كانت في جوهرها مجرد تسابق على منصب الحاكم الأول في البلاد، لكن بدايات الفصل الثاني من عام 1963 قد عرفت صراعا من نوع جديد يضرب جذوره في أعماق منطلقات إيديولوجية متناقضة.

أولا/ صراع السلطة في الجزائر المستقلة

كان المجلس الوطني للثورة الجزائرية في دورته الأخيرة بطرابلس قد أوصى بان تواصل جبهة التحرير الوطني مهمتها إلى أن يعقد المؤتمر الوطني في الأراضي الجزائرية، كما أنه أوصى بان تتبع الجزائر توجهها اشتراكيا في إطار المبادئ الإسلامية وفقا لما نص عليه بيان أول نوفمبر 1954. لكن المجلس الوطني التأسيسي المنتخب يوم 20/09/1962 عين الحكومة الجزائرية برئاسة السيد احمد بن بلة الذي صرح من تلقاء نفسه في ندوة صحفية: "إن الجزائر اختارت رسميا اشتراكية فدال كاسترو" التي هي الاشتراكية العلمية

الماركسية اللينينية" (1). كان هذا الاختيار، في نظر السيد فرحات عباس رئيس المجلس الوطني التأسيسي، اعتداء صارخا على الإسلام وعلى الشيوعية في آن واحد، لان الرئيس احمد بن بله حكم على الأول بأنه "صالح روحيا وفساد اقتصاديا" وعلى الثانية بأنها "فاسدة روحيا وصالحة اقتصاديا" (2). لأجل ذلك فان رئيس المجلس لم يتردد في تحذير رئيس الحكومة من أن "الخلط بان أيديولوجيتين متناقضتين سوف يقود البلاد إلى الفوضى وإلى الشلل الاقتصادي" (3)، وكان هذا هو أيضا، موقف السيد محمد خيضر الذي كان عليه أن يصارع على جبهتين. فمن جهة كان يتصدى لرئيس الحكومة الذي صار يمنعه من تأدية مهامه كأمين عام لجبهة التحرير الوطني مسؤول على التحضير للمؤتمر الوطني، ومن جهة ثانية كان يرفض التوجه الاشتراكي على طريقة ابن بله قبل أن يتخذ المؤتمر قرارا في الموضوع.

لكن الرئيس ابن بلة لم يعر أي اهتمام لتلك المواقف التي اتهمها بالرجعية والتخلف؛ وكان في ذلك، مدفوعا من طرف نفس العناصر التي تسببت في انحراف أيديولوجية الثورة ابتداء من الدورة التي عقدها المجلس الوطني للثورة الجزائرية في الفترة ما بين 59/12/13 و 60/01/18. تلكم العناصر هي التي، حسب السيد محمد خيضر: "حرضت على تجاوز سلطة الأمين العام للحزب وعلى تجريد المجلس الوطني التأسيسي من صلاحياته في وضع الدستور الجزائري" (4).

(1) Abbas Ferhat, l'indépendance confisquée Paris 1984, p 59.

(2) Ibid

(3) Ibid

(4) مقابلة أجريتها، باسم جريدة الشعب مع السيد محمد خيضر يوم 1963/02/12، لكن الجريدة

فضلت، يومها، عدم النشر خوفا من القمع.

وفي هذا السياق، كتب السيد فرحات عباس: "في طرابلس، كان المجلس الوطني للثورة الجزائرية قد تلقى من فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا مشروع دستور؛ وعندما انتخب المجلس الوطني التأسيسي استلمت لجنة الدستور مشروعين آخرين أحدهما من إعداد وتقديم النواب ابن عبد الله وأوسديق والمهداوي والقنصلين ابن ديمراد وابن غزال؛ وثانيهما من طرفي شخصيا"⁽¹⁾. وكان من المفروض أن يشرع النواب في المداولات العلنية حول هذه المشاريع، غير أن الحكومة تدخلت وأرجأت النقاش بحجة أنها بصدد إعداد مشروع آخر.

فالمشروع المذكور أعدته مجموعة من الإطارات المقربة من رئيس الحكومة والمنتمية إلى فكر سياسي غير فكر جبهة التحرير الوطني، ومن بين تلك الإطارات من لم يكن جزائريا على الإطلاق بل منهم من كان مدسوسا من طرف المخابرات الفرنسية. ورأى السيد محمد خيضر إن في هذه العملية اعتداء على صلاحياته وصلاحيات المكتب السياسي، ومن ثمة رفضها من أساسها والتقى مع السيد فرحات عباس حيث طالب بان تعطى الحرية للمجلس الوطني التأسيسي، يمارس مهامه المشروعة "لأن القواعد المناضلة لم تنظم بعد، ولأن شرعية الحزب لا يمكن أن تصدر إلا عن مؤتمر وطني"⁽²⁾. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المجلس الوطني التأسيسي منتخب باقتراح من قيادة جبهة التحرير الوطني وهو مشكل، كله، من مناضلين بل ومن إطارات برهنت، في الوقت المناسب، عن وعيها وتمسكها بالمصلحة الوطنية.

(1) Abbas Ferhat, Op.Cit, p63.

(2) محمد خيضر، نفس المقابلة.

اعتبرت تصرفات السيد محمد خيضر في غير صالح الثورة، وبدأت المضايقات تستهدف كل مبادراته حتى انه تعرض، في نهاية شهر مارس 1963، إلى محاولة اغتيال نجا منها بأعجوبة لكنه فهم الرسالة واضطر لتقديم استقالته من الأمانة العامة لجبهة التحرير الوطني يوم 1963/04/17. وفي نفس الوقت، استقال السيد رايح بيطاط من رئاسة الحزب، وتصدى رئيس الحكومة للاستقالتين بتعيين السيد الحاج بن عله وزيرا للدولة ومكلفا بالمنظمات الوطنية في انتظار المؤتمر.

كانت جميع الأطراف تعتقد إن المؤتمر قادر على إيجاد حلول معقولة ودائمة للنزاعات القائمة بين الأشقاء المتصارعين، وتعزز الاعتقاد خاصة عندما لاح في الأفق نوع من التقارب بين رؤوس المعارضة، والتقى كل من محمد خيضر وبلقاسم كريم في القاهرة لتنسيق الجهود وقصد التماس تدخل الرئيس جمال عبد الناصر للحد من جموح فرس الرئيس أحمد بن بله (1).

لكن يبدو أن الرجلين اللذين كانا متشبعين بأيدولوجية حزب الشعب الجزائري واللذين أبديا كل الاستعداد لمحاربة الممارسات الشيوعية المتناقضة مع توجه ثورة نوفمبر، لم يتفقا على نقطة أساسية وهي عروبة الجزائر وإسلامها رغم أن السيد كريم كان، أثناء الأزمة البربرية، من المدافعين عليها والمتحمسين لها، ورغم انه أمر، سنة 1955، بإعدام بعض الثوار الذين لم يتخلوا عن نزعتهم البربرية.

ومن القاهرة التي لم يغادرها إلا في نهاية الأسبوع الأول من الشهر السابع، وجه السيد بلقاسم كريم رسالة شديدة اللهجة إلى رئيس الحكومة يذكره فيها

(1) Hamdani Amar, Krim Belkacem, le lion des djebels, Alger 1993, p268.

بانحرافه عن فحوى الاتفاق المبرم يوم 1962/08/02⁽¹⁾ والذي كان قد أُلح على ضرورة تجنب الانزلاق في متاهة الدكتاتورية والحكم الفردي.. وبدلا من ذلك فان بناء قواعد الاقتصاد قد أسند إلى أجانِب مرتزقة يدفعون به في اتجاه اشتراكي مزيف في الوقت الذي تهمش فيه الكفاءات الوطنية⁽²⁾. وانتظر كبير مفاوضي أفيان حوالي شهرين بعد توجيه رسالته ليعلن عن استقالته من المجلس الوطني التأسيسي؛ تبعه في ذلك السيد حسين آيت احمد لكن لأسباب أخرى. فرئيس المنظمة الخاصة الأسبق كان، هو أيضا، مناهضا لرئيس الحكومة وقد حاول بكل الوسائل تكوين معارضة قوية داخل المجلس الوطني التأسيسي ولما لم يفلح فكر في إمكانية قلب نظام الحكم بالقوة وعرض المشروع على بلقاسم كريم الذي رفض الفكرة في أساسها خاصة وأنه لم يكن يطمئن لتوجه آيت احمد الاشتراكي؛ ومع ذلك نصحه بقوله: "إن حريك سابقة لأوانها، ثم إن التمرکز بمنطقة القبائل سيعيد إلى الأذهان ما يسمى بالأزمة البربرية؛ وعليه يجب أن تنتظر، وان تعمل على توسيع شريحة المعارضين"⁽³⁾. غير أن السيد آيت احمد لم يعر كثير اهتمام لتلك النصيحة وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر أوت ترأس، في عين الحمام، مهرجانا شعبيا ضخما ظهر فيه محاطا خاصة بالعقيد محند اولحاج وبعض نواب المجلس الوطني التأسيسي، وأعلن عن تأسيس "جبهة القوات الاشتراكية".

(1) تم هذا الاتفاق بمبادرة من السيد محمد خيضر ووقع التصريح به في فندق أليتي بحضور: محمد بوضياف، بلقاسم كريم، رابح بيطاط ومحمد أولحاج. وتضمن إعادة النظر في المكتب السياسي الذي عليه فقط أن ينظم الانتخابات البلدية قبل نهاية أوت 1962 ويعقد الدورة العادية للمجلس الوطني للثورة الجزائرية من أجل الاستعداد للمؤتمر الوطني.

(2) Hamdani Amar, Op.Cit, p268.

(3) Ibid, p270.

ومن غريب الأمور أن الحزب الشيوعي الجزائري أعلن، في الحين، عن وقوفه إلى جانب رئيس الحكومة ضد المولود الجديد وذلك بعد أن كان من المحرضين الأساسيين على تمرد السيد آيت احمد. ووقعت المعارك الدامية بين وحدات الجيش الوطني الشعبي وقوات المتمردين التي يقودها العقيد محند أولحاج الذي أعلن الرئيس احمد بن بله نفسه عن فصله من الجيش وتجريده من الرتبة العسكرية. وكان يمكن أن تتحول تلك الاشتباكات إلى حرب أهلية لو لم تتدخل الحرب بين المغرب الأقصى والجزائر في الثالث من شهر أكتوبر 1963.

فهجوم القوات الملكية المغربية على حدود الجزائر الجنوبية واستعمالها الطائرات والدبابات التي كان الجيش الوطني الشعبي لم يحصل عليها بعد سمح للرئيس احمد بن بله بالتوجه مباشرة إلى مختلف شرائح المجتمع الجزائري يدعوها إلى توحيد الصف ونسيان كل أنواع الخلافات من اجل التصدي للخطر الخارجي. وكان لذلك النداء صدها فيما يسمى بمنطقة القبائل حيث ما زالت آثار حرب التحرير الوطني ماثلة للعيان، فبادر العقيد محند أولحاج إلى جمع وحداته القتالية وبدون أدنى انتظار أو تفاوض انتقل إلى جبهات القتال؛ وبذلك وضع حدا لمأساة لا يدري أحد ماذا كان يمكن أن ينجر عنها وكيف كان يمكن أن تنتهي.

وإذا كانت "جبهة القوات الاشتراكية" فقدت وسيلتها العسكرية المنظمة، فان السيد آيت احمد لم يستسلم للأمر الواقع، وكعادته -عنيدا- ورغم تخلي مجموعة كبيرة من إطاراته الأساسية راح يعيد هيكلة تنظيمه ويلجأ إلى حرب العصابات معتقدا أن ذلك يكفي لقلب النظام.

في ذلك الوقت، كان المجلس الوطني التأسيسي قد صادق على الدستور الجزائري الذي أعدته الحكومة ثم عرض على الاستفتاء الشعبي؛ وتم كذلك انتخاب رئيس الجمهورية الذي كان هو المرشح الوحيد. وقبل ذلك الوقت بقليل وقعت أحداث أخرى مؤلمة ومنذرة بإفلاس الدولة الجزائرية؛ نكتفي، هنا، بالإشارة فقط إلى مسألة الاعتقالات السياسية التي تكاثرت في ذلك السداسي الأول من عام 1963 وإلى استقالة السيد فرحات عباس رئيس المجلس الوطني التأسيسي.

1- الاعتقالات السياسية

مباشرة بعد تنصيب المجلس الوطني التأسيسي، أعلن السيد محمد بوضياف عن ميلاد "حزب الثورة الاشتراكية" من أجل التصدي لجبهة التحرير الوطني "التي لم تعد قادرة على تأدية دور الحزب الثوري بسبب تواطئها مع الرأسمالية العالمية"⁽¹⁾. وفي شهر ماي 1963 نشر المذكور مشروع أرضية للتأكيد على أمر النظام الجديد في الجزائر "ليس ديموقراطيا ولا شعبيا ولا علاقة له بالاشتراكية، بل هو غطاء لاتفاقيات أفيان التي هي تعبير عن الاستقلال المزيف"⁽²⁾.

وعلى الرغم من أن حكومة الرئيس احمد بن بله قد تبنت أهم المبادئ والمنطلقات الواردة في وثيقة "حزب الثورة الاشتراكية" فإنها، في ذات الوقت، قد قررت اللجوء إلى العنف لإخماد أنفاس المعارضة؛ وفي ذلك الوقت السياق وابتداء من مستهل شهر جوان 1963 بدأت الاعتقالات متتالية ومستهدفة كل

(1) يأتي في مقدمتهم السادة: علي يحيى عبد النور، مراد أوصديق وبوزيدة أرزقي.

(2) Buy français, la République Algérienne démocratique et populaire, Paris 1965, p 63.

من يشتم فيه رائحة الانتماء إلى حزب السيد محمد بوضياف أو يشك في إخلاصه المطلق لرئيس الحكومة.

لم تكن تلك الاعتقالات جدية ولم يكن لها ما يبررها باستثناء الحزبات الشخصية والرغبة في الانفرد بالسلطة. فالسيد محمد بوضياف كان منذ البداية متمسكا بضرورة العمل على إلغاء الممارسات التي من شأنها تأييد حالة استغلال الإنسان للإنسان؛ ومن خلال قرارات مارس 1963، فإن الرئيس احمد بن بله قد أصبح معه في خندق واحد. لكن مستشاري هذا وذاك من الأجانب ومن المغامرين الفرنسيين بالذات ⁽¹⁾ كانوا يريدون تحويل الجزائر إلى حقل تجارب ومنطلق لها نحو مختلف أنحاء العالم.

وكانت هناك إرادات خيرة من أبناء الجزائر على غرار الرائد عبد المجيد كحل الراس ⁽²⁾، حاولت بوسائل شتى تقريب وجهات النظر وإزالة الحواجز الوهمية التي كانت تمنع الرجلين من الالتقاء في قاطرة واحدة تكون قادرة على جر عربة الثورة وفق الاتجاه الذي رسمه نداء أول نوفمبر 1954. لكنها لم تتجح نظرا للأحكام المسبقة التي كانت لكل واحد منهما على الآخر ويذكر السيد كحل الراس بهذا الصدد أنه قام بآخر محالة في شهر أبريل سنة 1963 غير أنه لم يجد أذانا صاغية لدى السيد محمد بوضياف الذي التقى به مطولا في إقامة ولاية العاصمة ثم خرج من عنده "يائسا ومقتنعا بأن الرجل لا يبحث عن المصلحة الوطنية وهو أبعد ما يكون عن واقع الثورة التي يريد، فقط،

(1) Buy françois, Op.Cit, p64.

(2) كانت العناصر المحيطة بالرئيس أحمد بن بله تسمى بالأرجل الحمراء، ويأتي في مقدمتهم Bourges Hervé. أما من بين النشطين إلى جانب السيد محمد بوضياف فتجدر الإشارة إلى Jean Claude Bessis و Monique Chadly .

التربع على أعلى هرم قيادتها" (1). وكان شهر أفريل ومايو من تلك السنة مسرحا لنشاط مكثف قام به إطارات ومسئولو حزب الثورة الاشتراكية؛ إذ تم خلالها توزيع الوثائق الأساسية والمنشورات المنددة بسلوكات الحكومة ورئيسها والداعية إلى تمرد الجيش الوطني الشعبي والي التعبئة الشعبية الشاملة من أجل قلب نظام الحكم واستبداله بآخر "يعتمد الصراع الطبقي قصد تشييد دولة عصرية وقوية" (2). ونتيجة لذلك النشاط تضاعفت الاعتقالات العشوائية دون أي إجراء قانوني الأمر الذي جعل مجموعة من النواب في مقدمتهم رئيس المجلس الوطني التأسيسي نفسه يستجوبون الحكومة ويطالبون بإطلاق سراح المعتقلين الذين كان من أبرزهم في ذلك الحين السادة: محمد بوضياف وموسى قبائلي وصالح بوينبر (صوت العرب).

وكان لا بد من حرب الحدود ومن قدام الجناح العسكري لجبهة القوات الاشتراكية على الانتقال بلا شرط ولا قيد إلى جبهات القتال، لكي تقدم الحكومة، في إطار المصالحة الوطنية، على إصدار عفو شامل وتتعهد بالشروع فورا في الإعداد لعقد المؤتمر الوطني الذي دعا إليه مؤتمر طرابلس للنظر في جميع القضايا العالقة ولتزويد البلاد بقيادة سياسية شرعية.

(1) موليد وادي زناتي سنة 1930. درس بالمعهد الكتاني في قسنطينة وانخرط مبكرا في صفوف حزب الشعب الجزائري وعندما اندلعت الثورة في نوفمبر سنة 1954 كان من المتطوعين الأوائل. عرف الشهيد زيغود وكان من مساعديه المقربين. ارتقى سلم المسؤوليات عن جدارة حتى أصبح سنة 1958 رائد وظل عضوا بقيادة الولاية الثانية إلى غاية عام 1962. رفض الانقلاب الذي تعرضت ل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وتعرض إلى مضايقات كثيرة سواء في عهد الرئيس أحمد بن بله أو الرئيس هواري بومدين الذي كان يعرفه حق المعرفة منذ وقت الدراسة في قسنطينة.

(2) لقاء أجريناه مع الرائد كحل الراس يوم 1998/04/15.

وكان يمكن أن تكون تلك بداية لإرجاع المياه إلى مجاريها وإحلال السلام المدني وإنقاذ قطار الثورة من الانحراف؛ لكن الحكومة لم تتعظ. وبدلاً من إشراك جميع الأطراف المعنية في عملية التحضير للمؤتمر، فإنها أسندت كل المسؤوليات للإطارات الموالية لها وكلفت مجموعة من المتمركسين بإعداد مشاريع النصوص الأساسية ثم راحت تقوم بما سمي في ذلك الوقت بالتطهير حتى تضمن الأغلبية الساحقة التي تسمح لها بتهميش الخصوم؛ ولكي تتمكن من كل ذلك وأمام ردود الفعل المختلفة، لجأت، مرة أخرى، إلى الاعتقالات التي سوف لن تستثني أحد ممن قد يحاول الانتقاد أو يتجرأ على رفض الإجراءات المعلنة.

2- استقالة السيد فرحات عباس

رأينا فيما سبق أن المجلس الوطني التأسيسي استلم ثلاثة مشاريع تهدف إلى تزويد الجزائر بدستور ديموقراطي شعبي، وقبل الشروع في مناقشتها أخطرتة الحكومة بأنها أعدت ثالثاً وطلبت تأجيل النظر في الموضوع؛ غير أن الحكومة بدلاً من إتباع الطريق القانونية التي تقتضي عدم تعميم أي مشروع أو اقتراح قبل تقديمه رسمياً إلى مكتب المجلس الوطني التأسيسي، فإنها طرحت مشروع الدستور الذي وضعته إلى مناقشة الإطارات الحزبية والقواعد المناضلة في مختلف أنحاء البلاد.

إن هذا الأسلوب في العمل قد أثار غضب رئيس المجلس الوطني التأسيسي الذي احتج لدى رئيس الحكومة مدعماً احتجاجه بكون ذلك يشكل اعتداء على المهمة التي أسندت للنواب الذين يعبرون عن السيادة باعتبارهم يمثلون جماهير الشعب الجزائري هذا من جهة وبكون الحزب لم يتكون بعد حتى يمكن اللجوء إلى إطاراته وقواعده من جهة ثانية.

لم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي دفع السيد فرحات عباس إلى الاستقالة، بل هناك، أيضا وبدرجة أقوى، مسألة التوجه الاشتراكي الذي جاء به مشروع الدستور الجديد والذي اكتنفته كثير من الغموض خاصة وان المجلس الوطني للثورة الجزائرية، عندما عالج الموضوع، أوصى بان يكون ذلك في إطار احترام المبادئ الإسلامية.

لقد تطرق رئيس المجلس الوطني التأسيسي من خلال الرسالة التي وجهها إلى جميع النواب، يوم 1963/08/12، إلى هذه المسألة وأكد أنه: "يؤمن بالاشتراكية الديمقراطية ذات الطابع الإنساني ويرفض الاشتراكية العلمية الماركسية اللينينية". وبتعبير أوضح أشار السيد فرحات عباس إلى ضرورة أن تأخذ الاشتراكية في الاعتبار واقع الشعب الجزائري المسلم الذي هو: "شعب صادق الإيمان وشديد الارتباط بالتقاليد العربية الإسلامية وأبعد ما يكون عن الثورة البروليتارية.. وعليه يجب أن تبقى الجزائر في حدود الحياد الإيجابي الذي قرره مؤتمر طرابلس وان تحافظ على علاقاتها الجيدة مع أصدقائها في الشرق والغرب" (1).

ولم يرفض السيد فرحات عباس الاشتراكية العلمية فقط بل وقف كذلك ضد النظام الرئاسي الذي جاء به مشروع الدستور الجديد والذي "يجعل رئيس الجمهورية ورئيس الدولة ورئيس الحكومة ورئيس الحزب شخصا واحدا؛ ويجهض الديمقراطية في أساسها إذ يلغي كل حوار بين السلطتين التشريعية والتنفيذية" (2).

(1) Abbas Ferhat, Op.Cit, p68.

(2) Ibid, p69.

انطلاقاً من كل ما تقدم، لأنه كان مقتنعاً بأن جمع كل السلط في يدي شخص واحد يتناقض مع شعار الثورة القائل: "بالشعب وللشعب" ولن يترتب عنه سوى تخلف الدولة وانتشار الفوضى وتلاحق الانقلابات، فانه قرر، بمحض إرادته، الاستقالة من رئاسة المجلس الوطني التأسيسي بعد أن لاحظ الآتي: "إن الحكومة لم تجمع المؤتمر وكانت قادرة على ذلك إنها لم تجر الانتخابات البلدية وكان عليها أن تفعل ذلك. ولم تسمح بمناقشة الدستور مناقشة حرة وكان عليها أيضاً أن تفعل ذلك" (1).

ثانياً/ ميثاق الجزائر عام 1964

في هذه الأجواء المشحونة بالضغائن والأحقاد والمليئة بالتناقضات ومختلف أنواع اللامعقول، والتميزة بالفوضى والاضطراب وانعدام الأمن والاستقرار، أعطيت الإشارة الخضراء لتكوين اللجنة الوطنية لتحضير المؤتمر الأول لحزب جبهة التحرير الوطني، وأطلقت نفس الأيدي الماركسية تعبت من جديد بالنصوص الأساسية للثورة.

ومرة أخرى تكونت لجنة صياغة مشروع المجتمع تحت إشراف أهم العناصر الماركسية التي كانت هي أساس الانحرافات الأيديولوجية الأولى. ورغم مقاومة العناصر الوطنية، صادق المؤتمر الذي أنهى أشغاله في اليوم الواحد والعشرين من شهر أبريل سنة أربع وستين وتسعمائة وألف على ميثاق الجزائر الذي اعتبر تعميقاً لبرنامج طرابلس ومرجعاً إيديولوجياً وحيداً للثورة الجزائرية.

إن المؤتمرات الذين دامت أشغالهم ستة أيام قد حللوا أوضاع البلاد التاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية، ثم صادقوا على عدد من المقررات التي ظنوا أنها كفيلة بتقديم الحلول لكافة المشاكل المطروحة آنذاك. ومن أهم

(1) Abbas Ferhat, Op.Cit, p70.

تلك المقررات: تحويل جبهة التحرير الوطني إلى حزب طلائعي في الحكم يسير وفقا لمبدأ المركزية الديمقراطية ويهدف إلى بناء الدولة الاشتراكية في الجزائر، وينتهج سياسة عدم الانحياز الإيجابي ويعمل على تدعيم القضايا العادلة ومساندة حركات تحرير الشعوب المناضلة في العالم أجمع.

إن تحويل جبهة التحرير إلى حزب طلائعي في مثل تلك الظروف يعتبر انقلابا سياسيا لا مبرر له، خاصة وأن الحزب لا يمكن أن يكون في الحكم بادراه موروثا عن الاستعمار وإطارات مسيرين مكونين وفقا لبرامج استعمارية وبواسطة مكونين لا علاقة لهم بالأيديولوجية الثورية، وحتى العناصر التي تكونت في صفوف جبهة التحرير الوطني فإنها، في معظمها كي لا نقول في مجملها، ترفض بناء الدولة الاشتراكية لأنها لم تنته بعد من إقامة الدولة الديمقراطية الاجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية التي حددها بيان أول نوفمبر كهدف رئيسي.

فالحزب الطائعي بدون إمكانيات بشرية يظل حبرا على ورق بل يتحول بالتدريج، إلى مجرد جهاز يوظف لخدمة الأغراض الشخصية ولمنع الشرائح الوطنية في المجتمع من التصدي بحزم وجد للقوات المناهضة للثورة.

ثالثا/ قراءة فاحصة لميثاق الجزائر

وعندما نعود، اليوم، إلى ميثاق الجزائر، نلاحظ بكل سهولة أنه مليء بالمغالطات التاريخية والتناقضات السياسية والطموحات اللامشروعة، غير أن كل ذلك لا يعني أنه خال من بعض التحاليل الصحيحة والمقررات الموضوعية التي تأخذ في الاعتبار الإمكانيات الحقيقية من أجل تغيير الواقع. فالجزائر بلد عربي إسلامي. هذه حقيقة تضمنتها كل الوثائق الأساسية لجميع الأيديولوجيات الوطنية.

لكن الذي يشكل مغالطة تاريخية هي تأكيد ميثاق الجزائر على أن الجماهير الجزائرية كانت عميقة الإيمان وأنها "قاومت بصلافة لتخليص الإسلام من كل الشوائب والخرافات التي شوهته أو خنقته، كما أنها لم تفتأ تناهض الدجالين الذين كانوا يريدون أن يجعلوا منه مذهباً للخشوع والتوكل، وتسعى لربطه بإرادتها في إنهاء استغلال الإنسان للإنسان" ⁽¹⁾. والواقع، أن الذي قام بهذا الدور هم العلماء سواء كأفراد منذ أن وضعت الحرب الإمبريالية الأولى أوزارها أو كتتنظيم بعد أن تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في اليوم الخامس من شهر ماي سنة واحدة وثلاثين وتسعمائة وألف.

ولم يكن ذلك بالأمر الخافي على الذين صاغوا الميثاق، لكنهم كتبوا بعواطفهم فضيعوا على البلاد فرصة ثمينة كان يمكن أن تكون منطلقاً لتحقيق مصالحة وطنية جديدة تعيد الثقة إلى شريحة واسعة من المجتمع الجزائري في تلك الظروف التي كان أحوج ما يكون فيها إلى وحدة الصف وتجاوز الحزازات السياسية.

فالاعتراف بدور العلماء في تخليص الإسلام من الشوائب التي علقت به وفي تحرير الإنسان الجزائري من المعتقدات الفاسدة كان من شأنه أن يقود إلى تقييم الإصلاح الديني في الجزائر وهو إصلاح يختلف كلية عن الإصلاح الديني في المشرق العربي وفي العالم الإسلامي عامة، وبعد التقييم الموضوعي، كان يمكن لأيديولوجية جبهة التحرير الوطني أن تخصص مكانة مرموقة للجانب الروحي الذي يستحيل بدونه التوصل إلى تعبئة جماهير الشعب الجزائري. لكن ميثاق الجزائر تعمد عدم الاعتراف بأهمية ذلك الدور، وراح ينسبه، تعسفاً، لغير أصحابه حتى يهشم الإسلام ويمنع الفكر الإسلامي من

(1) Abbas Ferhat, Op.Cit, p73.

الانتشار في جميع الأوساط المؤثرة في عمليات البناء والتشييد، وبذلك تعطى الأغلبية للنظام الاشتراكي في بناء الدولة⁽¹⁾.

ولقد أخطأ ميثاق الجزائر في تقديره، لأن تحييد العلماء وتهميش دورهم في إطار منظم، قد جعلهم يجنحون، شيئا فشيئا، إلى العمل السري دافعا عن العقيدة وحماية لها من الاعتداءات التي تريد محاصرتها في المسجد وإبقائها مقصورة على العلاقة بين الإنسان وربه كما هو الأمر بالنسبة للديانات الأخرى، ووفاء لأرواح الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم من أجل إقامة الدولة الديمقراطية الاجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية⁽²⁾.

والمغالطة التاريخية الثانية تتمثل في التقرير بأن الكفاح من أجل انتصار المبادئ الديمقراطية قد تغلغل في أوساط الجماهير الشعبية وحفز عملها وحدد سلوكها وآفاقها. وفي الحقيقة، فإن اندلاع الثورة ليلة الفاتح من نوفمبر إنما كان من أجل التحرير الوطني الذي يشمل تحرير الأرض وتحرير الإنسان وهو أكثر قيمة من انتصار المبادئ الديمقراطية التي أراد ميثاق الجزائر أن يجعلها منطلقا أساسيا لبناء الدولة الاشتراكية. إن جبهة التحرير الوطني لم تقرر الكفاح من أجل انتصار المبادئ الديمقراطية ولكنها أعلنت عن ميلاد حركة جهادية دعت

(1) جبهة التحرير الوطني، اللجنة المركزية للتوجيه، ميثاق الجزائر، مجموع النصوص المصادق عليها من طرف المؤتمر الأول لحزب جبهة التحرير الوطني 16-12 أبريل 1964، الجزائر 1965، ص 35.

(2) يقول السيد عباس: فيما يخصني، أمل أن تتخلى الجزائر عن النهج الاشتراكي حتى تتمكن من أن تستعيد شخصيتها وتبني من جديد وحدتها الروحية والاقتصادية والاجتماعية. وسوف يكون ذلك من أفضل الحلول لأنه يتلاءم مع مفهومنا للمغرب الموحد كما وضعت معالمه ندوتنا طنجة وتونس سنة 1958.

إليها جماهير الشعب من أجل استرجاع السيادة الوطنية المغتصبة، وعلى هذا الأساس يجب على الدارس أن يتوقف عند الملاحظات التالية:

1- إن جماهير الشعب التي وجه إليها النداء لم تتجاوب معه منذ اللحظات الأولى، بل كان لابد من مرور وقت يتفاوت من حيث الطول بين منطقة وأخرى وحسب وعي الفيات الاجتماعية المختلفة⁽¹⁾. وهناك شرائح واسعة من الشعب الجزائري قد ظلت موالية للنظام الاستعماري وتتعامل معه بكل ثقة إلى أن تأكدت من عجزه عن حمايتها ولاحظت أنه اعترف لجبهة التحرير الوطني بحق تقرير المصير على أساس الاستقلال الوطني. إن هذه الشرائح الواسعة جزء من الجماهير الشعبية ولا يمكن أن نقول إن المبادئ الديمقراطية قد تغلغت إلى أوساطها أثناء فترة الكفاح المسلح وإلا أصبح الاستعمار هو داعية الحرية والديمقراطية.

2- إن الكفاح من أجل انتصار المبادئ الديمقراطية لا يكون إلا بعد استرجاع الاستقلال الوطني ولذلك فإن جبهة التحرير الوطني لم تجعله من أهدافها الرئيسية أثناء فترة الكفاح المسلح خاصة وأن متطلبات الحرب كثيرا ما تتناقض مع الممارسة الديمقراطية.

3- لقد كانت السيادة الوطنية المغتصبة مبنية على مجموعة من الثوابت أهمها الإسلام ولغة القرآن. وأن الكفاح من أجل استرجاعها يعني بالدرجة الأولى السعي بجميع الوسائل لإعادة تأهيل تلك الثوابت التي عملت السلطات الاستعمارية على تشويهها أو إلغائها تماما كما كان الأمر بالنسبة للغة العربية. وبدلا من أن يهتم ميثاق الجزائر بدين الجزائريين ولغتهم باعتبارهما أفضل وسيلة لتكوين الإنسان، فإنه انطلق من النظرة الماركسية للديانات السماوية

(1) جبهة التحرير الوطني، اللجنة المركزية للتوجيه، ميثاق الجزائر، ص 36.

وراح يخطط لتهميش الإسلام، ولعزل اللغة لعربية عن ميادين الإدارة والعلم والتكنولوجيا.

4- إن ميثاق الجزائر لم يزد عن تقليد الحلول النظرية التي أوجدتها الثورة الروسية لمشاكل المجتمع السوفياتي، ولو أن المشرفين على الصياغة لم يكونوا متشبعين بالفكر الماركسي دون غيره، لانطلقوا، في تحليلاتهم من الفكر السياسي الإسلامي ومن الواقع الجديد الذي أحدثته الثورة في الجزائر ثم أوجدوا نظاما للحكم مستقلا ومتطابقا مع المنطلقات الأيديولوجية لجبهة التحرير الوطني.

أما المغالطة التاريخية الثالثة فتتعلق بمجموعة من التفسيرات للمراحل التي قطعتها ثورة نوفمبر منذ اندلاعها. وهذه التفسيرات تبدأ مع برنامج طرابلس الذي أشار إلى أن وعي الجماهير قد جعل الثورة تتحول من ديمقراطية اجتماعية إلى ديمقراطية شعبية وأن هذه الأخيرة عبارة عن تشييد واع للبلاد في إطار المبادئ الاشتراكية. إن برنامج طرابلس، إذن جعل المبادئ الاشتراكية تحل محل المبادئ الإسلامية، ولقد فعل ذلك خلسة ولم يطلب رأي الجماهير الشعبية التي ما كانت لتوافق لو استشيرت. ثم جاء ميثاق الجزائر ليؤكد أن "الكفاح من أجل تدعيم الاستقلال والكفاح من أجل انتصار الخيار الاشتراكي لانفصام بينهما، والفصل بينهما يعد تدويبا للدور القيادي لجماهير العمال والفلاحين". فبهذه الكيفية تجاهل ميثاق الجزائر المكانة التي ما فتئ الإسلام يحتلها في مسيرة الجزائر التاريخية، وكذلك الدور الحاسم الذي أداه في تشكيل الشخصية الوطنية أولا، وصيانتها ضد محاولات المسخ والتشويه ثانيا، وتمكينها في نهاية المطاف من أن تتحرك من جديد لتقوض أركان الاستعمار وتؤكد الهوية الوطنية وتطلق العنان لثورة أصيلة إسلامية الروح عربية اللسان وإنسانية المسعى. إن

الربط بين الكفاح من أجل تدعيم الاستقلال والكفاح من أجل انتصار الخيار الاشتراكي عمل نظري ينطلق من دوغماتية عقيمة ولا يأخذ في الاعتبار بعدين أساسيين لا بد منهما لكل حركة تريد أن تصل إلى مداها دون انحراف ولا جمود، وهما بعد الاستمرارية وبعد التجديد والإبداع.

وإذا كانت الاستمرارية تعني المحافظة على خيوط التواصل التي ظلت تنتظم مسيرة الشعب الجزائري، فإن التجديد والإبداع يعطيان للمسؤول والمناضل قدرة التحلي بالمرونة اللازمة لتكييف عملية الانتقال من المجال النظري إلى دائرة الفعل حسب الظروف والإمكانات التي تتحكم في تشكيل الواقع.

وهناك مغالطة تاريخية رابعة وتتمثل في اعتبار ميثاق الجزائر أن البؤس المدقع الذي كانت تعيش فيه الأغلبية الساحقة من الفلاحين والعمال كاف لجعل هذه الأخيرة "تناضل من أجل تحويل المجتمع تحويلا جذريا". في اتجاه البناء الاشتراكي. ولو كان هذا الادعاء صحيحا لما انتظرت الجزائر سنة أربع وخمسين لإشعال فتيل الثورة ولما لاققت في فترتها الأولى تلك الصعوبات الكبيرة في جعل جماهير الشعب تقبل فكرة التغيير وتساهم بأشكال مختلفة في الكفاح المسلح. ويزعم ميثاق الجزائر، أيضا، أن التسيير الذاتي الذي لجأت إليه الثورة الجزائرية في العام الأول بعد استرجاع الاستقلال هو تعبير عن إرادة الفئات الكادحة في البلاد في الصعود إلى المسرح السياسي الاقتصادي وفي أن تتشكل كقوة قيادية. وهذا التعبير يدل، مرة أخرى، على أن الذين تولوا صياغة ميثاق الجزائر لم يكونوا يعرفون الواقع الجزائري، لأن التسيير الذاتي في الواقع لم يكن نتيجة تخطيط مدروس، ولكنه فرض على السلطات الجزائرية الفتية بسبب رحيل الجالية الأوروبية التي كانت تمتلك وسائل الإنتاج وفي مقدمتها المساحات الشاسعة من الأراضي الخصبة، ولكي لا تبقى تلك الوسائل مهملة، وحتى تتم

عمليات الحرف والبذر في خريف تلك السنة أعطيت الإشارة الخضراء إلى الفلاحين والعمال فانتظموا في لجان للتسيير الذاتي ثم جاءت قرارات مارس سنة ثلاث وستين وتسعمائة وألف لتجعل من المبادرة إجراء رسمياً.

إن لجان التسيير الذاتي لم تكن، كما توهم المنظرون الماركسيون، استمرارية للثورة ولا واحدة من الخاصيات الرئيسية للانفتاح نحو الاشتراكية، لكنها كانت ضرورة حتمية وكانت من البداية مبنية على أسس غير سليمة لأن تركيبها البشرية لم تكن لتساعد على تحويلها إلى أداة ثورية، ذلك أن أعضاء لجان التسيير لم يكونوا سوى نفس العمال والفلاحين الذين ظلوا في معظمهم أوفياء للكلون الذين كانوا يستغلون الجزائر. وإذا كانت جبهة التحرير الوطني، لم تتمكن، طيلة سنوات الكفاح المسلح، من فصلهم نهائياً عن مستغليهم ومؤيدي السيطرة الأجنبية في بلادهم، فإن من المستحيل على قرارات مارس الارتجالية أن تحولهم إلى قوة قيادية.

والى جانب هذه المغالطات التاريخية وغيرها هناك التناقضات السياسية التي لم تنفطن إليها لجنة صياغة ميثاق الجزائر والتي سوف تكون هي أساس جزء من الانحرافات التي وقعت فيه إيديولوجية جبهة التحرير الوطني والتي شكلت، بالتدريج، واحداً من العراقيل الرئيسية التي منعت الثورة من التقدم في انتظار إجهاضها. ومن حملة هذه التناقضات ما يلي:

1- إن ميثاق الجزائر، عندما يتحدث عن بنية المجتمع واتجاهه، يذكر أن "تواة بوجوازية أكثر أهمية قد تشكلت في نهاية مائة وثلاثين سنة من الاستعمار، من كبار التجار وبالأخص من كبار ومتوسطي ملاك الأراضي، ولم تكن الفئات البوجوازية بمعناها الحقيقي تتجاوز 2.5% من عدد السكان

العاملين" ⁽¹⁾ ويرى أن هذه البورجوازية كانت مؤثرة في الميدان الاقتصادي "وكان لها نفوذ إيديولوجي وثقافي وسياسي في أوساط العمال والفلاحين". إن هذا الكلام يتناقض في جوهره مع ما ورد في الباب الخاص بالأسس الأيديولوجية للثورة الجزائرية والذي جاء فيه: "إن الكفاح من أجل انتصار المبادئ الديمقراطية قد تغلغل بين الجماهير وحفز عملها وحدد سلوكها وآفاقها ومن خلال المقاومة المسلحة ضد الإمبريالية الفرنسية أصبحت الجماهير واعية بقوتها وقدرتها على حل مشاكلها بنفسها". فإذا كان الأمر قد وصل فعلا إلى هذا الحد، فإن تأثير البورجوازية يصبح غير ذي بال خاصة وأن التحليل يتعلق بفترة زمنية واحدة هي نهاية النظام الاستعماري.

2- إن ميثاق الجزائر يؤكد على ضرورة إبراز الديمقراطية الاشتراكية بواسطة الإدارة الفعالة التي تراقبها الجماهير وفي نفس الوقت يعترف أن الدولة الجزائرية "احتفظت بالهيكل الإدارية التي أقامها الاستعمار من أجل تأطير اقتصاد ليبرالي تترك فيه الوظيفة الاقتصادية لمالكي وسائل الإنتاج والمقاولين ومثقفي المهن الحرة".

وإذا كان ميثاق الجزائر يعترف للبورجوازية، على ضالة نسبتها، بتأثيرها البالغ إيديولوجيا وسياسيا وثقافيا في أوساط الجماهير الشعبية، فكيف يمكن التصديق بأن هذه الأخيرة سوف تتمكن من مراقبة الإدارة التي أنشئت في أساسها لتكون أداة مناهضة للسياسة الاشتراكية.

3- يرى ميثاق الجزائر أن إبراز الديمقراطية الاشتراكية يكون، كذلك بواسطة هيئات شعبية حميمة تسير البلديات ديمقراطيا". لكن هذه الهيئات

(1) Benamrane (Djillali) *Agriculture et développement en Algérie*, SNED, Alger 1980, p101 et suivantes.

الشعبية مدعوة، لتأدية دورها، إلى استعمال "البيروقراطية الإدارية التي تشكل أكبر خطر على التطور الاشتراكي والديمقراطي للثورة"، وذلك بوصفها قوة اجتماعية سهر الاستعمار على تكوينها لتأييد سيطرته وللقيام بدور اقتصادي يتلاءم فقط مع مصالحه.

4- يؤكد ميثاق الجزائر أن "الجماهير الكادحة في المدن والأرياف قادرة على قهر الصعوبات الناشئة عن مقاومة وتخريب القوى المناهضة للاشتراكية". ومما لا شك فيه أن هذا التأكيد يعبر عن مدى الوعي الذي تتحلى به تلك الجماهير لتكون في مستوى المهمة المسطورة لها. لكن الميثاق يذكر في نفس الصفحة: "أن الكفاح من أجل انتصار الاشتراكية لا يجري بطريقة منسجمة وأن التناقضات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ناجمة عن المستوى المنخفض للقوى الإنتاجية وتأخر الوعي الاجتماعي للعمال والتشويهاات البيروقراطية لجهاز الدولة وضعف تمركز النقابات والحزب". فكيف يمكن للجماهير الكادحة أن تقهر الصعوبات وهي تعاني من تأخر الوعي الاجتماعي ومن التشويهاات البيروقراطية التي يقوم بها جهاز الدولة.

5- إن ميثاق الجزائر يجعل في مرتبة واحدة الحزب والحكم الثوري في الجزائر، وإذا كان الحزب معرفا بواسطة نظامه الداخلي وقانونه الأساسي ومن خلال مشروع المجتمع الذي يعمل على تجسيده على أرض الواقع، فإن الميثاق اكتفى بالنسبة للحكم الثوري بقوله: "إنه المدافع عن مصالح الفئات الكادحة المشكلة لقواعده الاجتماعية، ولذلك فهو لا بد أن يصطدم بالفئات ذات الامتيازات التي تضم من جهة، أولئك الذين يملكون وسائل الإنتاج ومن جهة ثانية البورجوازية البيروقراطية".

فإذا كانت الفئات الكادحة هي القواعد الاجتماعية للحكم الثوري، فما هي القواعد الاجتماعية لحزب جبهة التحرير الوطني الذي تنص المادة الثانية من نظامه الداخلي على أنه "يستمد قوته من الجماهير الفلاحية والجماهير العاملة ومن المثقفين الثوريين، وهو قائد الشعب في المعركة من أجل الاستقلال التام والاشتراكية والديمقراطية ومن أجل السلم الذي هو مربوط بمقتضيات تحرير الشعوب".

وبالإضافة إلى هذه المغالطات التاريخية والتناقضات السياسية، فإن ميثاق الجزائر قد عبر عن طموحات غير مشروعة لأنها طموحات لجنة صياغته لا غير، ولأنه يدعو لتحقيقها إلى اعتماد أداة لم يوفق في تعريفها بالوضوح اللازم. أما عن الطموحات اللامشروعة فإن الميثاق يذكر أن الشعب الجزائري "وجد نفسه، قبيل الاستقلال وبعد حرب تحريرية طويلة، مدعوا إلى اختيار النظام الأنسب لخصائصه من أجل تنظيم حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وبما أن ثورتنا كانت، منذ ميلادها، ديمقراطية وشعبية بأوسع معاني الكلمة، فإن الجماهير الكادحة قد فتحت الطريق الموصلة إلى بناء مجتمع قائم على المبادئ الاشتراكية". ولذلك، فإن هذا المؤتمر الأول للحزب "يجب أن يكون أول نوفمبر جديد، أول نوفمبر الاشتراكية".

كل هذه التوصيات غير صحيحة، لأن الشعب لم يشترك في عملية اختيار النظام الأنسب لتنظيم حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولأن إقرار الثورة الاشتراكية لم ينطلق من تحليل معمق للواقع الذي كان عليه الشعب الجزائري، ولا من تقييم موضوعي لمختلف المراحل التي قطعتها ثورة أول نوفمبر. وأما عن الأداة التي لا بد منها لانتصار الثورة الاشتراكية في الجزائر، فإن ميثاق الجزائر يحصرها في حزب جبهة التحرير الوطني الذي ينبغي أن

يكون طلائعيا ومشكلا من تركيبة اجتماعية قوامها الفلاحون والعمال والمتقنون الثوريون. وإذا كان هناك اختلاف في التسمية بين الحزب في برنامج طرابلس وفي ميثاق الجزائر، إذ الأول جماهيري والثاني طلائعي، فإن التركيبة الاجتماعية لم تتغير وفي ذلك أكبر دليل على عدم جدية المنظرين. وسوف نرى أن عدم الحسم في مثل هذه الموضوعات الهامة هو الذي سيمنع حزب جبهة التحرير الوطني من تأدية دوره على الوجه الأكمل وهو الذي سيؤدي به إلى التحول شيئا فشيئا إلى جهاز إداري تابع للإدارة في أحسن الحالات.

وبعد اختتام المؤتمر الأول للحزب ودراسة مختلف اللوائح والمقررات الصادرة عنه، يحق لنا القول: إن إيديولوجية جبهة التحرير الوطني قد جمدت عمليا غداة استرجاع البلاد سيادتها الوطنية، وأن الجزائر قد انطلقت، في عملية البناء، بأيديولوجية جديدة هي، نظريا، الأيديولوجية الاشتراكية.

رابعا/ تآكل السلطة وانهيار النظام

لقد أضاع الرئيس أحمد بن بلة ومعه الجزائر قاطبة فرصة تحقيق المصالحة الوطنية من خلال المؤتمر التأسيسي لحزب جبهة التحرير الوطني، فبدلا من اشتراك كل الإطارات الفاعلة في أشغال المؤتمر وإرساء قواعد الديمقراطية الحق، تعمد تهميش كبار المسؤولين أمثال السادة فرحات عباس وابن يوسف بن خده ومحمد بوضياف ومحمد خيضر وصالح بونيدر الذين لم تعط لهم فرصة المشاركة لا في تحضير النصوص ولا في اختيار المؤتمرين الذين جاءوا مشتتين وموزعين على كتل متناقضة.

فهناك ممثلو اتحادية الجزائر الكبرى الذين كانوا ينعنون بالنقدميين، وقد ساهموا بفعالية في إعداد ميثاق الجزائر وكانوا يسعون، بصدق، إلى بناء حزب حقيقي إيمانا منهم بأن التشكيلة السياسية القوية ضرورية لتنظيم جماهير الشعب

وتوعيتها وكذلك للتخطيط والتوجيه والرقابة والتنسيق. ومن جهة أخرى، كانت هذه الكتلة تدعو إلى أن يبقى الجيش في ثكناته مستعدا فقط لتأدية واجبه الأساسي المتمثل في حماية الحدود والدفاع عن مكتسبات الثورة ومؤسسات الدولة. وهناك كتلة العقيد محمد شعباني التي كانت تؤمن برسالة جبهة التحرير الوطني لكنها كانت في نفس الوقت تدعو فيه إلى توفير كل الشروط اللازمة لبناء حزب قوي بإيديولوجيته وبمناضليه، تنادي بضرورة تطهير صفوف الجيش الوطني الشعبي من بعض الضباط الجزائريين الذين قدموا من الجيش الاستعماري ولم يشاركوا، فعليا، في معركة التحرير. ثم هناك الكتلة التي تسمى " فريق وجدة" والمكونة أساسا من قدماء قيادة الأركان العامة والضباط الذين كانوا يعيشون في محيطها الضيق سواء على الحدود الشرقية أو الغربية. لقد كانت هذه الكتلة ترى أن الحزب غير ضروري وترفع شعار " فرقة من الجنود خير من خليته حزبية" وتدعو، كذلك، إلى دعم الإدارة والاعتماد عليها في تنظيم جماهير الشعب وتسيير شؤونها. وأخيرا هناك كتلة رئيس الحكومة التي جاءت إلى المؤتمر من أجل السلطة فقط، والتي سرعان ما وجدت نفسها في خندق واحد مع الكتلتين الأولى والثانية الأمر الذي جعل " فريق وجده" وفي مقدمته العقيد هواري بومدين يقدم استقالة جماعية من جميع مناصب المسؤولية في اليوم الأول من انعقاد المؤتمر.

كانت تلك فرصة لا تعوض بالنسبة للرئيس أحمد بن بله، لكن ضيعها عندما رفض الاستقالة وقدم تنازلات مجانية للفريق المذكور الذي انتبه فجأة إلى أنه ارتكب خطأ قاتلا فراح يتقرب من رئيس الحكومة ويبيدي استعداداه للتعامل معه في إطار المقررات التي صادق عليها المؤتمر. وحول هذه المسألة

علق السيد حسين زهوان بقوله: "لقد استطعنا أن نهزم فريق وجده، وكان بإمكان ابن بله أن يتخلص منه نهائياً" (1).

وفُرصة أخرى ضيعها الرئيس أحمد بن بله عندما لم يحقق المصالحة الوطنية التي كانت في متناوله، وترك طاقات وطنية حية وفاعلة تلجأ إلى المعارضة السلبية خارج البلاد وداخلها. وهناك خطأ آخر ارتكبه الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني حينما جمع كل السلط بين يديه ولم يعمل على توحيد الكتل المشار إليها أعلاه أو منعا من التنافس والتناحر على الأقل. لقد كان رئيس الجمهورية، الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني يعتقد أن في تصارع الكتل قوة له، إذ يستطيع أن يكون دائما الملاذ للجميع والحكم بينهم، لكن "فريق وجده" سرعان ما تفتن للحيلة، ولما كان يعلم أن إمكانياته، في ذلك الوقت، لا تسمح له بالتغيير فإنه اختار طريقة المقاومة السلبية التي تؤدي إلى عرقلة المشاريع وتعميم التعفن في انتظار الفرصة المناسبة خاصة وأنه كان يتحكم في أكثر القطاعات حيوية وهي الدفاع الوطني والداخلية والخارجية والتربية والتوجيه الوطني.

كانت تلك هي صورة الوضع السياسي في الجزائر عندما أنهى المؤتمر التأسيسي لحزب جبهة التحرير الوطني وأشغاله يوم 1964/04/21. ونؤكد هنا أن المؤتمر لم يكن لجبهة التحرير الوطني كما كان منتظرا لأنه لم يخص من طرف المجلس الوطني للثورة الجزائرية ولم يكن جامعا لسائر الاتجاهات السياسية التي كانت تتشكل منها جبهة التحرير الوطني أثناء فترة الكفاح المسلح من جهة ولأنه أعلن عن ميلاد حزب طلائعي يختلف في توجهاته ومنطلقاته الفكرية والإيديولوجية اختلافا كليا عن جبهة التحرير الوطني من جهة ثانية.

(1) تتمثل هذه التنازلات في وزارات الدفاع والداخلية والخارجية والتربية والتوجيه وأجهزة الأمن.

وبعد انتهاء أشغال المؤتمر ظلت المشاورات قائمة مدة شهرين كاملين قبل الاتفاق على تكوين اللجان التي ورد ذكرها في النصوص الأساسية ثم كانت العطلة الصيفية التي تميزت بأحداث خطيرة تأتي في مقدمتها انتفاضة العقيد محمد شعباني الذي رفض تسليم الجيش في الولاية السادسة للنقيب بوتله يعيد هيكلته على طريقة جيش الحدود.

لقد كان العقيد محمد شعباني من العناصر الأساسية التي ساهمت في تمكين مجموعة تلمسان من الاستيلاء على السلطة، ويبدو أن موقفه ذلك إنما كان نتيجة ثقته اللامتناهية في شخص السيد محمد خيضر الذي عرف كيف يقنعه بأن أحمد بن بله هو أكثر القادة قدرة على احتواء الأزمة وتسيير البلاد في تلك المرحلة الصعبة. وبالإضافة إلى مجهودات السيد محمد خيضر كانت هناك مسألة التوجه العروبي الإسلامي الذي كان السيد أحمد بن بله يرفع شعاره ظاهريا على الأقل والذي كان يومها، يشكل أهم شيء بالنسبة للعقيد الشاب. وحينما ساء الوضع بين الرئيس أحمد بن بله والسيد محمد خيضر الذي كان أكثر المسؤولين إخلاصا له أيقن العقيد شعباني أن المثل العليا التي كان مجاهد من أجلها قد تركت المكان للانتهازية السياسية في تحديد العلاقات بين القادة الاستفتاء، ثم ازداد يقينه عندما رأى رئيس الجمهورية بعده بقيادة الأركان العامة وبدون سابق إنذار يتراجع عن الوعد ويسند المنصب للعقيد الطاهر الزبيري، وفي نفس الوقت بغض الطرف عن تعيين النقيب بوتله للقيام بالمهمة المشار إليها أعلاه.

كانت هذه جزء من الأسباب التي قادت إلى انتفاضة العقيد محمد شعباني لكن السيد فرحات عباس يرى أن السبب الرئيسي إنما يكمن رفض " تلميذ ابن

باديس (1) **المساهمة في خيانة الإسلام** (2). أما السيد محمد حربي الذي كان أحد المساعدين المقربين للسيد حسين زهوان في ذلك الوقت فيقول: "إن العقيد شعباني قد انشق عندما تأكد أن ابن بله يعمل على تهميشه".

ومهما يكن من أمر، فإن العقيد محمد شعباني قد دفع ثمن إخلاصه للوطن ووقع ضحية التنافس بين رئيس الجمهورية ووزير الدفاع. فالضحية أنيافرنكوس تذكر أن ابن بلة هو الذي حرض العقيد شعباني على عدم الاعتراف بأوامر وزير الدفاع القاضية بتتحيته عن قيادة الولاية التاريخية وإحاقه بقيادة الأركان التي كان يرأسها العقيد الطاهر الزبيري. وحينما وقع ما وقع وألقي عليه القبض تقول نفس الصحيفة: "أن رئيس الجمهورية هو الذي حث على تنفيذ الحكم بالإعدام رغم معارضة العقيد هواري بومدين". تقريبا في نفس الوقت، قام الجيش الوطني الشعبي بتمشيط منطقة القبائل، وفي الثامن عشر من شهر أكتوبر ألقى القبض على زعيم جبهة القوى الاشتراكية السيد حسين آيت أحمد الذي مثل بسرعة أمام محكمة عسكرية مثل العقيد محمد شعباني ومثله أيضا حكم عليه بالإعدام لكن رئيس الجمهورية تدخل وعفى عنه بمناسبة مرور عام على المؤتمر التأسيسي لحزب جبهة التحرير الوطني أي قبل الانقلاب بحوالي شهرين.

لم يكن التاسع عشر جوان حدثا منعزلا بل هو نتاج عام كامل من تأمر الطرفين بعضهما على بعض. ففريق وجده الذي جانب التهميش المطلق أثناء

(1) زهوان حسين، "استجواب حول الحركة الوطنية الجزائرية"، سؤال، العدد الأول، ديسمبر 1981، ص 113.

(2) فالعقيد محمد شعباني من تلاميذ معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس التابع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والذي تخرجت منه أعداد كبيرة من إطارات الجزائر المستقلة.

المؤتمر تقطن إلى أن بناء حزب قوي سوف يدعم جناح رئيس الجمهورية ويعيد الجيش الوطني الشعبي إلى ثكناته يقوم فقط بدوره الدفاعي، لأجل ذلك، فانه قرر ومؤقتا الانزواء والعمل بشتى الوسائل على تعفن الوضع وخلق التناقضات الداخلية وتشجيع التنافس على السلطة بين مختلف الاتجاهات السياسية المتعايشة داخل المكتب السياسية بسائر لجانته وفي دواليب الدولة بصفة عامة. ومن جهة أخرى، فان رئيس الجمهورية، الأمين العام للحزب الذي كان يخشى قوة الجيش الوطني الشعبي قد لجأ إلى اتخاذ إجراءات كان يعتقد أنها كفيلة بحمايته وبإضعاف خصومه في آن واحد.

هكذا قرر رئيس الجمهورية في ديسمبر 1964 أن يجمع بين يديه بالإضافة إلى رئاسة الحكومة والأمانة العامة للحزب كلا من الداخلية والمالية والتخطيط والإعلام. لم ينتبه إلى أن حشد كل هذه المهام في مكتب واحد يفقدها كل فعالية والتدرج يهشم دورها ويحولها إلى عالة وإلى سلاح يستعمل ضده حينما يحين الوقت. وفي مجال آخر ولكي يواجه قوة الجيش الوطني الشعبي، عند الحاجة، قرر إنشاء ما يسمى بالميليشيا الشعبية، لكنه أخطأ عندما أسند مسئوليتها إلى واحد من الضباط الأوفياء لوزير الدفاع وهو الرائد محمود قنز، وعندما حاول أن يجعل منها تنظيما مستقلا عن حزب جبهة التحرير الوطني. وبذلك الخطأ المزدوج وضع تلك الآلة الجهنمية بين يدي خصمه يوظفها بذكاء لتنفيذ خطته. وإلى جانب الميليشيا الشعبية، أنشأ رئيس الحكومة شرطة موازية تخضع له مباشرة وتقوم، وهي أيضا، بأعمال قمعية فوق كل قانون.

في هذه الأجواء التي يصعب وصفها تكاثرت الاعتقالات السياسية التي كان يذهب ضحيتها مسؤولون مختلفة قناعا تهم سياسية لكن إخلاصهم للوطن لا تشوبه شائبة. فمن أبرز أولئك المعتدي عليهم تجدر الإشارة إلى السادة:

فرحات عباس، ابراهيم مزهودي، أحمد طالب الإبراهيمي، عبد الرحمن فارس، العربي بالرجم (المعروف بالرائد العربي الميلي)، عمار بن تومي، صالح بوبنيدر، مصطفى لحل وغيرهم ومن كانوا يسجنون بدون تهمة ولا محاكمة.

خاتمة

بهذه الطريقة في الحكم كرس رئيس الجمهورية عدم الاستقرار في البلاد وأعدم الثقة في صفوف الإطارات والمسؤولين الذين أصبحوا يخشون الاعتقال في كل لحظة، ومن ثمة صاروا ينفقون جل طاقاتهم في البحث عن المخارج المحتملة عندما تراهم الشرطة ببيوتهم أو مكاتبهم وبهذه الطريقة، أيضا، تدعمت صفوف المعارضة في داخل الجزائر وخارجها، وأعطيت لفريق "وجدة" فرصة لا تعوض لاستغلال حالات الغضب والسخط لتحضير أجواء الانقلاب خاصة وأن كل القرارات المتعلقة بتنظيم الحزب وتكوين مناضليه وإطاراته قد ظلت معطلة بفعل الممارسات الاستبدادية المشار إليها أعلاه، وبدأت الإشاعات تجتاح الشارع والمحلات العمومية قبل أن تنتقل إلى الإدارة تعرقل سيرها وتشل نشاطها.

وأمام كل تلك التحولات، وبينما كان رئيس الجمهورية يتميز موقفه بالسلبية المطلقة واللامبالاة الممتزجة باللاوعي واللاشعور، كان وزير الدفاع يضاعف من الاتصالات بالمسؤولين الفاعلين في الجيش وفي الحزب، وتمكن في ظرف يمتد على بضعة شهور فقط من تعبئة الطاقات التي يحتاج إليها لأحداث التغيير الذي أحاطه بكثير من السرية وأطلق عليه تسمية "التصحيح الثوري" والذي وقع ليلة التاسع عشر جوان سنة 1965.

الترجمة في الإسهامات الفكرية للمؤرخ أبي القاسم سعد الله:

كتاب " الجزائر وأوروبا " لجون وولف عرض وتحليل

**La Traduction dans les contributions intellectuelles de
l'historien Abu al-Qasim Saadallah : "Algérie et Europe" de
John Wolf, présentation et analyse.**

✍ د/ عبد القادر خليفي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الملخص

تحاول هذه الورقة العلمية المقتضبة تسليط الضوء على تلك التجربة المتميزة التي أبان عنها المؤرخ أبي القاسم سعد الله في ميدان الترجمة، باعتبارها حقلا معرفيا لا يقل أهمية عن ميدان التأليف، حيث سخر لها قلمه وفكره وروحه الوطنية أيضا، واستطاع تجاوز كل الصعوبات اللغوية والمنهجية التي تصاحب في العادة هذا النوع من الأعمال وتمكن من تزويد القارئ العربي بعدد من الانتاجات الأكاديمية والمؤلفات الأجنبية الرصينة، خدم بها حركة التأريخ لمسيرة الشعب الجزائري في أبعادها المتنوعة، ولعلّ من بين تلك الترجمات التي تستحق التنويه والتعريف بها، وتقديمها لأهل الاختصاص ولعموم القراء، كتاب " الجزائر وأوروبا " للمؤرخ الأمريكي جون وولف، حيث تهدف هذه الدراسة إلى تقديم هذا العمل، والتعريف بصاحبه باعتباره يمثل المدرسة التاريخية الأمريكية وكشف قيمة هذه الدراسة العلمية والتاريخية.

الكلمات المفتاحية: الجزائر - أبو القاسم سعد الله - جون وولف - الكتابة التاريخية

- العهد العثماني - الدول الأوروبية - الترجمة.

Résumé

Cette étude scientifique tente de faire la lumière sur l'expérience distincte de l'historien Abu al-Qasim Saadallah qui a montrée dans le domaine de la traduction, comme un espace de connaissance très important, où il a exploité sa plume, sa pensée et aussi son esprit national, et a su surmonter toutes les difficultés linguistiques et méthodologiques

qui accompagnent ce type de travail. il a pu fournir au lecteur arabe un certain nombre de productions académiques étrangères, avec lesquelles il a servi l'historiographie algérienne dans ses différentes dimensions.

Parmi les traductions qui méritent d'être signalées, présentées aux spécialistes et aux lecteurs publics, nous citons l'œuvre :« Algérie et Europe » de l'historien américain John Wolf.

Mots-clés : Algérie - Abu al-Qasim Saadallah - John Wolf - écriture historique l'époque ottomane - pays européens - traduction.

مقدمة

لقد أعطت المساهمة الفعالة والمتميزة كما وكيفا لشيخ المؤرخين الجزائريين أبي القاسم سعد الله (1930 - 2013م) تلك الروح التي كانت تبحث عنها المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة، التي يمكننا بلا تردد القول بأن إطارها العام قد تشكل بالفعل - ذلك أن الانشغال الدائم لسعد الله بالحفر والتنقيب في القضايا المتصلة بالتاريخ الوطني وأحيانا القومي، بأبعادها المختلفة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وعسكريا، قد مكّنه من التفاعل مع التجربة التاريخية للشعب الجزائري، وإدراك الكثير من مواطن وعوامل انتصاراتها وانكساراتها، مزيلا الستار عن زوايا متنوعة من تلك الإسهامات الحضارية، ولم يتأت له ذلك بسهولة، فقد قضى ستين عاما من عمره في حوار مع الوثائق والمؤلفات والشخصيات، وبين جدران المكتبات ومراكز المخطوطات، أطلق خلالها العنان لقلمه مؤلفا ومحققا ومترجما، وانبرى لفتح ورشات بحثية كبيرة، شملت دراسات مجالات زمنية في خطوط متصلة من الوسيط، إلى الحديث والمعاصر، على الرغم من أن ثقل إنتاجه العلمي، قد خصّ العهد الأخير، حيث استطاعت بحوثه، أن تتخطى في كثير من مضامينها المعرفية وقولبها المنهجية الجهد الشخصي لباحث وحيد، كما حملت أيضا بدرجات متفاوتة، نزعاته الوطنية والقومية والإسلامية، بل وحتى الإنسانية، سواء أكان ذلك

تصريحا أم تلميحا، مما جعله بإجماع الدارسين، ظاهرة فذة في مضمار الكتابة التاريخية بأقلام وطنية، ومؤرخا عملاقا.

فكيف فهم سعد الله التاريخ؟ وما هي أهدافه من الكتابة التاريخية؟ وما خصائص تجربته في ميدان ترجمة الأعمال التاريخية؟ وفيم تبرز القيمة التاريخية والعلمية لكتاب جون وولف؟

أولا/ من الأدب إلى التاريخ تجربة الانتقال عند أبي القاسم سعد الله

لم تعد صفحة مجهولة تلك التجربة التي مر بها أبو القاسم سعد الله في مسار حياته الدراسية والعلمية، والتحويلات التي عرفتھا، فقد بسط الحديث عنها بنفسه في مذكراته الموسومة "حياتي"، وتضمنها قبالا كتابه "مسار قلم"، ولكن أعطى أيضا إشارات حولها في مواضع أخرى كثيرة في ثنايا مؤلفاته وحواراته، وتطرقت إليها بإسهاب وياقتضاب أقلام عديدة، لباحثين استهواهم الخوض في تتبع مسار حياة هذا المؤرخ الذائع الصيت، والشخصية الفكرية والأدبية المتميزة.

لقد كانت انطلاقة تكوينه تقليدية بإقليم مسقط رأسه وادي سوف بالجنوب الشرقي الجزائري، ثم بحاضرة تونس بعد توجهه إليها على عادة المكافحين في سبيل التحصيل العلمي من أبناء جيله، حيث نهل من ينابيع اللغة العربية وروافد آدابها، وحفظ القرآن الكريم، ونال قسطا مهما من العلوم الشرعية بجامع الزيتونة المعمور، ولم يلبث أن اقتحم مجال الأدب والنشاط الصحفي، ولم يلتحق بالقاھرة إلا وقد خطا خطواته الأولى على مضمار هذا الحقل الفني، وعزّز رصيده في هذا المجال حينما انتسب إلى كلية دار العلوم بالعاصمة المصرية التي تخرج فيها عام 1959م بشهادة الليسانس في الأدب العربي والعلوم الإسلامية، وفي الوقت الذي أخذ يستعد لخوض رحلة الماجستير

في ميدان تخصصه، حينما اختار البحث في التجربة الأدبية لمحمد العيد آل خليفة جاء قرار قيادة جبهة التحرير الوطني عام 1961م، بإرساله في بعثة دراسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهي السفيرة التي عبر خلالها المحيط الأطلسي حاملا معه هموم الوطن ماضيا ومستقبلا، فكان أن اختار الغوص في بحر التاريخ الوطني، متخذا من إعداد رسالة الدكتوراه قالبا أكاديميا له¹، وهو التحول الذي جعله نجما لامعا في سماء الكتابة التاريخية التي لم تستطع أن تؤثر على ذوقه الأدبي، فقد كان شديد الإيمان بأن المؤرخ يحتاج لأداء مهنته على أحسن وجه إلى جمال الأسلوب، وخصب الخيال، كحاجته إلى المعارف الأخرى، والوسائل المتعددة.²

تحدّث سعد الله عن تطوّر الشغف بالتاريخ عنده، وذكر الكيفيات التي تفرغ من خلالها لدراسته ثم الاشتغال بالبحث في مجاهيله لعقود من الزمن، ومن الشهادات التي رواها حول هذا الموضوع قوله: " وقد وجدت من خلال دراستي سيما وقد حللت بأمريكا تلك البلاد المادية والصناعية الكبرى، أن التاريخ هو أفضل ما يشبع نهمي العلمي وتطلعاتي العقلية، ففيه الشك قبل اليقين، وفيه التريث والتثبّت قبل إصدار الأحكام، وفيه الموضوعية والاحتكام

1 - للتعرف على حياته ومساره التعليمي ومغذيات فكره، ينظر المصادر والمراجع الآتية:

- أبو القاسم سعد الله، حياتي، عالم المعرفة، الجزائر، 2015م.

- أبو القاسم سعد الله، مسار قلم، 6 أجزاء، عالم المعرفة، الجزائر، 2015م.

- نجيب بن خيرة، أبو القاسم سعد الله بعيون مختلفة، عالم المعرفة، الجزائر، 2014م.

- مراد وزناجي، حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ،

منشورات الحبر، الجزائر، 2008م.

2 - مولود عويمر، "مسألة التاريخ عند الدكتور أبي القاسم سعد الله"، موقع:

<http://kalema.net/home/article/print/1152>، تاريخ الاطلاع 2020/06/03م.

إلى العلم والضمير، وكل هذه المعايير تستجيب لنوازعي الأولى... أما ثورة الجزائر، فقد أرغمتني على البحث وتطبيق التاريخ، أي جعلتني أدرس تاريخ بلادي الذي لم أدرسه من قبل في أي مدرسة أو جامعة، وأتحرّق إلى معرفة إنجازات الأجداد والآباء، وأقارن بين ما قدموا به وما أنجزه الآخرون في الحروب والعلوم والحضارة على العموم¹.

وحينما نضح فكريا، واشتد عوده في بحر التاريخ، خاض تجربة مضنية لاستنطاق كنوز ودفائن الثقافة الوطنية، فاستهلك نصف قرن من عمره، دون كلل أو ملل، لإخراج موسوعة كاملة تفرّد بها بين نظرائه من المؤرخين الجزائريين، رام من خلالها التأكيد والبرهنة على الحضور الجزائري في المشهد الحضاري، وفي ذلك يذكر: " وكان هدفي من البحث هو إنتاج عمل يكشف عن مساهمة الجزائر في الثقافة العربية الإسلامية والإنسانية عبر العصور، ذلك أن المستعمرين الفرنسيين قد بثوا طيلة احتلالهم للجزائر بأنه لم يكن لأهلها ماضٍ سياسي ولا ثقافي، وزاد إهمال الدارسين العرب والمسلمين لتاريخ الجزائر من حرصي على البحث والتنقيب. فالجزائر قد ظلمها أعداؤها وأشقاؤها على السواء²."

ومن القضايا التي تنبّه لها الرجل وأثارت تساؤلاته، وكانت إحدى محركات الكتابة لديه، ظاهرة إحجام الجزائريين عن تدوين منجزاتهم وإسهاماتهم عبر العصور، وفي هذا الصدد كتب: " وهناك نقطة طالما أشرنا إليها وهي عزوف الجزائريين عن الكتابة وتدوين حياتهم بكل ما فيها... وإننا وجددنا الظاهرة

1 - مولود عويمر، المرجع السابق.

2 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 (1500 - 1830)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 13.

عامة في مختلف العصور... ولكننا ننبه الجيل الجديد إلى أن عدم الكتابة والتدوين قد ترك المجال فارغا أمام المغرضين والمؤولين لتاريخ البلاد وخصائص أهلها والطعن في قدرتهم الفكرية... وإن خوف الجزائريين من تدوين التاريخ والكلمة المكتوبة قد أفضى بهم إلى حساسية مفرطة من النقد، فهم لا يتسامحون مع الناقد، ولا يظهرون الاستعداد للجدل والمناقشة، بل يريدون من الكاتب أن يقول خيرا أو يسكت¹. في الواقع، فإن سعد الله قد دعا في أكثر من مناسبة إلى خلق مدرسة تاريخية وطنية يناط بها إعادة كتابة التاريخ الوطني، بعيدا عن الرؤوية والتفسير الاستعماري، الذي لا يزال يسعى إلى إبقاء الشعوب المستعمرة ومنها على الخصوص الشعوب العربية سجينة الأطروحات الثقافية للكولونيالية²، وقد عارض التصنيفات التي كتب على أساسها التاريخ الوطني، فقد أشار إلى كتابته من وجهة نظر حزبية وأخرى طرقية، وثالثة تعاملت معه بلون الحركة الإصلاحية، وتناولته رابعة في ضوء الإيديولوجيات العالمية، وحاول هو ترك مسافة بين كل هذه الاتجاهات، "لست من هؤلاء ولا من أولئك، والمؤرخ الحق في نظري هو الذي يفرق بين ميوله الشخصية ومهمته الوطنية والقومية والإنسانية، إننا لا نكتب التاريخ حسب أهوائنا وميولنا ولكن حسب منطوق ومفهوم الوثائق مع الأخذ في الاعتبار جميع معطيات القضية التي نعالجها"³.

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3 (1830 - 1954)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 9-10.

2 - محمد رحاي، " أبو القاسم سعد الله مؤرخا"، مجلة المستقبل العربي، العدد 431، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، جانفي 2015، ص 136.

3 - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2007م، ص ص 5-6.

من المسائل التي طرقها الباحثون والأسئلة التي ما فتئت تتردد في القراءات والتحليل التي لأفردت لإنتاج سعد الله التاريخي، تلك المتعلقة بموقعه من المدارس التاريخية، وهل يمكن عمليا الحديث عن وجود نظرية للرجل في هذا الحقل، بمعنى هل يستطيع الباحث أن يستخلص من آرائه وأفكاره المبنوثة في مؤلفاته طرحه نظرية في التاريخ أو الحضارة؟ والحقيقة أنه لا سعد الله قد أعطى موقفا صريحا، فهو قد ذكر فيما يشبه ردا على المتسائلين: "أنا لا أدعي أنني وضعت نظرية في التاريخ أو الحضارة، سواء بالنسبة لتاريخ الجزائريين أو تاريخ العرب والمسلمين أو غيرهم، ومن أراد أن يستنج شيئا من ذلك من كتابتي، كاملا أو منقوصا، صحيحا أو خطأ، فله أن يفعل ذلك، وله أن ينتقد ما شاء مؤلفاتي ووجهة نظري"¹، كما أن الدراسات التي خاضت في فكره لم تحقق الإجماع حول هذه النقطة²، ومن ثمة يظل تلمس الأبعاد الفلسفية والأيدولوجية لفكره على طاولة البحث، تنتظر إجابات موضوعية من المشتغلين على تراث الرجل.

ذهب أحد الباحثين إلى أن سعد الله قد أراد في مشروعه الفكري أن يؤسس لنظرية فلسفية في التاريخ تقوم على مرتكزين أساسيين:

1 - أبو القاسم سعد الله، حوارات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 212.

2 - يرى المؤرخ سعيدوني، أن الكتابات التاريخية لسعد الله يعوزها الفكر الفلسفي الذي يضعها في قالبها التنظيري ويفسر ذلك بكون هذا المؤرخ قد كان في مقام تلبية حاجة القارئ العربي وخاصة الجزائري لاسيما في عرض موسوعته "تاريخ الجزائر الثقافي"، ومن ثمة أحجم عن تقييد نفسه بمفاهيم محددة، وعن إخضاع المادة التاريخية التي عالجه لتوجهات المدارس الفكرية. ينظر: محمد رحاي، المرجع السابق، ص 136. نقلا عن: ناصر الدين سعيدوني، دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 582.

أولهما تشريح حالة الانحلال والتدهور التي تطبع تاريخ وطننا وأمتنا على حد سواء وهو ما يهدد كيائها تهديدا وجوديا، ولذلك أكد في مواقع مختلفة على ضرورة مقاومة مخلفات الحركة الاستعمارية في التاريخ، وهو تحد لن يكتب له الوقوف على قدميه، إلا ببروز كوكبة من المفكرين الجزائريين المتسلحين بأدوات التشريح التاريخي، المركزين في أعمالهم على التاريخ الجماعي المبتعدين عن الانتصار للبطولات الفردية وشخصنة الأدوار.

وثانيهما يتمحور حول القلق على المستقبل، ذلك أن هذا الأخير مرتبط بالماضي عن طريق الحاضر ارتباطا عضويا وهذا الهاجس عبّر عنه بالهموم، حيث كتب: "إن هذه الهموم هي التي استفزت القلم الذي كتب البحوث، وهي التي حركت نبض كل جرف فيها، فالشريط الذي نشاهده منذ عقود ولا يزرع إلا اليأس ولا يقود إلا إلى الإحباط، ورغم ذلك، فإن كاتب هذه البحوث لم يكن أبدا متشائما في نظره إلى المستقبل العربي الإسلامي"¹.

تتجلى مساهمة سعد الله في البحث عن حل لإشكالية الوعي التاريخي لدى الجزائريين من خلال كتابه مسار قلم، حينما دعا إلى التسلح بالمناهج العلمية الحديثة، وكتابة التاريخ العلمي الدقيق، لا التاريخ الاستعراضي أو تاريخ المناسبات، حيث اجتهد في إظهار الحقيقة وإبراز قيمة الأبطال، فنجح في هذا المضمار إلى حد بعيد في تخطيط معالم مدرسة تاريخية جزائرية ذات منهج

1 - سامية مرابطين، " دور الوعي التاريخي في بناء المقاومة الثقافية للمجتمع الجزائري: قراءة في فلسفة التاريخ عند أبي القاسم سعد الله"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد الثاني، العدد 2، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، ماي 2016، ص ص 311-312.

عصري، ولسان عربي، وروح إسلامي، ومشرب وطني غدت مؤثلا للباحثين عن صورة الجزائر الأصيلة¹.

ثانيا/ محركات وضوابط الترجمة التاريخية عند سعد الله

لقد شكلت حركة الترجمة مجالا بحثيا حظي بالاهتمام لدى سعد الله، ولعل مرد ذلك التعامل المبكر للرجل مع الكتابات والدراسات الأكاديمية الأجنبية منذ مطلع ستينيات القرن الماضي، فكان شغوبا بمطالعة محتوى تلك الأعمال وإدراجها بل والالتكاء عليها في باكورة إنتاجاته التاريخية، حيث جسدت مقدرته على التعاطي مع تجربة تحتاج إلى امتلاك مؤهلات علمية عديدة، يأتي في طليعتها التحكم في ناصية لغة الأعمال الأجنبية المستهدفة من جهة، والمقدرة على التعامل مع القضايا التاريخية المتضمنة فيها من جهة ثانية، مع التأكيد على جسامه المهمة على مستويي الاختيار والمعالجة.

والواقع، أن الترجمة باعتبارها مجالا معرفيا له خصائصه وميزاته، قد نظر إليها أبو القاسم سعد الله " بأنها فن وهواية، فن لأهل الاختصاص يخضع لقواعد وأساليب يتبعونها ويعملون بها ويعلمونها غيرهم، وهواية لأن صاحبها يختارها اختيارا شخصيا يستمتع به ويتخذها صنعة يركن إليها"².

1 - حنيفي هلايلي، " التأريخ لمسار قلم: أبو القاسم سعد الله مؤرخا لعلاقة التفاوت والتاريخ من خلال المذكرات والاعترافات"، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 7، مخبر البحوث والدراسات الاستشرافية في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، ديسمبر 2014، ص 42.

2 - محمد شوشاني عبيدي: "أبو القاسم سعد الله مترجما"، أعمال الملتقى الدولي أبو القاسم سعد الله مؤرخا ومفكرا، قسم العلوم الإنسانية جامعة حمة لخضر الوادي، 13-14 ديسمبر 2015م، ص 361.

ولا نشك في أن سعد الله وهو يمارس فعل الترجمة، قد استحضر تلك المكانة التي حظي بها هذا اللون الأدبي، فقد حاز تقدير ونظر الأدباء والمفكرين العرب، وفي هذا المضمار ذهب أبو عثمان الجاحظ إلى القول: " ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية، ومتى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما؛ لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعرض عليها، وكيف يكون تمكن اللسان منهما مجتمعين فيه، كتمكنه إذا انفرد بالواحدة، وإنما له قوة واحدة"¹. ويرأي سعد الله، فإن من مهلكات الترجمة كثرة النصوص للمادة الواحدة، مما يؤدي إلى كثرة التفسير والاختلاف حول التفاصيل، فلا يمكن للمترجم غير المتخصص إدراك أي النصوص أصح، وأي المواد أنسب للترجمة، ثم إن لكل فرع من فروع المعرفة لغة خاصة ومصطلحات خاصة أيضا، فلا يستطيع طالب التاريخ أن يترجم أدبا، ولا طالب الترجمة أن يترجم شعرا، ومن ثمة فإن المترجم الذي لا علاقة له بالتخصص الذي يترجم له، لا يمكنه التفاعل مع المادة المترجمة وبالتالي مع القارئ، فهو ناقل فقط لا يحس بإحساس الباحث². وتحدث مثلا عن الصعوبات الجمة التي واجهها عند قيامه بترجمة كتاب حياة الأمير عبد القادر³

1 - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج1، ط2، دم، 1965، ص 76.

2 - محمد شوشاني عبيدي، المرجع السابق، ص 362.

3 - العنوان بلغته الأصلية The Life of Abdel Kader, Ex-sultan of the Arabs of Algeria، صدر عن دار Chapman and Hall عام 1867م، وتضمن 331 صفحة، وقد شرع سعد الله في ترجمته عام 1969م، وقد نشر منه عدة فصول في مجلة "المجاهد الثقافي"،

لشارل هنري تشرشل Charles Henry Churchill ، حيث اضطر اضطرارا إلى القيام بجولة استكشافية للمواقع التي احتضنت الأمير وعائلته، وجرت فيها الكثير من الوقائع، وتحدث مع سكانها ممن لهم إمام بأسماء الأماكن وغيرها، وقد أشار إلى ذلك بالقول: " والواقع أن هذه الزيارة ضرورية لأكثر من سبب، فنقل الكتاب من لغة أجنبية إلى العربية يستلزم إعادة كثير من الألفاظ والمصطلحات إلى أصلها العربي نطقا وكتابة... ومن أجل ذلك، وجدت صعوبة شاقة في إعادة كثير من أسماء الأعلام والقبائل والأماكن الواردة في الكتاب إلى أصلها العربي"¹.

ثالثا/ ترجمة كتاب جون وولف الدوافع والأهمية

في الواقع، فإن تناولنا لهذا العمل الضخم تحديدا دون سواه من الأعمال التي ترجمها المؤرخ أبي القاسم سعد الله، إنما جاء للأسباب الآتية:

- اطلاعي على أغلب مضمون الكتاب بمناسبة إعدادي مواضيع التدريس المقررة على طلبة قسم التاريخ، والتي تتناول تاريخ الجزائر تحت المظلة العثمانية والصراع بين القوتين الإسلامية والمسيحية في البحر الأبيض المتوسط، حيث جذبني أسلوب الترجمة الراقي، وقيمة الكتاب التاريخية والعلمية.

- الأحكام التي أصدرها المترجم بشأن هذا العمل، حينما اعتبره متميزا، ومتفردا بالكثير من الأمور المثيرة للغرابة، ومتضمنا لأطروحات لها تأثيرها السيكولوجي

كما ظهرت لهذا الكتاب ترجمة باللغة الفرنسية تحت عنوان La vie d'Abd-El-Kader de Charles-Henry Churchill ، قام بها ميشيل هابار Michel Habart ، صدرت بالجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، عام 1971م.

1- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق أبي القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص 5.

علاوة على حمولاته من الأفكار التي تقطع خط الرجعة مع ما هو مألوف، مما زاد من شغفي لمطالعة هذه الدراسة واكتشاف جديد ما جاءت به¹.

- المكانة التي حجزها صاحب العمل الأصلي في ذاكرة المترجم من حيث الانضباط والجدية في الطرح حيث يقول سعد الله في هذا الباب: "فكتاب عن الجزائر بقلم البروفيسور وولف يعتبر في حد ذاته حدثا هاما، بالنظر إلى أن الذين تناولوا تاريخ الجزائر حتى الآن) منتصف الثمانينيات من القرن الماضي) ولاسيما العهد العثماني، هم الفرنسيون، أو بعض المبتدئين أو المتطفلين على التاريخ من غيرهم"². ويبدو أن سعد الله قد بالغ في قيمة محتويات كتاب أستاذه، مما جعله في لحظة تفاعل يكتب تعقيبا على محتواه " والكتاب الذي لا يجعلك تعيد النظر في معارفك ولا يحرك شعر رأسك، ولا يتحدى عقلك أو عاطفتك، فسلة المهملات به أولى"³.

1- جون وولف الإنسان والمؤرخ

جون بابتيست وولف، John Babtist Wolf (1907 - 1996 م)، في الواقع لم نعثر على مادة ذات قيمة تترجم حياته الشخصية بالرغم من السعي الحثيث الذي قمنا به وهو أمر يثير الاستغراب، وما تمكنا من جمعه على قلته، يفيد بأنه من أصول جرمانية، ولد وترعرع ببلدة أوراي Oray بـكولورادو Colorado بالولايات المتحدة الأمريكية، توج مساره الدراسي بنيل شهادة الدكتوراه عام 1934م بجامعة مينيسوتا Minnesota، بأطروحة حول

1 - جون ب. وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق أبي القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 08.

2 - المرجع نفسه، ص 08.

3 - المرجع نفسه، ص 08.

التاريخ الدبلوماسي لسكة حديد بغداد، وهي الدراسة التي نشرت له عام 1936م، زاول نشاط التدريس بجامعة ميسوري Missouri بين سنوات 1934-1943م، وبعد أن تغفل المعطيات المتوفرة عن الإشارة إلى مسيرة حياته إلى غاية منتصف الستينيات، نعرف بأنه التحق بجامعة إلينوي Illinois بشيكاغو عام 1966م وتقديراً لأعماله ولإسهاماته الأكاديمية رقي إلى رتبة أستاذ فخري، وأحيل على التقاعد سنة 1974م.

ترك وولف سجلاً ثرياً بالأعمال التاريخية التي تركت كلها تقريباً حول القارة العجوز، ومن ثمة يعد مؤرخاً مختصاً في التاريخ الأوروبي الحديث، فقد نشر سنة 1940م كتاباً بعنوان: فرنسا من 1815م إلى الوقت الحاضر، ثم أتبعه بدراسة عن ظهور القوى العظمى 1685-1715م، نشرت عام 1951م، ثم جاءت الدراسة الثالثة بعنوان: نحو توازن أوروبي للقوة 1640-1720م، نشرها عام 1969م.

وتبقى في تقدير العديد من المختصين السيرة الذاتية للويس الرابع عشر التي نشرها عام 1968م أهم عمل له، ترأس جمعية الدراسات التاريخية الفرنسية سنتي 1966-1969م، وتقديراً لجهوده في إبراز التاريخ الفرنسي كرمته باريس عام 1979م بمنحه بوسام الأكاديمية¹، وخلال تقاعده لم يتوقف عن الكتابة، بل أخرج سنة 1979م الدراسة التي هي محل المعالجة هنا، وقد ختم بها مسيرته العلمية.

لخص سعد الله أيديولوجية أستاذه واتجاهه الفكري بالقول: "كان وولف متحرراً للفكر، لانكي الرأي مادي التفسير للأحداث التاريخية، وكان لا يخفي

1 - https://www.wikipedia.org/wiki/John_Baptist_Wolf, consulté le 20/12/2017.

إعجابه بقوة الدول الأوروبية العسكرية، وسيادة الفكر على الدين في الحضارة الأوروبية الحديثة وسيطرة الطبقة الليبرالية في الحياة الاجتماعية، والتقدم العلمي والتقني والمهارة الدبلوماسية، وكان هدفه تعليم الطلبة الأمريكيين أن حضارتهم ما هي إلا فرع من الحضارة الأوروبية¹.

2- تقديم العمل المترجم

يقع الكتاب الذي اختار له سعد الله عنوان "الجزائر وأوروبا" في 508 صفحات وقد نشرته المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة 1986م، بعد أن تلقى المترجم الموافقة الكتابية من المؤلف تضمّنتها رسالة مؤرخة في 06 جوان 1982م، حيث أبدى جون وولف سعادته برؤية أحد طلبته السابقين يتصدى لهذا الانجاز، ونص الرسالة مدرج في مقدمة النسخة المترجمة بعد صفحة الغلاف، بينما صدرت النسخة الأصلية باللغة الانجليزية تحت عنوان *The Barbary Coast: Algeria under the Turks 1500-1830* عن دار نورتون Norton بنيويورك عام 1979م، وتضمنت 364 صفحة.

قسّم هذا المؤرخ الكتاب إلى ستة عشر فصلا، تناول في الأول منها استيلاء الأتراك على الجزائر، ثم خصص الثاني للحديث عن صراع خير الدين بربروس ضد شارل الخامس، وعالج في الفصل الثالث الحرب بين الدولتين العثمانية والاسبانية وتطرق في الفصل الموالي إلى حكم البيلربايات خلال القرن السادس عشر، وجاء الفصل الخامس لاستعراض تجربة حكومة الإيالة في القرن السابع عشر، بينما خصص المؤلف الفصل السادس للوضع العام بالجزائر وحركية المجتمع، وأفرد الفصل السابع لطائفة رياس البحر، وأعقبه بعرض مسألة الأرقاء في الفصل التالي وجعل الفصول التاسع والعاشر والحادي عشر للكلام عن

علاقة الجزائر بأوروبا بين أعوام 1600 - 1688م، وتطرق في الفصل الثاني عشر للحروب العظمى بين سنوات 1688-1714م، وعالج في الفصل الثالث عشر مرحلة الدايات، وفي الفصل الذي أعقبه درس الصراع الجزائري الإسباني خلال القرن 18م، وخصص الفصل ما قبل الأخير للصراع بين الجزائر وبقية أوروبا المسيحية خلال القرن 18م، وختم عمله باستعراض نهاية الإيالة.

3- دوافع ترجمة الكتاب

أورد أبو القاسم سعد الله الدوافع التي قادته إلى ترجمة هذا الكتاب، والذي عثر عليه بالصدفة وهو يتجول في أحد الشوارع بالولايات المتحدة، فاستوقفه العنوان في واجهة إحدى المكتبات التجارية، حيث قام على الفور باقتنائه، وعاد به إلى الجزائر، حيث قرر بعد مطالعته القيام بترجمته، يدفعه إلى ذلك جملة محركات نفسية وعلمية وتاريخية أشار إليها في مستهل عمله كالآتي:

- تطرق الكتاب للتاريخ الوطني الجزائري من باحث يتموقع بالصفة الغربية للمحيط الأطلسي، ذلك أن اهتمامات المؤرخين الأمريكيين لم تكن تنصب حول الكتابة عن منطقة المغرب العربي على العموم والجزائر على وجه الخصوص، مما يضيف على هذا العمل طابع الطفرة.

- جاذبية اسم المؤلف بما يحمله من ثقل أكاديمي في الجامعة الأمريكية، وأيضا للعلاقة العلمية التي ربطت المترجم بالمؤلف في عقد الستينيات من القرن العشرين.

- المعالجة المتميزة التي طرحها صاحب الدراسة، من حيث المادة المصدرية وطبيعة تفسير الأحداث، والتي قال عنها المترجم: " لقد وجدت كتاب وولف عن الجزائر في العهد العثماني يتحدى الجزائريين في أكثر من موضع، وهو

لذلك جدير في نظري بالقراءة والتمعن، ومن أجل ذلك، عزمت على ترجمته إلى العربية لينتفع به القراء الراغبون في معرفة دور الجزائر في التاريخ¹.

4- مجالات الدراسة

يقرّ جون وولف بأن مجال البحث كان واسعاً جداً، بحيث لم يكن من السهل التعاطي معه ومجاراته إلى أقصى حدود التفاصيل، وفي هذا الصدد كتب يقول: "والواقع أن بحثي كان سيصبح سلسلة من الشموع الرومانية، أو من الصواريخ السماوية المنطلقة في كل الاتجاهات...ومن الواضح أنني لو تتبعت بالدراسة كل المجالات التي تفتح أمامي، لاحتجت إلى عدة مجلدات ضخمة لتقديم نتائج أبحاثي"².

تتمحور الدراسة بحسب المؤلف حول أطروحتين: أولاهما، تتبع التطور التاريخي للمجتمع السياسي الذي تأسس خلال العهد البطولي للبحارة المسلمين، والذي انتهى في الأخير بالعدوان الفرنسي عام 1830م، فكانت التجربة الجزائرية، هي المثال الوحيد في العالم لحكومة مؤلفة من جيش احتلال أجنبي، استطاعت أن تحكم ثلاثمائة سنة فتاريخها يعتبر مهماً، كما يعد درسا، وثانيهما، تأقلم الدول الأوروبية المسيحية مع المشاكل التي تولدت عن وجود جماعة بحرية ملتزمة بحرب مقدّسة ضدها، حيث صعب عليها استيعاب أن الإيالة التي كانت إلى حد ما جزءاً من الإمبراطورية العثمانية، كانت تتصرف باستقلالية عنها فيما يتعلق بإعلان الحرب في كثير من الأحيان³.

1 - جون ب. وولف، المرجع السابق، ص 08.

2 - المرجع نفسه، ص 17.

3 - المرجع نفسه، ص 18.

5- منهج الترجمة

لقد أوضح سعد الله المنهج الذي اتبعه في معالجته لمحتوى الكتاب، فقد التزم بنقل أفكار المؤلف كما توخاها أن تصل إلى القارئ بأمانة، بالرغم من كون العمل قد حفل بالكثير من القضايا والمواقف التي تستحق المناقشة والنقد، مستثيا من ذلك الأخطاء التاريخية أو المطبعية، وقد أشار المترجم إلى ذلك بقوله: " فنقلنا الكتاب بأمانة، وحافظنا على روح المؤلف وأسلوبه، وقدمناه للقارئ كما يريد هو أن يصل إلى القارئ... ذلك أنه من حق المؤلف أن يتحمل مسؤوليته لدى قارئه، ومن حقه أن يعرفه أيضا على علاته ¹. إلا أنه وجه انتقادات إلى جون وولف الذي سار حسب رأيه سيرا غير متوازن في عرض الأحداث والتطورات، ففي الوقت الذي شد الرحال إلى جغرافيا الصراع من جهة الضفة الأوروبية، حينما زار عددا من السواحل المتوسطية الاسبانية والفرنسية والايطالية لمعرفة آثار الماضي ولربط ما شاهده من ماديات، بما اطع عليه مدونا في الكتب والوثائق، لم يفعل الشيء نفسه تجاه الضفة الجنوبية، على الرغم من شكواه بخصوص قلة المصادر العربية والتركية، ولذلك حكم سعد الله بأن عمله جاء مبتورا ويعكس أحادية النظرة، مع الإقرار بقيمته التوثيقية والعلمية ².

ومن المسائل التي طرحتها ترجمة هذا الكتاب، تصرف المترجم في استبدال مدلول العنوان الأصلي، ففي الوقت الذي كان يفترض أن يأتي العنوان معربا على هذا النحو: الساحل البربري الجزائر تحت الأتراك 1500-1830، قام سعد الله بتكليف العنوان ليصبح كالاتي: الجزائر وأوروبا 1500 -

1 - جون ب. وولف، المرجع السابق، ص 11.

2 - المرجع نفسه، ص ص 10-11.

1830م، وهو المنحى الذي رأى فيه أحد الباحثين بأنه مجانية للصواب، وأن صاحبه لم يحترم مقصد مؤلف النص الأصلي فكان منحازا لنظريته الشخصية¹، وتقاطع معه في الرأي باحث آخر، حيث أشار إلى أن العناوين تشبه اللوحات الاشهارية المضئية المعلقة على مداخل المحلات التجارية لاقتناص النظر، وهو ما يفرض على المترجم استحضار ذلك التلألؤ والبريق للعنوان، والتمسك بعدم الإضرار لا ببعده الدلالي ولا ببعده الجمالي²، لكن صاحب الترجمة برّر قيامه بتلك الخطوة بالقول: "إن تركيز المؤلف على دراسة التجربة الجزائرية من خلال التجربة الأوروبية هو الذي جعلنا نغير عنوان الكتاب بعض الشيء"³.

والحقيقة أن كتابا بهذا الحجم والامتداد الزمني، قد احتوى الكثير من الأمور التي تستحق التعليق ولفت الانتباه، لكن سعد الله نأى بنفسه عن التصدي لذلك، وأوضح: "ولكن هل مهمة المترجم القيام بشرح العمل الذي ترجمه ووضع حواشي له ونحو ذلك من وسائل الزيادة والإيضاح؟ لا نعتقد ذلك، ولو فعل لكان الأولى له أن يؤلف كتابا من عنده ويريح المؤلف الأصلي والقراء معا"⁴.

ويظهر من تركيز المؤرخ وولف على تطورات القارة الأوروبية، وإبراز علاقاتها وأدوارها في البحر المتوسط وصراعها مع القوة العثمانية، وما أحاط

1 - جلال سلطاني، "إشكالية ترجمة النص التاريخي من الانجليزية إلى العربية: أبو القاسم سعد الله أنموذجا"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 12، العدد 2، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، سبتمبر 2020، ص 402.

2 - محمد شوشاني عبيدي، المرجع السابق، ص 369.

3 - جون ب. وولف، المرجع السابق، ص 11.

4 - المرجع نفسه، ص 11.

بها من نظرة إعجاب وافتخار، أن الرجل يمكن تصنيفه بلا خوف من الشطط، بأنه من أنصار نظرية مركزية التاريخ الأوروبي، التي تجعل من الرجل الأبيض قطب الرحى في صناعة الحدث التاريخي، وتوجيه مسيرة البشرية.

خاتمة

سنظل الكنوز الفكرية التي خلفها شيخ المؤرخين أبي القاسم سعد الله منهلا للباحثين في تراث وتاريخ هذا الشعب، فهو بحسه التاريخي وذوقه الأدبي ومنهجه العلمي، استطاع أن يترك بصمات قوية في كل مجال أبحر فيه، وقد كانت حركة الترجمة مضمارا فكريا آخر أظهر تفوقه ورقي إبداعاته، حيث ساهم من خلالها في تعزيز رصيد الدراسات والأبحاث المتعلقة بكشف واكتشاف المكانة التي حجزها الجزائريون ضمن المنظومة الحضارية العالمية، وكان فيما يعرض مؤرخا متحرر الفكر، غير متعصب، دافع باستماتة عن عناصر الهوية الوطنية والانتماء الحضاري للجزائريين، بل أكد في أكثر من موقع بأنها القضايا التي أوقف عليها حياته البحثية.

الفهرس

الجزء الأول

05	كلمة مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية كهد/ عبد الله مقلاتي.....
----	---

القسم الأول

بحوث تتعلق بحياة وكتابات وإسهامات الدكتور يحيى بوعزيز

09	الأستاذ الدكتور يحيى بوعزيز: منارة في التأريخ، جيوغرافيا، شهادات، وآثار كهد/ كركب عبد الحق - جامعة ابن خلدون تيارت.....
----	---

37	يحيى بوعزيز مؤرخا كهد/ الشافعي درويش - جامعة زيان عاشور الجلفة.....
----	--

55	موقف المؤرخ يحيى بوعزيز من الحزب الشيوعي الجزائري (1935-1945) كهد/ لهالي سلوى - جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02.....
----	---

74	جهود يحيى بوعزيز وإسهاماته في الكتابة عن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء كهد/ الطاهر خالد - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
----	--

القسم الثاني

بحوث في تاريخ الجزائر القديم

115	منظومة الري بتمقاد خلال الفترة الرومانية كهد/ عيد عبد الحق - جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02....
-----	--

136	<p>ALAE II THRACVM) الخيالة الثانية الأغسطسية التراقية (AVGUSTA) في مقاطعة موريطانيا القيصرية وأثرها على المجتمع المحلي (40م - 284م)</p> <p>أ/ خالد شهرة - جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02</p> <p>أ/ خاتمي مصطفى - جامعة وهران 01.....</p>
<p>القسم الثالث</p> <p>بحوث في تاريخ الجزائر الوسيط</p>	
159	<p>الفتح الإسلامي لمنطقة الأوراس والمغرب الأوسط</p> <p>د/ خالد حموم - جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02.....</p>
182	<p>التكامل الاقتصادي بين المغرب الأوسط والمغربين الأدنى والأقصى</p> <p>من القرن 3هـ/9م إلى القرن 6هـ/12م</p> <p>د/ كمال خلفات - جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة.....</p>
213	<p>نبوغ علماء الجزائر في خطتي الكتابة الديوانية والكتابة القضائية</p> <p>خلال عصر الموحدين</p> <p>أ/ لخضر بولطيف - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....</p>
224	<p>شرفاء المغرب الأوسط وتراتبيتهم الاجتماعية</p> <p>(ق7-9هـ / 13-15م)</p> <p>د/ إلهام قاتل - جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي.....</p>
245	<p>التعليم العالي في مدينة قسنطينة بالمغرب الأوسط (الجزائر)</p> <p>نهاية العصر الوسيط</p> <p>د/ محمد قويسم - جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة.....</p>

القسم الرابع

بحوث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

256	القادرية الكنتية في الجزائر وموريتانيا وغرب إفريقيا كهد/ آدب ولد سيد امحمد - جامعة العيون - موريتانيا.....
280	أضواء تاريخية على جوانب من النشاط البحري الجزائري خلال العهد العثماني كأ/ نادية مباركي - جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله.....
316	الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر من خلال مذكرات الأسير النرويجي نيلز موس 1769-1772 كهد/ بوطبة لخضر - جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02.....
369	جهود المؤرخين الجزائريين في جمع وتصنيف وتحقيق وترجمة الوثائق التاريخية الخاصة بالفترة العثمانية - خليفة حماش أنموذجا كهد/ بن سالم الصالح - جامعة محمد البشير الإبراهيمي.....
404	النخب ومسألة الهوية والانتماء في المجتمع الجزائري الحديث كأ.د/ أبو بكر الصديق حميدي - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.
416	الاستيطان الأوروبي في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي كأ/ محمد شمبازي - جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02.....
439	مقاومة أهالي بلاد حمزة للاستعمار الفرنسي "1830-1849م" كهد/ حسين محمد الشريف - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
<h3>الجزء الثاني</h3>	
05	كلمة مدير مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية كأ.د/ عبد الله مقلاتي.....

08	مقاومة الاحتلال في سوسولوجيا العرش بالحضنة مساهمة تاريخية في مقاومة قبيلة أولاد ماضي 1830-1864 أ.د/ كمال ببيرم - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
29	المقاومة بالصحراء الجزائرية: مقاومات الشريف محمد بن عبد الله، ويوشوشة وابن ناصر بن شهرة أنموذجا أ.د/ محمد قن د/ علجية مقيدش جامعة زيان عاشور بالجلفة.....
48	واقع الجزائر في ظل سياسة الاستيطان الاستعمارية (1830-1870) أ/ بلقاسم صحراوي - جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02..
57	الجزائر خلال فترة حكم نابليون الثالث 1848-1870، دراسة تاريخية لمشاريع تفكيك الملكية الجماعية للجزائريين د/ قويدر عاشور - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
72	المقاومة الشعبية في الزيبان من 1858 إلى 1879 د/ فريخ لخميسي - جامعة محمد خيضر بسكرة.....
102	الطبيب عبد القادر بن زهرة من خلال ملفه في الأرشيف الفرنسي 1861-1885 أ/ يحيى بن فطيمة - جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 02...
113	الاستيطان وتأسيس الملكية الفردية في الجزائر 1871 - 1914م د/ خميلي العكروت - جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 02.....
130	الثوابت الوطنية في فكر وممارسات المقاومة الشعبية الجزائرية د/ فتح الدين بن أزواو - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....

	إسهامات عمر راسم في مواجهة التغريب الثقافي الفرنسي في الجزائر مطلع القرن العشرين
146	كهد طالبة دكتوراه/ رحيمة قليل - جامعة زيان عاشور بالجلفة.....
	زاوية سيدي موسى بعرض بني وغيليس، نشاطها ودورها العلمي والثقافي
159	كهد.أ.د/ سفيان لوصيف - جامعة محمد لمين دباغين - سطيف02..
	فجر الحركة الإصلاحية في الجزائر (1914-1931)
178	كهد/ بن موسى حمادي - جامعة أحمد دراية أدرار.....
	الانتخابات في الجزائر خلال فترة ما بين الحربين، الانتخابات البلدية في الغرب الوهراني أنموذجا
210	كهد/ عبد الرحمن تونسي- جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة
	محاولات الحركة الوطنية لاحتواء العمال الجزائريون وفك الارتباط بالنقابة الفرنسية 1939-1950
235	كهد/ عبد العزيز راجعي - جامعة عباس لغرور - خنشلة.....
	الرحلات العلمية للطلبة الجزائريين الى تونس ومصر (زدور إبراهيم القاسم أنموذجا 1946 - 1954)
261	كهدة/ حورية جيلالي - المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، كراسك وهران.....
	آليات التعسف السياسي الاستعماري ضد المسلمين الجزائريين قانون 20 سبتمبر 1947 أنموذجا
289	كهدة/ خميسة مدور - جامعة 08 ماي 1945 قائمة.....
	عبد الحميد مهري وإيديولوجيات الأمير عبد الكريم الخطابي
309	كهد/ أكرم بوجمعة - جامعة الحاج لخضر 01- باتنة.....

	عيسى حميطوش البنداوي ودوره في الثورة التحريرية 1954. 1962
329	كهد/ محمدي محمد - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
343	من شهداء الثورة التحريرية العربي عباسي المدعو التبسي كهد/ سمير بن سعدي - جامعة أكلي محند أولحاج البويرة.....
359	عبد الرحمان اليوسفي وجسور الارتباط بالثورة الجزائرية كهد.أ.د/ عبد الله مقلاتي - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
391	محمد العربي بن مهدي من خلال شهادة عيسى كشيدة ولخضر بورقعة كهد/ موسى لوصيف - جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 02.....
402	نشاط مكتب جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالقاهرة (1957-1959) كهد.أ.د/ عمر بوضربة - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
416	مشروع الحمامات أو برنامج طرابلس الأخير 27 ماي 05 جوان 1962 بين سندان هيئة الأركان العامة والحكومة المؤقتة كهد.أ.د/ أحمد مسعود سيد علي- جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....
438	في رحاب مدرسة التاريخ الوطنية، صراع السلطة وميثاق الجزائر عام 1964 كهد.أ.د/ محمد العربي الزبيري جامعة الجزائر 02.....
467	الترجمة في الإسهامات الفكرية للمؤرخ أبي القاسم سعد الله: كتاب " الجزائر وأوروبا " لجون وولف عرض وتحليل كهد/ عبد القادر خليفي - جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.....